

العدد
180
أكتوبر - ديسمبر
2019



مجلة دورية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عالم الفكر
العدد
180


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب


العدد: 180 (أكتوبر – ديسمبر 2019)



مجلة فكرية محكَّمة، تهتم بنشر الدراسات والبحوث المتسمة بالأمانة النظرية والإسهام النقدي في مجالات الفكر المختلفة.

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج العربي	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت	
للأفراد	6 د.ك
للمؤسسات	12 د.ك
دول الخليج	
للأفراد	8 د.ك
للمؤسسات	16 د.ك
الدول العربية	
للأفراد	10 دولارات أمريكية
للمؤسسات	20 دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	
للأفراد	20 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	40 دولارا أمريكيا

للاشتراك في مجلة عالم الفكر يمكنكم الدخول إلى موقعنا الإلكتروني، أو من خلال إرسال حوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت وترسل على العنوان التالي:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع

ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

تصدر أربع مرات في السنة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



العدد 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

تم التنضيد والتصحيح اللغوي والتنفيذ بوحدة الإنتاج في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

دولة الكويت

aalam_elfikr@nccal.gov.kw

ISBN:1021- 6863



العدد: 180 (أكتوبر – ديسمبر 2019)

شارك في هذا العدد

- أ. د. محمد حسن عبدالله
- أ. د. هبة الله محمود عارف
- د. محمد فاوبار
- د. سفيان سعدالله
- د. مصطفى عبدالرؤوف راشد أحمد
- د. الزهرة إبراهيم

180
العدد

قواعد النشر في مجلة «عالم الفكر»

ترحب المجلة بمشاركة الكُتّاب المتخصصين، وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية:

1 – أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره، أو قُدِّم للنشر في وسيلة نشر أخرى، ويجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر بعد نشره في مجلة «عالم الفكر»، مع الإشارة إلى ذلك.

2 – ألا يكون مأخوذا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

3 – أن يتبع البحث الأصول العلمية المتعارف عليها في مجلة «عالم الفكر»، خصوصا فيما يتعلق بالتوثيق، بحيث توضع الهوامش في آخر البحث، ويشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين، وتُبيَّن بالتفصيل في قائمة في آخر البحث، وفق تسلسلها، تليها قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة هجائيا.

4 – أن تكون الصور والجداول – إن وجدت في البحث – واضحة وموثقة.

5 – أن يتراوح عدد كلمات البحث أو الدراسة ما بين 8 آلاف و16 ألف كلمة.

6 – تُقبَل المواد المُقدَّمة للنشر – مطبوعة ومصححة – على أقراص مدمجة أو بالبريد الإلكتروني، ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نُشِرت أو لم تُنشَر.

7 – تخضع المواد المُقدَّمة للتحكيم العلمي على نحو سري.

8 – البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات عليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

9 – تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات المنشورة، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.

ترسل البحوث والدراسات باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي: 13100 - دولة الكويت
البريد الالكتروني: aalam_elfikr@nccal.gov.kw



تقـــديـم

في الحَومة

... وهذا عدد الخريف من «عالم الفكر» بين يديك صديقي القارئ، وعدد بحوثه لا يتجاوز الستة، مضافا إليها الكشافُ السنوي الذي وثَّقنا به محتوى الموضوعات المنشورة منذ تأسيس المجلة (1970) إلى نهاية هذا العام؛ تيسيرا وإغراء للقارئ الكريم أن ينمي معرفته باستحضار قوائم الموضوعات عبْر هذه المسيرة المهمة المثمرة، وأن يتفاعل معها؛ إذ ليس في لغة البحث وثمراته قديم وحديث، بل متميز ومثمر ومطلوب، أو عكس ذلك. ولست أُطري هذه المطبوعة إذ أنوه بأهمية ما قدَّمتْ من بحوث عبر أربعين عاما، فهذا أمر متروك للقارئ يستطيع أن يتخذ فيه موقفا، ترتيبا على اختبار المحتوى، وتطور الأداء، وتنوع أساليب العرض، فضلا عما يمكن أن نطلق عليه «المغامرة المعرفية» التي يصعب أن تتكرر، فمن المسلم به أن لكل باحث مجال اهتمامه، وأفق غاياته، وبينهما منهجه المختار، وقدرته على السياحة في جوانب الفكر العالمي، وتقديمها إلى قارئه العربي بما يحفزه من شغف الكشف.

وقبل أن نغادر هذه الإشارة إلى كشاف المجلة في امتدادها الزمني، نغري عالمنا الباحث المشغوف بالكشف عن الفروق بين المراحل عبْر الشوط الطويل لهذه المطبوعة، وهذه الفروق - التي لن يصعب اكتشافها - لن ترجع إلى سبب واحد، فـ «عالم الفكر» يتشظى بالضرورة من خلال ما يستجد من احتياجات، وما يتوافر من بحوث، وما تتوق إليه أفهام الباحثين من رغبة الكشف، وما يمكن أن يستأثر باهتمام إدارة المجلة في مراحلها المختلفة. ولسنا نستبعد أن تدل هذه الفروق على اختلاف في طموحات التطلع المعرفي، وفي مفهوم رسالة الفكر في ذاته، ولست أصادر في هذا المجال – وليس من حقي أن أصادر - توجهات القارئ إذا غلب على ظني أن دائرةً محكمة هي التي ترسم ضفاف المعرفة، وتحدد مطالب عالمها المتوائم – أو الذي ينبغي أن يتواءم – مع قدرات المتلقي المفترَض للمجلة.

منذ زمن أرسطو رأى هذا الفيلسوف أن «الدائرة» هي أكمل الأشكال الفنية؛ لأن في استطاعتها أن تستوعب جميع الأشكال الهندسية، حتى أنه «غامر» بأن زعم بأن وصف شخص ما بأنه «مستدير» بمنزلة مدح له، لأن الاستدارة – أو الدائرة – تعني الكمال! وفي

زمن المتصوفة الإسلاميين رأوا أن «الآن» وهم زمني لا حقيقة له، لأن الزمن الذي يتجدد في صيرورة لا تتوقف، ينقسم - في الحقيقة - بين ماض ومستقبل. أما اللحظة الحاضرة فإنها لحظة منفلتة من المحال الإمساك بها!

أرجو ألا أكون ذهبتُ بعيدا مع خواطري في محاولة اجتذابك عزيزي القارئ إلى الموضوعات الستة التي تمثل محتوى هذا العدد الخريفي، وهي في مجملها لا تغادر عالم الفكر بمختلف تجلياته، ما بين العناية بالتفسير والتحليل لظاهرات أدبية ولغوية وفلسفية هدفها المشترك توسيع آفاق المعرفة تصديقا للعنوان، وإعمالا لرسالة المطبوعة (عالم الفكر)، مع الحرص على إضافةٍ يمكن أن نصفها بأنها غير مسبوقة، وهذا هو المطلب الأساسي فيما تنشر المجلة من دراسات.

فالموضوع الأول: «العنوان في التراث العربي» يضع تحت أنظارنا خصوصية العنونة ودلالتها الحضارية في تراثنا، من حيث ينفرد هذا التراث بالعنونة بالأسماء. أما الدراسة التالية عن تاريخ الترجمة فتضع بين يدي المتخصص كشفا بموجات التفاعل واتجاهاته نحو المعرفة بالآخر (الغربي) خاصة. أما المبحث الثالث بمدخله الإيكولوجي (التبيُّؤ) فإنه يرصد ما بين التطلع الإنساني، وضغوط المكان، وأثرَ هذا التفاعل اجتماعيا. ويعرض المبحث الرابع لبينية أخرى في فلسفة ديكارت تبحث في العلاقة بين الأنا والآخر. في حين يتجه المبحث الخامس إلى تفحص المبادئ البيولوجية للأخلاق، وعلاقتها بمبدأ المنفعة، وإعادة الأخلاق والسلوكيات في جملتها، أو غالبها، إلى أسباب بيولوجية أمر يقرره علماء النفس، وأشار إليه فرويد غير مرة. وأخيرا... تقرأ المقامة العمانية (من بين مقامات الحريري)، من منظور بطلها وراويتها أبي زيد السروجي، في ضوء فلسفة المكان وطبائع المرحلة.

هذا باختصارٍ بعضُ ما ينبغي أن يقال في التمهيد لتلقي هذا المحتوى السخي، المتعدد الجوانب والاتجاهات التي تتفاعل وتتكاتف وتتساند في حومة معرفية واحدة، في هذا العدد الخريفي من «عالم الفكر».

أ.د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

المحتوى



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

العنوان في التراث العربي

منظور تأسيسي في تأصيل ظاهرة العنونة بالأسماء في التراث العربي ودلالتها الحضارية والنفسية

أ. د. محمد حسن عبدالله *

«العنوان في التراث العربي» هو الموضوع الذي نعنى به في هذه الدراسة، وسنحاول أن نتأمل الظاهرة (ظاهرة العنونة) في نشأتها وتطورها، ودوافع هذا التطور الاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والمنهجية.

ونعرف - بالخبرة العملية = - أن العنوان - بالنسبة إلى الكتاب، أو المقالة - يشغل مكان «التسمية» للمولود؛ فتسمية هذا المولود هي إعلان واعتراف عام بوجوده، وصحة نسبته، وهذا شأن العنوان بالنسبة إلى الكتاب، حتى إن كان عنوان الكتاب، أو أي مدونة، آخر ما يخطه المؤلف، غير أنه سيبقى أول ما يقرأه المتلقي، ويتفاعل معه، وهذه أمور أصبحت بدهية.

الاهتمام بالعنوان يشغل مساحة واضحة في اهتمام الدراسات النقدية المعاصرة، ويمكن أن نزعم أننا قرأنا أكثرها في صورتها الأصلية، أو تعرفنا عليها من خلال عناية الباحثين السابقين بهذه الدراسات التي سبقتهم بالطبع. وقد يعد هذا بمنزلة «ثغرة» في هذه الدراسة، لأننا نعرف أنه لا يحق لباحث أن يفيد من مصدر وسيط، فلا مناص من استقاء الرأي من مصدره الأول! غير أننا في توجهنا عبر صفحات هذا البحث، ستكون لنا وقفة تعريفية مختصرة بأهم جهود هؤلاء السابقين في بحوثهم حول «العنونة»؛ لتكون مجرد توطئة لما يتوجه إليه اهتمامنا، وهو: «العنوان في التراث العربي».

* أستاذ النقد الأدبي - جمهورية مصر العربية.

ولن نغفل جهود الباحثين السابقين الذين أعطوا العنوان في التراث العربي مساحة من اهتمامهم، غير أن هذا الاهتمام بالعنوان في التراث - كما سنبرهن عمليا في هذه الدراسة - ظل محدودا جدا، أو متعجلا، أو خاضعا في قراءته لمفاهيم نقدية وفلسفية غربية، أو بعبارة أخرى: ليست من ابتداع العقل العربي، أو ثمرة لتأمل نشاطه في هذا الاتجاه (اتجاه العنونة)، كما أنها لم تكن متشبعة بالمفاهيم، والتوجهات التي حددت مسار هذا التراث العربي عبر القرون.

وبالإجمال يمكن القول إن النسبة العالية من مساحة الاهتمام النقدي العربي بالعنوان، تستقر على قاعدة من مفاهيم الفكر النقدي الغربي: الفرنسي/ الأوروبي/ الأمريكي[1] غالبا، أو دائما، وهذا الانحصار في المصطلح النقدي الغربي أفاد بدرجة كبيرة، في كشف أسرار العنونة، خاصة فيما يؤدي إلى الكشف عن وظائف العنوان، وأثره في المتلقي، وصلته، أو صلاته بالمتن الذي يتصدره، سواء كان قصيدة، أو ديوانا شعريا، أو رواية، أو مسرحية... إلخ. غير أننا نلاحظ أن الأغلبية العظمى من العناوين المستدعاة لأداء هذا الدور، أو هذه الأدوار الكاشفة، إنما هي عناوين عصرية، أو حديثة، اختيرت بعناية لتؤدي الدور المناط بها، بتوجهات تلك التقسيمات، والمصطلحات المنهجة - لدى الباحثين الغربيين - لما يتوقعون من علاقات عناوينهم بإبداعاتهم(الغربية)[2]، ومن ثم ظل العقل العربي، والوجدان العربي العام - في جوهر خصوصيته - خارج دائرة الاهتمام، أو يحتل مساحة محدودة، باستثناء دراسة محمد عويس (أستاذ الأدب العربي بجامعة المنيا)، وهي بعنوان: «العنوان في الأدب العربي ... النشأة والتطور»، ومن ثم تعد المحاولة المؤسسة للبحث في هذا الاتجاه، وسنعرض لهذه الدراسة المميزة، ولغيرها التي أسهمت في كشف أقنعة ظاهرة العنونة من زوايا مختلفة، وإن تكن عنايتها بالعنوان في التراث العربي، تأتي عابرة، كما تأتي اختياراتها، مما آثرت من عناوين الإبداع العربي - في أشكال مختلفة - مستقاة في إطار المنتج الأدبي عبر القرن العشرين، أو النصف الثاني منه على الأكثر.

أولا: العنوان: اللفظ والدلالة في المعجم

جاء في «معجم لسان العرب»[3]، في مادة (ع ن ن = عنن): عنَّ عن الشيء يعِن، ويعُن، عننا، وعنونا: ظهر أمامك، وعنَّ يعِن ويعُن عنا وعنونا واعتن: اعترض وعرض... والاعتنان: الاعتراض. والعُنُنُ: المعترضون بالفضول... ورجل مِعَنّ: يعرض في شيء، ويدخل فيما لا يعنيه، ويقال: امرأة مِعِنّة، ورجل مِعِنْ: تعتن وتعترض في كل شيء... والمِعَنْ: الخطيب... وفي حديث طهفة: برئنا إليك من الوثن والعنن، الوثن: الصنم، والعنن: الاعتراض، من عنّ الشيء: أي اعترضه... وفي حديث عليّ في ذم الدنيا: ألا وهي المتصدية العنون، أي التي تتعرض للناس، وفعول للمبالغة... والعَنُّ: المصدر،

والعنن: الاسم، ومنه سمي العِنان من اللجام، عنانا لأنه يعترضه من ناحيته، لا يدخل فمه منه شيء... والعانُّ من السحاب: الذي يعترض في الأفق... ويقال للرجل الشريف العظيم السؤدد: إنه لطويل العِنان، ويقال: إنه ليأخذ في كل فن وعن وسن، بمعنى واحد... وفي حديث عبدالله بن مسعود: كان رجلٌ في أرض له إذ مرت به عَنانةٌ ترهيأ؛ العانة والعَنانة: السحابة، وجمعها عَنان، وفي الحديث: لو بلغت خطيئته عَنان السماء؛ العَنان، بالفتح: السحاب... وأعنان السماء: نواحيها... وأعنان الشجر: أطرافه ونواحيه.

لقد أطلنا - نسبيا - بتعقب تقلبات مادة (عنن)، واختلاف معانيها، لنؤكد أمرين: أن هذه المادة ذات المعاني المختلفة، كانت معروفة، ومألوفة لدى العصور القديمة، وأنها - في دلالتها العامة - تعني: الضبط، والمنع، والتحكم، والاتساع، والارتفاع، والظهور... إلخ، مما يمكن تأويله أو استلهامه من معنى عِنان (بالكسر)= اللجام، وعَنان (بالفتح) = السحاب. وليس يصعب أن ندرك ما يعنيه مصطلح «العنوان» الذي لم يغادر المعنيين السابقين.

على أننا نصل في النهاية إلى «عنوان الكتاب»، وهنا يقول لسان العرب: «وعننت الكتاب، وأعننته لكذا، أي عرضته له، وصرفته إليه. وعَنّ الكتاب... كعنونه، وعنونته، وعلونته بمعنى واحد مشتق من المعنى... وسمي عِنوانا، وعُنوانا، لأنه يعن الكتاب من ناحيتيه... ومن قال «علوان الكتاب» جعل النون لاما، لأنها أخف وأظهر من النون، ويقال للرجل الذي يُعرّض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته... والعنوان: الأثر؛ قال سوّار بن المضرب:

وحاجة دون أخرى قد سنحت بها ... جعلتهـــا للتي أخفيت عنوانـــا

قال ابن بري: وكلما استدللت بشيء: تظهره على غيره فهو عنوان...
قال الليث: العلوان لغة في العنوان غير جيدة، والعنوان بالضم، هي اللغة الفصيحة.
وقال أبو داوود الرواسيّ: لمن طلل كعنوان الكتاب.
وقال ابن بري: ومثله لأبي الأسود الدؤلي:

نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

لقد انتهى ما اقتبسناه عن «لسان العرب»، والطريف أنه أوصلنا - بعد الصبر والتعقب - إلى أن مصطلح «عنوان الكتاب» قد استخدمه شاعر قديم: «لمن طلل كعنوان الكتاب»، وأن التعبير

العامي الشائع في بعض جهات ريف مصر، حين يقولون: العلوان، باللام، ليس خطأ، وليس لحنا، وإن لم يكن الأفصح!

وقد نجد أهم ما نطلب في تحديد العنوان: وصفا، وتحديدا، ووظيفة لدى صانعه، ولدى متلقيه، في عبارة جامعة - مختصرة عند جيرارد جينيت، وهذا نصها:

Title

A title is a set of linguistic signs that may appear at the head of a book or any other published text or work of art to designate it, indicate its subject matter as a whole, and to entice the targeted public. The three functions are not necessarily all fulfilled at the same time: only the first is obligatory. The other two are optional and supplementary(4)

* * *

ثانيا: تنوير جانبي مؤثر من مقدمة ابن خلدون

قد ينتابنا مستوى من العجب لغرائب العناوين التي نصادفها في مؤلفات تراثية عربية في شكل «كتب» أو «مقالات» (مما كان يدعى «رسالة»، مثل: رسائل الجاحظ، ورسائل إخوان الصفاء، فيما بعد، وعناوين المقامات فيما بعد البعد). وستكون لنا وقفة مع هذه العناوين الطريفة، على الأقل من زاوية علاقة العنوان بالموضوع/ المضمون الذي يتصدره. وما من شك في أن عجبنا يزداد حين «نكتشف» أن ظاهرة العنونة في التراث العربي، مع ما تتسم به من الغرابة والطرافة، لم يلتفت إليها باحث قديم، وإن جرى التعليق على بعض منها (وهذا غير ما نتقصده من طرح الظاهرة في صورتها الشاملة، وتعقب مراحلها ومظاهرها). وقد يزداد العجب إذ ندرك أن «العنوان» ظاهرة قديمة جدا، وأنه يشغل مكانا في الإدراك الفطري للأشياء؛ فقد تواترت المعارف/ المدركات على العقل البشري، ومن ثم راح يختزنها مكونا ما نطلق عليه «الذاكرة»، وهذه الذاكرة لا تأذن بالفوضى (في غير حالات مرضية)، وإنما تستعين بتقسيم المدركات إلى أنواع، وسلالات، وسياقات، وتداعيات، وتراتب أزمنة، وعلاقات... إلخ، مما يجعل من الاهتداء إلى ضرورة وجود «علامة مميزة» فارقة، تساعد الذهن على استعادة بعض ما يختزنه من المعرفة، وعلى هذا الأساس وُجد تقسيم «الحقول المعرفية»، وخواص الحواس، والحقول الدلالية... وما إليها.

وقد حرصت الكتب المقدسة على أن تميز نصوصها، أو مراحلها، بأرقام وعناوين، وهذه الكتب المقدسة من أقدم المدونات التي عرفها الإنسان، وتداولتها المجتمعات التي تقبلتها، واتخذتها إماما للدين والدنيا، وقرأها الناس على مستوياتهم.

ففي «العهد القديم» تتعاقب «الأسفار الخمسة» المكونة للتوراة [سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية]، ومن بعدها تتوالى أعمال الرسل، ... وهكذا تصدر العنوان محاور العقيدة، وتسلسل أنبيائها، والتعريف بأهم ما نُسب إلى كل منهم. فبين أيدينا أربعة من الأناجيل التي اعترفت بها الكنيسة، يحمل كلٌّ منها اسم الحواري أو الرسول الذي كتب النص [متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا] وهكذا تتعاقب أعمال الرسل مرة أخرى. أما القرآن الكريم، فقد حملت سوره (الأربع عشرة بعد المائة) عناوينها ما بين [فاتحة الكتاب وسورة الناس]. هذا التقسيم، وهذه العناوين (أسماء السور) أساس من أسس العقيدة، لا يملك بشر أن يغير فيه، غير أن الجهد البشري ما لبث أن أدخل تفصيلا إضافيا لييسر للذاكرة عملية الحفظ، وعملية الاستعادة، فكانت: الأجزاء، والأحزاب، والأرباع، وكل ذلك من صنع البشر، بقصد تيسير المعرفة والحفظ، والاهتداء إلى مواقع الحاجة حين تعن لها ضرورة.

ويمكن أن نلتمس للعقل البشري عذرا في غفلته عن تأمل الأقسام، وما يتصدرها من عناوين، بما يترتب على ذلك من تشريح الظاهرة (ظاهرة العنونة)، والكشف عن وظائفها، وعلاقاتها، وأثرها في استجابة المتلقي للنص. أما الاعتذار عن الغفلة فيرجع إلى الألفة، والعادة، وقد يضاف إليهما - من ناحية الكتب المقدسة خاصة - أن قدسيتها عند قارئها قد تكبح إرادته في التفتيش أو التفتيت للكشف عن أسرار النص، خاصة إذا كان هذا النص يصل إلى متلقيه عبر وسائط بشرية (الأحبار، والكهنة، والمشايخ)؛ فإنهم إذا لم يتولوا هذا بأنفسهم، فلن يأذنوا لأحد من غير المنضوين إلى أنساقهم، للقيام بمثل هذا العمل!

وهنا نصل إلى ابن خلدون (ولد 732هـ - توفي 808م)؛ ففي مقدمته الضافية(5)، التي أرخت للعمران البشري، وكشفت عن شرائط تقدم الأمم والجماعات، وأسباب تخلفها ثم انهيارها، لتعقبها غيرها، في هذه الدراسة الشاملة سنجد عبر أكثر من ثمانمائة صفحة ما يمكن أن نكتشف فيه «جانبا» من أسباب غفلة العقل العربي «المثقف» عن الاهتمام بظاهرة العنونة، ودراستها، على الرغم من أنه أهمل كتابة العنوان حينا، ومارسها بقوة، وبتفصيل، وبكثير من التحري والدقة، في أحيان أخرى كثيرة، وكانت لهذا العقل العربي توجهات، وطرائق، وتصانيف خاصة، انفرد بها «تراثنا» عن أي محرر قديم، سابق عليه، أو لاحق به! وهذا هو المحور الأساسي الذي نعنى به في هذه الدراسة.

أما ابن خلدون فقد ذكر في تعليلاته لتراجع الخلافة الإسلامية، أو الدول العربية من بعدها، ما يمكن أن يعد - بالتأمل - سببا أساسيا في جمود أساليب التأليف، وتقاليده في الكتابة، بعد أن

غادر الفكر العربي، والإبداع العربي، عصر التداول الشفاهي للمعرفة، ودخوله عصر الكتابة، عبر الوراقين، والنساخ، وحتى مشارف عصر المطبعة.

في اهتمام ابن خلدون بالعلوم (الشرعية والفكرية والأدبية) أشار - تبعا - إلى ما يمكن أن يعد اقتراحا بالتقسيم، وصورة مبكرة للعنونة، فمثلا يستخدم مصطلح: الباب أو الأبواب، وهو مسبوق إلى هذه القسمة، غير أنه في رصده لتفاصيل النشاط العلمي يضع أمام أعيننا «عناوين» واضحة، من حقها أن تتصدر أبوابا وفصولا، وأن تغادر موقعها السياقي في أن تكون «حُكما» يصف أو يلاحق موضوعا جزئيا بعينه، ففي علم الحديث - على سبيل المثال - نجد المصطلحات: الصحيح، والحسن، والناسخ والمنسوخ، والغريب، والمؤتلف والمختلف، وفي الفقه نصادف عناوين الأقسام: الوجوب، والحظر، والندب، والإباحة، والكراهةن والتحليل... إلخ.

وفي فقرة مطولة - نسبيا - يعرض ابن خلدون لمستويات تدخل العقل في الموروث العلمي الذي أنتجه السابقون، فيحصرها في:

1 - استنباط فروع أو أقسام أو أبواب أو مسائل يضيفها لتعم المنفعة.

2 - أن يتدخل بالشرح والإبانة لما عساه أن يكون قد استغلق على غيره.

3 - أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين، ممن اشتهر فضله، وبعد في الإفادة صيته.

4 - أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول.

5 - أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها، ولا منتظمة، فيرتبها ويهذبها.

6 - أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبواب مختلفة من علوم أخرى، فيجمعها تحت عنوان مبتكر.

7 - أن يكون الشيء من التآليف التي هي أمهات للفنون مطولا مسهبا، فيقصد إلى تلخيصه(6).

وبتأمل هذه المسارب السبعة التي رخص فيها ابن خلدون لجيل محدث بالتدخل في المنجز العلمي الموروث، نلاحظ أنه يحوم حول ضرورة ضبط تفاصيل العلوم بمصطلحات هي «عناوين» جديدة، من دون أن يصرح بهذا تحديدا.

ولا يتردد هذا المؤسس العظيم لعلم الاجتماع، على غير سابقة، في أن يدين اتجاهات، وحركات، وسياسات، اشتركت جميعها في تعطيل التقدم العلمي العربي، وتراجعه، ولعل في مقدمة أسباب الخذلان، والجمود العلمي: ارتكاس التطلع الحضاري للأمة العربية (في جهات متعددة منها، بعد أن تقسمت في ممالك ودول مختلفة)؛ فبعد أن كانت الغلبة لنزعة التحضر، وتأسيس المدن، والاهتمام بالعلم، حدث ما يمكن أن يعد نوعا من الردة، إذ استيقظت طموحات البداوة(7)، وتحولت إلى مثل أعلى للقوة ولبناء الشخصية والدولة على السواء، مما صرف دعاة العمران عن الاهتمام بالتجديد والبحث، وأيقظ لدى المغامرين أحلام الفتح والغلبة والاحتكام إلى القوة،

والحشد، وليس إلى الحضارة والتقدم. ويقدم مثلا بالحياة العلمية في مصر، في زمانه، إذ كانت زاهرة عامرة بالمؤسسات العلمية، المحتشدة بطلابها، وبما يحتاج إليه هؤلاء الطلاب من المؤلفات والنفقات، وأسباب الإقامة... إلخ، بالقياس إلى ما يشاهده - في زمانه - بمدينة فاس وسائر أقطار المغرب التي يصفها بأنها خلت من حسن التعليم(8)، من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة، والحذق في العلوم! فكأن ابن خلدون يرى أن «التحضر» و«التقدم» سياق ينبغي أن تتواصل حلقاته، وتتدافع موجاته، فيصل إلى الابتكار، والتجديد المستمرين، أما إذا انقطع خط التواصل فإن الجمود ثم التراجع هما القانون الذي يحكم في هذه الحالة. كما يحمل ابن خلدون على اتجاه الفكر العربي/ الإسلامي إلى اختصار المطولات، ونظم العلوم الذي شاع في زمانه، ويرى أن هذا الاتجاه يخل بأسس التعليم، ويعطل ملكة الابتكار.

وفي أماكن أخرى متناثرة من دراسته الضافية، يعلي من شأن تعليم الخط في مصر خاصة، ويذكر أن بها معلمين مختصين لتعليم الخط، كما يذكر أن الطباع المتحضرة مركوز فيها الاستزادة من العلم بعد المعرفة بالمنجز فيه. ويشير إلى مبدأ منهجي مهم، وهو ضرورة أن تتراتب دراسة العلوم على أسس الإدراك والاستطاعة، والإلمام بالمبادئ، ويذكر على سبيل التمثيل: أن النظر في القرآن والحديث لا بد من أن تتقدمه العلوم اللسانية (علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الآداب... إلخ)(9). ويدلل ابن خلدون على سعة اطلاعه على مؤلفات السابقين بأن يرصد تطور التأليف في بعض العلوم، وكيف تتفرع الأبواب، وتتعدد الفصول مع استمرار التحصيل والتجريب(10). وقبل أن ننهي هذه الإضاءة على جهد ابن خلدون في التعليل للجمود العلمي (بل التراجع) الذي أصاب حركة التأليف في زمانه، ومن ثم عطل ملكة الابتكار، يقدم - فيما نحن بصدده تحديدا، تفسيرا لثلاثة عناوين محددة من التراث السابق على زمانه:

أ - فحين عرض لجهد الخليل بن أحمد الفراهيدي في وضع معجمه بعنوان: «كتاب العين»(11). أبان عن طريقته في تحديد أصول الكلمات، وتقلباتها، ومن ثم إمكان حصرها، فإذا عرض لسبب تسمية هذا المعجم بـ «العين» ذكر أن الخليل بن أحمد مضى في أثر المتقدمين من المؤلفين العرب الذين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا، وهي تسميتها بأول ما يقع فيها من الكلمات والألفاظ.

ب - وبما ذكر في (أ) كأنما أبان لنا عن سبب تسمية القصائد بمطالعها، فنقول قصيدة: «هل غادر الشعراء» لعنترة، و«قفا نبك» لامرئ القيس، و«بانت سعاد» لكعب بن زهير... وهكذا. وهذه إحدى وسائل «العنونة» التي اختصت بها الثقافة العربية، وليست لها سابقة في ثقافة أخرى، ويمكن أن نضيف في هذا السياق أن ذكر المطلع بوصفه علامة، أو عنوانا يمكن أن يتخلى

عن موقعه في مواقف بعينها، ليفرد مكانا لتخصيص أكثر دقة، ويتجلى هذا في ذكر قافية القصيدة المختارة، أو المقصودة بالإشارة، كأن نقول: «لامية العرب» للشنفرى، و«تائية» كثير عزة، و«سينية» البحتري، و«همزية» البوصيري... وهكذا.

جـ - في معرض حديثه عن كتاب: «الأغاني» (للأصفهاني) علل هذه العنونة بالآتي: «ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابه في «الأغاني»، جمع فيه أخبار العرب، وأشعارهم، وأنسابهم، وأيامهم، ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد»... إلخ. وبهذا شرح سبب اختيار الأصفهاني لعنوان كتابه(12).

وفي ختام هذا العرض الموجز لجُهد ابن خلدون (المبكر) في ذكر بعض العناوين، ومحاولة التعليل لها (العين - الأغاني) فلا نشك في أن استيعاب مادة «المقدمة» ستكشف عن إضاءات أخرى. أما فيما نحن بصدده، فقد كشف لنا بوضوح عن أن انصراف العقل العربي عن الابتكار، والكشف، ونقد المنجز الذي سبقت به العصور، وتنميته، يؤسس على غياب المثل الأعلى الطامح إلى التقدم، وانحراف الإدراك العام إلى اعتناق قيم البداوة، والانخداع بما تتصف به من العصبية، وحب الغلبة، وهذا - في جملته - معطلٌ للتقدم العلمي، وللإتقان بوجه عام.

* * *

ثالثا: تنوير مؤسس للعنوان في التراث العربي

يعد صدور كتاب «العنوان في الأدب العربي .. النشأة والتطور» لمؤلفه محمد عويس (أستاذ الأدب العربي بجامعة المنيا) بمنزلة وضع حجر الأساس لبناء تصور فكري وفني للعنوان في التراث العربي. وهذا الكتاب (الذي صدرت طبعته الأولى في العام 1988) لا يمثل أول طرح للقضية، فقد اتجهت جهود التراجمة العرب في المغرب، ثم في المشرق، لاستمداد نظريات، وأفكار، وفلسفات لغوية - في لغاتها الأجنبية - عن العنوان وفنونه، وانعكاساته... إلخ، ونقلها إلى اللسان العربي. ولكن هذه الترجمات لم توجه الأفهام (عندنا) إلى استثارة الموضوع من منظور تأسيسي، يكشف عن جذور فنون العنونة في التراث العربي، وإنما اتجهت جهود نقادنا (وفي مقدمهم محمد فكري الجزار في مصر، وبسام موسى قطوس في الأردن، فضلا على مقالات مترجمة أو موضوعة غير قليلة) إلى الكشف عن أبعاد المصطلح، وتقلباته، وآثاره... إلخ، معتمدين على تلك الدراسات التي سبق إليها نقاد الغرب، ليتوجهوا – في أعقاب ذلك - إلى اختيار بعض عناوين الكتب، والدواوين، والقصائد، والروايات المعاصرة، أو الحديثة ليجروا عليها تطبيقاتهم المستمدة من تلك المصادر الأجنبية، وهذا

جهد علمي مشكور، ومؤثر، وإيجابي بدرجة ما، غير أنه استبعد تماما - أو انشغل عن - محاولة الكشف عن جذور العنونة في تراثنا العربي، ربما لأن هذا الموضوع يحتاج إلى جهد زائد، واتساع في التخصص، وصبر على تعقب الظواهر، ومن هنا تأتي أهمية ما صنع محمد عويس الذي وجَّه النصيب الأوفى من دراسته عن: «النشأة والتطور» إلى الموروث العربي في مجال العنونة، وبهذا ملأ فراغا بحثيا، لم يسبق التعرض له. لقد بدأ بداية تقليدية بأن طرح معاني وتقلبات مادة «العنوان» في المعاجم العربية، وهذا ما أخذ به كل من عرض للموضوع فيما بعد، وإن تقاصر جهدهم عن تلك المحاولة المبكرة، التي ربما استفاضت حتى تجاوزت مطالب البحث في العنونة.

تتكون دراسة محمد عويس من سبعة فصول، عن:

1 - المعنى والمبنى.

2 - العنوان قبل انتشار التدوين.

3 - عوامل تطور العنوان في عصر التدوين.

4 - العنوان في عصر الطباعة إلى أوائل القرن العشرين.

5 - عنوان المقالات الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين.

6 - عنونة القصيدة العربية في النصف الأول من القرن العشرين.

7 - العنوان في الشعر المعاصر .. دراسة فنية وتطبيقية.

وكما نرى فقد قدم الباحث، فيما يتجاوز أربعمائة صفحة، دراسة وافية، ضافية، ربما أثقلها شيء من الإسهاب، والإطالة التي لا يحتملها موضوع شديد التركيز، مثل: «العنوان». وقد نشير إلى شيء من ذلك، خاصة حين تؤدي رغبة الإشباع، والإطالة إلى استدراج البحث، لطرح نقاط هو في غنى عنها، ونحدد بعض الأمثلة على ما ذكرنا:

– فقد ربط الباحث بين أسماء الأماكن والعناوين، وهذا صحيح بالمعنى العام، فاسم الشخص، أو اسم المكان محدد لهويته، فكأنما يؤدي إحدى أهم وظائف العنوان، ولكننا لا نملك أن نوافق الباحث على أن يعد كل اسم هو عنوان للرابطة العرفية أو الطبيعية بين الاسم والعنوان، إذ يقول «إن أسماء الأماكن والبلدان، وما شابهها كانت عنوانات وضعها العربي لربط معارفه الشفهية المختزنة بعضها ببعض، حتى أسماء آلهته المتعددة، كانت عنوانات رامزة إلى تعدد الآلهة في المعتقد الديني الوثني لدى عرب الجاهلية»[13]. بل ينبه إلى أن العربي القديم كان ينسب نفسه إلى هذه الآلهة، مثل عبد يغوث، وعبد اللات، وعبد العزى، كما ينبه إلى أن شيوع اتخاذ العربي لنفسه كنية ولقبا بالإضافة إلى اسمه، كان إمعانا في العنونة الدالة على شخصيته[14]. ويرى الباحث الفاضل في مثل هذا ما يحمل معنى العنوان «غير المباشر».

وحتى مع تخفيف وصف العنوان بأنه غير مباشر، لا يصح في رأينا، على الأقل، لأن هذا المسلك إنساني عام، وليس مختصا بالعرب، فتسمية الأشياء فطرة مركوزة في العقل الإنساني، ومن ثم لا مجال لإفراد العرب وتخصيصهم بها، وتقصيها كأنها اختراع وعلامة خاصة بهم.

- وقد تطرق الباحث إلى الأسماء التي حملتها سور القرآن، ذكرنا ذلك سابقا في حدود إمكان طرح سؤال عن: إذا كان القرآن مكونا من سور/ موضوعات، استقل كل منها بعنوان، لماذا لم يستلهم الباحث العربي، أو الأديب العربي هذه الطريقة فيما يكتب من شعر أو نثر، وانتظر أزمنة مترامية، حتى جاءته الالتفاتة من الغرب؟ غير أن محمد عويس يمتد بهذا المعنى فيخرج به عن مغزاه، ويثير بلبلة وقلقا لا علاقة لهما بموضوع دراسته، وذلك حين يستعين بنص منقول عن السيوطي، وفيه يقول: «ولك أن تسأل فتقول: قد سميت سور جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم... وقصص أقوام كذلك... ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به، مع كثرة ذكره في القرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن يكون كله موسى، وكانت أولى سورة تسمى به سورة طه، أو القصص، والأعراف، لبسط قصته في الثلاثة... وكذلك قصة آدم، ذكرت في عدة سور، ولم تسم به سورة، كأنه اكتفاء بسورة الإنسان، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص، ولم تسم به سورة الصافات، وقصة داوود ذكرت في سورة ص، ولم تسم به... »... إلخ. ولا نريد أن نطيل في طرح مثل هذه التأملات التي لا تخلو من غرابة، لأننا - نحن البشر - لا نملك أن نقترح على الله تعالى، كما أن كبار مفسري القرآن لم يفتهم أن يعللوا لأسباب التسمية، وليس شرطا أن يكون المعنى الظاهر أو الطريف سببا مقنعا للتسمية[15].

- ويذكر صاحب كتاب «العنوان في الأدب العربي»، معاندا قوانين التطور، وثوابت التقدم الحضاري: أن العنوان عند الغربيين قد استمد فكرته من العناوين العربية، أو من العنوان العربي! لقد بدأ طرحه بما يمكن أن يعد من قبيل المسلمات، من مثل: أن الغرب هو الذي سبق إلى العناية بالتراث العربي، وتحقيقه، وطبعه ونشره، غير أنه يرتب على هذا بأنه - محمد عويس - لا يستبعد وجود آثار عربية دفعت العنوان الغربي الحديث إلى التطور![16]. وقد يستعين بعبارة اريك دي جروليبه الذي يؤكد أن للحضارة العربية أهمية كبرى لتاريخ الكتاب، ومن ثم لتاريخ تطور العنوان؛ فالعرب هم الذين أدخلوا الورق إلى أوروبا، وكانت حضارتهم بعد الإسلام ملتقى التيارات الحضارية التي جاءت من الصين والهند واليونان![17]. والمقدمات صحيحة؛ فالحضارة العربية في بلاد الشمس المشرقة، سابقة بالضرورة لحضارة بلاد الجليد والضباب، وهي التي اقتنصت ما امتازت به الحضارات المعاصرة لها، والسابقة عليها، ونقلتها إلى أنحاء العالم، ولكن ما علاقة هذا كله - بما فيه التعريف بالورق، والوراقة - باستحداث تقليد أن يتصدر الوثيقة (الكتاب، أو الرسالة، أو القصيدة) عنوان مميز، محدد، قصد به توطئة قبول المتلقي لهذه الوثيقة!

باستثناء هذه المسائل المحددة التي رأينا أنها زائدة على المطلوب، أو متجاوزة لما هو موثق ومشهور، نؤكد أن كتاب محمد عويس هو المؤسس الحقيقي للموضوع الذي نطرحه في هذه الدراسة عن «العنوان في التراث العربي»، ولا يؤثر في هذا - سلبا أو إيجابا - أن تطلعنا إلى البحث عن العنوان في التراث، لم يكن بدافع من هذا الكتاب - موافقة أو مناقضة - بل لم نكن سمعنا به قبل أن ختم محمد فكري الجزار كتابه: «العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي» بذكر عناوين الفصول والمسائل التي طرحها كتاب عويس - حتى إن حمل معنى الإشادة والتقدير- فإنه سلوك لا يخلو من غرابة وتساؤل[18]. وسنرى أننا سنستعين بالكتابين معا (عويس والجزار، ومن بعدهما قطوس) ما احتاج الأمر إلى ذلك، وإذا كان كتاب «عويس» قد أعطى الشق التراثي أربعة فصول متصلة تجاوز عدد صفحاتها الرقم مائتين وثلاثين، فقد أصبح مطلوبا في هذه الدراسة أكثر من الآخرين، على أن هذه الدراسات جميعا - بما فيها دراسة محمد عويس - لم تحاول أن تكشف عن أساس فلسفي ونفسي وحضاري للطريقة العربية (المبكرة) لبدائل العنونة، قبل أن تتعرف عليها في نمطها الحديث، من خلال الدراسات الغربية عن فنون المقالة بصفة خاصة.

* * *

رابعا: في البدء كان الإنسان

من أهم ما يلاحظ في منهج دراسة «العنوان»، سواء عند محمد فكري الجزار في كتابه: «العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي»، أو بسام موسى قطوس في كتابه: «سيمياء العنوان» - ولعلنا سبق أن أشرنا إلى شيء من هذا - هو اعتناؤهما، وغيرهما من الباحثين، بالتأسيس النظري الغربي، والاجتهاد في تطبيقه على عناوين مختارة، كما لاحظنا: منتقاة من الإبداع العربي الحديث والمعاصر، وهذه الاختيارات لا بد من أن تتوافر فيها الاستجابة لأسس النظرية لفلسفة العنوان، من حيث التكوين (التشكيل اللغوي) والدلالة، والاتصال بجسد الكتابة أو المقالة، وأثره المنعكس على وجدان المتلقي وفكره من الوهلة الأولى... إلخ. فإذا تطرق الباحثون إلى العناوين التراثية المرتبطة بزمن الثقافة الشفاهية، وإنشاد الشعر (وليس كتابته) فإنهم غالبا ما يكتفون بإشارات عامة أصبحت مألوفة، بل تتقارضها البحوث الخاصة بهذا الحقل المعرفي، من دون أن تبذل جهدا حقيقيا في التعليل والتفسير، الذي لن يسفر عن نفسه إلا بعد تقصي الظاهرة - ظاهرة العنونة - عبر الأزمنة والمواقع، والصيغ، والنزعات، والوظائف.

أصبح معروفا أن القصائد القديمة (في العصر الجاهلي، وحتى بداية عصر التدوين) كانت تُعرف بالجملة الأولى من البيت/ مطلع القصيدة، مثل: قفا نبكِ، لخولة أطلالٌ، هل غادر الشعراء... وأمثال هذا معروف ومألوف، وسبق في هذه الدراسة أن أشرنا إلى شيء منه، وأضفنا إليه أنه «ربما» عرفت القصيدة - خاصة إذا كانت شهيرة جدا بقافيتها، أو رويها، واقترانه باسم شاعرها، كأن نشير إلى عينية أبي ذؤيب، فلا يخطئ المتلقي الخبير أن القصيدة المعنية هي تلك المطولة المشهورة التي تتصدر ديوان الهذليين، ومطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجعُ والدهر ليس بمعتبٍ من يجزعُ[19]

فإذا أشير إلى الأبيات الثلاثة البائية لعامر بن الطفيل، فإن المتلقي الخبير يعرف أن القصد قوله مفتخرا بنفسه:

إني وإن كنت ابن سيد عامرٍ وفارسها المندوبُ في كل موكبِ
فما سودتني عامرٌ عن قرابةٍ أبى الله أن أسمو بأمٍ ولا أبِ
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبِ[20]

فإذا أشار المتكلم إلى دالية الشريف الرضي في رثاء أبي إسحاق الصابي، فقد أراد كلمته التي مطلعها:

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياءُ النادي[21]

فإذا كانت الإشارة إلى حائية ابن مطروح في تهديد الفرنسيس، فقد دلت الإشارة على أن القطعة المعنية، هي تلك التي مطلعها:

قل للفرنسيس إذا جئتـه مقال صدق من قؤول فصيح

.....

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح[22]

ومثل هذا كثير في ديوان الشعر العربي، غير أن التلقي العجول للظاهرة (ظاهرة تعريف القصائد برويها وشاعرها) لم يثر اهتمام هذا الفريق الحرص على ذكر أسماء الشعراء، وهو الأكثر تداولا، والأدق في تمييز القصيدة من ذكر مطلعها مجردا، بما يعني - وهذا ما نرمي إلى إبرازه

بدقة - أن اسم الشاعر، وصحة انتساب النص إليه هو المعنى الأهم، ولهذا المسلك دلالة توثيقية غير قابلة للالتباس، بعد ذكر صوت الروي، واسم الشاعر، ودلالة ذاتية، إذ تتميز شخصية الشاعر من دون التباس، أو اشتراك. لقد علّم الله - سبحانه - آدم أبا البشر - الأسماء كلها، بمعنى أنه وضع في قدراته المعرفية إمكان تسمية الأشياء، وتمييزها، ووضع حدود فاصلة بين مفرداتها بخصوصية هذه التسمية التي تلتقي في معناها العام، وهدفها، وتختلف «في ملفوظها»، وفق اللغات والطبقات، وقدرات النطق!

لقد اهتم العرب القدماء بأسماء آبائهم، وأبنائهم، فكانت المعرفة بالأنساب علما ودراية ذات قيمة عالية عند من يتقنها، وإذ نقلب بعض صفحات تلك الحقب التاريخية، نجد أن للأسماء، وما تدل عليه من عراقة ومكانة أهمية بالغة عند العرب، وفي القرآن الكريم مماحكة جاهلية في التملص من الإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيما لو كان القرآن نزل على رجل من القريتين عظيم، ومن بعد - في التمهيد لمعركة بدر - خرج ثلاثة من فرسان قريش لمنازلة المسلمين قبل الالتحام العام، وكان هؤلاء الثلاثة من الأنصار، فاستنكف محاربو مكة من منازلة من لا يعرفون أنسابهم، فنادى مناديهم: يا محمد... أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا! وهكذا خرج لهم ثلاثة آخرون من المهاجرين من عليا قريش في مقدمهم حمزة وعلي - رضي الله عنهما - ومن قبل بعْثة محمد (عليه السلام) كان «حلف الفضول» وفيه تعاقد نفر من سادات قريش على التكافل في مقاومة الظلم ورد الحقوق، وهذا فضل مشهود، وقيل في سبب التسمية - إلى ما سبق - أن هؤلاء السادة تصادف أن كان اسم كل منهم «فضل» فسمي «حلف الفضول». وكان من تقاليد المنازلات والمبارزات بين الجيشين، وقبل الالتحام العام، أن يبرز فارس معلم، ويتوسط الساحة معلنا اسمه ونسبه، وطالبا من أعدائه أن يتقدم أحدهم ممن يجد في نفسه أنه كفؤ له، فينتسب، ثم ينازله، فإذا تغلب أحدهما على منازله، ربما كانت عبارة: «خذها وأنا... »، ويذكر اسمه «إعلاء لفروسيته».

هذه الإضاءات، وإن تكن جزئية - تحمل معنى تقديس الاسم، وأنه سمة لا تشاركها سمة أخرى، ولعل هذا يعني - فيما يعنيه - أن «الإنسان» هو الأساس والجوهر في تقدير المواقف، والمنازل، والأعمال... إلخ. ومن ثم في استطاعتنا - بعد هذه الإشارة - أن نقول: إن التراث الشعري لأي أمة، وفي أي لغة، لم يكن له هذا المسلك الخاص جدا في تعريف القصائد، وتمييزها على النحو الذي أشرنا إليه.

إننا نتمهل عند هذه الخاصية (الإنسان)، ونرى أنها - فضلا على كونها علامة (تراثية) فارقة - تحمل جوهر الحضارة العربية، منذ زمن بداوتها، وحتى سطوع شمسها، بل شموسها على أنحاء العالم وإلى اليوم.

إن ظاهرة اسم الشاعر، أو اسم المؤلف، أو اسم الكاتب، أو الخطيب مرتكز أساسي في تمييز الأعمال، كأن هذا الاسم يقوم مقام العنوان قبل الانتباه إلى أهمية ذكر العنوان، وإذا كانت البحوث المتعلقة بالشعر القديم في عصر المشافهة، قد تنبهت إلى سبيلين من سبل تمييز القصائد [بذكر المطلع - أو بذكر الروي والشاعر]، فإن هذه البحوث - بصفة عامة - لم تنظر إلى اسم الشاعر على أنه سمة فارقة، وأنه «عنوان» قبل عصر العنونة، وأنه ظل أساسا للتقسيم (تقسيم قصائد الشعر، وأغراضه، وعصوره) يُذكر مع كل نص. ولعل هذا يرجع إلى رواج بضاعة الشعر وانتشار تداوله، والحاجة إلى الاستشهاد به، إذ هو خلاصة «المعرفة» العربية، الفكرية، والفنية في زمن الجاهلية، ومن ثم كان تمييز القصيدة بذكر أولها، أو قافيتها، قسيما لاسم الشاعر نفسه لتأكيد هذه الخصوصية التي نجدها في العنونة، في زماننا هذا.

لقد عُني مدونو الأحاديث النبوية بذكر أسمائهم في صدر صحائفهم، تقديرا لعظم مسؤوليتهم عما دونوا، وكذلك سجلت أسماء النفر الذين عهد إليهم الخليفة الراشد «عثمان بن عفان» بكتابة المصحف وترتيب سوره، ولم يتخل الشعر عن هذا التوثيق الإنساني، فعرفت مجاميع الشعر المبكرة بأسماء جامعيها، فلدينا المفضليات، والأصمعيات، ومن بعد: ديوان الهذليين، وغيرهم كثير، وفي جميع الحالات - من دون استثناء - يسجل اسم جامع النصوص، كما تسجل أسماء الشعراء في مفتتح قصائدهم، إذا كان معروفا، موثوقا، غير ظنين.

ولعلنا نلاحظ - في مجال العناية بالإنسان، أنه صانع الفكر، ومبدع الفن، ومتلقيه كذلك - أن المؤلفين العرب، في محاولاتهم المبكرة، لم يتخلوا عن حتمية نسبة الأشعار إلى قائليها، وذكر رواتها، وربما تطرقوا إلى اختلاف الرواة، أو اختلاف الرواية، وهذا كله من منطلق العناية الفائقة بالجهد الإنساني، بالإبداع، بالتميز، بإعلاء الحدود والفواصل، وهنا يمكن أن نذهب إلى مؤلفين مبكرين، شغلا بالتعريف بالشعر وقائليه، وهما: محمد بن سلام الجمحي (139 - 232هـ)، في كتابه: «طبقات فحول الشعراء»[23]، وابن قتيبة (213 - 276هـ)، في كتابه: «الشعر والشعراء»[24].

لقد قسم أولهما الشعراء إلى طبقات (عشر طبقات جاهلية، وعشر طبقات إسلامية... إلخ)، وفي كل طبقة أربعة شعراء، فيكون اسم الشاعر البادئة الأساسية في التعريف بشعره وبمكانته، ولم يتخل عن هذه الثوابت على امتداد كتابه الضخم. أما ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» فإن ما ذكر عن شعرائه (وهم كثر: 206 شعراء)، لم يستند إلى التقسيم الفني، ولم يعتمد مبدأ التسلسل التاريخي، ولم يأخذ بالشهرة، أو الأهمية، أو الأبجدية. لقد تقاطر الشعراء في هذا المصدر الضخم: كل شاعر بذاته، يتصدر اسمه قبل كل شيء، ثم تأتي بعد ذلك النماذج، وآراء النقاد في الشعر، والأخبار التي تميز حياة هذا الشاعر، وفنه.

خلاصة ما نريد، وما نحاول توثيقه، والتدليل عليه في هذه الفقرة، وتعقب تحولاته، وآثاره، وشموله في أشعار الأزمنة الآتية، بعد هذين العالمين الكبيرين (ابن سلام وابن قتيبة)، هو أن الاسم، اسم الشاعر تحديدا، هو العنوان القديم، والوسيط، والحديث، ربما إلى عصر المطبعة، وإلى عصرنا، وهذا ما سنحاول البرهنة عليه فيما يأتي.

سنعرِّف - في هذه الفقرة - بأهم عملين موسوعيين، اتخذا من إحصاء أو محاولة حصر المؤلفات، وتصنيفها تحت عناوين تكشف عن مضامينها، ومن حقنا أن نبرز، وأن نفاخر بسبق العقل العربي إلى إنجاز مثل هذه العملية الإحصائية، على ضخامتها وتنوع اتجاهات مؤلفاتها. وسنرمي من وراء ذلك إلى تحصيل فائدتين:

الأولى: هذا الحرص العربي على ذكر أسماء المؤلفين، والحفاوة به، وإبرازه، والتأريخ له أحيانا، بما يجعله بينا، محددا، حتى قبل تصفح كتابه، وسنرى أمثلة متعددة لذلك.

أما الفائدة الأخرى: فقد غلبت الحمية على موضوعية بعض الباحثين في هذا المجال المعرفي، حتى رأى هذا البعض أن المؤلفين العرب هم الذين ابتدعوا العنوان، في صوره المختلفة، وأنهم بهذا السبق قد علموا الكاتب الأوروبي كيف يختار عناوين إبداعاته. وعلى الإجمال: إذا كنا نرى في الأمر الأول ما يدل على الصواب، فإن الأمر الآخر لا يجد سندا موثقا يؤكد هذا الزعم. وليس لنا أن نتألم، أو نلوم أسلافنا، متسائلين: إذا كنتم قد سبقتم العالم إلى وضع نسق للأعمال الإحصائية الموسوعية التي تعنى بالمؤلفات، فعرفتم - من ثم - عناوين هذه المؤلفات، وعناوين محتوياتها الداخلية: كيف غاب عنكم ألا تتوجوا خطبكم، وقصائدكم، وفصول مؤلفاتكم بمثل هذه العناوين، التي - فيما نزعم - سبقكم إليها مؤلفو الغرب؟

هناك منطق آخر يحكم هذه العملية؛ فالسابق لا يبقى سابقا أبد الدهر، والمتخلف لا يظل حبيس تخلفه إلا في حدود عوامل موضوعية محكومة بسياق الزمن، واختلاف الأحداث، وتطور المجتمعات... إلخ. ولهذا لا نستطيع أن «نعتب» على العقل العربي الذي وضع الموسوعات في مرحلة مبكرة (قبل أي ثقافة أخرى) كيف لم يفطن إلى أهمية أن يضع في صدر القصيدة عنوانا؟!

من الواضح أنه لا شيء يوجد من لا شيء، فالمبدأ أن كل موجود يؤسس على موجود سابق عليه، وغاية الجهد أن يطوره، أو يتوسع فيه، أو يضيف إليه (ولا نتقيد في هذه المسألة بالمجال الذي قرره ابن خلدون في فقرة سبق ذكرها، تضمنت ثمانية مجالات، غير أنها ليست جامعة ولا مانعة، وإنما هي استرشاد لمطالب المرحلة)؛ فحين نراجع الذاكرة العربية سنجدها تطور ما بدأته في القرن الثالث الهجري، بالجمع بين الأشباه والنظائر من المؤلفين، كما في: «طبقات فحول الشعراء»، و«الشعر والشعراء»، على نحو ما بينا. إذا عرفت القرون التالية مؤلفات لا تحبس

نفسها في موضوع واحد مثل «الشعر والشعراء»، وإنما تأخذ في اتجاهات مختلفة، على سبيل الاستطراد، وكان الهدف من هذه المؤلفات، كما نجدها عند «الجاحظ» الذي سبق - ولو على سبيل التبشير- بالتأليف وفق وحدة الموضوع العام، واختلاف المشكلين للظاهرة، وهذا ما تحقق في «البيان والتبيين» و«البخلاء» و«الحيوان»؛ فهذه الدراسات المبكرة (إذ توفي الجاحظ في العام 255هـ) نلاحظ أنه - بعد مقدمته الكاشفة عن أسلوبه، وخصوصية تفكيره - يأخذ في رواية الأسماء والأحداث، ويعلق على الطبائع، والسلوكيات. ويذكر الغرائب والطرائف، من دون أن يشعرك بأنه قد غادر جانب الجد، ودخل بك في عالم الهزل، ترويحا عنك. هذه الطريقة التي أسس لها الجاحظ في مؤلفاته المشار إليها (وهنا نسكت عن كتابه «المحاسن والأضداد» فحوله كلام كثير)، غير أننا لا نستطيع أن نغفل عشرات الرسائل التي شغل بها فراغ وقته، أو رأى أن يداعب بها كبار زمانه، أو يعلق على طرائف وتناقضات مظاهر الحياة من حوله. يمكن أن نقرأ في الهامش بعض عناوين الرسائل (والرسالة: بديل مصطلح «الدراسة» أو «المقالة» في زماننا)، لنرى مدى التنوع في عناوينه التي تصدرت الرسائل، ولكنها لم تتصدر موسوعاته الضافية التي أشرنا إليها من قبل[25].

فكما نرى من عناوين هذه «الرسائل/ المقالات»، فإن كلا منها يتصدرها عنوانها، وينبسط موضوعها على مساحتها، ويجرب فيها الجاحظ كل ما أوتي من بداهة الفكر، وطلاوة التعبير، وذكاء الملاحظة، والقدرة على قراءة طبائع المجتمع من حوله.

ولم يكن الجاحظ فريدا في تحرير «الرسائل/ المقالات»، إذ يبدو أنه مع نشاط الفكر العربي، وتعدد مجالاته، ورغبة الكتاب في نشر أقوالهم، واكتساب مؤيدين - تعدد كتاب الرسائل، على أنها لم تكن تأخذ بخصوصية أسلوب الجاحظ، الذي لا يجارى، وهذا طبيعي ومتوقع، خاصة مع اختلاف الغرض من الرسائل، فبين أيدينا - في أعقاب زمن الجاحظ من القرن الثالث الهجري - نشط «إخوان الصفا»، ولسنا بصدد التعريف بهويتهم، أو أهدافهم المختلف عليها، وإنما يعنينا في هذا السياق أنهم ألفوا المقالات غير منسوبة إلى كاتبها، وإنما تنسب إلى الجماعة، على الرغم من أن المتوقع أن يكتبها فرد، حتى إن أجازها سائر الجماعة، ويمكننا أن نقرأ بعض عناوين رسائلهم، لنكتشف منحاهم الفلسفي، ومبناهم الفكري[26].

وخلاصة القول - فيما نرجح - أن التراث العربي عرف العنونة، وفنونها، قبل أن يتصل بالثقافات الأوروبية، غير أن هذا لا يؤدي بالضرورة إلى أن تكون فنون العنونة العربية هي التي ألهمت المفكر أو المؤلف الغربي بأن يضع عنوانا. ولسنا نذهب إلى التاريخ البعيد (الإغريقي/ الروماني) لنستجلي عناوين الأساطير، مقرونة بأسماء أبطالها، أو بالملاحم، خاصة إذا كنا نربط بين ظهور «العنونة»، وظهور «الصحافة»؛ إذ لا بد للخبر الصحافي أو التحليل من عنوان يحدد

ماهيته، ويستجلب انتباه القارئ، على أن هذه القاعدة ذاتها، يمكن، بل تجب مراعاتها حين نتأمل عناوين المطبوعات العربية المبكرة، خاصة في مجال دواوين الشعر. وقد كتب محمد عويس الفصل السادس من دراسته الضافية، يناقش فيها تأخر عنوان القصيدة العربية في النصف الأول من القرن العشرين[27]؛ فقد رأى أن تنوع الأجناس الأدبية، وتعريب الإبداعات الغربية، وظهور مذاهب أدبية منوعة التوجهات... كانت العوامل التي أدت إلى ظهور «العنونة» عند كتابنا العرب، كما أن العنونة في الشعر تأخرت عنها في النثر، وقد أجرى الباحث الفاضل دراسة استقصائية على ديواني حافظ وشوقي، فنبه إلى تصدر ذكر مناسبة القصيدة، أو من توجه إليه، دون النص على عنوان منفرد وملهم للمبدع والمتلقي (ربما باستثناء القصائد على لسان الحيوان، التي أبدعها شوقي للأطفال)[28].

وفيما سبق دليل على ضعف القول بوجود آثار عربية دفعت العنوان الغربي الحديث إلى التطور، وإذا كان اسم «إريك دي جروليه» في كتابه «تاريخ الكتاب» يذكر ليؤيد هذه المقولة، معتمدا على التأثير الحضاري العام، والقول بأن العرب هم الذين أدخلوا الورق إلى أوروبا[29]. وقد حاولنا اختبار هذه العلامات المؤثرة في تاريخ العنوان في التراث العربي، فاخترنا شاعرين تقاربا في زمن رحيلهما، وهما: عائشة التيمورية ومحمود سامي البارودي؛ فقد توفيت عائشة التيمورية في العام 1902، وأعقبها محمود سامي البارودي في العام 1904، فوجدنا ديوانيهما «المطبوعين» يجريان على منهج الوصف أو ذكر المناسبة، وليس العنونة، ففي ديوان «حلية الطراز» للتيمورية، نجد هذه العناوين:

- وقالت توسلا بالمقام النبوي (صلى الله عليه وسلم).
- وقالت عند وضع أخٍ لها.
- وقالت تهنئة بمولود.
- وقالت تهنئ الخديو السابق بقدومه إلى مصر.
- وقالت ترثي ابنتها[30]... وهكذا.

ولا يذهب ديوان البارودي بعيدا عن هذا النمط من العنونة/ الوصف، إذ نجد:

- وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية.
- وقال يروض الشعر.
- وقال في النسيب.
- وقال في الفخر.
- وقال يصف أيام الربيع، ويذكر مواسم له في عصر الشباب...[31].

ولا بد من أن نحاول التعليل لتأخر عنونة القصائد في الإبداع العربي، إلى زمن ليس بالبعيد (زمن حافظ إبراهيم وشوقي)، وإن لم يكونا على مبعدة من زمن خليل مطران، وعباس العقاد، وعلي محمود طه، وإيليا أبي ماضي (في المهجر). وقد قيل في التعليل: إن اعتماد الشعر العربي على المشافهة، وإن وسيلة انتقاله بين المبدع والمتلقي تقوم على المواجهة، والسماع، كان من آثارها العملية تجنب «العنونة»، أو عدم إحساس الشاعر بضرورة أن يضع عنوانا يؤطر تجربته. وقد استمر هذا التقليد حتى بعد أن أصبحت القصائد تنشر في الصحف، ويتلقاها القراء بعيونهم وليس بآذانهم، ومن ثم اجتهد محررو الصحف في اختيار عناوين تتصدر القصائد، ثم تبعهم الشعراء!

* * *

خامسا: تجربة متمردة على زمنها

سبقت الإشارة إلى عناية العربي باسمه ونسبه وقبيلته، وهو ما حرص على أن ميز به إبداعات قومه، فقد يهمه أن يقال: امرؤ القيس الكندي، ويقال النابغة الذبياني، وعنترة العبسي، وكعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، فيمتد بنسبه إلى القبيلة، وهذا عنده خير عنوان يحرص على ذكره، في مجال الانتماء والتخصيص.

وهنا في استطاعتنا أن ننظر في موسوعاتنا التاريخية، من مثل: تاريخ الطبري المتوفى في العام 310هـ والكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى في العام 630هـ فليس لواحد من هذين العلمين رؤية كلية، أو نظرة تحليلية في التاريخ جملة، أو في حقب أو دول منه، وإنما هو تاريخ أشخاص لهم تأثير في أحداث زمانهم. وهكذا سنجد أهم المؤلفات التاريخية الإسلامية تقوم على مبدأ «الحوليات»، أي تسجيل أحداث كل عام بذاته، مستقلا عما سبقه وما تبعه، وفي حدود هذا العام يذكر اسم من مات فيه من الكبراء، ويسجل تاريخ حياته... فهكذا نلاحظ أن «الأسماء» لاتزال مهيمنة على العقل العربي، وأن الخصوصية المميزة لكل ذات، هي التي تصنع التاريخ![32].

وقد سبقت الإشارة إلى «عناوين» لا يشك في استقلالها، وتصدرها لدراسات مميزة، حتى لو لم نطلع على المخطوطات التي تحملها، وقد يكون من حقنا أن نتشكك في «المقامات»: مقامات بديع الزمان الهمذاني (358 - 395هـ)، ومقامات الحريري البصري (446 - 516هـ)، كما نرى فإن بين زمن ولادة كل من الأديبين قرنا من الزمان (قد ينقص عامين)، على أن أولهما (الهمذاني) لم يعش طويلا، وقد وضعنا هذا في الاعتبار، ونحن نسعى إلى الكشف عن أحد الأصول الخطية لمقامات كل منهما. وهنا ينبغي أن نضع تحفظا في أننا - عبر قدرات الشبكة العنكبوتية - لم نستطع أن نحدد تاريخ نسخ المخطوطة ومدى الالتزام بالأصل الصادر عن مؤلفها أو كاتبها الأول. مع هذا كان الفرق

في «العنونة» بين مقامات الهمذاني ومقامات الحريري كبيرا جدا؛ ففي مقامات الهمذاني تتابع المقامات تحمل أرقامها (المتسلسلة) في أي موقع من السياق، حيث تنتهي المقامة السابقة، وكل ما هناك أن يذكر رقم المقامة الجديدة، وأن تكتب عبارة «المقامة الرقم...» بالحبر الأحمر، ليستمر الكلام بعدها، وهكذا قدمت هذه المقامات لقارئها كأنها نص واحد، متدافع الصفحات، متتابع الأحداث. أما مقامات الحريري فقد تصدر كل مقامة رقم وعنوان: مثل: «المقامة الثالثة والعشرون البغدادية»، و«المقامة الرابعة والعشرون النحوية»، و«المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية»، و«المقامة الثانية والثلاثون الفقهية»، و«المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية»... وهكذا حملت كل مقامة عنوانا صادرا عن أهم ما يميزها: المكان، أو الفعل، أو القضية الثقافية... إلخ.

إلى أن نصل إلى كتاب: «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» لمؤلفه: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (المصري) (756 - 821هـ). وهذا الكتاب المترامي الصفحات (أربعة عشر جزءا)، يفاجئنا في مخطوطته التي نسخت في العام (1193هـ)، وهي تساوي (1779م) بأنها - فيما يخص «العنونة» ترتقي بتوزيع المادة العلمية إلى ضروب من الدقة، والوعي بالفروق، والالتزام بالتحديد الزمني والفني لكل عنوان، بما يجعله يتمايز تماما عن كل ما سبقه، وعن كثير مما لحقه، وسنعرض لشيء من هذا، ونعتقد - بكل الصدق - أن القلقشندي، وإن كان في زمن هبوط مستوى الثقافة العربية عامة، وانغلاقها على ذاتها قبل الاتصال المتفاعل بالثقافة الأوروبية، والاهتمام بالمطبوع - قدم أهم ما ينبغي على المثقف العربي أن يدركه في مستويات مختلفة، كلها - بدرجة ما - مطلوبة لتربية مداركه، كما أن الإلمام ببعض الأبواب مطلوب في جملته وتفاصيله، لبعض أهل الصنائع من محترفي الكتابة، وشاغلي وظائف الإدارة على مستوياتها.

عاش القلقشندي زمن الحاكم المملوكي «الأمير برقوق»، ونرجح أن ضعف الاحتفاء بجهده العلمي، ووعيه السابق لزمانه بالتأليف ومطالبه، يرجع إلى هذه الصفة، بمعنى أنه محسوب على العصر المملوكي الذي يوسم (عادة) بالضعف والانغلاق، وتوقف الإبداع العلمي. إن ما أجملته «الشبكة العنكبوتية»، في التعريف بالقلقشندي وقيمة جهده، يستحق أن يستعاد بنصه، على طوله، ولا نغفل غرابة العنوان الذي اتخذه القلقشندي لكتابه، فهو «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، ومع أحقيته في الحصول على سجعة متوازنة بين «الأعشى» و«الإنشا»، فإنه كانت لديه مندوحة لاختيار اسم كاشف للمحتوى الشامل (غير المسبوق) في هذا الكتاب، ولعل المؤلف قد تأثر - بدرجة ما - بذلك النوع من العناوين التي ستبرز أصحاب العاهات والمناقص من العميان، والعرجان، والبرصان، ومن إليهم، من ثم منح كتابه تلك القدرة الفائقة على تجاوز أمراض العيون المصابة بالعشى (والعشى: العجز عن الرؤية في الليل).

وهذا نص ما سجلته «الشبكة العنكبوتية» عن الكاتب وكتابه:

[صبح الأعشى في صناعة الإنشا هو كتاب يتكون من 14 جزءا من تأليف أبو العباس القلقشندي المتوفى سنة 821هـ/ 1418م الذي كان يتولى منصب ديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق، ويعتبر الكتاب موسوعة شاملة لجميع العلوم الشرعية والأدبية والجغرافية والتاريخية.

تعد هذه الموسوعة أحد المصادر العربية الواسعة التي تتناول مواضيع منذ الفترات الأولى في الإسلام عن أنظمة الحكم، والإدارة، والسياسة، والاقتصاد، والمكتبات، والولايات والعهود والعادات والتقاليد والملابس. في الشرق العربي، وفي الكتاب يتناول القلقشندي صفات كاتب الإنشاء ومؤهلاته وأدوات الكتابة وتاريخ الدواوين التي تعرف في الوقت الحاضر بمسمى الوزارات، وأيضا يتناول الإنشاء في البلاد العربية وفنون الكتابة وأساليبها، ويصف الكتاب أشكال ملابس الجنود، والأسلحة، ومواكب تنصيب الخلفاء والسلاطين، وعن مناسبات استطلاع هلال رمضان، وموائد الإفطار، وملاعب السباق والألعاب الرياضية، ويصف أشكال العمائم والملابس ومراكب الدواب، ومظاهر المجتمع العربي وتقاليده وأعرافه وظواهره الاجتماعية.

جاء في كشف الظنون أن صبح الأعشى يقع في «سبعة أجزاء كل منها في صناعة الإنشاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها وجعل بابا من أبوابه مخصوصا بعلم الخط وأدواته».

كما أطنب القلقشندي في الجوانب السياسية والإدارية في مصر وبلاد الشام والدول المجاورة لها في عصره، وهو العصر المملوكي، وأثبت وثائق مهمة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والجغرافية في عصره، فجاء الكتاب موسوعة في فن الكتابة للدولة، وفن الترسل، وما يتعلق بهما].

وقد نرى أن هذا الوصف الذي تجاوزنا به حد المأذون بنقله عن المراجع، لايزال مقصرا، لا يفضي بكل المنجز العلمي الذي حققه القلقشندي في كتابه، غير أننا سنتوقف عند طريقته في العنونة، وفي تعاقب العناوين ما بين العام والخاص والأخص، فنجد أنه قد أخذ بنسق غير مسبوق، وهو النسق الذي نأخذ به في مؤلفاتنا إلى اليوم، مما يعني أن هذا الرجل كان يملك تصورا شاملا قادرا على الضبط والاحتكام إلى أسس معرفية موضوعية، أعانته على صحة التقسيم، وصحة العناوين التي اتخذها للأقسام، ثم صحة توزيع المسائل (التفصيلية أو الصغيرة) التي تدخل في نطاق هذه الأقسام، وسنكتفي بتقريب الصورة/ النمط الذي انتهجه في توزيع مادة كتابه، وإجمالا: فقد قسم كتابه إلى «مقالات»، وكل مقالة تنقسم إلى «أبواب»، وكل باب ينقسم إلى «فصول»، وكل فصل ينطوي على «مسائل» محددة تتعلق بالمطلوب فيه. ونختار «المقالة الرابعة» التي يُعنى فيها بأمور أنواع المكاتبات والولايات، وهذه المقالة في بابين:

الباب الأول: في فصلين

الفصل الأول: في مقدمات المكاتبات، من أصول يعتمدها الكاتب، فيها من حسن الافتتاح، وبراعة الاستهلال، وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكاتبة(!)، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه، وما يناسب المكتوب إليه منها، ومواقع الدعاء فيها، والإتيان لكل مقصد من مقاصد المكاتبات، بما يناسبه، ومخاطبة كل أحد من المكتوب إليهم على قدر طبقته من اللغة العربية، ومراعاة الفصاحة والبلاغة في الكتابة إلى من يتعاناها، ومراعاة رتبة المكتوب عنه، والمكتوب إليه، ومواقع الشعر من المكاتبات، وحسن الاختتام، وما يجري مجرى ذلك، وبيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز، وما يلائمها من المعاني، ومعرفة ما يختص من ذلك بالأجوبة، وبيان ترتيبها.

الفصل الثاني: في بيان أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها ولوازمها، ومذاهب الكتاب فيما تفتتح به المكاتبات في القديم والحديث، وما يخاطب به أهل الإسلام (وغيرهم) في المكاتبات، وبيان كيفية طي الكتاب، وختمه، وحمله، وتأديته، وفضه، وقراءته، وحفظه في الإضبارة.

هذا ما وصفه القلقشندي نفسه في مقدمة كتابه، معرفا بمحتواه. نكتفي منه بباب واحد في فصلين، وكما نرى فإنه لم يذكر «العنونة» لفظا، ولكنه قصد إليها وصفا، وأنه قدم من التوجيهات ما يستحق أن يكون درسا متاحا لكل من يتصدى لصناعة الكتابة، لا نقول الكتابة الديوانية، وإنما نقول الكتابة على الإطلاق، وقد حدد من مبادئ «البروتوكول» في زمانه ما يعجز عنه مؤلفو الروايات التاريخية، ومؤلفو المسرح، والدراما التلفزيونية - عن تصوره، أو الاهتداء إليه في كتاباتهم العصرية. وإن الباب الثاني المكون من ثمانية فصول سيبسط القول في حقب الماضي بتسجيل مكاتبات الخلفاء من الصحابة، وممن جاء بعدهم إلى أمراء الأندلس، ودولة الموحدين بأفريقيا، ومن المهم أنه حين يسجل صيغة مكاتبة، فإنه لا يغفل عن أهمية تسجيل صيغة الجواب عنها، وبهذا يقدم دروسا مستفادة في اتجاهات حضارية مختلفة، كما يرصد تغير العبارات الافتتاحية بين الخلفاء، والملوك، والأمراء، العرب وغير العرب. من الطريف أن ينهي فصله الثامن من هذا الباب الثاني، في معرفة إخفاء ما في الكتب من السر، إما بطريق المترجم، وإما بمعالجة الكتابة، بمعنى أنه عرّف بـ «الحبر السري» و«الكتابة بالشفرة» المتفق عليها.

لا تملك هذه الدراسة المختصرة عن كتاب القلقشندي أن تمنحه مساحة أوسع مما أتيح، غير أننا نعتقد أنه كتاب مهم، وأنه يستحق دراسة خاصة، تفصيلية، عصرية المنهج والهدف، تستخرج ما تنطوي عليه مقالاته، وأبوابه، وفصوله - على الترتيب - ثم تضع تحت المجهر تلك العناوين التي تصدرت المسائل على كثرتها، فكانت تعبيرا محكما عن محتواها العلمي، والأدبي، والفكري، والحضاري بوجه عام.

* * *

سادسا: خطوة سابقة

إذا تحقق لنا قدرٌ من الاطمئنان إلى صحة تاريخ ميلاد ووفاة أعلام العرب، قبل عصر الطباعة، فإن «صبح الأعشى» للقلقشندي (المتوفى عام 821هـ) يقع في وسط المسافة الزمنية بين كتاب «الفهرست» لابن النديم (المتوفى عام 387هـ)، وكتاب «كشاف اصطلاحات العلوم والفنون» للتهانوي (المتوفى 1191هـ على الأرجح)[33]، ومن ثم فإن ابن النديم وضع كتابه الشامل على غير قياس من تجربة سابقة، حتى إن كان مصطلح (الكامل = الكامل في التاريخ - الكامل في الأدب... إلخ)، أخذ يتكرر إعلانا عن الطابع الشمولي للثقافة، ومن المهم أن نلاحظ أن ابن النديم من ثمرات القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي شهد نهضة عربية في أوج سطوعها، وقوتها، وقدرتها على استيعاب ثقافات الأمم والحضارات الأخرى، ويتضح هذا في محتوى كتابه. ولسنا نظن أن «الفهرست» كان ملهما للقلقشندي، لأن الكتاب الأول لا يتجاوز كونه بمنزلة «كشاف» يدل على المؤلفات، فيضعها تحت عناوين تنظم سياقها، ويعرف بمؤلفيها، وفي أحيان يجمل فكرتها، وهذا ليس بالجهد القليل، غير أنه يختلف كثيرا عن الطابع الموسوعي المختص بفنون الكتابة والتأليف، التي حصر القلقشندي جهده فيها.

وقد عُني ابن النديم بالعنونة، إذ قسم كتابه إلى عشر «مقالات» [وقد توزعت المقالات العشر على اثنين وثلاثين فنا]، اختصت كل مقالة بعدة فنون، وفق ما تتسع له الظاهرة، فعلى سبيل المثال: «المقالة الرابعة» وهي: فنان في الشعر والشعراء: الفن الأول: في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية، وصناع دواوينهم، وأسماء رواتهم. الفن الثاني: في طبقات الشعراء الإسلاميين، وشعراء المحدثين، إلى عصرنا هذا [أي إلى عصر المؤلف]. وفي تقديم عبدالحكيم راضي لطبعة «الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة - 2006» يشير إلى تميز عناوين الفهرست بالنسبة إلى ما سبقه من موسوعات (بصفة خاصة كتاب الخوارزمي)، فيقول عن العناوين في مفتاح العلوم: إنها تهتم بأسماء العلوم، وأسماء تفريعاتها على سبيل الوصف والتعريف، وليس أكثر «أما في كتاب الفهرست، فالطابع الموسوعي الرامي إلى ذكر المؤلفين والمؤلفات هو المسيطر، وإذا صح أن عناوين الكتاب في الأصل كانت على نحو ما يلقانا في طبعاته الحديثة، تأكد لنا هذا المنحى، وعلى سبيل المثال، فإن العنوان المتكرر لأجزاء الكتاب الداخلية، ينص دائما على أنه «في أخبار العلماء المصنفين القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، وكذلك عناوين المقالات التي جاءت في أخبار هذا الفريق، أو ذاك من العلماء، وأسماء كتبهم،

أو أخبار العلماء، وما صنفوه في أخبار... أو ما صنفوه من الكتب؛ وترد أسماء العلماء والمؤلفين، والترجمة لهم تباعا، كأننا أمام كتاب من كتب التراجم)[34].

إن المرتكز الذي نعنى بإبرازه يتمثل في عناية ابن النديم بذكر الأسماء، ثم دلالة المصطلحات لتعبيرها عن الوقائع أو فهم الوقائع، وخلاصة القول في «الفهرست» أن عنايته كانت في ذكر التراجم والسير، بمعنى أنها مرتبطة بالأشخاص وسيرهم، وجهودهم العلمية. وقد تدل عبارة المؤلف في صدر كتابه على تقديم عناوين الكتب على أسماء مؤلفيها، غير أن سياق العبارة سيوصل إلى عكس ذلك. يقول «هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومسالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة»[35]. وهكذا يبدو لنا أن العناية بـ «الإنسان» المبدع أو المؤلف والمنتج، تسبق في الإدراك العربي أهمية منتجه العلمي، فعلى سبيل المثال: ما أهمية أن يخبرنا في «أخبار الخليل بن أحمد» أنه أول من سمي في الإسلام بأحمد، وأصله من الأزد من فراهيد، وكان يونس يقول: فرهودي مثل أردوسي... إلخ[36].

وفي العنونة لكل مقالة، يحرص على أن يبدأ العنوان بذكر الأشخاص (الإنسان)، ثم الجوانب التي تميز هؤلاء الأشخاص عن غيرهم، فتحت عنوان:

«الفن الثالث من المقالة الثالثة من كتاب الفهرست

في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب، ويحتوي على أخبار الندماء والجلساء، والأدباء، والمغنين، والصفادمة، والصفاعنة، والمضحكين، وأسماء كتبهم»[37].

على أنه يستهل هذا الفن الثالث من المقالة الثالثة بالعنوان الذي يصوغه كالآتي:

«أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وابنه، وأهله»

فهنا - فيما نتصور - يتصدر الاهتمام بالشخص وارتباطاته بالنسب قبل كل شيء، ثم يأتي الفن المميز له لاحقا.

غير أن «ابن النديم» يؤسس لمنهج آخر في تحديد الظواهر الثقافية، والعلميـة، وهـو ما سنجده - فيما بعد - مؤثرا في مؤلفات عدة سنشير إليها؛ ففي فقرة من المقالة الرابعة يضع عنوان: «أسماء الشعراء الذين عمل أبو سعيد السكري أشعارهم». ومن ثم يكون محتوى هذه الفقرة ذكر أسماء شعراء مختلفين في العصر أو في الطريقة، متوخيا ما يثق بروايته من أشعارهم، فكأنما كان السكري يستأنف ما سبق إليه المفضل الضبي (المتوفى عام 168هـ)، والأصمعي (المتوفى عام 216هـ). وقد توفي السكري في العام 275هـ والجمع في طريقتهم هو الاكتفاء بنسبة الأشعار

إلى راويتها، والاستغناء بالقطعة (من عدة أبيات) دون حرص على إيراد النص كاملا، غير أنه يثق بنسبته إلى صاحبه. وهذا تأكيد للعناية بالعنصر الإنساني المنتج للثقافة عند العرب.

تبقى «العنونة» في «فهرست» ابن النديم، حريصة على البدء بالإنسان، سواء في حالة الرضا عن جهده، أو الغضب، أو حتى الرفض لهذا الجزء. هكذا نجد عناوين مثل: «الحلاج ومذاهبه، والحكايات عنه، وأسماء كتبه، وكتب أصحابه»[38]. وكذلك «الشافعي وأصحابه»[39]، و«الطبري وأصحابه»[40]، وكذلك صنع مع الفلاسفة، والعشاق، حتى بلغ «أسماء العفاريت الذين دخلوا على سليمان بن داوود»[41].

وفي ختام هذه الفقرة عن «الفهرست» لا نزعم أن ابن النديم التزم بهذا النهج، لم يفارقه: نهج البدء بأسماء الأعلام، والتعريف بهم، وسلاسل مؤلفاتهم وتابعيهم... إلخ؛ فمن الواضح أن الظاهرة الثقافية كانت أكثر فيضانا من أن تستخلص من أسماء، أو يُكتفى فيها بذكر الأسماء، ومن هنا نجد عناوين لموضوعات ذات أهمية واضحة، مثل: «الكلام على مذهب الإسماعيلية»[42]، أما فيما يتعلق بفلاسفة اليونان، فقد ذكرهم بأسمائهم، وأحصى كتبهم، وحاول جلاء نظرياتهم أو مقولاتهم، ونادرا ما يشير إلى وشائج تربط بينهم، إلا أن يجد ذلك مسطورا في المصادر التي يعتمد عليها.

* * *

سابعا: تأكيد الملمح التراثي في العنونة بالأسماء

من حق التهانوي (محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي التهانوي - المتوفى 1191هـ/1745م) أن يعد خاتمة الجهود التراثية في مجال رسم المسارات العلمية بفنونها المختلفة (العربية والمعربة)، وتوثيقها بنسبتها إلى مؤلفيها، مع تراتب درجات هؤلاء المؤلفين؛ إذ تبدأ الظاهرة العلمية أو الفنية بذكر عنوانها، ثم النص على اسم مبتدعها الأول الذي بشر بها ودعا إليها، ثم تتعاقب الأسماء وفق التسلسل الزمني، ودرجة الأهمية المستمدة من تعدد المؤلفات، في هذا الفن المعين.

هذه خلاصة النهج العربي في العنونة، عبر مسارات مختلفة، اتخذ بعضها شكل التعدد في إطار الموسوعة، مثلما أشرنا قبل إلى «الفهرست»، وكما نرى الآن في «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» وما بينهما ممن حذا حذو السابق على زمانه، وإذ يدل الإحصاء على أن «الكشاف»، وقد عرّف بأكثر من ثلاثة آلاف مصطلح، ونسبها إلى أصحابها أو تابعيها، فإن عدد الأسماء (الأعلام) التي اعتمد عليها بلغ 868 عَلما[43]. ونلاحظ أن أسماء الأعلام التي أوردها لا تعكس مدى شهرتها

أو حضورها التاريخي، بما يعني أن التهانوي اعتمد على المؤلفات أولا، وعلى المذاهب ثانيا، فنجد ممن ذكر مرة واحدة: الطبراني، والطبري، والعرجي، وعروة بن الزبير، والفرزدق، وأبو الشيص، وأبو اليزيد البسطامي، والحلاج، وأهرمن، والواحدي، وورقة بن نوفل... إلخ. وممن ذكر مرتين: الرشيد الوطواط، ومحمد بن الحنفية، وآدم أبو البشر، والحجاج، والجصاص، وواصل بن عطاء، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب... إلخ. ومن ذكر ثلاث مرات: معاوية. في حين ذكر أبو حنيفة 56 مرة، والشافعي 58 مرة، ومالك 13 مرة، والرازي 37 مرة... وهذا الإحصاء يعطي مؤشرا خاصا لتوجه الموسوعة، واهتمامها بالمسارات المذهبية، والعلمية، والفلسفية أكثر من عنايتها بأحداث التاريخ التي كانت تبدو للمثقف العربي مجرد أعمال متواترة، أو متعاقبة، تفتقد العلية، ولا تعود إلى مبدأ الفاعل، أو نظام مؤثر، قدر اعتمادها على الأشخاص، ومن ثم كان ذكر اسم العلم الذي أسند إليه الحدث - مهما كانت أهمية هذا الحدث - لمرة واحدة، كافيا وفق منهج كشاف اصطلاحات الفنون، كما ارتآه التهانوي.

على أن مصطلحات الكشاف بالنسبة إلى العلوم المستجدة على العقل العربي - كما يذكر رفيق العجم، المشرف على مراجعة طبعة مكتبة لبنان - كانت لها صورة في الثقافات السابقة (كاليونانية)، فاتخذت منها مثالا يحتذى، ثم بُذلت جهود في الضبط والصياغة، حتى استقر المصطلح على أسس السلوك اللغوي عند العرب، ومن ثم يشيد بجهود ابن النديم السابق إلى نحت المصطلح المستحدث، وتعريبه، وقابلية بنيته للتحديث، ويستعين «رفيق العجم» بتعريفات الجرجاني عن مفهوم الاصطلاح، وأنه «عبارة عن اتفاق قومي على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن واضعه الأول»(44).

إن «الاسم» في اللغة العربية هو الأكثر ثباتا، والأتم دلالة، وهو مستغنى عن «الفعل» - دون العكس - وهو المقدر دائما، أو غالبا في مجال «العنونة» المختزلة، والأسماء هي صانعة الحقل الدلالي، وفيها القدرة على الإيحاء بخصوصية الأجيال والحضارات. ومن الصحيح ما ذكره كاتب المقدمة: «أن الأبحاث التي شغلت الأمم في عصور ازدهارها، وانبثاق الكشوف العلمية لديها، وتشعب تجربتها الفكرية والوجدانية، قد أغنت لغات هذه الأمم بالألفاظ، والأسماء، والمصطلحات، فعبرت اللغة تلك عن المعاني، وتحددت تلك المعاني بخاصية هذه اللغة دون سواها، ووفق الأقوام الذين تناوبت الحضارة والعلم على أيديهم»(45). ونلاحظ الربط بين الألفاظ والأسماء والمصطلحات، فالاسم اصطلاح، كما أنه عنوان للفرد، وللجماعة التي ينتمي إليها، والمصطلح عنوان لابتكار لم يكن موجودا، وبعد استعماله، وشيوعه، فإنه يستقر استقرار اسم العلم، ويثبت حضوره الزمني والسياقي في مجال تعاقب الأجيال والعصور. ومن هنا تبرز أهمية «الأسماء» التي احتفى

بها العرب، احتفاء ظاهرا منذ زمن جاهليتهم، وكان من مأثور عباراتهم، أن الغريب الوافد، إذا لجأ إلى قوم، وطمح إلى حمايتهم، كان أول ما يفعل أن «ينتسب» - أي أن يذكر اسمه وقبيلته - ومن ثم يستحق الرعاية والحماية[46]. على أننا يمكن أن نفيد من إشارة مهمة عن العلاقة بين اللفظ والمعنى في الأسماء، فالمعنى لا يتحد باللفظ، اتحاد الروح بالجسد، وإنما يكشف المعنى عن ذاته في استعمال الكلمة. بما يعني أن معنى الكلمة يتغير وفقا لتغير استعمالها. وهذا يضع أسماء الأعلام في مساحة ملتبسة، فاسم العلم يستمد مضمونه/ مكانته من علاقة المردد لهذا الاسم بصاحب الاسم ذاته. ومن ثم يكون اسم مثل «الحسين» له انطباعات، واستجابات مختلفة عند المتلقين له، إلى أن يحدد بذكر النسب، فتختلف العلاقة، ومثل هذا يمكن أن يقال عن شخصيات التاريخ المؤثرة. وهنا نذكر أن «تيمورلنك» (توفي 1405م)[47] الذي بذر الرعب في شعوب المشرق العربي، حين أقبل عليه غازيا - يعني اسمه: تيمور = الحديد، لنك = الأعرج - وهو عند قومه «تيمور شاه»، أي الملك المعظم تيمور، أما عند العرب، وجيرانه الذين اغتصب بلادهم فهو: تيمورلنك = تيمور الأعرج، ليس أكثر. وهذا يكشف لنا ما تعنيه الأسماء المتداولة في اللغات المختلفة، وما يكتنفها من ألقاب التعظيم، أو الإزراء!

على أن اللغة (أي لغة) ليست مجرد وسيلة للتفكير، وتناقل المعلومات - على جلالة هذه الوظيفة، وأهميتها، فإنها (اللغة) القالب الذي يتشكل فيه الفكر، كما أن «لغة جماعة إنسية ما تفكر داخل اللغة وتتكلم بها، هي المنظم لتجربتها، وهي بهذا تصنع عالمها، وواقعها الاجتماعي... إن كل لغة تحتوي على تصور خاص بهذا العالم»[48].

إننا نتعقب مثل هذه الطروحات اللغوية، لنؤكد العلاقة العضوية بين الإعلاء من شأن الأسماء في الثقافة العربية، وفي مقدمها: أسماء الأعلام، والقبائل، والجماعات، والطوائف... إلخ، والنظام العربي الاجتماعي السائد عبر مراحل التاريخ القديم. وإذا كانت متغيرات العصر الحديث قد تركت أثرا في التكوين الاجتماعي، فإن أصداء هذا التغيير، مع أسباب أخرى أشير إليها فيما سبق (مثل: تراجع المشافهة، والاعتماد على الصحافة، واعتماد أسماء المواليد، وفق نسق خاص...)، قد تركت أثرها في درجة الاهتمام بذكر اسم المبدع/ المنتج باكتنازه عناصر العنونة، ومن ثم اختيار ألفاظ أخرى لتمييز هذا المنتج الأدبي أو العلمي أو الفكري، وهذه العبارة المختارة، قد توضع وصفا - أو في موقع الوصف - لاسم العلم، وقد تكون توطئة لذكره في صدر هذا المنتج الإبداعي الخاص.

ومما ينبغي ذكره في ختام هذا العرض الموجز لـ «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» أن التهانوي لم يتخذ من أسماء مؤلفي الكتب والرسائل رؤوسا للموضوعات التي طرحها، وفي مقدمته أشار إلى التقسيم المعتمد عنده، وهو تقسيم فرضته العلوم المدونة، ما بين نظرية وعملية، وتقسيم

الصناعات... إلخ. وكان التهانوي في هذا متسقا مع هدفه العلمي، ومع التجارب السابقة في هذا النمط من التأليف في التراث العربي. وما يعنينا - ونرجو أن نكون قد وفينا بذلك - أنه بعد هذا التقسيم الموضوعي، اعتمد في طرح المذاهب والظواهر والطوائف، والتعريف بالكتب والرسائل - على ذكر المؤلف أولا، أي: العناية بالإنسان - صانع هذا العلم، أو مؤلف هذا الكتاب... إلخ. فهذا الإنسان هو الحقيقة الكبرى في إدارة هذا العالم، وهو صانع الحضارة، ومنتج العلم والأدب والفن، وكل ما يجمل الحياة، ويضيف إليها، ويتطور بها. وبذلك استحق تلك الصدارة التي حرصت عليها «الرؤية العربية» للتعريف بأي شيء، أي «العنونة» الجامعة المختصرة لهذا الشيء.

* * *

ثامنا: هذا المنحى الفريد في العنونة بالأسماء

للعربي الجاهلي من طبيعته الصحراوية المكشوفة نصيب معلوم في تحديد الأشياء، والتفريق بينها، بصفات بينة، وتسميتها بأسمائها. وقد يسهم الكيان القبلي في تحبيذ توجهات معينة، ولعلنا في هذا المجال نذكر من أخذ على العرب تسميتهم أبناءهم بأسماءٍ غير مستحبة، كأسماء الحيوان (فهد، وأسد، ونمر، وثعلب)، أو الطبيعة القاسية مثل: جبل، وصخر، وشمس، ومطر... إلخ. في حين أنهم (العرب) يطلقون على عبيدهم وخدمهم أسماء مستحبة مثل: سرور، وسعيد، وجميلة... إلخ، فكان الجواب: إننا نختار الأسماء المسعدة لأتباعنا، لأنهم في خدمتنا، ولمسرتنا، أما أولادنا فإننا نختار ما يشد أزرهم في ملاقاة أعدائهم! وسواء وافقنا على هذا التعليل أو أنه يحتاج إلى شيء من التحفظ، والاستقصاء، فإنه - من وجه - يبين عن القيم السائدة، وتأثيرها في اختيار الأسماء. أما تحدد مظاهر الطبيعة وقسوتها، فكان - فيما نرى - أقوى حضورا في تسمية العيوب الخِلقية (الجسدية) بأسمائها، وإلصاقها كصفات بأسماء من أصابتهم هذه الآفة أو تلك من انحراف التكوين الجسدي أو نقصه.

لقد شاع هذا في الجاهلية، في أسماء بعض الأعلام المشهورة، ذات السيادة والصدارة المجتمعية، ومع ذلك لم يتردد الرواة في ذكرها واستخدامها، لأنها أصبحت «علامة»، أو «سمة» مميزة، تخدم الاسم، وتفصله عن غيره، ممن يتسمى به، وقد شاعت هذه الطريقة في الوصف حتى لم يعد أحد - تقريبا - يشعر بغرابتها، أو بإمكان تجنبها، أو تبديلها، على الأخص في ذلك الزمن القديم.

وقبل أن نتوسع في هذه المسألة، نذكر أن السليقة العربية - بوجه عام - جرت على تسمية المناسبات والأماكن والأحداث المهمة بما يميزها، فهناك حرب البسوس، وحرب الفجار، ويوم بعاث، ويوم بدر، ويوم حنين، وصلح الحديبية، وحتى بيعة الرضوان تحت الشجرة المعروفة. وقد

أخذ القرآن الكريم بهذا النهج السائد في تسمية بعض الأشخاص بإطلاق كنى وصفات مميزة، بقصد الإعلاء من شأنهم، أو الحط من أقدارهم، فلدينا إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، ويوسف الصديق، وأبو لهب، وامرأته حمالة الحطب، وفي صدر الإسلام: عُرف الصديق، والفاروق، وذو النورين، ومن الطريف أن القرآن الكريم استخدم في تعريف عبدالله ابن أم مكتوم، وصفه المميز بالأعمى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى-(1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)، وذلك لإبراز نقطة الضعف المسوغة لمزيد العناية بهذا الشخص، ومع ذلك فإن الأحاديث النبوية نهت عن ذكر العيوب الجسدية، مع التسليم بأنها مشاهدة وواقعية[49].

في زمن الجاهلية (واستمر الأمر فيما بعده من عصور) شاعت صفات وكنى، مثل: تأبط شرا (ثابت بن جابر، توفي 607م)، والأعشى (أعشى قيس صاحب المعلقة، توفي 629هـ)، وفي العصر الأموي: أعشى همدان (الذي قتله الحجاج بن يوسف في العام 83هـ)، وعمرو بن سعيد (الأشدق، قتل 70هـ). وكان بشار بن برد (توفي 168هـ) يحمل أربع علامات تميزه عن غيره: فهو بشار بن برد، وهو بشار الأعمى، وهو المرعث، وهو المشنف، وكلها تنبئ عن الشخص نفسه، وكذلك «الجاحظ»، وهو وصف لصورة عينيه. كما فرق العرب بين الشفة العليا المشقوقة (مثل الأرنب)، فأطلقوا على صاحبها «الأعلم»، وهنا نتذكر الأعلم (الشنتمري، توفي 467هـ). إما إذا كان مشقوق الشفة السفلى فهو «الأشرم». وهنا نتذكر «أبرهة الأشرم الحبشي» (توفي 570م، عام ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام)، وهو الذي تجرأ على الكعبة. وكما مُيز بشار بعماه، ففي الأندلس نجد «الأعمى التطيلي» (توفي 513هـ تقريبا). أما أبو العلاء فيلسوف المعرة (توفي 449هـ)، الذي وصف نفسه بأنه: «مستطيع بغيره»، وبأنه: «رهين المحبسين»، فإن إجلال شخصه، برأه من صفة فقد البصر، فلم ينتشر وصفه بالأعمى، على كثرة خصومه، وشيوع اتهامه في عقيدته[50].

هذه إذن حالة خاصة بالعرب، في جاهليتهم، كما فيما ورثوه عن هذه الجاهلية من الطبائع، وأساليب الكلام، والرغبة في اختصاره، وتحديده، بحيث يصل إلى حد «الأيقونة»، أو العلامة المميزة الفارقة التي لا يمكن أن يخلط السامع، أو القارئ بين صاحبها، وغيره من البشر. هكذا نتعرف على أبرهة الأشرم، وعزة الميلاء (وهي إحدى القيان - الجواري المغنيات - ذوات الشهرة في العصر الأموي، توفيت 115هـ)، والمنخل اليشكري (عمرو بن مسعود اليشكري، وهو بحار وشاعر، توفي 607م)[51]، وعبد بني الحسحاس[52]، وابن الطقطقي (توفي 709هـ)، والطغرائي (توفي 513هـ)، واللجلاج الحارثي (طفيل بن زيد بن عبد يغوث بن الحارث: شاعر جاهلي يماني، تاريخ وفاته مجهول)، وطلحة الطلحات (وكان أحد ثلاثة أجواد في البصرة تذكر أسماؤهم في زمانهم)، وأبو الشمقمق (توفي 200هـ)، وأم الحليس، وأبو نواس (توفي 199هـ)، وأبو الدرداء (توفي 32هـ)، وسلم

الخاسر (توفي 186هـ)، وكراع النمل (وهو علي بن الحسن الدوسي، وسمي بكراع النمل لدمامته وقصره، توفي 316هـ تقريبا)، والوطواط (رشيد الدين الوطواط، توفي 573هـ)، والوأواء الدمشقي (توفي 551هـ على الأرجح).

هذه أسماءٌ، وصفاتٌ، وكُنى، شاعت في أزمنة عربية متطاولة، ما بين الجاهلية والعصور الوسطى الإسلامية، وتداولها الناس في صورتها من دون حرج، مع ما يمكن أن تحمل من صفات النقص الجسدي، أو النطقي، أو النفسي. لقد اكتسبت حق وجودها بالتداول على امتداد زمن المشافهة، وتأكد حضورها وأحقيتها في التدليل على أصحابها من دون تغيير في طبائعهم، أو صفاتهم حين أهل عصر الكتابة، ولنا هنا ملاحظتان بعد هذا العرض العام، الذي اخترنا فيه أشهر تلك الأسماء والصفات والكنى الغريبة، وسجلناها كما تداولها الناس، وكما كتبت في المصادر الأولى، واستمرت إلى زمن الطباعة، وإلى زماننا هذا:

- **الملاحظة الأولى:** أن هذه «الأسماء» السابقة، يغلب عليها طابع رصد العيوب الظاهرة في الوجه أو في البدن عامة، أو في النطق. ولسنا ندري: هل كان هذا الاستخدام يبلغ أذن الشخص المعني به، أم أنه كان يتداول بعيدا عن إدراكه الخاص، أو سماعه. ويغلب على ظننا أنه كان يعرف ما أطلق عليه بين نظرائه، وأنه حتى إن ضاق صدره بالإشارة إلى ما هو سلبي في شخصيته، فإنه لم يكن يملك تغييره، بل لعله وجد فيه بابا من أبواب التميز والشهرة، وهناك «أسماء» مستحبة، تحمل معنى الفضيلة، أو القوة والشجاعة، مثل: ملاعب الأسنة، والمنخل، وأبي نواس (واسمه الحسن بن هانئ، وإنما غلبت عليه هذه الكنية بسبب تلك الضفيرة التي جدلتها له أمه وهو صبي، فكانت تنوس = تتحرك ذهابا وجيئة خلف ظهره).
- **الملاحظة الثانية:** أن هذا الميراث الغريب، الذي لا نظن أننا نجد له شبيها في أي حضارة غير الحضارة العربية وتراثها، في اتساعه خاصة، حتى يبلغ مبلغ الظاهرة، والصيغة المتداولة من دون حرج... هذا الميراث الذي بدأ شفاهيا ما لبث أن فرض وجوده على عصر الكتابة، وبذلك استقر وتأبد.

* * *

تاسعا: الجاحظ يؤسس للتأليف عن الظاهرة

أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (159 - 255هـ)، وقد لحقه نصيب من هذه الظاهرة الخاصة في إطلاق الكُنى، والصفات، وتثبيتها، بحيث تتحول - مع شيوع الاستخدام واستمراره - إلى أسماء، وأيقونات[53] خاصة بأصحابها، فقد أوشك اسمه أن يختفي بتصدر «أيقونته»، أو وصفه

الشائع (الجاحظ)، وإن كنا لا ندري - بدرجة اليقين - أنه سمع هذا الوصف البديل لاسمه، أم ظل يذكر في حضوره بكنيته (أبو عثمان)، أو باسمه (عمرو بن بحر)! مهما يكن من أمر فإن هذا «الجاحظ» كان يملك من شجاعة الرأي وصفاء الرؤية ما جعله يتقبل الواقع (بما فيه الواقع اللغوي، والواقع الاجتماعي)، كما هو، ونجد أمثلة متعددة في تقبله للألفاظ الشائنة، كما في كتاب «الحيوان»؛ فبعد أن ذكر بعض المفردات المستقبحة، رأى أنه لا يجد عيبا في تداولها، بدعوى أنها وجدت، وأنها ما وجدت إلا لتستخدم[54]. وفي هذا السياق فإن الجاحظ هو مؤلف كتاب: «البخلاء»، ومع كراهية صفة البخل، فقد صرح فيه بأسماء حقيقية، وأخرى اخترعها، ليكسب كتابه طابعه الفني النادر. كما سبقت الإشارة إلى عدد من «رسائله» التي حملت عناوينها عبارات مستكرهة، أو مستقبحة. غير أن الجاحظ هو المفكر والأديب الذي يستطيع أن ينقلك إلى واقع زمانه، أو ينقل واقع زمانه إليك من دون حرج!

أما كتابه الذي نعنيه، فهو بعنوان «كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان»، وقد حققه عبدالسلام هارون[55]، والجاحظ - في ملاحظة متكررة بالنسبة إليه - قد لا يكون البادئ بطرح الظاهرة (ظاهرة ذكر العيوب كعلامات أو سمات)، غير أنه حين يعرض لها، فإنه يوفيها حقها من كل جهاته، فلا يكاد يترك مزيدا لمستزيد. وهو في توجهه إلى أصحاب النقائص البدنية المذكورة، مسبوق بمن ذكره في مقدمته: «الهيثم بن عدي»، على أنه لم يتحرج أن يذكر نواقص، وقصور هذه المحاولة المبكرة.

والجاحظ في محاولته هذه يعرف الفرق بين الاسم والصفة، كما نعرفه الآن، «فالاسم»: ما يدل على الذات، وهو غير قابل للتغير، سواء في البشر أو في سائر المخلوقات. أما «الصفة» فإنها معنى قائم بالذات، زائد عليها، وهذه الصفة قابلة للتغير بإحلال صفة أخرى، أو بإضافة، وربما انتقلت الصفة إلى نقيضها، وهذه أمور معهودة نلحظها في التداول العام لأسماء الأشخاص والأشياء، وصفاتهم.

والجاحظ في عنايته بمن نطلق عليهم الآن «ذوي الاحتياجات الخاصة»، نظرا إلى قصور قدراتهم، يدرك في ذلك الزمن المبكر، أن أصحاب هذه العاهات يملكون من التعويض، ما يغطي على هذا العجز الذي يعانونه قسرا، بل إن الجاحظ - بصرف النظر مؤقتا عن حصر العاهات التي عرض لها - عُني في مقدمة دراسته بأمرين:

الأول: معرفته بطبيعة النفس العربية، وغلبة روح التحدي، ورغبة التخطي لما يمكن أن يعد من المناقص، بل إن هذه النفس العربية لا تتردد في أن تعلن عن هذا النقص (وليس أن تحاول إخفاءه أو مواراته)، وأن تبرره وتعتذر عنه، وربما لج بها العناد، فراحت تفاخر به، وتقلبه من

المساوئ إلى المحاسن، ومن العجز إلى القوة والتفرد. وسنجد لهذا أمثلة عديدة من الأشعار والأقوال السائرة.

الثاني: أن الجاحظ بخبرته الواسعة بطبائع الحيوان (الذي ألف فيه موسوعة ضخمة باسم كتاب «الحيوان» - مع الوضع في الاعتبار تأثره بما كتب أرسطو عن الحيوان)[56]، قد عُني في كتابه الذي نحن بصدده، بتلك العلل التي يصاب بها الحيوان، كما يصاب بها الإنسان، مثل: العرج، والحول، والبرص... إلخ.

وهنا ينبغي أن نكشف عما يمثله الاهتمام (العلمي) بالعيوب الجسدية التي تعرض للإنسان، وأهمية هذا لما تميز به «العنوان في التراث العربي»، من حيث اهتمامه بالإنسان، فقد رأينا صورا مختلفة، ما بين الجاهلية (الشفاهية) ومقاربة زماننا (عصر التدوين، ثم يليه عصر المطبعة) من التعامل مع أسماء الأعلام في اتخاذها عناوين، أو علامات تحدد شخص المنتج/ المبدع، ثم تعرف بإنتاجه. وما يعنيه هذا من إعلاء الشعور بالإنسان، بالشخص في ذاته، بالمبدع الذي هو المفتاح، والمدخل الطبيعي لما أبدع، وإدراكه لاتجاهه: فاسم المبدع، كما يعبر نقديا الآن: «عتبة»، كما أن عنوان العمل عتبة أخرى، وقد تفضل إحدى العتبات على غيرها من منظور إدراك المتلقي، وما عساه أن يفتقده فيما يحاول أن يدركه من أبواب المعرفة. إن أصحاب النواقص من العميان والعوران والعرجان والبرصان وغيرهم، ممن ذكرهم الجاحظ وغيره، من المؤكد أن مشاهيرهم من أصحاب التميز في الصناعة، قد ذكروا ضمنا في سياق التعريف بالفنون التي أتقنوها، فلعله لم تكن هناك ضرورة لاختصاصهم بالتأليف في الموضوع المعين، الخاص، الذي يبدو كأنه نوع من التشهير. غير أن التمعن في الأسماء المذكورة بعيوبها (الشديدة القادحة أحيانا) يعيد أمر هذا الاهتمام إلى نصابه، فليس التشهير قصدا، ولا مجرد إبراز الظاهرة في ذاتها، وإنما القصد ما كشفنا عن جانب منه في مقدمة هذه الفقرة، وهو اعتزاز العربي بذاته، وبالمعنى الأصيل لشخصه المتجسد في النسب، والصفات المعنوية، والخلق، والقدرة على الإبداع، بما يطغى على هذا النقص العضوي، الذي يغالب العربي (البدوي غالبا) طبيعته، بأن يجعله موضعا للفخر، ونضيف إلى هذا العامل النفسي التراثي، عاملا «حضاريا» آخر، وهو أنه بإفراد هذه الشخصيات المصابة في أبدانها، بدراسات تحاول أن تكون حصرية، أو مستوعبة للأكثر والأهم، ليس أن تقدم لنا صورة عن انتشار الآفات الجسدية في مجتمعات صحراوية، تقل فيها أسباب الأخذ بالمبادئ العلمية، والرعاية الصحية، وإنما أن تؤكد لنا أنه على الرغم من هذه المعوقات المعلنة، فإن هذه الشخصيات شغلت مواقع السيادة، والقيادة، والريادة في مجتمعاتها، على مستوى القبيلة، والمهنة، والدولة في أحيان ليست قليلة[57].

وقبل أن نستطرد إلى تقديم نماذج للإبداع في هذه الاتجاهات، نشير إلى ما ذكره الجاحظ عن سبق عنترة إلى اتخاذ صورة «الأجذم» لهدف جمالي، غير مسبوق، وغير ملحوق، لأنها صورة يتيمة فريدة، تفضح من يسرقها، وهي قوله في وصف الروضة، وطنين الذباب بها[58]:

فترى الذباب بها يغني وحده	**هزجا كفعـل الشارب المتـرنمِ**
غـردا يحـك ذراعـه بذراعه	**فعل المكب على الزنادِ الأجذمِ**

بل يشير إلى حرص بشار بن برد (الأعمى) على أن يعلل لذكاء الطفل الذي يولد أعمى، وذلك في قوله:

إذَا وُلِـدَ المَولود أعمى وجَـدْتَه	**وجدكَ أهدى من بصيرٍ وأجولا**
عمِيتُ جَنِينا والذكاءُ من العَمَـى	**فجئتُ عجيبَ الظن للعِلم مَعْقِلا**
وغَاضَ ضياءُ العينِ للقلب فاغْتَدَى	**بقلْبٍ إذا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَّلا**
وشعر كنور الروضِ لاءمتُ بينـهُ	**بقَوْلٍ إذَا ما أَحْزنَ الشِّعْرُ أَسْهَلاَ**

ولكي يبرهن الجاحظ على أن قوة النفس الإنسانية وعظمتها، لا ترتبط بكمالها العضوي، ولا بجمالها الخِلْقي، بقدر ما تعود إلى الإرادة، ونماء الشخصية، يقدم أمثلة «عملية» بمن يطلق عليهم: العرج الأشراف، وفي مقدمهم: أبو طالب، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن جدعان، والجموح الأنصاري، وعبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، ويقول الجاحظ في عبارة جامعة: «والعرج الأشراف - أبقاك الله - كثير، والعُمي الأشراف أكثر»، كما يشير الجاحظ إلى: الحارث الأعرج الغساني الذي مدحه «النابغة الذبياني»، فقال:

هذا غلام حسنٌ وجهه	**مستقبل الخير سريع التمام**

وإلى الحسن حفيد الإمام الحسن - رضي الله عنهما - ويذكر من الأشراف العرجان: قيس بن عاصم أحد بني مالك، ومثله: الحارث بن شريك الشيباني، ومن العرجان الأشراف أيضا: أبو الأسود الدؤلي، والأحوص الأنصاري الشاعر، ويونس بن حبيب النحوي... إلخ. فلا يكاد الجاحظ يترك قبيلة أو صناعة إلا ويذكر مشاهير العرجان الذين تسيدوها، أو برعوا فيها.

ولا تبرأ محاولة الجاحظ من نزعة المداعبة والاستطراف، فيذكر من بين العرجان: عمران بن مرة، كما يذكر أنه كان بطلا، وأنه الذي أسر الأقرع بن حابس، وهو أعرج كذلك، فكان الآسر والمأسور من طائفة العرجان!

ويذكر الجاحظ - من سيكولوجية الأعرج - أنه يحاول أن يتغلب على ضعف منظره قدر المستطاع، وإلا بحث عن وجه من القوة، يتحول بالنقيصة إلى مفخرة، فمن حيل العرجان: أنهم كانوا يفضلون قتال الفروسية؛ فالأعرج يختفي عرجه، لمجرد اعتلائه فرسه، فإذا كان مقاتلا كفؤا لم يؤثر عرجه في قدرته القتالية. وقد يصف أعمالا قتالية نادرة، اقترنت بالعرج؛ إذ يذكر حاتم بن عتاب بن قيس بن قشير، وهو الذي كان ينشد رجله وهو يقاتل، فسمي ناشد رجله، وهو الذي كان يحجل يوم اليرموك على الأخرى، ويقاتل الروم، وذهب إلى قدر زيت تغلي، فأدخل رجله فيها لتكويها، ويقطع عنها النزف! ويحكي عن: حكيم بن جبلة، من عبد القيس، أنه قطعت رجله بفخذها، فتناولها فرمى بها قاطع رجله، فكبده بها، فسقط، فزحف إليه حتى ذبحه، ثم استرخى من النزف، فاتكأ على قتيله وهو قاطع رجله، فمر به رجلٌ فقال: من بك؟ قال: وسادي! وما إلى ذلك من عجائب ونوادر!

ولا يختلف ذكر البرصان عن ذكر العرجان إلا في الأسماء، فممن أصيب بالبرص من هم سادة، ومن هم فرسان، وأشراف، بل وملوك، وهناك من فخر بالبرص كذلك. يذكر من البرصان السادة، والفرسان القادة: الربيع بن زياد وهو أحد الكملة، وكان قائد عبس، وعبدالله بن غطفان في حرب داحس. كما يُذكّر بالملك جذيمة الأبرش (الأبرص)، ويرصد الجاحظ - في تدقيق نادر - كيف يتلطف العربي في ذكر الصفة، تبعا لموقع الموصوف، فقد كان جذيمة بن مالك (صاحب الزباء وقصير) يقال له: جذيمة الأبرص، فلما ملك قالوا على وجه الكناية: جذيمة الأبرش، فلما عظم شأنه قالوا: جذيمة الوضاح[59].

ومن البرصان كذلك: شمر بن ذي الجوشن الضبابي قاتل الإمام الحسين، وعلي بن جبلة (العَكَوْك) وذكر في العميان كذلك[60]. ويذكر الجاحظ في «قائمة» البرصان أسماء شهيرة مثل: أيمن بن خريم (وهو تابعي وشاعر وراوية للحديث النبوي)، وبشر بن المعتمر (صاحب الصحيفة الشهيرة في صناعة الكلام التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين).

ويمكن أن ننهي هذه الفقرة، وننهي هذا العرض عن ذوي العاهات، ممن عرض لهم الجاحظ بذكر: جعفر بن دينار - من البرصان - وقد اصطنعه المأمون، فقاد الجيوش، وفتح الفتوح، وولى الولايات. بل يذكر أن علويه المغني كان أبرص كذلك، كما يصف مهارته في الضرب على الآلات، خاصة آلة العود التي كان يجيدها بكلتا يديه.

نكتفي بما ذكر الجاحظ عن «البرصان والعرجان» عن سائر من أحصاهم في كتابه هذا، فليس القصد أن نقف على مادته، بقدر ما أن نستخرج منهجه ودوافعه، وما ترتب عليه من ذكر أثره في العنونة بالأسماء، وهو موضوع هذه الدراسة في الأساس.

* * *

عاشرا: هذه الإضافة الأخيرة عن العنونة بالأسماء في التراث العربي

ونعني بها ما أضافه خليل بن أيبك الصفدي (صلاح الدين، 696هـ - 764هـ)، فلعله الوحيد الذي تأثر بتجربة الجاحظ في هذا المجال، وإن أغفل الإشارة إليه في من ذكرهم في مقدمته لكتابه: «نَكْت الهميان في نُكَت العُميان»[61]. وفي هذه المقدمة أشار إلى ما سبق إليه (ابن قتيبة، توفي 276هـ) في كتابه «المعارف»، وقد ضمنه فصلا عن المكافيف، ثم «أحمد بن علي بن بابه» (توفي 510هـ) في كتابه «رأس مال النديم»، ومن بعده «ابن الجوزي» (توفي 597هـ)، وقد يدل كتاب الصفدي على الاتجاه العام في الاختصاص بذكر طائفة محددة من ذوي العاهات الجسدية، وهو اتجاه يبدأ بمقدمات لغوية وتاريخية، ثم يفيض في ذكر النوادر والطرائف المقبولة والمرذولة على السواء.

وكذلك في كتاب الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) في كتابه الآخر: «الشعور بالعور»، فقد ترجم لمن أصابتهم هذه النقيصة، خاصة كبار المشاهير من الشعراء والقادة، وزعماء القبائل، فكأنما أفاد من تلك الأسماء التي تقدم بها الجاحظ، وأضاف إليها المشاهير الذين ذكرهم التاريخ العام، والتاريخ الأدبي، أو رويت عنهم الطرائف والغرائب، ما بين زمن الجاحظ (القرن الثالث الهجري) إلى زمان الصفدي (القرن الثامن الهجري).

يمكن أن نقرر في ختام هذه الفقرة أننا قصدنا فيها إلى إبراز أهمية الاسم، وخصوصية الوصف في مجال اتخاذه عنوانا لكتاب، أو لرسالة، أو لمبحث، أو لمسألة، أو لترجمة خاصة لصاحبها، بما يكشف عن اتجاه عقلي، حضاري، يكتنزه الضمير العربي، إذ يعد الإنسان (بما هو إنسان) بمنزلة المفتاح، أو كلمة السر التي ينبغي أن تكون مدخلا للإدراك في أي مسألة مثيرة للفكر، أو للخيال، أو للبحث العلمي على السواء. وقد عنينا - في ختام هذه الدراسة، على إيجازها - بأصحاب القدرات الخاصة (العاهات)، بما يكشف عن هذه القدرات الخاصة، ويؤكدها في شخصياتهم وسلوكياتهم، ومناحي تفكيرهم، وإبداعاتهم على تنوعها. على أن ملاحظتنا الأخيرة على ما أضافه «خليل بن أيبك الصفدي»، وما سبق أن أشار إليه من كتابات:

ابن قتيبة، وابن الجوزي، وابن بابه، قد غلب عليه طابع الاستطراف والغرابة، والميل إلى الإدهاش والإثارة، وهذا يخرج عن طبيعة هذه الدراسة، ويمكن أن يعود إليه من يرغب فيه، ولهذا السبب عددنا الجاحظ صاحب البداية، وواضع الأسس النفسية والفكرية، الذي أوحى بالمعنى الفلسفي لاستخدام صفات النقص دليلا على الكمال، وتأكيدا لطابع الشخصية العربية في استوائها، كما في مناقصها، إذ تغالب هذه المناقص حتى تتغلب عليها، وقد تتفاخر بها، أو تحسن تعليلها، كما بينا في مكانه.

الهوامش

1 اهتمت دراسات نقدية فرنسية، وإنجليزية، وأمريكية (بصفة خاصة) بالسيميولوجيا، أو السيميوطيقا، كما يؤثرها المؤلفون الفرنسيون خاصة، والسيميوطيقا كما يؤثرها الباحثون الأمريكيون، وفي هذا السياق تطرح قضية العنونة، وصلة العنوان بالمدونة، كما تذكر أسماء: رولان بارت، وبيرس، ودو دوسوسير، وجان كوهان، وجان جينيت، وجريماس... وغيرهم.

يراجع في ذلك: دراسة بعنوان: «السيميوطيقا والعنونة» للدكتور جميل حمداوي، عالم الفكر (الكويتية)، يناير/ مارس (1997)، ص79 - 112.

2 في دراسة الدكتور محمد فكري الجزار، بعنوان: «العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، في النصف الثاني من دراسته يتجه إلى مقالات، ودراسات، ودواوين شعر، وروايات حديثة. تنظر الصفحات 48، 49، 69، 72، 82، 115، 121، وغيرها. وفيها عرض لمقال صحافي، وختم تنويعاته تطبيقيا برواية: «صاحبة البيت»، للدكتور لطيفة الزيات، ورواية «ذات» لصنع الله إبراهيم. وفي دراسة الدكتور بسام قطوس بعنوان: «سيمياء العنوان»، بسام موسى قطوس، الناشر: مكتبة كتانة، إربد، 2001، يختار عددا من عناوين الدواوين، مثل: «حليب أسود» للمتوكل طه، ص54، و«شيء كالظل» للشاعر عفيفي مطر، كما يتوقف عند «لافتات» أحمد مطر، ص83، وبعض عناوين قصائد معين بسيسو، وسميح القاسم، ومحمود درويش.

3 «معجم لسان العرب» لابن منظور المصري، مادة (ع ن ن).

4 Gerard, Genette,(1987).Paratexts: Thresholds of Interpretation. Cambridge: Cambridge University Press. P76.

وترجمة عبارة جينيت: العنوان مجموعة من العلامات اللغوية التي تتصدر كتابا أو نصا مطبوعا أو عملا فنيا، وهو بمنزلة اسم لهذا العمل، ووظيفته أن يعرف بالعمل أو يوصل ملخصا بمضمونه أو يثير فضول الجمهور المستهدف، ويجتذبه للاطلاع عليه. ولا يشترط تحقق الوظائف الثلاث في آن واحد، بل إن الوظيفة الأولى بمنزلة الوظيفة الأساسية التي لا بد للعنوان أن يؤديها، أما الوظيفتان الأخريان فإنهما اختياريتان ومكملتان للوظيفة الأولى.

5 مقدمة «تاريخ ابن خلدون»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى، 1981.

6 انظر: مقدمة ابن خلدون، ص731، 733.

7 اقرأ عن التراجع عن المدنية، واعتناق أحلام القوى والبداوة (المقدمة) ص542، 544.

8 ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص545.

9 مقدمة ابن خلدون، ص550.

10 مقدمة ابن خلدون، ص575 وما بعدها. وفي هذا المكان يعرض لعدد من المؤلفات التراثية المهمة، وكيف تراتبت مسائلها على ما تقدمها.

11 مقدمة ابن خلدون، ص757.

12 مقدمة ابن خلدون، ص764.

13 العنوان في الأدب العربي .. النشأة والتطور، الدكتور محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة أولى، 1988، ص48.

14 المرجع السابق نفسه.

15 ينظر المرجع السابق، ص89، أما نص السيوطي فمن كتابه «الإتقان في علوم القرآن»، ج1، ص161.

16 المرجع السابق، ص180.

17 المرجع السابق نفسه.

18 لم نصادف، على كثرة ما قرأنا، أن مؤلفا في موضوع ما، يختم دراسته بالنص على العناوين التفصيلية لكتاب أعجبه في الموضوع نفسه، غير أن المألوف أن يشار إلى هذا الكتاب موضع الإعجاب، وأن تفرز مسائله، وتناقش القضايا التي تستحق النقاش فيه، وفي هذا من الإشادة والصدق والدقة العلمية ما يكفي.

19 هذه القصيدة للشاعر الجاهلي الإسلامي «أبو ذؤيب الهذلي»، وهي تتصدر ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، ثلاثة أجزاء في مجلد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1995، ص1.

20 انظر: ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق: تشارلز لايل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص3.

21 هذا البيت في مطلع قصيدة رثاء من 83 بيتا، في رثاء أبي إسحاق إبراهيم ابن هلال الصابي، ينظر نص القصيدة في ديوان «الشريف الرضي»، الجزء الأول، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت، ص294.

22 القصيدة في أحد عشر بيتا، ينظر: ديوان ابن مطروح، تحقيق: الدكتور حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، 2004، ص48.

23 عن ابن سلام، ينظر ما كتب صاحب هذه الدراسة عنه في كتابه: «مقدمة في النقد الأدبي»، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975، الطبعة الأولى، ص506 - 537.

24 عن ابن قتيبة، ينظر: المرجع السابق، ص538 - 563.

25 كتب الجاحظ، عدد من الرسائل (المقالات) مختلفة العناوين، حققها العلامة عبدالسلام هارون، ومن أهمها:

رسالة التربيع والتدوير، الحنين إلى الأوطان، الجد والهزل، فصل ما بين العداوة والحسد، صناعة القواد (القادة)، مفاخرة الجواري والغلمان، فخر السودان على البيضان، القيان... إلخ.

26 إخوان الصفا وخلان الوفا، وهي مقسمة في أربعة أقسام، أو مستويات معرفية: الرسائل الرياضية، والرسائل النفسانية العقلية، والرسائل الجسمانية الطبيعية، والرسائل الناموسية الإلهية، وتحت كل نوع مجموعة من الرسائل القصيرة تشرح جوهر الفكرة، وتقدم البراهين العقلية على صوابها.

27 ينظر: «العنوان في الأدب العربي .. النشأة والتطور»، مرجع سابق، ص273 وما بعدها.

28 المرجع السابق، ص 276، 278، 282، 284، 287، 289، 290، 294، وانظر خلاصة الرأي ص302.

29 المرجع السابق، ص180، والمصدر المذكور بهامشه.

30 ديوان عائشة تيمور، طبعة مصر، 1886.

31 ديوان البارودي، المجلد الأول، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

32 وفي كتاب «الكامل في التاريخ» يتأكد الحرص على ذكر الأسماء، حتى أسماء من تولوا إمارة الحج في الموسم، مع وجود أحداث كبرى لم يهتم مسجل التاريخ بأن يتعقب مسارها، وآثارها. وبالنسبة إلى موسم الحج، فقد دأب المصدر المذكور على تسجيل من أوكلت إليه الخلافة رياسة موسم الحج، وقد تذكر هجوم الأعراب، وانتهابهم لموكب التشريفة التي تبعث بها مصر إلى الكعبة كل عام، وخطف نساء القافلة، وقتل رجالها. يذكر هذا من دون تعليق.

راجع ما كتبناه في كتاب «منافذ إلى الماضي المستمر»، الدراسة الثالثة بعنوان:

«الإبداع في مجتمع حر»، ص41 وما بعدها، وانظر خاصة ما ذكر في صفحات 51 و52 و53.

33 يرى البعض أن التهانوي توفي سنة إتمامه كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون»، أي العام 1158، ويقرر بعض من أرخوا له أنه وجد توقيع التهانوي على وثائق وفتاوى بتاريخ 1191.

34 انظر: تعريف الدكتور عبدالحكيم راضي بكتاب «الفهرست» لابن النديم، مقدمة الجزء الأول، من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.

35 ينظر «الفهرست» لابن النديم، ج1، تحقيق: محمد عوني عبدالرءوف، إيمان السعيد جلال، ص2.

36 المصدر السابق، ص42.

37 المصدر السابق، ص140.

38 هذا العنوان في المصدر السابق، ص190.

39 المصدر السابق، ص209.

40 المصدر السابق، ص234.

41 المصدر السابق، ص309.

42 المصدر السابق، ص186.

43 هذا وفق إحصائنا، اعتمدنا فيه على فهرس الفرق والأعلام والقبائل، فضلا على عدد غير قليل ذكر فيه أسماء أعلام غير منسوبة.

44 تعريف الدكتور رفيق العجم في مقدمة الكشاف، وكتاب التعريفات للجرجاني، ينظر الهامش، صxx.

45 ينظر: المقدمة السابقة، صvill.

46 يتوسع محرر المقدمة في هذه النقطة، فيذكر أن مصطلحات الكشاف، وضعت القارئ أمام ألفاظ وأسماء لم تقتصر على الوصف، إنما اصطنعت ألفاظا جديدة بألعاب في اللغة، عن طريق التفعيلات تارة، وعن طريق الخروج عن العادة تارة أخرى، المقدمة السابقة، صxvll.

47 تيمورلنك: قائد أوزبكي، مؤسس العائلة التيمورية الحاكمة، حاول غزو الشرق العربي، ووصل إلى بلاد الشام.

48 المقدمة السابقة، رقم xxiv. وينسب هذا القول إلى الألماني يوهان جوتفريد هردر (توفي 1803م). ينظر الهامش التوثيقي في ذات الصفحة.

49 جاء في الحديث الشريف، فيما أورده مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته، صدق رسول الله.

50 بمناسبة مرور ألف عام على مولد شيخ المعرة، صدر كتاب بإشراف الدكتور طه حسين، جمع أهم البحوث التي كتبت قديما عن أبي العلاء وأدبه، وهذا الكتاب بعنوان: «تعريف القدماء بأبي العلاء»، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، عن نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1944، وقد تصفحت هذا الكتاب المستوعب، فنادرا ما وجدت اهتماما بخصوصية طاقته التصويرية في «رسالة الغفران»، أو قدرته الشعرية في ديوانيه، قدر ما وجدت من الاهتمام «بالتفتيش» في عقيدته، وهل مات أبو العلاء مؤمنا أم ملحدا متشككا؟! وهذا أمر مؤسف، ومحبط بالنسبة إلى تاريخ الفكر العربي.

51 المنخل اليشكري: شاعر مقل، ولكنه يجيد تنخل الكلام، أو تنقيته، وتدقيقه، وله قطعة من عدة أبيات (في أثناء قصيدة) واسعة التداول في أغراض الوصف والغزل في العصر الجاهلي، وهذا نصها:

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَا	ةِ الخِدْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الْكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ تَرْ	فُلُ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ
فَدَفَعْتُهَا فتَدَافَعَتْ	مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ	كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ الْبَهِيرِ
فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَ	خَّلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُ	بِّكِ فَاهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي
وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي	وَيُحِبُّ نَاقَتَها بَعِيرِي

52 عبد بني الحسحاس: هو أحد عبيد قبيلة بني الحسحاس، وله ديوان شعر مشهور، وقد تغزل في نساء القبيلة، فأفحش، مما أدى إلى قتله، ومن ثم خصص بوصف «عبد بنمي الحسحاس»، وليس هو الوحيد الذي يوصف بهذا الوصف.

53 أيقونة icon: هو تعريب لكلمة يونانية تعني صورة، أو شبه مثال، والعبارة المتداولة، بصرف النظر عن المدلول الديني، تعني اكتناز دلالة محددة في صورة أو عبارة مختصرة. فهي رسم أو رمز يميز أمرا معينا (مكانا، أو فعلا، أو زمنا، أو شخصا، أو مهنة... إلخ).

54 ينظر ما كتب تحت عنوان «تناسب الألفاظ مع الأغراض، الوقار والتكلف، تسمح بعض الأئمة في ذكر الألفاظ، لكل مقام مقال «فقرات من كتاب» الحيوان للجاحظ، الجزء 3، ص39 - 43، تحقيق: عبدالسلام هارون، طبعة ثانية، مصطفى البابي الحلبي في مصر، 1965.

55 كتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان»، الطبعة الأولى، الناشر: دار الجيل، بيروت، 1410هـ.

56 هناك إشارات لتأثر الجاحظ بدراسة أرسطو تحت العنوان نفسه، غير أننا نرى أن هذا التأثر لم يجاوز الإطار العام، فالحيوان الذي عني به الجاحظ ينتمي إلى بيئته الشرقية الحارة غالبا، على أن عنايته بأنواع الحيوان تتجلى من خلال مختارات شعرية، واقتباسات، وأقوال تنتمي إلى عصور تالية لزمن أرسطو.

57 وإلى اليوم أستعيد ذكرى قديمة، وأنا طفل، وكان جارنا يقرأ في كتاب عن الفتنة الكبرى، بصوت مسموع، ليتمكن المتحلقون حوله من سماعه، فجاء ذكر معركة صفين، وعرفت - أنا الطفل - أن قائد الإمام علي فيها هو: مالك بن الحارث الأشتر، وأن هذا القائد البطل كان أعور، فاستوعبت أذني معنى الكلام، وعجبت - في طفولتي - كيف يكون قائدا لجيش فاقدا إحدى عينيه! غير أن كتاب الجاحظ الذي استقصى الظاهرة في كل اتجاهاتها، كشف عن أن هذه النواقص كثيرا ما تعوض بقدرات متجاوزة.

58 والذباب: كل ما يطير من الهوام، وليس ما نطلق عليه الآن هذا اللفظ، فالنحل، والزنابير وأشباهها من الذباب كذلك.

59 وهذا الرصد الدقيق لأوصاف البَرَص، واختلافه مع أصحاب المنزلة الاجتماعية يغري بعقد دراسة عن الأوصاف في اللغة العربية، المناظرة أو المسامتة للطبائع والمنازل والطبقات.

60 يذكر الجاحظ من طرائف الشاعر العكوْك: أنه كان مع عمائه وشُنعة برصه يتعشق جارية، ويتعشقها شاعرة ظريفة أديبة، وكان أنشد حميد بن عبدالحميد شعرا، فوهب له مائتي دينار، فانصرف من دار حميد إلى منزل المعشوقة، فصب الدنانير في حجرها، ثم مضى إلى منزله، وليس فيه درهم، ولا شيء قيمته درهم، وكان أحسن خلق الله إنشادا، ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا.

61 «نكتب الهميان في نكت العميان»: الهميان: كيس النقود أو ما نحفظ فيه الأشياء العزيزة، والنكت (بسكون الكاف) يعني: الكشف، والنُكَت (بفتح الكاف) تعني الطرائف والنوادر. وقد نشرته: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- **القرآن الكريم**

- **الدواوين**

● **ديوان «البارودي»**، تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.

● **ديوان «الشريف الرضي»**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د. ت).

● **ديوان «عائشة تيمور»**، طبعة مصر، 1886.

● **ديوان «عامر بن الطفيل»**، تحقيق: تشارلز لايل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.

● **ديوان «ابن مطروح»**، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2004.

● **ديوان «الهذليين»**، تحقيق: أحمد الزين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995.

● المعاجم

● **معجم «لسان العرب»**، ابن منظور المصري.

- **الدراسات التراثية**

● **الجاحظ (عمرو بن بحر)**، كتاب «الحيوان»، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، الباب الحلبي بمصر، 1965م.

● **كتاب «البرصان والعرجان والعميان والحولان»**، طبعة أولى، دار الجيل بيروت، 1410هـ.

● **السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن)**: «الإتقان في علوم القرآن»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، 1967.

● **الصفدي (خليل بن أيبك)**: «نكت الهميان في نُكت العميان»، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012.

● **ابن النديم (محمد بن إسحاق الوراق)**: «الفهرست»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.

ثانيا: المراجع

- المراجع العربية

● **بسام موسى قطوس: «سمياء العنوان»**، مكتبة كتانة، إربد، 2001.

● **طه حسين (وآخرون):** «تعريف القدماء بأبي العلاء»، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

● **محمد حسن عبدالله:** «مقدمة في النقد الأدبي»، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975.

● «**منافذ إلى الماضي المستمر**»، دار روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.

محمد عويس: «العنوان في الأدب العربي»، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة أولى، 1988.

● **محمد فكري الجزار:** «العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

الدوريات: جميل حمداوي، مجلة «عالم الفكر» (الكويتية)، يناير/ مارس، 1997.

- المراجع الأجنبية

● Gerard, Genette,(1987).Paratexts: Thresholds of Interpretation. Cambridge: Cambridge University Press. P76



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

دراسات الترجمة .. النشأة والتطور[1]

أ. د. هبة الله محمود عارف *

أدت الترجمة، مكتوبة أو شفاهية، دورا حيويا في التواصل بين البشر على مر التاريخ؛ لكن لم تبدأ دراسة الترجمة بوصفها مبحثا أكاديميا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ويرجع الفضل إلى الباحث الأمريكي جيمس هومز في إطلاق اسم «دراسات الترجمة» Translation Studies على هذا المبحث، في بحث ألقاه في مؤتمر كوبنهاجن للغويات التطبيقية في العام 1972، والذي لم يعرف على نطاق واسع إلا في العام 1988. في العام ذاته كتبت ماري سنيل هورنبي في تمهيد كتابها (دراسات الترجمة .. مدخل متكامل Translation Studies .. An Integrated Approach «تأتي الدعوة إلى النظر في دراسات الترجمة باعتبارها مبحثا مستقلا من أوساط عديدة في السنوات الأخيرة»[2]. ومع صدور الطبعة الثانية من الكتاب في العام 1995 تحول الحديث إلى «الطفرة المذهلة في دراسات الترجمة والنقاش الوفير الدائر حولها عالميا»[3]، وهو ما أشارت إليه منى بيكر في مقدمة الطبعة الأولى من موسوعة راتلدج للترجمة (1998)، بحديثها عن «ثراء المبحث الجديد المثير للاهتمام، والذي يغدو أن يكون مبحث تسعينيات القرن العشرين الذي يسهم فيه باحثون ينتمون إلى مباحث عديدة رسخت من زمن»[4].

* جامعة القاهرة - كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جمهورية مصر العربية.

وتبدى هذا الاهتمام كما يوضح كاميند وبم (1995)[5] في منح درجات جامعية في الترجمة على مستوى المرحلة الجامعية الأولى ومرحلة الدراسات العليا في ما لا يقل عن 250 جامعة في ستين دولة، ونشأة مراكز تابعة للجامعات تعنى بتدريس الترجمة وفي المؤتمرات العلمية والكتب والدوريات الأكاديمية، وكذلك المنظمات الدولية التي تضم في عضويتها المشتغلين بالترجمة والباحثين الأكاديميين، وكلها تتابع تطورات المبحث الذي يزداد نضجا يوما بعد يوم.

الترجمة .. بداية تاريخية

ظلت الترجمة حتى النصف الثاني من القرن العشرين حبيسة ما أطلق عليه جورج شتاينرفي كتابه «بعد بابل» After Babel «الجدل العقيم الدائر حول ثلاثية الترجمة الحرفية والحرة والأمينة»[6]. ويرجع التفريق بين الترجمة الحرفية، أو كلمة مقابل كلمة، والترجمة الحرة، أو معنى مقابل معنى، إلى شيشرون في القرن الأول الميلادي، والقديس جيروم في القرن الرابع الميلادي، حيث أجمل شيشرون مذهبه في الترجمة في مقدمة كتابه De optimo genere oratrum[7] الذي أعيدت طباعته في العام 1960، وترجم فيه خطب خطيبي اتيكا اسخينوس وديموسثينوس:

لم أترجمها بوصفي مفسرا ولكني ترجمتها كوني خطيبا، وحافظت على الأفكار والصيغ نفسها، أو كما يمكن أن أقول صور الأفكار في لغة تتماشى مع استخدامنا لها، وعلى هذا لم أرَ داعيا إلى ترجمة كلمة بكلمة، لكني حافظت على السمات العامة للأسلوب وقوة اللغة.

وكما يتضح من كلمات شيشرون أن المفسر - في مفهومه - هو المترجم الحرفي، أما الخطيب فهو من يهدف من كلامه إلى التأثير في السامعين. وكان مذهب الترجمة الحرفية عند الرومان يقتضي إبدال كل كلمة في النص المصدر (اليوناني بالأحرى) بمثيلتها من اللاتينية، مع الالتزام بالصيغة النحوية، وذلك لأن الرومان كانوا يقرأون النص المترجم إلى اللاتينية جنبا إلى جنب مع النص اليوناني. وكان لرفض شيشرون مذهب الترجمة الحرفية، ورفض هوراس له في كتابهِ «فن الشعر» Ars Poetica، وتأكيد الأخير على إخراج نص مترجم يحمل قيمة جمالية ويتسم بالإبداع تأثيره في ممارسة الترجمة في القرون التالية. واعتمد على المذهب ذاته القديس جيروم في ترجمته للكتاب المقدس بناء على طلب داماسوس أسقف روما؛ فراجع الترجمات اللاتينية السابقة للعهد الجديد وصححها، وعاد إلى الأصل العبري في ترجمته للعهد القديم، وهو ما أثار جدلا بين من يؤمنون بقدسية الكتاب المقدس السبعيني اليوناني. ويجمل القديس جيروم مذهبه في الترجمة في الفقرة التالية من خطابه إلى صديقه باماكيوس عضو مجلس الشيوخ الروماني الذي يدفع فيه الاتهامات الموجهة إليه بالتحريف وعدم الدقة:

أقر، بل وأعلنها بكل وضوح، بأنني لا أترجم عن اليونانية كلمة مقابل كلمة، بل معنى مقابل معنى، إلا في حالة واحدة، وهي المواضع التي يلتبس فيها التركيب[8].

ويرى روبنسن أن عبارة القديس جيروم كانت الأساس الذي استند إليه النقاش الدائر بشأن الترجمة بين أنصار مذهب الترجمة الحرفية والترجمة الحرة لقرون تالية، وامتد تأثيره إلى ثقافات أخرى. في الصين على سبيل المثال سيطرت ثنائية الترجمة الحرفية والترجمة الحرة على تناول المترجمين ترجمة نصوص السوترا البوذية من السانسكريتية إلى الصينية. ولم تختلف الحال فترة ازدهار الترجمة من اليونانية إلى العربية في العصر العباسي، كما توضح منى بيكر (1998)[9]؛ إذ سادت مدرستان: مدرسة يوحنا ابن البطريق، وابن نعيمة الحمصي التي اعتمدت على إبدال كل كلمة يونانية بمقابلها العربي، أو استعارة الكلمة اليونانية ما لم توجد كلمة عربية. ومدرسة ابن اسحاق والجواهري التي اعتمدت على إنتاج نصوص تنقل معنى النص المصدر ولا تفسد تراكيب اللغة العربية.

وفي أوروبا لم يختلف الأمر كثيرا طوال الألف عام التالية؛ إذ كان شاغل الكنيسة الكاثوليكية هو الحفاظَ على حرفية الكتاب المقدس وحظر أي محاولة لتأويل المعنى على نحو يخالف النص المعتمد، بل اتهام من يفعل ذلك بالهرطقة والحكم عليه بالموت، وهو المصير الذي لاقاه المترجم الإنجليزي وليام تنديل في العام 1536، والمترجم الفرنسي إتيان دوليه في العام 1546[10].

وجاءت حركة الإصلاح الديني واختراع الكتابة ليؤذنا بظهور ترجمات كانت بمنزلة ثورة على الكنيسة الكاثوليكية أبرزها على الإطلاق ترجمة مارتن لوثر للعهد الجديد في العام 1522، والعهد القديم في العام 1534 إلى الألمانية، والتي كانت آنذاك لهجة محلية واسعة الانتشار، فلم تكن ترجمته إلا إعلانا لثورة دينية ولغوية رسخت من مكانة اللغة الألمانية والفكر الديني الجديد في الخطاب الذي كتبه في العام 1530 Sendbrief vom Dolmetschen «خطاب دوري عن الترجمة»:

لا بد من أن تسأل الأم في المنزل والأطفال في الشوارع والرجل العادي في الأسواق، وأن تنظر إلى حديثهم، وتترجم إلى لغتهم؛ عندئذ سيفهمون ما تقوله، ويدركون أنك تحدثهم بالألمانية[11].

وفي إنجلترا - كما تبين فلورا اموس في كتابها «النظريات الأولى للترجمة» Early Theories of Translation الذي صدرت له طبعتان في 1920، ثم في 1973 - بدأت أولى المحاولات المنهجية لوضع مبادئ للترجمة في القرن السابع عشر على يد دنام وكاولي ودرايدن. في تلك الفترة كانت الترجمة إلى الإنجليزية مقصورة على ترجمة الشعر اليوناني واللاتيني، وكانت ترجمة حرة إلى أقصى الحدود؛ فيندد كاولي، على سبيل المثال في التمهيد الذي كتبه لكتاب «قصائد بيندار الغنائية»

Pindaric Odes (1640)، بمذهب الترجمة الحرفية للشعر؛ مبينا أن منهجه هو التصدي لضياع نواحي الجمال الناجمة عن هذا المذهب، وأن «نستخدم فطنتنا وخيالنا»[12] لخلق مواطن جمال جديدة، وفي سبيل ذلك لا ينكر حذف أو إضافة ما يتراءى له، ولا يتردد في أن يطلق على هذا اللون من الترجمة الحرة «المحاكاة» باعتبارها الوسيلة المثلى لخلق «روح» النص الأصلي مرة أخرى في النص المترجم.

وأثار مذهب كاولي جدلا واسعا دفع الشاعر والمترجم جون درايدن إلى التعبير عن رأيه في ممارسة الترجمة في مقدمة ترجمته لـ «رسائل أوفيد» Ovid's Epistles في العام 1680؛ إذ رأى أن الترجمة ثلاثة أنواع: النوع الأول هو metaphrase، أي ترجمة كلمة بكلمة وسطر بسطر، وهو ما يناظر الترجمة الحرفية. أما النوع الثاني فهو paraphrase، أو الترجمة بتصرف، فلا يفقد المؤلف أثر المؤلف الأصلي لكنه لا ينقل كلماته بالدقة التي ينقل بها معانيه، وقد يغير جملا كاملة إن لزم الأمر؛ فيكون أقرب إلى اتباع مذهب الترجمة الأمينة أو ترجمة معنى مقابل معنى. والنوع الثالث imitation، أي المحاكاة التي يهجر فيه المترجم كلا من كلمات ومعاني المؤلف الأصلي، ويكون ما يكتبه أقرب إلى الاقتباس أو التطويع. وينتقد درايدن المترجمين أمثال بن جونسون الذي يلتزم الترجمة الحرفية، ويرى أنه أقرب إلى «ناسخ الألفاظ»، أو من يرقص على الحبال وقدماه مقيدتان، ويرفض بالمثل المحاكاة التي تحيل النص المصدر إلى نموذج يستعين به المترجم لينتج نصا كان المؤلف الأصلي لينتجه «لو عاش في زمننا وبلادنا». ولا ينكر أن المحاكاة توضح أثر المترجم ودوره لكنها «تلحق أكبر الضرر بسمعة الأموات»[13]، وعلى هذا فإن الشرح بتصرف هو المذهب الأمثل. لكنه يعيد النظر في آرائه - فيما بعد - في مقدمة ترجمته لـ «الإنيادة» Aeneid (1697) لفيرجيل، ويتبنى موقفا وسطا بين الشرح والترجمة الحرفية: «ارتأيت أن أراوح بين الترجمة الحرفية والشرح؛ كي أظل قريبا من المؤلف قدر استطاعتي، ولا أضل عن محاسن أسلوبه، وأهمها عندي جمال ألفاظه»[14].

وفي القرن الثامن عشر كتب ألكسندر فريزر تتلر «مقال عن مبادئ الترجمة» Essay on the Principles of translation في العام 1790، سلك فيه مسلكا مخالفا لمذهب درايدن الذي يضع المؤلف الأصلي نصب عينيه، ووضع تعريفا للترجمة الجيدة من وجهة نظر قارئها؛ فهي الترجمة التي «تنقل فضائل العمل الأصلي كاملة إلى لغة أخرى على نحو يفهمه ويحسه قارئ اللغة المنقول إليها تماما، كما يفهمها ويحسها قارئ النص في لغته الأصلية»[15].

وإذا كان النقاش في القرن السابع عشر حول المفاضلة بين الحرفية والأمانة والمحاكاة، ثم الاتجاه إلى إعادة خلق روح النص الأصلي لقارئ القرن الثامن عشر، فقد انشغل الرومانسيون الألمان في

أوائل القرن التاسع عشر، من أمثال جوتة وهمبولد ونوفالس وشليجل بقضايا إمكان الترجمة أو استحالتها، والطبيعة الأسطورية لهذا اللون؛ فكتب عالم اللاهوت والمترجم فريدريش شلايرماخر في 1813 رؤيته للترجمة في «عن المناهج المختلفة للترجمة» Über die verschiedenen Methoden des Übersetzens، وترجع أهمية ما كتبه إلى أنه واضع أساس اللاهوت البروتستانتي وعلم الهرمنيوطيقا الحديث، وهو المذهب الرومانسي في التفسير الذي لا يرتكن إلى حقيقة مطلقة، بل إلى شعور الفرد وإدراكه. ويميز شلايرماخر بين نوعين من المترجمين: Dolmetscher أو المترجم التجاري. وUbersetzer أو مترجم الأعمال الفنية والعلمية. ويؤمن شلايرماخر أن النوع الثاني من المترجمين هو الأرفع مكانة؛ لأنه ينفث حياة جديدة في اللغة التي ينقل إليها. ومع استحالة ترجمة هذا اللون من النصوص لأن اللغة المكتوبة بها شديدة الاتصال بالثقافة النابعة منها، وهو ما يجعل من المستحيل للغة المترجم إليها أن تضاهيها؛ فيكون الأمر الملح كيف يمكن التقريب بين كاتب النص المصدر وقارئ النص المستهدف[16]. وبذلك يتجاوز شلايرماخر قضايا الترجمة المألوفة من قبيل ترجمة الكلمة أو المعنى، وثلاثية الترجمة الحرفية والأمينة والحرة وينظر في سبيلين على المترجم أن يسلك أحدهما: «إما أن يترك المؤلف في سلام قدر المستطاع وينقل القارئ إليه، وإما يترك القارئ في سلام ويأتي إليه بالمؤلف»[17].

ويفضل شلايرماخر الأسلوب الأول، ولا يقصد به أن يكتب المترجم كما لو كان المؤلف الأصلي يكتب بالألمانية، ولكن أن يمنح القارئ - من خلال الترجمة - التأثير ذاته الذي سيشعر به كأحد أبناء اللغة الألمانية عند قراءته هذا النص في لغته الأصلية. وكي يتحقق ذلك يجب على المترجم أن يتبنى أسلوبا في الترجمة أكثر ميلا إلى التغريب، يوجهه في ذلك لغة النص المصدر ومضمونه، أي أن على المترجم أن يعلي من قيمة العنصر الأجنبي في النص، وأن ينقله إلى اللغة المستهدفة.

وكان لشلايرماخر تأثير هائل في نظريات الترجمة حتى الوقت الحالي، كما يوضح منداي[18]؛ فحديثه عن أنواع النصوص يتخذ شكل النظرية عند كاترينا رايس، وتحول حديثه عن التغريب والتقريب إلى نظرية إضفاء الطابع المحلي وإضفاء الطابع الأجنبي عند فينوتي. كذلك طور والتر بنجامين من تصوره للغة الترجمة، كما كان لآرائه عن تفسير الترجمة تأثير على نظرية الحركة التفسيرية عند جورج شتاينر.

وفي بريطانيا دار النقاش في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حول مكانة النص المصدر ولغة النص المستهدف، كما جسده الجدل الذي دار بين فرانسيس نيومان وماثيو أرنولد حول ترجمة هوميروس[19]؛ إذ اختار نيومان أن يبرز «أجنبية» النص، وأن يستخدم لغة تبرز الفارق الزمني بين النص المصدر وقارئه الإنجليزي في القرن التاسع عشر، وكان يرى في هذا نجاحا

باهرا، بينما هاجمه ماثيو أرنولد بضراوة في محاضرته «عن ترجمة هوميروس» On Translating Homer في العام 1861، ودعا إلى استخدام لغة شفافة سلسة، والأهم أنه دعا القراء إلى قراءة الترجمات التي ينتجها متخصصون وأكاديميون باعتبارهم الأقدر على مقارنة تأثير النص المصدر بالنص المستهدف.

مفهوم التعادل في القرن العشرين

مع خمسينيات وستينيات القرن العشرين بزغ مدخل لدراسة الترجمة يتسم بمزيد من الانضباط والدقة، وتغلب عليه التعريفات والمفاهيم المستمدة من علم اللغة، ويمثله رومان جاكبسون أحد رموز مذهب البنيوية، وكان أهم ما أتى به «نظرية المعنى اللغوي» linguistic meaning، و«التعادل» equivalence التي جاءت في بحث نشره في العام 1959 بعنوان «عن الجوانب اللغوية للترجمة» On Linguistic aspects of Translation، وأعاد فينوتي نشره في العام 2004[20]؛ إذ قسم جاكبسون الترجمة إلى ثلاثة أنواع: ترجمة إلى ذات اللغة intralingual، وترجمة بين لغتين interlingual، وترجمة بين نظامين للعلامات intersemiotic. وارتبط النوع الثاني من الترجمة بقضايا ذات أهمية، مثل المعنى اللغوي والتعادل؛ فالمعنى مستمد من العلامة اللغوية التي تقوم على صلة تعسفية بين «الدال» signifier، وهي العلامة الشفهية أو المكتوبة، و«المدلول» أو الفكرة signified. ثم ينتقل جاكبسون إلى قضية تعادل المعنى بين كلمات تنتمي إلى لغات مختلفة، ويؤكد أن التعادل الكامل بين العلامات اللغوية أمر عسير، وإن بدا التعادل ظاهريا بين الدوال في لغتين لاختلاف المدلول في كليهما. وفي تعريف جاكبسون للترجمة بين لغتين يؤكد أنها تتضمن إبدال رسالة في لغة برسالة كاملة في لغة أخرى، وليس مجرد إبدال وحدات لغوية أو شفرات:

يستقبل المترجم رسالة من لغة ويعيد تشفيرها وإرسالها في لغة أخرى، وبذلك تكون الترجمة وسيلة للربط بين رسالتين متعادلتين تحملهما شفرتان مختلفتان[21].

ويرى جاكبسون أن اختلاف الشفرات أمر طبيعي؛ إذ تمثل كل لغة نظاما للعلامات يقسم العالم الملموس والمجرد على نحو خاص به، والدليل هو اختلاف العلاقة بين الدال والمدلول من لغة إلى أخرى، وأن مشكلة التعادل والمعنى تنصب على اختلاف التراكيب والمصطلحات بين اللغات، وليس لعجز لغة من اللغات عن نقل رسالة سبق أن عبرت عنها لغة أخرى، ولذا يمكن أن تعبر اللغة المستهدفة عن مدلول في اللغة المصدر مستعينة بدالين أو أكثر. ويعبر عن رأيه في عبارة شهيرة هي: «التعادل بين الشفرات المختلفة هو الإشكالية الرئيسية للغة، والشاغل الأساسي لعلم اللغة»[22].

وتوالت النظريات التي تنظر في قضايا المعنى والتعادل وإمكان الترجمة، كان من أهمها في ستينيات القرن العشرين ما ارتبط بيوجين نايدا، والتي استمدها من خبرته في ترجمة الكتاب المقدس ووضعها في كتابين: «نحو علم الترجمة» Towards a Science of Translating [23]، في العام 1964. و«نظرية الترجمة وممارستها» The Theory and Practice of Translation [24]، بالاشتراك مع تابر في العام 1969، وأفاد في نظريته من المفاهيم النظرية والمصطلحات التي أتى بها مبحثا علم الدلالة والتداولية وآراء نعوم تشومسكي ونظريته المعروفة بالنحو التوليدي والتحويلي transformational - generative grammar. وكان أهم ما دعا إليه نايدا هو التحول عن فكرة ثبات المعنى إلى تعريف المعنى تعريفا وظيفيا تكتسب فيه الكلمة معناها من السياق، وقد تحدث استجابات مختلفة. ويقسم نايدا المعنى إلى معنى إحالي referential ومعنى شعوري/ إيحائي emotive/ connotative.

ويقدم نايدا عددا من المناهج التي تعين المترجم على تحديد المعاني المختلفة للمفردات اللغوية المتشابهة التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، من بينها البناء الهرمي للكلمات hierarchical structure الذي يفرق بين الكلمات وفقا لرتبتها، مثل الفرق - على سبيل المثال - بين الاسم الشامل أو العام «آلة موسيقية» والأسماء الخاصة التي تندرج تحتها مثل «بيانو»، و«كمان» وما إلى ذلك. أما منهج تحليل العناصر componential analysis فيقوم على تحليل كل كلمة في مجموعة من الكلمات المتشابهة إلى عناصرها الأولية، فتسهل المقارنة بينها، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف بينها. منهج ثالث هو تحليل البناء الدلالي semantic structure analysis الذي يركز على تغير معاني الكلمات بتغير السياق، مثل كلمة spirit التي قد تعني شياطين أو ملائكة أو مبدأ أخلاقي أو خمر، وما يتبعه من تغير المعنى الشعوري أو الإيحائي، وهو ما يؤكد أهمية مبحث التداولية، خاصة في ترجمة المعنى الاستعاري والتراكيب الاصطلاحية من لغة إلى أخرى.

وتأثر نايدا بنظرية تشومسكي عن النحو التحويلي والتوليدي التي تقوم على وجود عدد من الأبنية العميقة/ التحتية التي تربط بينها قواعد تركيب الجملة التي تحولها جميعا إلى بناء سطحي يخضع بدوره لمجموعة من القواعد الصرفية والصوتية. ويرى تشومسكي أن العلاقة بين التراكيب العميقة مشتركة بين جميع اللغات، وأهمها ما يطلق عليه التراكيب النووية/ الرئيسية kernel structures، وهي التي لا تتطلب سوى الحد الأدنى من التحويل. ووجد نايدا في نظرية تشومسكي عونا للمترجم على فك شفرة النص المصدر وإعادة صياغتها في النص المستهدف، من خلال تحليل الأبنية السطحية للنص المصدر إلى العناصر الأساسية للبناء العميق، ثم تنقل من خلال الترجمة ويعاد تركيبها دلاليا وأسلوبيا في البناء السطحي للنص المستهدف. وأهم هذه العناصر تلك الدالة على أحداث وأشياء ومجردات وعلاقات.

اهتم نايدا أيضا بأنواع التعادل بديلا لمفاهيم الترجمة الحرفية والحرة والأمينة، وقال بوجود التعادل الصوري formal equivalence، والتعادل الدينامي dynamic equivalence، ويعرفهما كالتالي:

ينصب اهتمام التعادل الصوري على رسالة النص من حيث المحتوى والشكل... وأن تطابق الرسالة في لغة المتلقي العناصر المختلفة للغة المصدر قدر المستطاع[25].

وهكذا يضع التعادل الصوري أو التقابل الصوري formal correspondence، كما أطلق عليه نايدا وتابر فيما بعد، تركيب النص المصدر نصب اهتمامه، والذي يحدد مدى دقة وصواب الترجمة. ويمثل هذا التعادل الترجمة التي تعرف بالترجمة ذات الحواشي gloss translation التي تحاول أن تقترب من تراكيب النص المصدر مصحوبة بهوامش شارحة كي تساعد الدارس على فهم لغة وخصوصية الثقافة المصدر.

أما التعادل الدينامي فيقوم على ما يسميه نايدا مبدأ «التأثير المعادل» equivalent effect الذي «تصبح فيه العلاقة بين المتلقي والرسالة كتلك التي نشأت من قبل بين المتلقي الأصلي والرسالة»[26] ولا بد من أن تلبي الرسالة الحاجات اللغوية للمتلقي وتوقعاته الثقافية، وأن تسعى إلى أن يكون التعبير طبيعيا تماما the complete naturalness of expression، وهو مطلب أساسي في نظرية نايدا؛ إذ يجعل هدف التعادل الدينامي هو إيجاد «المعادل الأكثر قربا لرسالة اللغة المصدر»[27]. ويرى هذا المذهب الذي يتوجه إلى المتلقي أن تطويع النحو والألفاظ والإشارات الثقافية أساسي للوصول إلى لغة طبيعية بسيطة؛ فيجب ألا يتضح في لغة النص المصدر أي أثر لتداخل اللغة المصدر، وأن يعمل المترجم على التقليل من الطابع الأجنبي للنص المصدر. ويؤمن نايدا بأن الترجمة الناجحة هي التي تحقق الاستجابة المعادلة، ولا يغفل الإشارة إلى أن يكون لها معنى، وأن تنقل روح النص الأصلي وأسلوبه، وأن تتمتع بلغة سلسة وطبيعية.

وعلى الرغم من النقلة المهمة في دراسة الترجمة التي أحدثها نايدا وفتح بها آفاقا جديدة بعيدا عن التعادل الصارم على مستوى الألفاظ بين النص المصدر والنص المستهدف والاهتمام بالمتلقى فإن مبدأ التأثير المعادل ومفهوم التعادل نالا هجوما فيما بعد[28]؛ فيقول منداي إن البعض اعتبر أنه من المستحيل قياس تأثير النص المستهدف في المتلقي، أو أن يكون للنص التأثير نفسه في ثقافتين مختلفتين، وفي فترتين زمنيتين متباينتين، وأن مثل هذه الأحكام تغلب عليها الذاتية، وأن نايدا لم يأت بجديد؛ إذ مازال النقاش مقصورا على مستوى اللفظ المفرد. وقلل جنتزلر[29] من قيمة آراء نايدا التي استمدها من خبرته بترجمة الكتاب المقدس، ورأى أن الهدف من التعادل الدينامي هو حمل أبناء الثقافة المتلقية، أيا كانت ثقافتهم، على قبول مبادئ البروتستانتية. ولم يسلم نايدا أيضا

من هجوم أصحاب الميول الدينية المحافظة الذين رأوا في مذهب التعادل الدينامي عبثا بالكتاب المقدس وتحريفا لمعانيه[30].

لم يتوقف تأثير نايدا عند حدود الولايات المتحدة، بل امتد إلى باحثي الترجمة خارجها، ومنهم بيتر نيومارك في المملكة المتحدة وفريزر كولر في ألمانيا. وكان كتابا نيومارك «مداخل إلى الترجمة» Approaches to Translation[31]، في العام 1981. و«كتاب تعليمى في الترجمة» A Textbook of Translation[32] في العام 1988، من الكتب التي يعتمد عليها في برامج تدريب المترجم لاحتوائهما على أمثلة تطبيقية تستعين بالمنهج اللغوى. لكن الاختلاف الأساسى بين نيومارك ونايدا أن الأول شكك في إمكان تحقيق التأثير المعادل، وأن «الصراع بين الولاء للنص المصدر، أو النص المترجم سيظل المشكلة الأساسية التي تتمحور حولها الترجمة نظرية وممارسة»[33]. ويقترح نيومارك رأب الصدع بالاستعانة بمذهبي الترجمة الدلالية semantic translation والترجمة التوصيلية communicative translation:

تهدف الترجمة التوصيلية إلى أن تحدث لدى قارئها تأثيرا أقرب ما يكون إلى تأثير النص الأصلى في قارئه، أما الترجمة الدلالية فتحاول أن تنقل - بقدر ما تسمح به التراكيب الدلالية والنحوية للغة المستهدفة - معنى النص الأصلى كما يمليه السياق[34].

ويتضح التشابه بين مذهب نيومارك التوصيلى ومبدأ التعادل الدينامي عند نايدا في سعي كليهما إلى التأثير في القارئ المستهدف على نحو يماثل تأثير النص المصدر، وكذلك التشابه بين مذهب الترجمة الدلالية عند الأول والتعادل الصوري عند الثاني، لكن نيومارك يصر على الابتعاد عن مبدأ التأثير المعادل الذي يراه غير ذي تأثير إذا كان النص المصدر خارج النطاق الزماني والمكاني للغة المستهدفة. ويضرب نيومارك مثالا بترجمة هوميروس إلى القراء الإنجليز في القرن العشرين، فلا يمكن لمترجم أن يتوقع أو يطمح أن يكون لترجمته التأثير ذاته الذي كان لأعمال هوميروس في اليونان القديمة.

كما يبرز نيومارك الفارق بين المصطلحات التي أتى بها ومصطلحات سابقيه؛ فالترجمة الدلالية تختلف عن الترجمة الحرفية؛ فالأولى تأخذ السياق في الاعتبار وتميل إلى الشرح والتفسير، بينما الثانية تكاد تلتصق بألفاظ وتراكيب اللغة المصدر. وعلى الرغم من ذلك يجد نيومارك أن الاعتبارات العملية قد تفرض على المترجم استخدام الترجمة الحرفية إن كانت ستوصل المعنى؛ توفيرا للوقت والجهد، حتى ينصرف المترجم إلى المشكلات الأكثر تعقيدا في النص.

وفي ألمانيا اهتم فيرنر كولر بمفهومي التعادل والتقابل في كتابه «دراسة في علم الترجمة» Einführung in die Übersetzungswissenschaft (1979)[35]، فاعتبر أن مفهوم التقابل

ينتمي إلى مبحث اللغات التقابلية الذي يدرس لغتين لإيضاح أوجه الشبه والاختلاف بينهما، والذي قد يكشف عن ظواهر لغوية عند دارسي اللغات الأجنبية سببها التداخل بين اللغتين، أما التعادل فيتعلق بملامح بعينها وسياقات محددة خاصة بالنص المصدر والنص المستهدف. ويقر كولر بأن التفريق بين المفهومين ليس كافيا لتحديد ماهية التعادل، ويقترح خمسة أنواع من التعادل في محاولة لمزيد من التوضيح لهذا المفهوم(36):

1 - التعادل التحديدي denotative equivalence، ويتعلق بمضمون ومحتوى الألفاظ، ويقول كولر إن باحثين آخرين يطلقون عليه content invariance أو ثبات المضمون.

2 - تعادل الدلالة الضمنية أو الايحاء connotative equivalence، ويتعلق باختيار بين عدة ألفاظ خاصة أشباه المرادفات، وهو ما يطلق عليه آخرون التعادل الأسلوبي stylistic equivalence.

3 - تعادل معياري بين النصوص text - normative equivalence، ويتعلق بأنواع النصوص وتأثير نوع النص في أدائه وظيفته.

4 - التعادل التداولي أو التعادل التوصيلي pragmatic equivalence، والذي يتوجه إلى متلقي النص أو الرسالة، وهو أقرب ما يكون إلى التعادل الديناميي عند نايدا.

5 - التعادل الصوري formal equivalence، والخاص بشكل النص والنواحي الجمالية والملامح الأسلوبية التي تميزه عن غيره، والذي يعرف أيضا بالتعادل التعبيري expressive equivalence.

ويبين كولر أهمية تصنيفه، وكيف يفيد منه المترجم ونظرية الترجمة(37):

مع كل نص يضطلع المترجم بترجمته واعيا بأنواع التعادل لا بد من أن يضع بناء هرميا للقيم التي يريد الحفاظ عليها في ترجمته، ومنها يتوصل إلى بناء هرمي للتعادل المطلوب تحقيقه في النص. ولن يتحقق ذلك إلا إذا سبقه تحليل للنص بهدف نقله من لغة إلى لغة، مع الأخذ في الاعتبار منهجية وتصور ذهني للتحليل المطلوب.

ويقترح كولر بضع نقاط يرى أن المترجم لا بد من أن يأخذها في الاعتبار ليتأكد من صحة البناء الهرمي لأنواع التعادل الذي يسعى إلى إقامته، وهي الوظائف اللغوية للنص، وخصائص المحتوى، والخصائص الأسلوبية للغة، والخصائص الجمالية والشكلية والخصائص التداولية.

دراسة عملية وناتج الترجمة

منذ خمسينيات القرن العشرين تعددت المداخل اللغوية لدراسة الترجمة كان أكثرها شهرة التصنيف الذي وضعه فيناي وداربلنيه في كتابهما «الأسلوبيات المقارنة للفرنسية والانجليزية» Stylistique comparée du francais et de l’anglais (1958) الذي أحدث تأثيرا واسعا امتد

إلى دراسة الترجمة بين لغات أخرى، مثل الفرنسية والألمانية والإنجليزية والإسبانية، على الرغم من أن الترجمة الإنجليزية للكتاب لم تظهر إلا في العام 1995[38]. ويذكر المؤلفان استراتيجيتين للترجمة، هما الترجمة المباشرة direct translation، والترجمة غير المباشرة oblique translation، وبدورهما يشملان سبعة إجراءات تختص الترجمة المباشرة بثلاثة منها[39]:

1 - الاقتراض borrowing، أي نقل الكلمة مباشرة من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة لسد فجوة دلالية.

2 - النقل بالمحاكاة calque، وهو نوع خاص من الاقتراض حيث يترجم المصطلح أو البناء حرفيا من اللغة المصدر.

3 - الترجمة الحرفية literal translation، والتي تعني ترجمة كلمة مقابل كلمة، وهي في رأي المؤلِفَين الأكثر شيوعا، لاسيما بين اللغات التي تشترك في الأصل اللغوي والثقافي والقادرة على تحقيق نتيجة مرضية، ولا يجب التخلي عنها إلا إذا أدت إلى اختلاف المعنى أو أنتجت نصا لا معنى له، أو استحال الاستعانة بها لاختلاف البناء والتركيب بين اللغتين، أو لأنها يترتب عليها استخدام مستويات مختلفة في اللغتين. وعندئذ تكون استراتيجية الترجمة غير المباشرة هي الاختيار الأمثل وتشمل أربعة إجراءات[40]:

4 - الإبدال transposition أو التحويل من أحد أقسام الكلام إلى قسم آخر من دون تغيير المعنى، وقد يكون لازما عندما تتطلب اللغة المستهدفة ذلك، أو اختياريا عندما تتوافر عدة بدائل.

5 - تغيير الدلالة ووجهة النظر modulation، ويشمل تغيير المعنى الدلالي في اللغة المصدر ووجهة النظر التي تحملها، وهو ما يحدث عندما تكون الترجمة الحرفية أو التحويل بين أقسام الكلام صحيحا نحويا لكنه غير اصطلاحي من وجهة نظر اللغة المستهدفة. ويرى فيناي وداربلنيه أن تغيير وجهة النظر دليل تمكّن المترجم من صنعته لكن الإبدال يتعلق باتقان اللغة المستهدفة. وينقسم تغيير وجهة النظر إلى الفئات التالية من مجرد إلى ملموس، ومن السبب إلى النتيجة، ومن الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء، ومن جزء إلى جزء آخر، وقلب المصطلحات، ونفي النقيض، والتغيير من المبنى المعلوم إلى المبنى للمجهول والعكس، والتعبير بالمكان عن الزمان، وإعادة تعريف الحدود المكانية والفترات الزمنية، وتغيير الرموز.

6 - التعادل equivalence ويقصد به فيناي وداربلنيه الحالات التي تصف فيها لغتان الموقف ذاته مع اختلاف الأسلوب والتراكيب، مثل ترجمة التعبيرات الاصطلاحية والأمثال.

7 - التطويع adaptation، ويقصد به تغيير الإحالة الثقافية إلى أخرى تتماشى مع اللغة المستهدفة، إذا كانت الإحالة الواردة في النص المصدر ليس لها نظير في الثقافة المستهدفة.

ويخلص المؤلفان إلى أن الفئات السبع السالفة يتضح تأثيرها في ثلاثة مستويات: مستوى الألفاظ، ومستوى الأبنية النحوية، ومستوى مدلول الكلمات. كما يعرضان مستويين إضافيين، هما: ترتيب الكلام وصياغة المحتوى من جانب، وأدوات الوصل والضمائر الإشارية والترقيم.

ويعرض المؤلفان خمس خطوات يجب على المترجم اتباعها عند الانتقال من النص المصدر إلى النص المستهدف:

1 - تحديد وحدة الترجمة، ولا يقصدان بها الكلمة المفردة؛ إذ هي مزيج من وحدة لفظية ووحدة تفكير، ويعرفانها بأنها أصغر جزء في الكلام له معنى يتحقق الترابط بين أجزائه على نحو لا يسمح بترجمة أي منها منفردا.

2 - فحص النص المصدر وتقييم المحتوى الوصفى والشعوري والفكري لوحدات الترجمة.

3 - إعادة بناء السياق غير اللغوي للرسالة.

4 - تقييم التأثير الأسلوبي.

5 - إعداد النص المستهدف ومراجعته.

كاتفورد وتغيرات الترجمة

كان لكتاب كاتفورد «نظرية لغوية للترجمة» A Linguistic Theory of Translation (1965)[41] الفضل في شيوع مصطلح التغيير shift في دراسات الترجمة ذات التوجه اللغوي؛ حيث خصص فصلا كاملا للحديث عن المصطلح استعان فيه بنموذج هاليداي وفيرث اللغوي الذي ينظر إلى اللغة باعتبارها وسيلة للتخاطب في سياق. وتؤدي هذه الوسيلة دورها على عدة مستويات، هي الصوت ورسم الأصوات كتابة، والنحو والألفاظ، ومن خلال عدة مراتب، بدءا من المورفيم إلى الكلمة إلى مجموعة الألفاظ إلى شبه الجملة إلى الجملة. ولم يخل مدخل كاتفورد اللغوي من الحديث عن الفارق بين التقابل الشكلي والتعادل النصي[42]:

التقابل الصوري هو أي فئة في اللغة المستهدفة (سواء كانت وحدة أو طبقة أو عنصر بناء) تشغل ذات المكانة في «اقتصاد» اللغة المستهدفة الذي تشغله الفئة ذاتها في اللغة المصدر، أما التعادل النصي فهو أي نص مستهدف أو جزء منه يكون المعادل لنص مصدر أو جزءا منه.

أي أن التعادل النصي مقيد بنصين، النص المصدر والنص المستهدف، بينما التقابل الصوري بين لغتين فكرة أعم وأشمل تستند إلى نظام بين لغتين. وإذا افترق التعادل النصي والتقابل الشكلي يحدث التغيير في الترجمة الذي يصفه كاتفورد بأنه «الابتعاد عن التقابل الصوري في أثناء الانتقال من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة».

ويقسم كاتفورد التغيير إلى نوعين[43]:

1 - تغيير المستوى level shift عندما يعبر تركيب نحوي عن معنى في لغة، ويعبر لفظ عن المعنى ذاته في لغة أخرى.

2 - تغيير الفئة category shift الذي يستأثر باهتمام كاتفورد، ويقسمه إلى أربعة أنواع:

أ - تغيير بنائي structural shift من بناء نحوي كامل إلى آخر.

ب - تغيير الطبقة class shift، أو من قسم من أقسام الكلام إلى قسم آخر، مثل التعبير عن المعنى بصفة في لغة وحال في لغة أخرى.

جـ - تغيير في الوحدة أو الرتبة unit shift or rank shift ويقصد بها التغيير في الترتيب الهرمي للوحدات اللغوية، مثل التغيير من كلمة في اللغة المصدر إلى جملة في اللغة المستهدفة.

د - التغيير داخل النظام intra - system shift، ويحدث عندما تشترك اللغة المصدر والمستهدفة في نظام ما مع اختلاف بين النظامين في بعض جوانبهما. على سبيل المثال قد تشترك اللغتان في وجود نظام أدوات التعريف لكنهما لا تتناظران في جميع حالات استخدامه.

وعلى الرغم مما بذله كاتفورد من جهد لتأسيس منهج يعنى بدراسة الوظيفة التواصلية للغة، بيد أنه لاقى نقدا لإغراقه في الاستعانة بالأمثلة الموضوعة، وأغلبها جمل منفصلة لا تقع في سياق للتدليل على آرائه، من دون أن يتجاوزها إلى التطبيق على نصوص كاملة أو أجزاء منها. لكن كان له الفضل في الترسيخ لمفهوم التغيير الذي تبناه لاحقا باحثون في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، في ما كان يعرف بتشيكوسلوفاكيا، لدراسة ما أطلقوا عليه التغيير في الترجمة translation shift، ولكن من منظور أدبي. وأثمر هذا الاهتمام من جانب جيري ليفي كتابا أحدث تأثيرا فارقا في مجال الترجمة الأدبية، نشر في العام 1963، وترجم إلى الألمانية في العام 1969 Die literarische Kunstgattung[44] Ubersetzung: theorie einer، ويتضح فيه تأثير مدرسة براغ البنيوية. في هذا الكتاب اهتم ليفي بدراسة ما يطرأ على البناء السطحي للغة المصدر من تحول عند الترجمة إلى اللغة المستهدفة، خاصة في ترجمة الشعر، وكان يرى أن الترجمة الأدبية عمل إبداعي يعيد إنتاج عمل سابق لتحقيق تأثير جمالي معادل، كما يقدم تصنيفا لملامح النص التي يتعين تحقيق التعادل بينها، ومنها المعنى التحديدي denotative meaning، والإيحاء الشعوري connotation، والترتيب الأسلوبي stylistic arrangement، والتركيب syntax، والتكرار الصوتي sound repetition، وأطوال حروف العلة vowel length، وطريقة التعبير اللفظي articulation، وتتفاوت أولويات التعادل وفقا لنوع النص؛ فتكون الأولوية في دبلجة الأفلام لتحقيق التعادل بين طول الوحدات الصوتية وطريقة النطق، أما عند ترجمة نص متخصص، أو نص علمي، فالأولوية للمعنى التحديدي.

وفي بحث آخر لليفي بعنوان «الترجمة باعتبارها عملية اتخاذ قرار» Translation as a Decision Process (1967) [45] يربط بين التغيير الدلالي التدريجي gradual semantic shifting ونظرية الحساب الرياضي للتفاعل بين متخذي قرار game theory، وهو ما يضفي على الترجمة بعدا عمليا براجماتيا[46]:

يتخذ المترجم قراره بالاختيار بين عدة حلول ممكنة وفقا لما يحقق أقصى تأثير بأقل جهد، أي أن حدسه يقوده إلى الأخذ باستراتيجية تحقيق الأقصى بالأدنى minimax strategy.

وتأثر بآراء ليفي كثيرون من الباحثين التشيك، وتوالت الدراسات التي نشرت في مجلد حرره هومز بعنوان «طبيعة الترجمة .. مقالات في نظرية وممارسة الترجمة الأدبية» The Nature of Translation: Essays on the Theory and Practice of Literary Translation (1970)[47]، من بينها دراسة لفرانتشك ميكو ناقش فيها الجوانب النظرية المختلفة لما أسماه التغيير في التعبير shifts of expression، أو أسلوب الترجمة؛ مؤكدا أن الحفاظ على طريقة التعبير أو أسلوب النص المصدر هو الهدف الرئيسي، وربما الهدف الوحيد للمترجم. واقترح ميكو عددا من الفئات يمكن تحليل أسلوب الترجمة على أساسها، منها الفعالية operativity، والأيقونية iconicity، والذاتية subjectivity، والتكلف affectation، والإبراز prominence، والتضاد contrast[48]. وفي دراسة أخرى لأنطون بوبوفتش في ذات الكتاب أكد الباحث على أهمية مفهوم التغيير في التعبير[49]:

يسهم تحليل مفهوم التغيير في التعبير على كل مستويات النص في توضيح النظام العام الذي تقوم عليه الترجمة بكل عناصره الأساسية والفرعية.

ويربط بوبوفتش مفهوم التغيير بالجدل الدائر حول مفهومي الترجمة الحرفية والحرة، ويرجع التغييرات إلى التوتر الناشئ بين النص الأصلي والترجمة المثالية التي يسعى إليها المترجم، وأنها نتاج محاولاته الواعية كي يعيد إنتاج التأثير الجمالي الكلي للنص على نحو يتسم بالأمانة. ثم توسع بوبوفتش في دراسته لمفهوم التغييرات وضمنها كتابه «معجم تحليل الترجمة الأدبية» Dictionary for the Analysis of Literary translation (1976)[50] الذي أدرج فيه مدخل كفاية الترجمة adequacy of translation كمرادف لمدخل الأمانة في نقل النص الأصلى faithfulness to the original، والتعادل الأسلوبي في الترجمة stylistic equivalence in translation، ويعرف الأخير بأنه التعادل الوظيفي بين عناصر النص الأصلي والنص المترجم، والذي يهدف إلى تطابق الجانب التعبيري بينهما من خلال التأكيد على عنصر ثابت بين النصين قوامه تطابق المعنى invariant of identical meaning. ولكن تظل الآراء التي يوردها ميكو وبوبوفتش تدور حول النظرية دون التطبيق على تحليل نصوص مترجمة.

الجانب الذهني لعملية الترجمة

مما سبق يمكن القول إن الهدف من تحليل التغيير في الترجمة هو وصف ناتج الترجمة، من خلال تحليل وتصنيف التغييرات التي يمكن ملاحظتها بمقارنة النص المصدر والنص المستهدف، لكنه يظل قاصرا عن النفاذ إلى عملية الترجمة نفسها، وهو ما حاولت نماذج أخرى أن تسهم في تفسيره بالتركيز على ملاحظة وتحليل وشرح العمليات الذهنية التي يخبرها المترجمون أنفسهم. وعبر عن هذا الاتجاه روجر بل(51) بقوله «وصف عملية الترجمة وما يمر به المترجم قضيتان لا تنفصلان، ويجب أن تكونا محل اهتمام نظرية الترجمة في آن واحد: كيف تحدث عملية الترجمة وما هي المهارات والمعارف التي يجب أن يتحلى بها المترجم كي ينجز هذه العملية».

وكانت آراء بل تبلور دراسات بدأت في باريس منذ ستينيات القرن العشرين وما تلاها على يد دانيكا سيلسكوفتش وماريان ليديرير اللتين قدمتا «النموذج التفسيري للترجمة» interpretive model الذي طبقتاه في بادئ الأمر على دراسة ترجمة المؤتمرات التي وجدتا أنها عملية تنقسم إلى ثلاث مراحل(52):

1 - القراءة والفهم reading and understanding باستخدام المقدرة اللغوية والخبرة بالعالم لاستيعاب معنى النص المصدر. ويتطلب فهم المكون اللغوي للنص الرجوع إلى المعنى الظاهري والمعنى الضمني أيضا كي يستحضر المترجم ما يرمي إليه المؤلف الأصلي. وترى ليديرير أن الخبرة بالعالم - في حقيقتها - مجردة من اللفظ ونظرية وعامة وموسوعية وثقافية، وتُفعَّل على نحو مختلف باختلاف المترجمين واختلاف النصوص، فالمترجمون من وجهة نظر الباحثة «قراء مميزون مطلوب منهم أن يفهموا الحقائق الواردة في النص، ويحسوا بإيحاءاته الشعورية، ولذا لا يشعر المترجمون القدر بذاته من الحميمية مع كل ألوان النصوص.

2 - الاستغناء عن اللفظ deverbalization، وهي مرحلة وسطى يمر بها المترجم إذا أراد تجنب نقل الشفرة transcoding، والنقل بالمحاكاة calque، وليس الاستغناء عن اللفظ ملمحا ظاهرا في الترجمة لكنه قائم وهدفه تفسير كيف يتفاعل المترجم ذهنيا مع النص؛ لأن نقل المعنى يعتمد على الإحساس وليس الألفاظ.

3 - إعادة الصياغة والتعبير re – expression، والمقصود به تركيب النص المستهدف في قالب يحدده الفهم القائم على الإحساس، والذي يستغني فيه المترجم عن اللفظ في المرحلة السالفة. وفيما بعد أضيفت مرحلة رابعة، وهي التحقق من صحة الترجمة verification، حيث يعود المترجم إلى النص المستهدف ويقيِّمه.

ويتشابه نموذج سيلسكوفتش وليديرير مع نموذج نايدا القائم على التحليل والنقل وإعادة البناء، غير أن نايدا يولى الاهتمام الأكبر بتعبير البناء التركيبي عن الجانب الدلالي للنص، بينما يؤكد النموذج التفسيري على الجانب الذهني المجرد من اللفظ. وعلى الرغم من أن مفهوم التجريد من اللفظ من المفاهيم الرئيسية في نموذج سيلسكوفتش وليديرير فإنه لم ينل حقه من التحليل والدراسة، وربما يرجع ذلك لصعوبة ملاحظته؛ لأنه يحدث داخل الذهن في المرحلة التي يستغني فيها عن اللفظ، فكيف للباحث أن يدرسه أو يتوصل إليه إلا في الصورة التي يكون عليها الناتج اللفظي الذي أعيد تركيبه ويلي مرحلة إعادة الصياغة[53].

وحاولت نظرية الصلة relevance theory (سبيربر وولسون 1986)[54]، والدراسات التي نشأت في ظلها لباحثين مثل إرنست أوجست جت (1991/ 2000) [55] أن تفسر عملية الترجمة باعتبارها قائمة على مبدأ السببية وما يتبعه من تفسير واستنتاج. ومعنى ذلك أن التواصل الناجح يتطلب ممن يقوم بالتوصيل أن يتيقن أن المتلقي استوعب الغاية من التواصل (توصيل المعلومة)، وأن ذلك تحقق بأن يكون المثير ذا صلة وثيقة بالاستجابة إلى الحد الذي يجعل المتلقي يتوقع أن يحصل على التأثير المناسب من السياق دون الحاجة إلى بذل جهد لا ضرورة له. أي أن من يقوم بالتواصل يمنح المستمع الأدلة التوصيلية التي تسمح له بالاستنتاج. ويواجه المترجم موقفا مماثلا يلقي عليه مسؤوليات عدة أولها أن يقرر إذا كان في إمكانه توصيل المعلومة التي يقصدها كاتب النص المصدر، وكيفية تحقيق ذلك إما بتقديم ترجمة تصف مقصده أو تفسره. مسؤولية أخرى تقع على المترجم، وهي تحديد ما يجب أن تكون عليه درجة التشابه مع النص المصدر. كذلك لا بد للمترجم من معرفة البيئة الذهنية cognitive environment للمتلقي وتقييمها ليتسنى له اتخاذ هذه القرارات. وهذا بدوره يتطلب أن يتوافر لدى المترجم والمتلقي الافتراضات الأساسية ذاتها حول التشابه المنشود، وأن تتوافق نوايا المترجم مع توقعات المتلقي.

وكما يتبين من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نموذج الترجمة عند جت، وأهمها عملية التواصل والمعالجة الذهنية cognitive processing، أنه لا يحبذ النماذج الأخرى التي تقوم على دراسة النص المصدر والنص المستهدف، والتي تجعلها أشبه بدراسة مدخلات ومخرجات عملية ما؛ إذ يرى أن تفسير الترجمة باعتبارها عملية تواصل يمكن تحقيقه باستخدام المفاهيم النظرية لنظرية الصلة وحدها.

وفي إطار تفسير عملية الترجمة قدم روجر بل نموذجا لعملية الترجمة[56] مستعينا بمفاهيم لغوية، مثل: تحليل البناء الدلالي، أو تصنيفات مستمدة من مبحث تحليل الكلام discourse analysis، مثل التعدي transitivity، والأفعال المساعدة modality، والتماسك

النصي cohesion، ومفاهيم علم اللغة النفسي ليقدم تصورا لعملية الترجمة يقوم على التحليل والتركيب synthesis في ثلاثة مستويات لغوية هي: التراكيب syntax، والدلالة semantics، والتداولية pragmatics فيتحول تحليل مقطع من النص المصدر إلى تمثيل دلالي لا ينتمى إلى أي لغة، وهو ما يماثل مبدأ التجريد من الألفاظ في النموذج التفسيري، بل لا يقدم نماذج تطبيقية للتدليل على صحة ما يذهب إليه.

ومن بين الأطر النظرية التي حاول الباحثون - من خلالها - تفسير عملية اتخاذ القرار في الترجمة ما يعرف بمراسم التفكير بصوت عال think aloud protocols، حيث يعبر المترجم لفظيا عـن عمليـة التفكير الدائرة في ذهنـه (كرنجز 1986، بتركونين - كونديسـت وياسكيلانيين 2000)[57]، كما ظهرت بعض التطبيقات التكنولوجية مثل برنامج Translog (ياكبسون وسكو 1999 وهانسن 2000)[58] الذي يسجل نقر المترجم على لوحة مفاتيح الكمبيوتر عند الكتابة وجهاز تتبع حركة العين (أوبريان 2006)[59] الذي يسجل تركيز العين على النص الذي يعبر عن نشاط المخ. وعلى الرغم من المحاولات الدؤوبة في هذا المجال فإن الحاجة لاتزال ماسة إلى مزيد من الدراسات التجريبية.

نظريات الترجمة الوظيفية

شهدت سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين تراجعا عن التصنيفات اللغوية الثابتة التي استعان بها الباحثون لشرح التغييرات في الترجمة مع ظهور منهج وظيفي توصيلي في ألمانيا على يد كاترينا رايس وماري سنل - هورنبي ويوستا هولز مانتاري وهانز فيرمير وكريستيان نورد.

كان أول المداخل المقترحة ما قدمته كاترينا رايس في السبعينيات تأسيسا على مفهوم التعادل لكنه التعادل القائم على مستوى النص والذي يتحقق به التواصل وليس مستوى الكلمة أو الجملة (رايس 1977/ 1989)[60] والذي يمكن أن يمثل محاولة منظمة لتقييم الترجمة. واستعانت في مدخلها بتصنيف كارل بوهلر الثلاثي لوظائف اللغة، وربطت الوظائف الثلاث بأبعاد اللغة المناظرة لها وبأنواع النصوص ومواقف التواصل التي تستخدم فيها. وتلخص رايس الملامح الرئيسية لكل نوع من أنواع النصوص على النحو التالي:

1 - توصيل مجرد للحقائق plain communication of facts، والتي تشمل المعلومات والآراء والمفاهيم، وهو ما يتحقق من خلال بعدي اللغة الإحالي referential، والمنطقي logical، ويكون الموضوع أو المحتوى محور التواصل، وهذا النوع من النصوص يعرف بالنص الإخباري informative text.

2 - تأليف إبداعي creative composition، ويستخدم المؤلف البعد الجمالي للغة، وينصب فيه الاهتمام على المؤلف أو المرسل، وعلى شكل الرسالة ونوع النص التعبيري expressive.

3 - وقد يهتم نص باستحضار استجابة سلوكية وتكون وظيفته استمالة القارئ أو متلقي النص للتصرف على نحو معين، وتكون اللغة حوارية dialogic، وتسمى رايس هذا اللون من النصوص النص الداعي إلى العمل operative.

4 - النصوص السمعية الوسائطية audiomedial، مثل الأفلام والإعلانات المرئية والمسموعة والتي تكمل الوظائف الثلاث بصور أو موسيقى.

وتقدم رايس أمثلة لأنواع النصوص المذكورة؛ فالعمل المرجعي reference work ينتمي إلى النصوص الإخبارية، والقصيدة نص تعبيري والإعلان نص يستحضر استجابة معينة. وبين هذه الأنواع الصريحة أنواع هجين؛ فسيرة حياة شخص تقع بين النوعين، الإخباري والتعبيري، حيث تسرد معلومات من حياة شخص، وتؤدي في الوقت ذاته الوظيفة التعبيرية المناط بها العمل الأدبي. وبالمثل تقدم العظة الدينية المعلومة الدينية، وتحقق وظيفة استمالة الحضور إلى الالتزام بسلوك معين. وعلى الرغم من تداخل بعض أنواع النصوص ترى رايس أن نقل الوظيفة المهيمنة على النص المصدر هو العامل الحاسم الذي يقيم على أساسه النص المستهدف. وتقترح طرائق لترجمة كل نوع من أنواع النصوص:

1 - النص الإخباري: يجب أن ينقل المحتوى الإحالي أو المفاهيم الواردة في النص المصدر كاملة، وأن تستخدم الترجمة أسلوبا بسيطا واضحا مع البعد عن الرطانة واللجوء إلى الإيضاح التصريحي explicitation عند اللزوم.

2 - النص التعبيري: يجب أن ينقل النص المستهدف الشكل الفني والجمالي للنص المصدر، وأن تستخدم الترجمة نهجا يبرز الهوية؛ فيتبنى المترجم وجهة نظر كاتب النص المصدر.

3 - النص الداعي إلى العمل: يجب أن يحقق النص المستهدف الاستجابة المطلوبة عند متلقي النص المستهدف، وأن تتوسل الترجمة بالتطويع فتخلق تأثيرا معادلا لدى قراء النص المستهدف.

4 - تتطلب النصوص السمعية أسلوبا مكملا يضيف إلى الكلمات صورا أو موسيقى.

كما تذكر رايس أيضا معيارين لتقييم «كفاية» النص المستهدف وهما:

1 – معيار من داخل اللغة intralinguistic، ويشمل النواحي الدلالية واللفظية والنحوية والأسلوبية.

2 - معيار من خارج اللغة extralinguistic، ويشمل الموقف والموضوع والمجال والزمان والمكان والمرسل والمستقبل والمعاني الضمنية، من فكاهة وسخرية ومفارقة وتورية.

وعلى الرغم من ارتباط المعيارين تتفاوت أهميتهما وفقا لنوع النص. على سبيل المثال تتطلب ترجمة نص يعنى بتوصيل المحتوى الحفاظ على التعادل الدلالي، وعند ترجمة نص إخباري تتراجع أهمية التعادل النحوي، بينما تولي ترجمة كتاب علمي مبسط اهتماما بالملامح المميزة لأسلوب كاتب النص المصدر. أما ترجمة الاستعارة فتكون ذات أهمية أكبر في نص تعبيري عنها في نص إخباري، حيث يكفي في الأخير الحفاظ على المحتوى الدلالي.

ولا تغفل رايس احتمال تباين وظيفة النص المستهدف عن وظيفة النص المصدر. مثال على ذلك رواية رحلات جليفر لجوناثان سويفت التي كتبت في الأصل بوصفها رواية تسخر من السلطة في القرن الثامن عشر، أي أنها من نوع النصوص الداعية إلى العمل والتي تهدف إلى استمالة القارئ، لكنها اليوم تُقرأ وتُترجَم بوصفها عملا قصصيا يهدف إلى التسلية، أي صارت نصا تعبيريا. وقد يحدث العكس فيؤدي النص المستهدف وظيفة تواصلية مختلفة عن النص المصدر؛ فقد يترجم خطاب انتخابي، وهو من نوع النصوص الداعية إلى العمل، كي يعكف عليه المحللون في دولة أخرى ليتبينوا منه السياسات التي يكشف عنها الخطاب، وكيف كشف عنها، وبذلك يصبح النص المستهدف نصا إخباريا وتعبيريا في أن واحد.

كان لمدخل أنواع النصوص الذي فصلته رايس الفضل في تجاوز نظرية الترجمة التحليل القائم على المستويات اللغوية الدنيا، والاستغراق في ألفاظ النصوص وما تحدثه من تأثير إلى الاهتمام بالغرض التواصلي من الترجمة لكنه لم يسلم من الانتقادات التي وجهها فوست(1997)[(61)]، كان من بينها الاقتصار على وظائف ثلاث للغة، وإغفال وظيفة مهمة رابعة هي الوظيفة التواصلية phatic function التي تعبر عنها عبارات التحية المعتادة أو العبارات التي يفتتح بها خطاب أو احتفال، والمقصود بها إقامة تواصل بين أطراف موقف ما. كما وجه فوست انتقادا لطرق الترجمة المقترح تطبيقها مع كل نوع من أنواع النصوص؛ ففي حالة النص الإخباري الذي تقترح رايس ترجمته بأسلوب نثري واضح نجد أن بعض النصوص الاقتصادية تحفل باستعارات بسيطة ومركبة ترجم بعضها، واستقرت ترجمته في اللغة المستهدفة، والبعض الآخر والمعبر عن أسلوب كاتب معين ليس له ترجمة محددة بعينها، وقد يرى المترجم ترجمتها باستعارة مقابلة، فضلا على التفرقة التي لا توليها رايس اهتماما كافيا بين الاستعارة اللغوية linguistic metaphor، والاستعارة المعرفية conceptual metaphor. وكذلك الحال عند ترجمة تقرير سنوي لشركة على سبيل المثال، والذي تصنفه رايس باعتباره نصا إخباريا صريحا فقد يتضمن جانبا تعبيريا لا يقل أهمية، وقد تكون له عدة وظائف في الثقافة المصدر؛ فهو نص إخباري بما يحويه من معلومات يفيد منها مديرو الشركة، ونص داعٍ إلى العمل يهدف إلى إقناع المحللين الماليين وحملة

الأسهم بأن إدارة الشركة تتمتع بالكفاءة. أما السيرة الذاتية فقد تكون وظيفتها استمالة القارئ وإقناعه بموقف معين تجاه صاحب السيرة، أما الإعلان الترويجي ووظيفته الأساسية فهما استمالة المتلقي؛ فقد يؤدي وظائف أخرى فنية أو تعبيرية أو إخبارية. وسواء تمتع النص المصدر بهذه الوظائف جميعها، أو استخدمه المترجم لأداء وظائف متعددة في الثقافة المستهدفة، فذلك دليل على تداخل الحدود بين أنواع النصوص خلافا للتصنيف الصارم الذي تقدمه رايس. وآخر ما يوجهه فوست من نقد هو أن استراتيجية الترجمة تتحدد بمتغيرات أخرى تتجاوز نوع النص ومنها دور المترجم وغرضه من الترجمة، وكذلك الضغوط الثقافية والاجتماعية التي يتعرض لها المترجم وعملية الترجمة.

ماري سنل هورنبي والمدخل المتكامل

حاولت ماري سنل هورنبي المترجمة والأستاذة في جامعة فيينا في كتابها «دراسات الترجمة: مدخل متكامل» Translation Studies: An Integrated Approach الذي ظهر في 1988 وأعيد طبعه في العام 1995 أن تطرح مدخلا متكاملا لدراسة الترجمة يجمع بين مفاهيم لغوية وأدبية متنوعة. وكان لخلفيتها المتعمقة في نظريات الترجمة الألمانية أثرها في استعارتها لمفهوم النماذج الأولية prototypes لتقدم على أساسه تصنيفا للنصوص، ووفق نوع النص تقدم المدخل المتكامل المستمد من عدة مباحث. وكان مما أتت به النظر إلى مجال دراسات الترجمة باعتباره كيانا واحدا لا تفصل بينه حدود، وهذا الكيان بدوره يقوم على طبقات متراصة[62]، تبدأ من الطبقة (أ)، وهي الأكثر عمومية، وينتهي بالطبقة (و)، وهي الأكثر تحديدا.

وتضع سنل هورنبي في الطبقة (أ) الترجمة الأدبية والعامة والمتخصصة في سلة واحدة، وليس كما درج الباحثون على دراستها باعتبارها أنواعا منفصلة. وتضم الطبقة (ب) أنواع النصوص الأساسية. وفي الطبقة (جـ) المباحث المتصلة بالترجمة خلاف المباحث اللغوية ومنها الإحاطة بالخلفية الثقافية والاجتماعية. وفي الطبقة (د) تأتي عملية الترجمة من فهم للنص المصدر والفكرة الأساسية التي يسعى إليها النص المستهدف ووظيفته التوصيلية. ويجيء في الطبقة (هـ) الجانب اللغوي للترجمة. وفي المستوى الأخير (و) الملامح الصوتية للنص من إيقاع وجناس استهلالي. ومما يحسب للإطار النظري المتكامل الذي أتت به سنل هورنبي هو إزالة الحدود التقليدية بين وظائف اللغة التي درجت عليها دراسات الترجمة، إلا أنه لم يسلم من انتقادات؛ إذ رأى البعض أن التداخل الذي تقترحه سنل هورنبي لا يعني بالضرورة نتيجة إيجابية فيما يتعلق بتحليل الترجمة أو تدريب المترجم[63].

نموذج فعل الترجمة

يستعير نموذج فعل الترجمة translational action الذي تبنته هولتس مانتاري ووضعته في دراسة بالألمانية[64] مفاهيم من نظرية الاتصال ونظرية الفعل لوضع مبادئ يمكن تطبيقها على حالات الترجمة المختلفة. وينظر النموذج المقترح إلى الترجمة باعتبارها نشاطا مركبا يهدف إلى نقل رسالة بما ينطوي عليه ذلك من التحويل من حالة فكرية إلى أخرى[65]:

«ليس الأمر ترجمة كلمات أو جمل أو نصوص، لكنه توجيه التعاون لتجاوز الحواجز الثقافية بما يسمح بإقامة تواصل يهدف إلى تحقيق وظيفة».

ووفقا لمدخل فعل الترجمة يمكن اعتبار الترجمة بين لغتين «فعل ترجمة يبدأ من نص مصدر»، وعملية تفاعلية تشمل سلسلة من الأدوار واللاعبين:

- البادئ أو صاحب المبادرة initiator، أي الشركة أو الشخص الذي يحتاج إلى الترجمة.
- من يصدر التكليف أو الشخص الذي يتصل بالمترجم commissioner.
- منتج النص المصدر ST producer، وهو الشخص الذي يكتب النص المصدر، وليس بالضرورة أن يؤدي دورا في إنتاج النص المستهدف.
- منتج النص المستهدف TT producer، سواء المترجم أو مكتب الترجمة.
- مستخدم النص المستهدف TT user، على سبيل المثال المشتغل بتدريس الترجمة أو نشر وتوزيع الأدب المترجم.
- متلقي النص المستهدف TT receiver، وهو المتلقي النهائي للنص المستهدف، على سبيل المثال الطلاب الدارسون للأدب المترجم، أو قراء الأدب المترجم.

ويؤكد نموذج فعل الترجمة على:

1 - تباين الهدف الرئيسي والأهداف الثانوية من الترجمة بين هؤلاء اللاعبين.

2 - إنتاج نص مستهدف يمكنه أن يحقق وظيفة توصيل النص للمتلقي functionally communicative. وهذا يعني - على سبيل المثال - أن شكل ونوع النص المستهدف يحكمهما ما تراه الثقافة المستهدفة ملائما وظيفيا وليس مجرد ما ورد في النص المصدر، وهو ما يحدده المترجم باعتباره الخبير بفعل الترجمة، ودوره أن يتيقن من حدوث الانتقال بين الثقافات على نحو مرضٍ. ولكي يتم إنتاج النص المستهدف (أو عمليات ترجمة النص وهو المصطلح الذي تستخدمه هولتس مانتاري) يجري تحليل النص المصدر لتحديد المعلومات الخاصة بالبناء والوظيفة وملامح الشكل والمحتوى. ويتكون المحتوى مما يمكن وصفه بطبقات متراكمة tectonics من المعلومات الواقعية واستراتيجية التوصيل الإجمالية، أما الشكل فيعتمد على نسيج texture من المصطلحات وعناصر الترابط.

وتعد احتياجات المتلقى هي العامل المحدد في إنتاج النص المستهدف؛ فإذا نظرنا إلى ترجمة المصطلح الوارد في دليل للمستخدم كمثال سنجد أن المترجم يحتاج إلى تبسيط المصطلحات الواردة إذا كان قارئ النص المستهدف غير متخصص مع الحفاظ على اتساق ترجمتها ليتحقق للقارئ المستهدف التماسك النصي.

وترجع أهمية نموذج هولتس مانتاري إلى الاهتمام بالسياق الثقافي والاجتماعي للترجمة الاحترافية غير الأدبية والنظر إليها من خلاله، بما في ذلك التفاعل بين المترجم والمبادر بالترجمة، وكذلك اهتمامها بالملف الوظيفي للمترجم professional profile. ولكن يؤخذ على نموذج فعل الترجمة عدم الاهتمام الكافي بمفهوم الاختلافات الثقافية على الرغم من أن أحد أهداف النموذج هو تقديم إرشادات تتعلق بالنقل من ثقافة إلى أخرى، وكذلك ما انتبهت إليه كريستيان نورد (2005)[66] من تجاهل النص المصدر؛ فرغم أن الفعالية هي المعيار الأساسي للحكم على الترجمة لكن ذلك لا يعني الترخيص للمترجم بالتلاعب بالنص المصدر؛ فلا بد من علاقة واضحة بين النص المصدر والنص المستهدف، والتي يحددها الغرض من الترجمة.

نظرية الغرض

نموذج آخر للمدخل الوظيفى إلى دراسات الترجمة هو نظرية الغرض من الترجمة skopos theory. وskopos كلمة يونانية تعني الهدف أو الغرض، وقد دخلت الكلمة في مصطلحات مبحث الترجمة في سبعينيات القرن العشرين كمصطلح دال على الغرض من النص المترجم وفعل الترجمة، ثم استفاض هانز فيرمير في شرحها في كتابه الذي حرره مع كاترينا رايس وصار مرجعا أساسيا للنظرية «وضع أساس لنظرية عامة في الترجمة» Grundlegung einer ahhgemeine Translationstheorie (1984)[67].

ورغم أن نظرية الغرض سبقت في الظهور نظرية فعل الترجمة لهولتس مانتاري فإنها جزء منها؛ إذ تتناول القيام بفعل الترجمة من خلال التعامل مع نص مصدر وفقا لغرض يقرره المترجم ولتحقيق نتيجة. وينصب اهتمام نظرية الغرض على الغرض من الترجمة الذي يحدد استراتيجيات الترجمة للوصول إلى نتيجة تتسم بالكفاية الوظيفية، وهذه النتيجة هي النص المستهدف. ووفقا لهذه النظرية فمن الأمور البالغة الأهمية للمترجم معرفة الهدف من ترجمة النص المصدر ووظيفة النص المستهدف. وتستند نظرية الغرض على المبادئ التالية[68]:

1 - يحدد الغرض طبيعة النص المستهدف.

2 - النص المستهدف يعرض معلومات من الثقافة المصدر واللغة المصدر في الثقافة المستهدفة

واللغة المستهدفة.

3 - لا يمثل النص المستهدف عرضا معكوسا للمعلومات الواردة في النص المصدر.

4 - يجب أن يتمتع النص المستهدف بالتماسك الداخلي.

5 - يجب أن يتسق النص المستهدف مع النص المصدر.

6 - تنتظم المبادئ الخمسة في بناء هرمي يحكمه مبدأ الغرض.

وتشكل هذه المبادئ إطارا متكاملا؛ فالمبدأ الثاني يربط النص المصدر والنص المستهدف بوظيفة كل منهما في السياق اللغوي والثقافي الخاص به، واللاعب الأساسي هنا في عملية التواصل عبر الثقافتين وفي إنتاج النص المستهدف هو المترجم. أما قابلية النص المستهدف لتقديم المعلومات الواردة في النص المصدر عكسيا؛ فتؤكد أن وظيفة النص المستهدف ليست بالضرورة أن تكون هي الوظيفة ذاتها في الثقافة المصدر.

ويشير المبدآن الرابع والخامس إلى مبادئ عامة تتعلق بالحكم على نجاح فعل الترجمة ونقل المعلومات؛ فالتماسك الداخلي للنص المستهدف واتساقه مع النص المصدر يعني أن «النص المستهدف يعتبر متماسكا وفقا لظروف ومعلومات متلقي النص المستهدف. أما مبدأ الولاء فيعني ضرورة تحقيق الترابط بين النص المصدر والنص المستهدف فيما يتعلق بمعلومات النص المصدر التي يتلقاها المترجم والتفسير الذي يقدمه لها، والصياغة التي يقع عليها اختياره ليقدم هذا التفسير لقارئ النص المستهدف.

لكن الترتيب الهرمي لهذه المبادئ أثار جدلا بين الباحثين لأنه يجعل المبدأ الخامس الخاص بالترابط بين النصين تاليا في الأهمية للمبدأ المتعلق بالتماسك الداخلي للنص المستهدف، والذي يقل في أهميته عن المبدأ الأول الذي يجعل من الغرض المنشود من النص المستهدف العامل الحاسم، وهو ما أطلق عليه فيرمير إنزال النص المصدر عن عرشه **dethroning**. لكن المزية الأصيلة لنظرية الغرض أنها أكدت إمكان ترجمة النص المصدر بأكثر من طريقة تبعا للغرض من النص المستهدف والتكليف الذي تلقاه المترجم. كما يقول فيرمير[69]:

على المترجم، وفقا لنظرية الغرض، أن يضع نصب عينيه المبدأ الحاكم للنص المستهدف، وأن يجعل ترجمته تعبيرا واعيا متسقا عن هذا المبدأ. لا تحدد النظرية مبدأ بعينه لكن المترجم يحدد لكل حالة المبدأ الخاص بها.

ولكي يكون فعل المترجم ملائما لكل حالة فلا بد من أن يذكر الغرض من التكليف صراحة أو ضمنا ويعرف فيرمير التكليف بأنه:

1 - الهدف من الترجمة.

2 - الظروف المطلوب توافرها لتحقيقه (بما فيها الموعد المحدد للانتهاء من الترجمة والأجر المقترح).

وكلاهما محل تفاوض بين المترجم ومن يكلفه بالترجمة. ووفقا لهذا التصور يجب أن يتمتع المترجم بصفته خبيرا بهذا النشاط بالقدرة على إبداء النصيحة للعميل/ المسؤول عن تكليفه[70]. ويحدد غرض الترجمة و/ أو التكليف طبيعة النص المستهدف، وهو ما يجعل مفهوم الكفاية يفوق في أهميته مفهوم التعادل كمعيار للحكم على فعل الترجمة[71]. وتتحقق الكفاية وفقا لرايس وفيرمير بين النص المصدر والنص المستهدف عندما يحافظ المترجم على الغرض في أثناء عملية الترجمة. بعبارة أخرى إذا حقق النص المستهدف الغرض المنصوص عليه في التكليف تمتع بالكفاية الوظيفية والتوصيلية functionally and communicatively adequate، ويصبح معنى التعادل مقصورا على الاتساق الوظيفي بين النص المصدر والنص المستهدف functional consistency، أي أن يحقق النص المصدر والنص المستهدف الوظيفة نفسها[72].

ولم تسلم نظرية الغرض من بعض الانتقادات التي تناولتها نورد (1997) وشافنر (1998)[73]:

- لا يمكن تطبيق نظرية الغرض إلا على النصوص غير الأدبية؛ إذ إن النصوص الأدبية إما ليس لها غرض، وإما أنها أكثر تعقيدا من حيث الأسلوب.
- تتباين الوظائف التي تتناولها نظرية أنواع النصوص لرايس، ونظرية الغرض لفيرمير؛ مما يجعل من العسير الجمع بينهما.
- لا تبدي نظرية الغرض الاهتمام الكافي بالطبيعة اللغوية للنص المصدر، ولا بإعادة إنتاج ملامح النص، وحتى إذا تحقق الغرض واتسم بالكفاية فربما لا يتمتع بالكفاية على مستوى الوحدات الأسلوبية والدلالية المفردة.
- تغفل نظرية الغرض الحديث الفروق الثقافية رغم أهميتها لتحديد الغرض وكيفية تحقيقه.

وحاول أنصار نظرية الغرض تفنيد الانتقادات فيما يتعلق بغياب الغرض من ترجمة النصوص الأدبية فقال فيرمير[74] إن الغرض أو الهدف أو القصد ينسب إلى الأفعال؛ فهدف الشاعر أو المترجم هو نشر العمل المترجم، وأن يتمتع بحقوق الملكية الفكرية لهذا العمل ليتكسب منه، وقد يكون الغرض أن ينتج عملا إبداعيا لذاته.

وكان وعي كريستيان نورد بالنقد الموجه إلى نظرية الغرض بإغفال الطبيعة اللغوية للنص المصدر دافعا كي تضع نموذجا يأخذ الجانب اللغوي في الاعتبار، من خلال نموذجها لتحليل النصوص المترجمة في كتاب «بعنوان تحليل النصوص في الترجمة» Text Analysis in Translation الذي صدرت طبعته الأولى بالألمانية (1988)، والطبعة الثانية بالإنجليزية (2005). وتجمع نورد بين

النموذج الوظيفي وعناصر من مبحث تحليل النصوص text analysis، والذي ينظر في تركيب النص على نحو يتجاوز مستوى العبارة.

وفي البداية تفرق نورد بين نوعين أساسيين من الترجمة (على مستوى النص أو عملية الترجمة نفسها)، وهما الترجمة الوثائقية documentary translation، والترجمة الهادفة (75) instrumental translation:

1 - الترجمة الوثائقية هي بمنزلة «توثيق لعملية تواصل في الثقافة المصدر بين المؤلف ومتلقى النص المصدر»، وتضرب مثلا عليها بالترجمة الأدبية، حيث يهيئ النص المستهدف لقارئه أن يطلع على محتوى النص المصدر وأفكاره، مع إدراك القارئ أنه يقرأ نصا مترجما. وتضيف نورد أمثلة أخرى للترجمة الوثائقية منها الترجمة الحرفية والترجمة التغريبية exoticizing translation، وفيها يحتفظ النص المستهدف بألفاظ لها خصوصية ثقافية في النص المصدر كي يحافظ على الطابع المحلي للأخير.

2 - الترجمة الهادفة، وهي بمنزلة رسالة مستقلة لتوصيل أداة من خلال فعل تواصلي جديد في الثقافة المستهدفة، وتهدف إلى تحقيق الغرض التواصلي منها من دون أن يعي القارئ أنه يقرأ أو يستمع إلى نص سبق تداوله في شكل مختلف في موقف تواصلي مختلف. وقد يكون الغرض أو الوظيفة المراد تحقيقها واحدا في النص المصدر والنص المستهدف، كما هي الحال في ترجمة دليل استخدام جهاز أو كتيب إرشادات، وهو أن يقرأه المتلقي المستهدف كأنه نص مكتوب بلغته. وقد تتباين وظيفتا النص المصدر والنص المستهدف عند ترجمة ملحمة شعرية يونانية على سبيل المثال في قالب روائي لقراء معاصرين.

ويهدف كتاب نورد في المقام الأول إلى تقديم نموذج وظيفي لتحليل النص المصدر يمكن تطبيقه على سائر أنواع النصوص، ويساعد على فهم وظيفة خصائص النص المصدر واختيار استراتيجيات الترجمة الملائمة للغرض المستهدف من الترجمة. وبهذا يشترك مدخل نورد للترجمة الوظيفية مع ما سبق وطرحه فيرمير ورايس وهولتس مانتاري واهتمام الأخيرة باللاعبين الآخرين في فعل الترجمة، لكن نورد تولي اهتماما أكبر لخصائص النص المصدر. ويقوم نموذج نورد على تحليل سلسلة متشابكة من ملامح النص المصدر داخله وخارجه ضمنته كتابها الذي أصدرته بالألمانية في العام 1988 لكنها عادت وقدمت في كتابها «الترجمة باعتبارها نشاطا هادفا» Translation as Purposeful Activity (1997) نموذجا أكثر مرونة من سابقه، ويسلط الضوء على ثلاثة جوانب للمداخل الوظيفية ذات فائدة كبرى في تدريب المترجم(76)، وهي:

1 - أهمية تكليف الترجمة translation commission1brief.

2 - الدور الذي يؤديه تحليل النص المصدر.

3 - الترتيب الهرمي الوظيفي لمشكلات الترجمة.

فيما يتعلق بتكليف الترجمة على المترجم قبل الشروع في تحليل دقيق للنص أن يقارن ملفي النص المصدر والنص المستهدف وفق تعريفهما في تكليف الترجمة ليرى مواطن التباين بينهما. ولا بد من أن يتضمن تكليف الترجمة المعلومات التالية عن كلا النصين: الوظائف المستهدفة من النص، المرسل والمتلقي، مكان وزمان تلقي النص، الوسيط (منطوقا أو مكتوبا)، الدافع (لماذا كتب النص ولماذا يترجم)، والهدف من هذه المعلومات أن تساعد المترجم على ترتيب المعلومات التي سيتضمنها النص المستهدف وفق أولويتها.

بعد مقارنة ملفي النص المصدر والنص المستهدف يبدأ تحليل النص المصدر لتحديد أولويات الأهداف التي تحققها استراتيجية الترجمة، وقد يسهم في ذلك تحديد بعض العوامل من داخل النص والتي توردها نورد كالتالي:

- الموضوع subject matter.
- المحتوى content، ويشمل التماسك النصي والإيحاءات.
- الافتراضات المسبقة presuppositions، وتعني المعلومات المتعلقة بالعالم الخارجي والمفترض أنها مشتركة بين أطراف عملية الترجمة.
- التكوين composition، ويشمل المستويات الكبرى macrostructure، والمستويات الصغرى microstructure من بناء النص.
- العناصر غير اللفظية non – verbal، وتشمل الرسوم التوضيحية وشكل الخط.
- الجانب اللفظي lexic، ويشمل اللهجة والنطاق اللغوي register، والمصطلحات المتخصصة.
- تركيب الجملة وخصائص النص الفوقية suprasegmental features، وتشمل النبر stress، والإيقاع rhythm، والترقين punctuation.

وتؤكد نورد أنه لا يهم النموذج اللغوي المستخدم لتحليل نص بقدر أهمية أن يقدم تحليلا تداوليا للمواقف التواصلية التي يحتويها النص، وأن يستخدم النموذج ذاته لتحليل النص المصدر، وتكليف الترجمة حتى يمكن مقارنة النتائج التي يكشف عنها النموذج.

ويكون الترتيب الهرمي الوظيفي على النحو التالي:

- تحديد الوظيفة المستهدفة من الترجمة، سواء كانت الترجمة وثائقية أو هادفة.
- تحديد العناصر الوظيفية التي ستُطوَّع لتلائم متلقي النص المستهدف بعد تحليل تكليف الترجمة.

- يحدد نوع الترجمة المطلوبة أسلوب الترجمة فإما أن يقتفي أثر الثقافة المصدر، وإما أن يخاطب الثقافة المستهدفة.
- ينظر المترجم في مشكلات النص ويتناولها على المستوى اللغوي الأدنى وفقا للعناصر التي كشف عنها تحليل النص في النقطة الثانية أعلاه.

ويرى منداي[77] أن نموذج نورد المقترح يجمع بين نقاط القوة في عدد من النظريات الوظيفية ونظريات الفعل، منها على سبيل المثال:

- تحليل تكليف الترجمة الذي يكمل ما نادت به هولتس مانتاري من الاهتمام بالأطراف المشاركة في فعل الترجمة.
- الاهتمام بالوظائف المستهدفة من النص يقتفي أثر نظرية الغرض عند رايس وفيرمير من دون أن يمنح الأولوية المطلقة للغرض على حساب سائر العناصر الأخرى.
- يهتم تحليل النص المصدر عند نورد، والذي يبين تأثير نموذج رايس لأنواع النصوص بالوظيفة التواصلية للنص المصدر وملامح النوع الذي ينتمي إليه واللغة التي يستخدمها من دون أن يتقيد بصرامة التصنيف الذي وضعته رايس.

مداخل تحليل الكلام/ الخطاب وتحليل النطاق اللغوي

شهدت دراسات الترجمة في التسعينيات تأثيرا واضحا لمبحث تحليل الكلام/ الخطاب discourse analysis الذي يتشابه مع مدخل تحليل النص عند كريستيان نورد في اهتمام كليهما بتركيب النص على مستوى أعلى من مستوى الجملة لكنهما يختلفان في منظور كل منهما؛ إذ يركز مبحث تحليل النص في العادة على تركيب النص (من حيث التماسك النصي وبناء الجملة)، بينما ينظر مبحث تحليل الكلام في كيفية توصيل اللغة للمعنى وعلاقات السلطة أو القوة والعلاقات الاجتماعية التي يكشف عنها النص، وكان التأثير الأكبر بلا منازع لنموذج هاليداي «النحو الوظيفي المنهجي» systemic functional grammar، والذي يعنى بدراسة اللغة كوسيلة للتواصل حيث يتشكل المعنى من الاختيارات اللغوية للكاتب ويربطها ربطا منهجيا بإطار ثقافي واجتماعي أوسع. ويستعير نموذج هاليداي تقسيم بوهلر الثلاثي لوظائف اللغة الذي سبقت الإشارة إليه، ويؤكد العلاقة المتبادلة المتشابكة بين التركيب السطحي لوظائف اللغة والإطار الثقافي والاجتماعي. وعلى هذا يتأثر نوع النص genre الذي يحقق وظيفة تواصلية معينة وليكن خطاب عمل - على سبيل المثال - بالإطار الثقافي والاجتماعي الذي ينتج النص من خلاله، وبدوره يؤثر نوع النص في النطاق اللغوي register الذي يتكون من ثلاثة عناصر[78]:

- المجال field، وهو في المثال السابق محتوى الخطاب الخاص بتسليم بضائع.
- اتجاه الكلام من المرسل إلى المتلقى tenor، وفي المثال السابق مندوب مبيعات وعميل.
- طريقة أو شكل التواصل mode، وفي هذه الحالة يكون كتابة.

ويتصل كل عنصر من عناصر النطاق بخيط من خيوط المعنى strand of meaning، وتشكل في مجموعها دلالة كلام النص discourse semantics والتي تؤدي ثلاث وظائف رئيسية metafunctions، واحدة خاصة بمحتوى الفكرة ideational، والثانية فيما بين الأشخاص interpersonal، والثالثة وظيفة نصية textual. وتتحقق الوظائف الثلاث من خلال البناء النحو لفظي lexicogrammatical للنص، أي اختيار الألفاظ والتراكيب والأبنية كما يلي:

- يرتبط مجال النص بالمعنى المتصل بالفكرة والذي يتحقق من خلال صيغ التعدي transitivity (أنواع الأفعال، وصيغ المبني للمعلوم والمبني للمجهول، وأطراف الفعل).
- يتحقق الاتجاه من خلال خيط المعنى المتعلق بأطراف عملية التواصل، ويجسده الأسلوب المستخدم modality، ويشمل الأفعال المساعدة والأحوال والألفاظ التي تحمل أحكاما أو تقييما.
- يتصل شكل التواصل بالمعنى النصي والذي يتحقق من خلال أبنية تركيب المعلومات والمضامين الواردة في النص thematic and information structure، خاصة ترتيب العناصر الواردة في العبارات وبناؤها والتماسك النصي cohesion من استخدام للضمائر والحذف ellipsis، والتصاحب اللفظي collocation.

وكما يتضح يحظى تحليل الوظائف بأهمية كبيرة في نموذج هاليداي؛ فالعلاقة الوثيقة بينها وبين الأبنية النحوية واللفظية تعني أن تحليل صيغ التعدي والأسلوب وبناء المعلومات والتماسك تكشف عن كيفية تحقيق هذه الوظائف وكيف يتشكل المعنى[79].

نموذج هاوس لتقييم جودة الترجمة

كان لنموذج هاليداي تأثير واضح في نموذج جوليان هاوس الذي ارتكز على تحليل النطاق اللغوي أحد عناصر نموذج هاليداي. وعلى الرغم من بعض أوجه الشبه بين نموذج هاوس بما يتضمنه من تصنيف وتحليل للنصوص ونماذج التحليل الوظيفي التي سبقت الإشارة إليها فإن الأول ينفرد ببعض الملامح منها عدم الأخذ بمفهوم ملائمة الترجمة القائم على التوجه نحو القارئ المستهدف وإبداله بتحليل مقارن للنص المصدر والنص المستهدف للوصول إلى تقييم جودة الترجمة وتحديد مواضع عدم التطابق.

وتعرض نموذج هاوس الذي وضعته في العام 1977 لانتقادات تتعلق بصعوبة التحليل والمصطلحات الواردة به وإغفال تطبيقه على نصوص أدبية [80]، ثم أخرجت نموذجا معدلا في العام 1997 استعانت فيه بتحليل هاليداي لعناصر النطاق الثلاثة لمقارنة النص المصدر بالنص المستهدف وفقا للعناصر اللفظيــة والتركيبيــة والنصيــة التي يستعين بها النصــان. وتشير الوسائل النصية إلى[81]:

- دينامية بدايات الجمل thematic dynamics وتماسكها.
- علاقات الربط بين العبارات clausal linkage كعلاقات الإضافة additive والاستدراك adversative.
- الروابط الأيقونية iconic linkage، مثل توازي الأبنية في النص.

وفي نموذج هاوس يشير مصطلح النطاق إلى عناصر تزيد على ما أشار إليه هاليداي، فيشير عنصر المجال إلى الموضوع والفعل الاجتماعي وخصوصية الألفاظ ويشير الاتجاه إلى الإطار الزماني والمكاني والاجتماعي للمرسل، وكذلك إلى مستواه الثقافي وحالته الشعورية ووجهة نظره الشخصية والأسلوب، إن كان أسلوبا رسميا أو غير رسمي. أما الطريقة فتتعلق بوسيلة التواصل مكتوبة كانت أو شفاهية، ووسيلة المشاركة في الحديث (مونولوجا أو حوارا بين شخصين)[82].

ويشمل نموذج هاوس الخطوات التالية[83]:

- إعداد ملف لنطاق النص المصدر.
- إضافة وصف لنوع النص المصدر إلى الملف بناء على تحليل النطاق.
- تمثل الخطوتان الأولى والثانية توصيفا لوظيفة النص المصدر statement of function، بما في ذلك الخاص، وما بين الأشخاص والآخر الخاص بالفكرة اللذين يدخلان في تعريف الوظيفة (أي ماهية المعلومة التي يوصلها النص والعلاقة بين المرسل والمتلقي).
- يُعمل التوصيف نفسه للنص المستهدف.
- يُقارَن ملف النص المستهدف بملف النص المصدر، وتُحدَّد أوجه عدم التطابق mismatch أو الخطأ، وتصنف وفقا لنوع النص وعناصر النطاق.
- يوضع تقييم لجودة الترجمة.
- تصنف الترجمة إلى أحد نوعين: صريحة overt، أو مستترة covert.

وتعرف هاوس الترجمة الصريحة[84] بأنها نص مستهدف لا يزعم أنه نص أصلي، وترى هاوس أنه في مثل هذا النوع من الترجمات يجب أن يتحقق التعادل على مستوى اللغة أو النص، وعلى مستوى النطاق والنوع، وكذلك لا يمكن أن تكون وظيفة النص المصدر والنص المستهدف

واحدة لاختلاف عالم الخطاب discourse world الذي ينتمي إليه كلاهما، ولهذا تقترح هاوس تعادلا وظيفيا من المستوى الثانيsecond - level functional equivalence يتيح النص المستهدف من خلاله التعرف على وظيفة النص المصدر، أو كما تسميه هوس أن «يسترق» متلقو النص المستهدف «السمع» eavesdrop على النص المصدر.

أما الترجمة المستترة فهي الترجمة التي تتمتع بمكانة نص مصدر في الثقافة المستهدفة[85]، وتكون وظيفتها أن تعيد خلق أو إنتاج أو تمثيل الوظيفة التي يؤديها النص الأصلي - في إطاره الثقافي واللغوي وفي عالم الخطاب الذي ينتمي إليه - في النص المترجم وفي هذه الحالة يكون تحقيق التعادل ذا أهمية على مستوى النوع ووظيفة النص[86].

نظرية تعدد النظم

كما كانت نظرية الغرض ومبحثا تحليل الكلام وتحليل النطاق اللغوي محاولات للخروج بالمناهج اللغوية في دراسة الترجمة من التحليل على مستوى الكلمة أو الجملة إلى أفق أرحب ينظر في اللغة من منظور وظيفتها الاجتماعية والثقافية جاءت نظرية تعدد النظم polysystem theory في السبعينيات على يد إيتامار إيفن - زوهار[87] لتدعم هذا التوجه داعية إلى النظر في الأدب المترجم باعتباره نظاما يعمل ضمن منظومة أكبر تتكون من النظم الأدبية والاجتماعية والتاريخية للثقافة المستهدفة. ويرى إيفن - زوهار أن الأدب المترجم يمثل نظاما من حيث طريقة اختيار النصوص للترجمة، ومن حيث تأثر سياسات وأعراف الترجمة بالأنظمة الأخرى[88]. ويتفاعل نظام الأدب المترجم مع الأنظمة الأخرى في لحظة تاريخية معينة فتنشأ عملية دينامية تحدد موقع الأدب المترجم داخل المنظومة الأكبر؛ فقد يحتل موقعا أساسيا إذا كان الظرف التاريخي يميل إلى التجديد ويرحب بالأخذ بنماذج أدبية من ثقافات أخرى، كما في الحالات الآتية:

1 - ظهور أدب وليد يتطلع إلى آداب أمم أخرى سابقة عليه ليستلهم منها نماذج أدبية جاهزة.

2 - عندما يكون الأدب هامشيا وضعيفا وفي حاجة إلى استيراد أنماط أدبية يفتقر إليها.

3 - لحظات التحول الأدبي في تاريخ أمة عندما لا تفي الأنواع الأدبية الراسخة بمتطلبات المرحلة التاريخية، أو تعاني الأمة فراغا في نظامها الأدبي لا سبيل لملئه إلا بأدب مترجم.

أما إذا كان موقع الأدب المترجم ثانويا داخل النظام المتعدد فلن يكون ذا تأثير، ويصبح جزءا من النظام التقليدي الأدبي القائم. ويرى إيفن - زوهار نظام الأدب المترجم ذاته مقسما إلى طبقات يحتل موقع الصدارة فيه الأدب المترجم من الآداب العالمية الكبرى مقارنة بما يترجم من آداب أقل انتشارا.

وتتحدد استراتيجية الترجمة وفقا لموقع الأدب داخل النظام المتعدد[89]، فإن كان أساسيا يتحرر المترجمون من سطوة تقاليد الأدب المستهدف ويخرجون عليها، أما إذا كان ثانويا فسيستعينون بالنماذج الأدبية القائمة في الثقافة المستهدفة لإنتاج الترجمة. وهذا التباين هو ما قد يفسر اختلاف ترجمة نص ما على مدى فترات زمنية مختلفة كما يقول جنتزلر (2001)[90]، وهو ما يراه من نقاط قوة نظرية تعدد النظم لأنها تقدم تفسيرا لحالات التغيير بين النص المصدر والنص المستهدف خارج إطار مفهوم التعادل الذي تبنته المداخل اللغوية للترجمة السابقة على ظهور نظرية تعدد النظم.

توري ودراسات الترجمة الوصفية

كان اهتمام جدعون توري بنظرية تعدد النظم دافعا لوضع نظرية عامة للترجمة تقدم وصفا منهجيا لناتج الترجمة والدور المؤثر للنظام الاجتماعي والثقافي في كتابه «دراسات الترجمة الوصفية وما بعدها» Descriptive Translation Studies - And Beyond (1995)[91]. ويقوم المدخل الوصفي على منهجية من ثلاث مراحل[92]:

1 - تحديد موقع النص المترجم داخل نظام الثقافة المستهدفة والنظر في أهميته ودرجة قبوله.

2 - مقارنة النص المصدر والنص المستهدف للكشف عن التغييرات وتحديد العلاقة بين مقاطع النصين.

3 - محاولة الوصول إلى تعميمات تفسر عملية الترجمة.

ويقول توري إن الهدف من المرحلة الثالثة هو تمييز اتجاهات الترجمة المتبعة للوصول إلى تعميمات فيما يتعلق بعملية اتخاذ القرار التي يقوم بها المترجم، ثم إعادة بناء المعايير norms التي كشفت عنها المنهجية ووضع فرضيات يمكن التحقق من صحتها في دراسات وصفية مستقبلية. ويعرف توري المعايير بأنها[93]:

ترجمة القيم العامة أو الأفكار التي يعتنقها مجتمع فيما يتعلق بالصواب والخطأ، وما يتسم بالكفاية أو يفتقر إليها، إلى تعليمات أداء تلائم مواقف معينة وقابلة للتطبيق عليها.

ويضيف توري أن المعايير هي القيود الاجتماعية والثقافية الخاصة بثقافة ومجتمع وفترة زمنية، ويكتسبها الفرد من خلال التعليم والتنشئة الاجتماعية. ويضع توري المعايير في منزلة بين القواعد rules، والنزعات الفردية idiosyncracies[94]، وهي التي تحدد نوع ومدى التعادل الذي يتحقق في الترجمة[95].

ويمكن إعادة بناء المعايير من خلال[96]:

1 - فحص النصوص المترجمة والذي سيكشف عن سلوك منتظم أو اتجاه العلاقات والتقابلات بين مقاطع النص المصدر والمستهدف وعملية الترجمة كما يراها المترجم.

2 - تصريحات المترجمين والناشرين ومن يقدمون عرضا للعمل المترجم وسائر المشاركين في عملية الترجمة.

ويقسم توري المعايير إلى(97):

- معايير أولية initial norms، وهي الاختيارات العامة للمترجم؛ فإما أن يختار معايير الثقافة المصدر فينتج نصا يتصف بالكفاية adequate، وإما يختار معايير الثقافة المستهدفة فينتج ترجمة تتسم بالقبول acceptable. ويؤكد توري أن المترجمين كثيرا ما ينتجون نصوصا تجمع الاختيارين.
- معايير تمهيدية preliminary norms، وتشمل سياسة الترجمة translation policy، أو العوامل التي تحدد اختيار نصوص لترجمتها وdirectness of translation، أو مباشرة الترجمة، ويقصد به إذا كانت الترجمة تتم من خلال اللغة المصدر مباشرة، أو من خلال لغة وسيطة، ومدى قبول الثقافة المستهدفة لذلك.
- معايير عملية operational norms، وتتعلق بطريقة عرض النص المستهدف ومادته اللغوية، وتشمل معايير خاصة بالشكل أو القالب matricial norms توضح درجة اكتمال النص المستهدف، وإذا ما تعرض للإضافة أو الحذف أو إعادة ترتيب فقرات منه ومعايير لغوية - نصية textual - linguistic norms، والتي تحكم اختيار العناصر اللفظية والملامح الأسلوبية.

ويقول توري إن الهدف من دراسة المعايير السائدة هو الوصول إلى قوانين احتمالية للترجمة probabilistic laws تسهم في استخلاص سمات عالمية للترجمة universals of translation. ويقترح توري قانونين هما(98):

1 - قانون الاتجاه المتزايد إلى التوحيد the law of growing standardization، ويقصد به تعرض العلاقات النصية في النص المصدر إلى التعديل، وقد يصل الأمر إلى تجاهلها تماما لمصلحة اختيارات معتادة يقدمها النص المستهدف.

2 - قانون التدخل the law of interference الذي يرى أن تدخل الملامح اللغوية للنص المصدر في النص المستهدف هو الأساس، وقد يكون سلبيا إذا نتجت عنه أنماط لغوية لا تتماشى مع أنماط اللغة المستهدفة، وقد يكون إيجابيا إذا تماشت معها.

وجذب مفهوم المعايير باحثين آخرين منهم أندرو تشسترمان (1997)(99) الذي اقترح مجموعة معايير تفسر ما تناوله توري من خلال المعايير الأولية والعملية. وقسم توري المعايير المقترحة إلى(100):

1 - معايير المنتج أو التوقع product or expectancy norms، وتتعلق بتوقعات القراء تجاه الترجمة، وتؤثر فيها تقاليد الترجمة المهيمنة في الثقافة المستهدفة، وأعراف الخطاب المتعارف عليها في أنواع الكتابة في اللغة المستهدفة، والاعتبارات الاقتصادية والأيديولوجية.

2 - معايير مهنية professional norms والتي تنظم عملية الترجمة، وتتحدد وفقا لمعايير التوقع، وتليها في الأهمية وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ - معيار المساءلة accountability norm، وهو معيار أخلاقي ethical، ويشير إلى أداء المترجم مهمته على أكمل وجه، والتزامه بمسؤوليته نحو من كلفه بالترجمة والقارئ.

ب - معيار التوصيل communication norm، وهو معيار اجتماعي يلزم المترجم بالتيقن من اتمام عملية توصيل الرسالة المتضمنة في الترجمة إلى أقصى حد.

جـ - معيار الصلة relation norm، وهو معيار لغوي يهتم بالصلة بين النص المصدر والنص المستهدف، في ضوء رؤية المترجم لنوع النص، ورغبات من يتولى تكليف المترجم، ومقصد كاتب العمل الأصلي والقارئ المحتمل وحاجاته المفترضة.

التحول نحو الثقافة والأيديولوجيا

تزامن الاهتمام بالسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي تتم من خلاله الترجمة والذي انتهجته نظرية تعدد النظم وما تبعها من دراسات مع جهود باحثين من أمثال سوزان باسنيت وأندريه ليفيفير اللذين رفضا في مقدمة كتابهما «الترجمة والتاريخ والثقافة» Translation, History and Culture (1990)[101] النظريات اللغوية للترجمة التي وسعت مفهوم الترجمة من الكلمة إلى النص لكنها لم تتجاوزه، وكذلك رفضا المقارنات المضنية بين النصوص الأصلية وترجماتها، والتي لا تنظر إلى موقع النص في بيئته الثقافية. ومن ثم اهتما بالتفاعل بين الترجمة والثقافة من حيث تأثير الثقافة في الترجمة والحدود التي ترسمها، وأهمية السياق والتاريخ والأعراف. كما اهتما بصورة الأدب كما تقدمها كتب المختارات الأدبية والتعليقات والشروح والأفلام المقتبسة عن أعمال أدبية، والترجمات والمؤسسات التي تضطلع بهذه الأنشطة. وهذا التحول من مفهوم الترجمة كنص إلى ثقافة وسياسة، هو ما أطلقت عليه ماري سنل هورنبي «التحول نحو الثقافة» The cultural turn (1990)[102]، والذي صار عنوانا للاتجاه الذي ساد دراسات الترجمة منذ التسعينيات. وكان كتاب باسنيت وليفيفير في محتواه نموذجا لهذا التحول بما تضمنه من أبحاث تتناول التفاعل بين الترجمة والثقافة، كما يتضح في معايير الترجمة في عصور مختلفة، والسلطة التي تنطوي عليها صناعة النشر والسلطة التي يخضع لها الناشرون

لتحقيق أيديولوجيات معينة والكتابة النسوية والترجمة من منظور نسوي والترجمة باعتبارها «استحواذا» appropriation، والترجمة والاستعمار والترجمة باعتبارها إعادة كتابة. ثم أصدر ليفيفير كتابه «الترجمة وإعادة الكتابة والتلاعب بالشهرة الأدبية» Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame (1992)[103]؛ ليضيف إلى مبحث التحول نحو الثقافة في دراسات الترجمة.

ويركز ليفيفير في كتابه على «العوامل الملموسة» التي تتحكم تحكما ممنهجا في تلقي وقبول ورفض النصوص الأدبية، أي «موضوعات مثل السلطة والأيديولوجيا والمؤسسات المعنية والتلاعب»[104]. ويرى ليفيفير أن الأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة في هذا المجال هم الذين يعيدون كتابة الأدب ويتحكمون في استهلاك الجمهور له. وقد يكون الدافع إلى إعادة الكتابة، كما يرى ليفيفير، أيديولوجيا (القبول بالأيديولوجيا السائدة أو التمرد عليها)، أو يتعلق بأساليب الكتابة. إما بالانصياع لها وإما بالثورة عليها. ويضرب ليفيفير مثالا بإدوارد فيتزجيرالد الذي ترجم أو «أعاد كتابة» الشاعر عمر الخيام؛ لأنه كان يرى أن شعره أدنى من الشعر الإنجليزي، ولذا «اجترأ» على النص الأصلي كي «يحسنه» ويجعله يتماشى مع التقاليد الأدبية الغربية السائدة في زمنه، والتي تتماشى مع توقعات القارئ[105]. ويرى ليفيفير أن إعادة الكتابة تتحقق في الترجمة، وفي الكتابة التاريخية والمختارات الأدبية والنقد وصياغة الأعمال الأدبية، لكن الترجمة هي أكثر صور إعادة الكتابة تأثيرا على الإطلاق؛ لأنها تنقل صورة المؤلف والعمل الأدبي خارج حدود الثقافة الأصلية التي ينتميان إليها[106].

ويحدد ليفيفير ثلاثة عناصر أساسية تؤثر في النظام الأدبي الذي تعد الترجمة أحد روافده[107]:

- المهنيون داخل النظام الأدبي professionals within the literary system من النقاد والمراجعين الذين تؤثر تعليقاتهم في تلقي العمل الأدبي، والمعلمين الذين ينتخبون أعمالا أدبية بعينها لتكون جزءا من مقرر دراسي، والمترجمين أنفسهم (كما فعل فيتزجيرالد في ترجمة عمر الخيام)، من حيث اختيارهم الأسلوب الأدبي وأيديولوجية الترجمة.
- الرعاية خارج النظام الأدبي patronage outside the literary system، ويقصد بها القوى من أشخاص ومؤسسات ممن يشغلون موقع السلطة الذين في إمكانهم أن يروجوا لقراءة الأدب وكتابته وإعادة كتابته أو يعوقوا ذلك كله، ومن أمثلتهم الملكة إليزابيث الأولى في عصر شكسبير، وهتلر في ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين، أو جماعات من الناس، مثل الناشرين أو وسائل الإعلام، أو طبقة سياسية أو حزب، والمؤسسات التي تنظم تداول الأدب، مثل المجامع العلمية والدوريات الأكاديمية والمؤسسات التعليمية. وتتشكل الرعاية من ثلاثة عناصر: العنصر

الأيديولوجي الذي يحدد اختيار موضوع العمل الأدبي والشكل الذي يقدم به. ويضع ليفيفير تعريفا للأيديولوجيا يتجاوز معناها السياسي لتكون «حصيلة الأعراف والمعتقدات التي تحكم أفعالنا». العنصر الثاني هو العنصر الاقتصادي، ويعني في الأساس أجر المترجم ومن يعيد كتابة الأدب، والذي كان في الماضي عطية من القائم بالرعاية الأدبية. أما في الوقت الحالي فهو الأجر الذي يحصل عليه المترجم ونصيبه من حق استغلال الملكية الفكرية. والعنصر الثالث والأخير من عناصر الرعاية خاص بالمكانة status؛ إذ يتوقع من يمنح الرعاية الأدبية ممن يشمله برعايته أن يحقق توقعاته ومصالحه.

● **التقاليد الفنية السائدة poetics، وتشمل:**

1 - الصور البلاغية والحيل الأدبية literary devices والرموز والموتيفات الرئيسية leitmotifs.

2 - المفهوم السائد عن دور الأدب the concept of the role of literature، ويقصد به علاقة الأدب بالنظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه. وتؤثر المؤسسات داخل النظام الاجتماعي في النظام الأدبي عندما تتخذه مقياسا لتقييم الإنتاج الأدبي القائم، وبالتالي ترفع بعض الأعمال الأدبية إلى مصاف الكلاسيكيات في فترة زمنية قصيرة من نشرها، بينما تلقى أعمال أخرى رفضا وتستغرق أعمال أخرى زمنا حتى تدخل في عداد الكلاسيكيات عندما تتغير التقاليد الأدبية السائدة.

وتشغل العلاقة بين التقاليد الفنية السائدة والأيديولوجيا والترجمة جانبا مهما في كتابات ليفيفير؛ إذ يرى أنه إذا تعارضت الاعتبارات اللغوية مع الاعتبارات الأيديولوجية و/ أو الاعتبارات الخاصة بالتقاليد الفنية على أي مستوى من مستويات عملية الترجمة ستكون الغلبة للاعتبارات الأيديولوجية، سواء الخاصة بالمترجم أو التي يفرضها نظام الرعاية(108)، وأنها تحدد استراتيجية الترجمة وتقدم حلولا لبعض صعوبات الترجمة(109).

الترجمة وقضايا الجنسين

سلكت دراسات الترجمة اتجاها مختلفا في كتابات شيري سايمون كما في كتابها «قضايا الجنسين في الترجمة: الهوية الثقافية والأسس السياسية للنقل» Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission (1996)(110)، وتناولت الترجمة من زاوية دراسات النوع الاجتماعي gender؛ إذ رأت في مصطلحات الترجمة السائدة مثل الهيمنة dominance، والإخلاص faithfulness، والأمانة fidelity، والخيانة betrayal، تعصبا وتمييزا جنسيا. كما رأت وغيرها من أنصار مذهب نصرة المرأة feminism تشابها لا يخفى بين وضع الترجمة والتي ينظر إليها باعتبارها عملا ثانويا يشغل مكانة أدنى من العمل الأصلي، ووضع المرأة وما تتعرض له من

قهر اجتماعي وأدبي. وهو المبدأ الذي تستند إليه نظرية الترجمة النسوية التي تسعى إلى كشف المكانة الدنيا لكل من المرأة والترجمة في السلم الاجتماعي والأدبي[111].

وتبلور سايمون هذه الأفكار فيما تطلق عليه «مشروع الترجمة الملتزمة» committed translation project[112] الذي يلقي الضوء على ما يمكن أن تقدمه الترجمة النسوية؛ فهي لا تستهدف أن تبدي الإخلاص للمؤلف أو القارئ؛ لكن الهدف أن تبدي الإخلاص لمشروع الكتابة الذي يشارك فيه الكاتب والمترجم. وتضرب سايمون مثالا بمترجمات نسويات من كبيك في كندا اللاتي يؤكدن دائما هوياتهن النسوية في ترجماتهن، ومنهن بربارا جودارد التي لا تخفي استراتيجية الترجمة التي تتبعها، والتي تؤكد تأكيدا صريحا هويتها النسوية في تلاعبها بالنص لتبرز اختلافها عن المترجم الرجل[113]، وكذلك سوزان لوتبينبير هاroوود التي ترى في ممارسة الترجمة نشاطا سياسيا يهدف إلى أن تتكلم اللغة بلسان المرأة، فلا تتردد في استخدام جميع استراتيجيات الترجمة الممكنة لتؤكد الحضور النسوي في اللغة، ومنها استخدام ضمير المؤنث[114]. وتبرز سايمون الدور الذي أدته مترجمات في تسليط الضوء على أعمال أدبية، ومنهن كونستانس جارنيت التي اضطلعت وحدها بترجمة أمهات الأدب الروسي إلى الإنجليزية في النصف الأولى من القرن العشرين، فأصدرت في ستين مجلدا ترجمات للأعمال الكاملة لتيرجينف وتولستوي ودستوفسكي وتشيكوف وجوجول، وفي ألمانيا أدت جان ستاراونتيرمر وفيلا موير وهبلين لو - بورتر دورا مماثلا في ترجمة الأدب الألماني إلى الإنجليزية[115].

الترجمة من منظور دراسات ما بعد الاستعمار

جذبت دراسات ما بعد الاستعمار postcolonialism اهتمام الباحثين في دراسات الترجمة الذين وجدوا في هذا المبحث مدخلا ثريا يتناول تاريخ المستعمرات السابقة والإمبراطوريات الأوروبية العظمى، ومقاومة القوى الاستعمارية والخلل في ميزان القوة بين الدول المستعمرة والمستعمرة. ومن الباحثين الذي تناولوا بإسهاب هذه الموضوعات الناقدة البنغالية جياتري سبيفاك التي تناولت بالدراسة التشوه الذي أصاب أدب العالم الثالث عند ترجمته إلى الإنجليزية، في دراسة مهمة لها بعنوان «الأسس السياسية للترجمة» The Politics of Translation (1993)[116]، والتي جمعت فيها بين مذاهب النسوية وما بعد الاستعمار وما بعد البنيوية؛ لتشن هجوما على دعاة النسوية في الغرب الذين يتوقعون أن تترجم الكتابة النسوية من خارج أوروبا إلى لغة القوة، أي الإنجليزية، وهي ترجمة تأتي عادة في لغة تحمل ملامح أسلوب الترجمة translationese، وتعرفه بأنه الأسلوب الذي يمحو هوية الثقافات الأقل نفوذا ومن ينتمون إليها، ويضحى بالمثل الأعلى

الديموقراطي في سبيل قانون البقاء للأقوى؛ فيتشابه الأدب الذي تكتبه امرأة من فلسطين مع أدب يكتبه رجل من تايوان[117].

وتطالب سبيفاك دعاة النسوية في الغرب ومسؤولي النشر بأن يبدوا تضامنا حقيقيا مع النساء في البلاد التي وقعت تحت الاستعمار، وبأن يتعلموا اللغة التي تكتب بها هؤلاء النساء ويتحدثن بها، وترى سبيفاك أن سياسات الترجمة الحالية تعطي الأفضلية للإنجليزية واللغات المهيمنة الأخرى للقوى الاستعمارية سابقا، وأن الترجمة إلى هذه اللغات من البنغالية - على سبيل المثال - تخفق في ترجمة الاختلاف الذي تحمله وجهة النظر البنغالية؛ لأن المترجم، وعلى الرغم من حسن نواياه، يبالغ في تقريبه إلى القارئ الغربي كي يفهمه. أما استراتيجية الترجمة التي تدعو إليها سبيفاك فتقوم على الفهم العميق للغة النص المصدر وسياقه، مستعينة بمفاهيم ما بعد البنوية الخاصة بالبلاغة والمنطق. وتؤكد سبيفاك في كتاباتها حول الصلة بين الترجمة والاستعمار الدورَ النشط الذي أدته الترجمة في ترسيخ الاستعمار وتقديم صورة دونية ذات دوافع أيديولوجية عن الشعوب المستعمرة[118].

واهتمت الكاتبة الهندية تيجاسويني نيرانجانا بالتشابك القائم بين دراسات الترجمة ونظرية ما بعد الاستعمار، فيما يعرف بعلاقات القوة power relations، في كتاب لها «بعنوان تحديد موقع الترجمة: التاريخ وما بعد البنيوية والسياق الاستعماري» :Siting Translation History, Post - Structuralism and the Colonial Context (1992)[119]، وتقدم صورة لفترة ما بعد الاستعمار، باعتبارها مازالت تحمل آثار قوى استعمارية غائبة[120]. وترى أن الترجمة الأدبية شأنها شأن المؤسسات التعليمية واللاهوت والفلسفة وكتابة التاريخ هي أدوات الهيمنة التي تمثل الفكر الأيديولوجي للحكم الاستعماري[121]. وينصب اهتمام نيرانجانا على كيفية استغلال القوى الاستعمارية الترجمة إلى الإنجليزية لصنع صورة للشرق أُعيدت كتابتها وصياغتها لتصبح هي الحقيقة. فالترجمة كممارسة «تشكل علاقات القوة غير المتوازنة التي يظهر تأثيرها تحت الاستعمار، ليس هذا فقط بل تتأثر الترجمة بهذه العلاقات وتتشكل من خلالها»[122].

ولا تسلم دراسات الترجمة نفسها من انتقادات نيرانجانا بسبب التوجه الغربي الذي تحمله، وما ينتج عنه من مثالب تجملها في ثلاثة[123]: إن دراسات الترجمة لم تولِ الاهتمام الكافي للخلل في توازنات القوى بين اللغات المختلفة، وأن العديد من المفاهيم التي تستند إليها دراسات الترجمة تتسم بالسطحية، مثل النص والمؤلف والمعنى، وأن المشروع الإنساني الذي تدعو إليه الترجمة في حاجة إلى المراجعة؛ إذ تؤسس الترجمة صورة ذهنية للسيطرة الاستعمارية في خطاب الفلسفة الغربية.

وترى نيرانجانا أن السبيل للخروج من هذا المأزق هو طرح كل ما يتعلق بالاستعمار والحركات الوطنية الليبرالية للمناقشة من جديد؛ فليست المسألة فقط أن نتجنب صور التمثيل الغربي، بل العمل على تفكيك الغرب المهيمن من الداخل وصولا إلى تفكيك وتحديد السبل التي يصور بها الغرب كل ما هو غير غربي ويهمشه، وبذلك يمكن مقاومة محاولات الغرب لقمع وإخضاع الغير واحتوائه(124)، وهو ما تطلق عليه مذهب تدخل المترجم an interventionist approach from the translator [125].

وكان لاختلال توازن القوى - في سياق ما بعد الاستعمار - نصيب كبير في كتاب سوزان باسنيت وهاريش تريفيدي «الترجمة فيما بعد الاستعمار: النظرية والممارسة» Postcolonial Translation: Theory and Practice (1999) [126]، ويؤكد المؤلفان في المقدمة أن علاقات القوة تتجسد أوضح ما تكون في الصراع غير المتكافئ بين اللغات المحلية العديدة واللغة المهيمنة الوحيدة في عالم ما بعد الاستعمار، وهي اللغة الإنجليزية، ولذا فالترجمة ساحة للصراع الدائر في فترة ما بعد الاستعمار[127].

ومن المصطلحات التي أفرزها مذهب ترجمة ما بعد الاستعمار، ويطالعها دارسو الترجمة مصطلحان وطيدا الصلة، هما: الترجمية translational، وعبر الوطنية transnational، والمصطلح الأخير تحديدا يقصد به أبناء حقبة ما بعد الاستعمار الذين يعيشون بوصفهم مهاجرين بين عدة أمم، ويشير في سياقه الأوسع إلى القطيعة المكانية locational disrupture التي تصف حال هؤلاء[128].

ومن المصطلحات الأخرى التي ظهرت حالة البقاء في المنتصف in – betweenness، والحيز الثالث third space، والهجين hybridity، والاختلاف الثقافي cultural difference، وهي المصطلحات التي يستخدمها الكاتب والناقد الهندي هومي بابا لطرح نظريته حول الهوية والفاعلية والانتماء في كتابه «موقع الثقافة» The Location of Culture (1994)[129]. ويرى بابا أن الخطاب الاستعماري معقد ومستتر لكن يمكن تخريب سلطته بإنتاج هجين ثقافي cultural hybridity يتيح لمن عانى من الاستعمار مساحة للتعبير عن نفسه enunciative space، بحيث يتشابك مع خطاب المستعمر ومن ثم يقوضه. ولهذا تأثيره في الترجمة كما توضح ميكاييلا وولف (2000)[130]، فلن يصبح المترجم وسيطا بين قطبين مختلفين لكن سيضطلع بنشاط يتسم بالتداخل الثقافي الذي يحمل معنى ضمنيا بالاختلاف.

وكان لآراء هومي بابا تأثير واسع فتبنى ساثيا راو الأستاذ بجامعة البرتا (2006) رأيا يتعرض لما ذهب إليه بابا من تقويض الخطاب الاستعماري، وأتى بمصطلح نظرية ترجمة غير استعمارية

non - colonial translation theory الذي يعني أن النص المصدر «يتمتع برسوخ جوهري لا يبالي بالعالم الاستعماري ولذا فهو غير قابل للترجمة إلى لغته»(131).

ولم يقتصر مذهب الترجمة في فترة ما بعد الاستعمار على أدب البلدان الواقعة خارج أوروبا، بل كان للأدب الأوروبي، وتحديدا الأدب الإيرلندي، نصيب من اهتمام الباحثين، ومنهم مايكل كرونين وكتابه «ترجمة إيرلندا» Translating Ireland (1996)(132)، وماريا تيموشكو في كتابها «الترجمة في سياق ما بعد الاستعمار» Translation in Context a Postcolonial (1999)(133). ويهاجم كرونين في كتابه الباحثين، من أمثال نيرانجانا، الذين أقاموا حجتهم «على التضاد السطحي بين أوروبا والعالم الجديد، أو أوروبا والمستعمرات»، ولتجاهلهم «الاستعمار الداخلي» داخل أوروبا نفسها(134). ويركز كرونين على دور الترجمة في المعركة اللغوية والسياسية بين اللغتين الإنجليزية والإيرلندية، ويتناولها من زوايا تاريخية وسياسية وثقافية ليبرز كيف استخدمت الترجمة واللغة لخدمة مصالح المستعمر الإنجليزي، وإن لم تخل من فائدة للإيرلنديين فيشير كرونين إلى ما كتبه الشاعر الإنجليزي أدموند سبنسر في العام 1596 عن فضل ترجمة الشعر الإيرلندي إلى الإنجليزية في تغيير الصورة النمطية للإيرلندي الهمجي(135)، ولم تختلف الحال كثيرا في القرون التالية، فكانت الترجمة إلى الإنجليزية في إيرلندا في القرن الـ 17 تلقى دعما من المؤسسات التعليمية، وطبقة ملاك الأراضي من الأرستقراطيين والكنيسة، وجانب كبير ممن قدموا للاستيطان في إيرلندا، حيث كان استخدام الإنجليزية يأتي لصاحبه بحوافز اقتصادية وسياسية. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أصدر العلماء والمفكرون الإيرلنديون ترجمات من الإيرلندية إلى الإنجليزية تناهض النظرة الإنجليزية الاستعمارية للتاريخ والأدب الإيرلندي وتدافع عن ثقافتهم(136). وحاليا يتولى مجلس الأداب في إيرلندا ترجمة ما يصدره الكتاب الإيرلنديون من أعمال باللغتين الإنجليزية والإيرلندية إلى اللغات الأوروبية الأخرى. وينقل كرونين عن لورنس كاسيدي عضو المجلس قوله عن أهمية أن تضطلع دولة مستقلة مثل إيرلندا، لها أدب مزدوج اللغة، بتقديم تصورها لهذا الأدب، وألا تتركه لدور النشر الإنجليزية في لندن التي تروج للمكاسب الاقتصادية والسياسية ولا تلقي بالا لصورة إيرلندا(137). ويكشف الموقف السياسي الذي يتبناه كرونين أن علاقات القوى في فترة ما بعد الاستعمار لا تقتصر فقط على ثنائية الشرق والغرب أو الشمال والجنوب(138).

مكانة المترجم وحضوره

تشعبت دراسات الترجمة، خاصة التي تناولت الترجمة من منظور ثقافي، لتسلط الضوء على مكانة المترجم والدور الذي يؤديه والأطراف الأخرى الفاعلة في عملية الترجمة، ومن هؤلاء الباحث

لورنس فينوتي الذي وجد أن الحاجة ملحة إلى التوسع في نطاق دراسات الترجمة لتشمل الإطار الثقافي والاجتماعي للترجمة وما يعكسه من قيم. ولذا وجه نقده إلى نظريات الترجمة التي تطمح إلى وضع أعراف وقوانين صارمة للترجمة دون اعتبار للخصوصية الثقافية. واهتم فينوتي باللاعبين المؤثرين في مجال الترجمة والنشر، خصوصا الناشرين والمحررين الذين يتولون اختيار الأعمال التي تترجم، وتكليف المترجمين ودفع أجورهم، وعادة ما يحددون طريقة الترجمة إضافة إلى وكلاء الأدباء والقائمين بالتسويق والمبيعات والمراجعين. ويولي فينوتي اهتماما بمن يكتبون عروضا للكتب reviewers الذين تتحكم تعليقاتهم في قراءة وتلقي الترجمات في الثقافة المستهدفة. ويقول فينوتي إن لكل من هؤلاء دورا في الثقافة السائدة التي ينتمي إليها، والأجندة السياسية المعمول بها والتي تتغير بتغير المكان والفترة الزمنية خاصة للمترجمين، فهم جزء من هذه المنظومة، وفي إمكانهم القبول بها أو التمرد عليها. ومن الظواهر التي يرصدها فينوتي في الثقافة الأنجلوأمريكية ما يطلق عليه اختفاء المترجم invisibility في كتاب له صدر في العام 1995 بعنوان «اختفاء المترجم: تاريخ الترجمة»The Translator's Invisibility: A History of Translation[139]، والذي يحدث عندما:

1 - يميل المترجم إلى تقديم ترجمة سلسة إلى الإنجليزية تلتزم بالمصطلح اللغوي للغة الإنجليزية، بهدف خلق نص تسهل قراءته في الثقافة المستهدفة، وهو ما يخلق «وهم الشفافية».

2 - عندما يكون معيار قبول النص المترجم، سواء كان نثرا أو شعرا، قصصيا أو غير قصصي، لدى الناشرين ومن يكتبون عروض الكتب والقراء هو سلاسته وخلوه من أي خصوصية أسلوبية أو لغوية؛ فيشعر القارئ بأن هذا هو أسلوب مؤلف العمل الأصلي، وأن ما يقرأه عمل أصيل وليس ترجمة.

ويرى فينوتي أن السبب في هذا هو «المفهوم السائد عن مفهوم التأليف»، والذي يجعل من الترجمة عملا ثانويا يلي في الأهمية العمل الأصلي[140]. ويناقش فينوتي ارتباط فكرة اختفاء المؤلف باستراتيجيتين للترجمة، هما إضفاء الطابع المحلي أو التقريب domestication، وإضفاء الطابع الأجنبي أو التغريب foreignization اللذان يتضحان في اختيار العمل للترجمة وأسلوب الترجمة[141]. ويرجع فينوتي هاتين الاستراتيجيتين إلى شلايرماخر ومقاله Über die verschiedenen Methoden des Übersetzens (1831)، فاستراتيجية الترجمة التي تسود ثقافة الترجمة الأنجلوأمريكية، والتي تختزل السمات العرقية للنص الأجنبي ليتواءم مع القيم الثقافية للغة المستهدفة (الإنجليزية) تجسد ما أشار إليه شلايرماخر بالترجمة «التي تترك القارئ في سلام وتأتي إليه بالمؤلف». أما إضفاء الطابع الأجنبي فيعني «اختيار نص

أجنبي وترجمته على نحو تستبعده القيم الثقافية السائدة في اللغة المستهدفة»[142]، كما يوضح فينوتي، وهو الأسلوب الذي يستحسنه شلايرماخر، حيث «يترك المترجم الكاتب في سلام ويأتي إليه بالقارئ». ويرى فينوتي أن استراتيجية إضفاء الطابع الأجنبي تمارس ضغطا على القيم الثقافية للغة المستهدفة بمخالفة السائد لتأكيد الاختلاف الثقافي واللغوي للنص الأجنبي في محاولة لكبح جماح قيم التقريب التي يفرضها العالم الناطق بالإنجليزية. ويطلق فينوتي على استراتيجية التغريب استراتيجية المقاومة resistancy أيضا؛ لأنها تبرز حضور المترجم وتعلي من شأن الهوية الأجنبية للنص المصدر، وتحميه من الهيمنة الأيديولوجية للثقافة المستهدفة[143]، ويعرفها أيضا باستراتيجية التحول إلى الأقلية minoritizing[144]، والتي يطبقها في ترجمته لشاعر القرن التاسع عشر الإيطإلي تاركيتي[145] الذي كان شعره مخالفا للتقاليد الأدبية السائدة في عصره، وللقيم الأخلاقية والسياسية، وكذلك لغة الأدب الرفيع، وكان يكتب بلهجة مقاطعة توسكاني فاستخدم فينوتي عبارات أمريكية دارجة حديثة ليترجم شعره على النحو الذي يبرز حضور المترجم، ويشعر القارئ بأنه يقرأ عملا أجنبيا كما التزم بأبنية النص المصدر، واستعار كلمات إيطالية جنبا إلى جنب بعض العبارات الدارجة الحديثة.

ولا يخفي فينوتي إدراكه بعض التناقضات[146] في مذهب إضفاء الطابع الأجنبي، منها أنه يتضمن قدرا من التقريب لأنه يترجم نصا مصدريا لثقافة مستهدفة، ويستعين بقيمها السائدة كي يخالفها.

وكان اهتمام فينوتي باستراتيجيتي إضفاء الطابع المحلي أو الطابع الأجنبي امتدادا لآراء باحث آخر هو أنطوان بيرمان الذي تناول الترجمة من منظور ثقافي في كتاب بعنوان «تجربة النص الأجنبي: الثقافة والترجمة في ألمانيا في عصر الرومانسية» L'epreuve de l'etranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique (1984)[147]، وترجم إلى الإنجليزية 1992. ثم عاد فينوتي وترجم مقالا لبيرمان كتبه في العام 1985 عنوانه [148] La traduction comme، وجعل عنوان الترجمة الإنجليزية التي نشرها في العام 2004 «الترجمة ومحن النص الأجنبي» Translation and the Trials of the Foreign، وكان تغيير العنوان في الترجمة الإنجليزية إلى «محن» كاشفا لوجهة نظر فينوتي في التحديات التي تنطوي عليها عملية الترجمة.

ويقصد بيرمان بالمحن في مقاله أمرين، الأول: المحنة التي تتعرض لها الثقافة المستهدفة في تعرضها للغرابة التي تتجسد في النص الأجنبي ولغته. والأمر الثاني: خاص بالنص الأجنبي الذي تقتلع جذوره من سياق لغته الأصلية[149]. ويرى بيرمان أن الهدف الأخلاقي للترجمة هو تلقي العمل الأجنبي على نحو يحفظ له أجنبيته[150]، غير أن التشوه النصي الذي يتعرض له يعوق هذا الهدف[151]. وفي المقال ذاته يجمل بيرمان النزوع إلى تشويه النص المستهدف في اثني عشر ملمحا[152]:

1 - الترشيد rationalization، ويظهر في تغيير البناء التركيبي من علامات الترقين ونظام بناء الجمل وترتيبها.

2 - التوضيح clarification، ويشمل التصريح بما لم يصرح به في النص الأصلي، وهو ما يظهر في الملمح الثالث.

3 - التوسع expansion، حيث يزيد طول النص المستهدف إذا قورن بالنص المصدر.

4 - التعظيم ennoblement، ويتضح في ميل بعض المترجمين إلى تفخيم لغة النص المستهدف، واستخدام أسلوب يعتقدون أنه أكثر تأنقا من أسلوب النص المصدر، بما يدمر بلاغته الأصلية.

5 - إفقار نوعي qualitative impoverishment، ويعني ترجمة النص المستهدف باستخدام تعبيرات تفتقر إلى ثراء ودلالة لغة النص المصدر.

6 - إفقار كمي quantitative impoverishment، ويظهر في ضياع التنوع اللفظي للنص المصدر نتيجة تجاهل الاختلافات الدقيقة بين كلمات شبه مترادفة.

7 - تدمير الإيقاع destruction of rhythm the، على الرغم من أهميته لأي نص - لاسيما في ترجمة الشعر - يقع التدمير عندما يتجاهل المترجم ترتيب الكلمات في الجملة.

8 - تدمير شبكات الدلالة الضمنية the destruction of underlying networks of signification، ويرى بيرمان ضرورة الاهتمام بشبكات الألفاظ التي تمتد عبر النص والتي تمنح النص وحدته الضمنية.

9 - تدمير الأنساق اللغوية the destruction of linguistic patternings، عندما يتخلى المترجم عن «المنهجية» التي تحكم الأنساق اللغوية في اللغة المصدر، ويدخل تعديلات عليها بالترشيد أو التوضيح أو التوسع.

10 - تدمير شبكة اللهجات أو تغريبها the destruction of vernacular networks or their exoticization، والذي يسبب خللا في النص المصدر، خاصة إذا كان عملا روائيا لأهميتها في تحديد خلفيته الفنية.

11 - تدمير التعبيرات والعبارات الاصطلاحية the destruction of expressions and idioms، ويعتبر بيرمان أن إبدال تعبير اصطلاحي أو مثل سائر بمقابل من اللغة المستهدفة يمثل تمييزا عرقيا ethnocentricism، وأن التلاعب بفكرة «التقابل» يعني مهاجمة الخطاب الذي يحمله العمل الأجنبي؛ لأنه يفرض شبكة من الإحالات الغريبة عليه كي يضفي عليه طابعا محليا.

12 - محو تراكب اللغات the effacement of the superimposition of languages، ويقصد

به بيرمان وجود أكثر من لهجة مميزة لأفراد أو لجماعات داخل النص المصدر، وما تشتمل عليه من فروق مؤثرة لفهم النص والتي قد يطمسها المترجم في أثناء الترجمة.

ويقترح بيرمان مفهوم العنصر التحليلي الإيجابي positive analytic لعلاج هذه التشوهات، ويتمثل في التمسك بحرفية العمل الأصلي التي من ناحية تعمل على استعادة العملية الدلالية للنص والتي تتجاوز معناه، ومن ناحية أخرى تحدث تحولا في لغة الترجمة[153].

وإذا كان اهتمام بيرمان بالترجمة على مستوى النص، فقد سعى فينوتي إلى تسليط الضوء على الأطراف الأخرى المؤثرة في عملية الترجمة ومنهم الناشرون والوكلاء الأدبيون الذين يتحكمون في اختيار العمل لترجمته، وفي الأجر الزهيد الذي يتقاضاه المترجم إذا ما قورن بما يجنونه من أرباح، والذي يهمش دور المترجم. ويرى فينوتي أن اختيارات الناشرين تزيد من هيمنة وسطوة الثقافة الأنجلوأمريكية وسبيلهم في ذلك اختيار الأعمال التي لا يجد القارئ الإنجليزي أو الأمريكي صعوبة في قبولها، فضلا على قلة عدد الأعمال المترجمة إلى الإنجليزية إذا ما قورنت بعدد الأعمال المترجمة من الإنجليزية إلى لغات العالم المختلفة[154].

وأثارت آراؤه جدلا واسعا حول شبكة العلاقات التي تشكل ملامح عملية الترجمة؛ فأيده البعض وخالفه آخرون، منهم باحث الترجمة الأمريكي أنتوني بيم[155] الذي طرح عددا من الأسئلة، منها: هل سيتغير مسار الترجمة إذا ما رفض المترجمون الالتزام بمذهب إضفاء الطابع المحلي، وأن ما يثيره فينوتي عن غلبة هذا الاتجاه في الترجمة إلى الإنجليزية لا يقتصر عليها فقط، بل هو ظاهرة تنطبق على بلدان أخرى، ضاربا المثل بالبرازيل وإسبانيا وفرنسا، وهو اتجاه سائد في العصر الحالي بغض النظر عن مكانة وثقل الثقافة المصدر أو المستهدفة.

لكنه يقر له بالفضل أن سلط الضوء على المترجمين باعتبارهم أشخاصا حقيقيين فاعلين في نظام سياسي، وعلى الجوانب الكمية لسياسات الترجمة وعن المعاير الأخلاقية التي قد تتحكم في عمل المترجمين في المستقبل، كذلك تأثير السياق الثقافي والاجتماعي على استراتيجيات الترجمة[156]. وكان لآراء فينوتي أيضا الفضل في تعميق النظرة إلى الترجمة بدءا من مقارنة النص الأصلي والنص المستهدف مقارنة لغوية للكشف عن استراتيجيات إضفاء الطابع المحلي أو الأجنبي المتبعة، مرورا بعقد لقاءات شخصية مع المترجمين للاستماع إليهم وإلى تصوراتهم عن مهمتهم ومع الناشرين ومحرري الترجمة والوكلاء الأدبيين، وكذلك دراسة أعداد الكتب المترجمة ومدى الإقبال عليها، وكيفية اختيارها واختيار اللغة التي تترجم إليها، وصولا إلى دراسة العقود التي تبرم بين المترجم والناشر وكيف تسهم في إبراز حضور المترجم، أو تسهم في إخفائه، وهل ينال المترجم التقدير الكافي من حيث ظهور اسمه على نحو مرض على غلاف الكتاب، وحصوله على نسبة من حقوق النشر،

والإشارة إليه في التعليقات التي تظهر على الغلاف للترويج له(157).

علم اجتماع الترجمة

صارت دراسة دور المترجم وفعاليته ذات أهمية في دراسات الترجمة أخيرا بفضل اهتمام باحثين، مثل فينوتي، واجتذب هذا المجال الجديد جانبا من الاهتمام التقليدي بالنصوص والخلفية الثقافية واللغوية لها. واتسعت النظرة إلى هذا الدور بفضل علماء ينتمون إلى مباحث مختلفة، من أمثال عالم الاجتماع والأجناس الفرنسي بيير بورديو (1977/1991)(158)؛ فعكف على أفكاره باحثون مثل أنتوني بم (2006)(159)، فيما صار يعرف بعلم اجتماع الترجمة socioliogy of translation. ومن المفاهيم التي وضعها بورديو وتأثر بها بم وغيره المجال field، أو موقع صراع القوة بين عدة أطراف مشاركين أو فاعلين (وهم المترجمون في السياق الحالي)، والخلقة habitus، أي الاستعداد الاجتماعي والإدراكي والخاص بالهوية الذي يتمتع به الأفراد العاملون في المجال، والذي يؤثر في تكوين المجال ويتكون من خلاله في آن واحد. وهو نتاج تاريخ الشخص والتاريخ الجمعي الكلي لعائلته والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ورأس المال المادي والمعنوي capital القابل للتراكم، والحدود الثقافية للوعي illusio.

واستعان باحثون، فيما بعد، بآراء بورديو لدراسة دور المترجم، ومنهم دانيل سيميوني في مقاله «المكانة المحورية لاستعداد المترجم» The Pivotal Status of the Translator's Habitus (1998)(160)، والذي وصف فيه الاستعداد الاجتماعي والإدراكي للمترجم بأنه أقرب ما يكون إلى «عبودية طوعية» voluntary servitude. وفي العام 2005، وفي عدد خاص لمجلة The Translator(161) حررته مويرا إنجيلليري عن تأثير نظرية بورديو في دراسات الترجمة ركزت إنجيلليري في مقال لها(162) على أهمية آراء بورديو لفهم دور المترجم المتورط في أشكال الممارسة، وفي الوقت ذاته يمتلك القدرة على تحويلها. ورصد باحث آخر في العدد نفسه، هو جان مارك جوانفتش(163) تأثير مفهوم خلقة المترجم في اختياراته اللفظية والعروضية التي تكشف عن أن «صوت» المترجم ليس خيارا استراتيجيا واعيا لكنه نتاج خلقته التي اكتسبها من المجال الأدبي المستهدف.

النظريات الفلسفية للترجمة

نالت الترجمة نصيبا من اهتمام نظريات الفلسفة، وتجلى تأثيرها في النصف الثاني من القرن العشرين، من خلال فلاسفة أمثال جورج شتاينر وعيزرا باوند وفالتر بنيامين ودريدا، ولكل منهم الزاوية التي تناول منها جوهر وماهية الترجمة.

الحركة التفسيرية عند شتاينر

كان لكتاب شتاينر «بعد بابل» After Babel الذي نشر في العام 1975، وأُعيد نشره في العامين

1992 و1998، الفضل في تأسيس المذهب التفسيري/ الهرمنيوطيقي للترجمة. ويعرف شتاينر هذا المذهب بأنه «فحص معنى (فهم) قطعة من الكلام الشفهي أو المكتوب، ومحاولة تشخيص هذه العملية في إطار نموذج عام للمعنى»[164]. ويسعى شتاينر، من خلال مذهبه، أن يصل إلى فهم الجوانب النفسية والفكرية في أداء عقل المترجم لوظيفته. ويستند وصف شتاينر لمذهب تفسير/ هرمنيوطيقا الترجمة أو «فعل استدعاء المعنى ونقله عن طريق الاستيلاء»[165] إلى تصور الترجمة ليس باعتبارها علما بل «فن دقيق» يتمتع بدقة بالغة لكنها غير منهجية»[166]. وتتكون الحركة التفسيرية/ الهرمنيوطيقية hermeneutic motion التي تمثل صلب مذهبه من أربعة مكونات[167]:

1 - الثقة المبادرة initiative trust: هي أول خطوة يخطوها المترجم، وهي بمنزلة «استثمار في صحة ما يعتقده»، أي الثقة أن في النص المصدر ما يستحق الفهم. ووفقا لشتاينر يصبح النص رمزا لفهم العالم من حول المترجم، أو رمزا لشيء متماسك يمكن ترجمته. لكن هذا الاعتقاد يحمل وجهين من الخطورة: إما أن يصبح النص هو العالم كله بالنسبة إلى المترجم، كما هي الحال عند مترجمي الكتاب المقدس ونصوص العصور الوسطى الذين تأثروا تأثرا كبيرا بما ترجموه. وإما أن يتيقن من استحالة ترجمة هذا «الشيء» لاستحالة فصل المعنى عن الشكل.

2 - العدوان/ الاختراق aggression/penetration: ويقصد به شتاينر استيلاء المترجم على النص المصدر، واستخراج معناه ويشبه النص بمنجم يغزوه المترجم ويستخرج منه ما يشاء ويعود به فتكون النتيجة أن بعض النصوص والأنواع الأدبية دمرتها الترجمة، والبعض الآخر استفاد من الترجمة الجيدة التي قدمها المترجم حتى أصبح يقرأ مترجما.

3 - الإدماج incorporation: الحركة الثالثة هي الإدماج، ويعني استخراج المعنى من النص المصدر ودمجه في اللغة المستهدفة الحافلة بكلماتها ومعانيها، وعندئذ تحدث صور مختلفة للاستيعاب: إما إضفاء تام للطابع المحلي بأن يتخذ النص المستهدف موقعه الكامل في النصوص المعتمدة في اللغة المستهدفة، وإما يعاني الهامشية والغربة التامة. والأمر المؤثر كما يراه شتاينر هو أن استيراد معنى النص الأجنبي قد يؤدي إلى تفكك وخلخلة تركيب الثقافة المستهدفة، أو يعيد تعديل موقعها. ويعبر شتاينر عن هذا باستعارتين: إما أن يكون النص الأجنبي مفيدا، وهذا عندما تستوعب الثقافة المستهدفة النص الأجنبي وتتغذى عليه فيزيد من ثرائها، وإما مضرا فيصيبها بالعدوى فتلفظه. ويحدث الصراع ذاته داخل المترجم؛ فقد تستنزف ترجمة عمل قواه الإبداعية وتستهلكه فيعجز عن ترجمة أعمال أخرى.

4 - التعويض compensation: وتأتي الحركة الرابعة أو التعويض لتعالج هذا الخلل على مستوى الثقافة أو الفرد، وتعني تفعيل التبادلية التي يراها لب الترجمة. ويرى شتاينر أن العدوان على

النص المصدر والاستيلاء عليه وإدراج معناه في اللغة المستهدفة لا يترك له إلا بقايا غامضة تثير الجدل، وهي جدلية؛ لأن النص المصدر يستفيد من الترجمة رغم ما يتعرض له من فقد أو خسارة. وهذا التعزيز enhancement يتحقق عند الحكم على نص بأنه جدير بالترجمة، وهو ما يمنحه فرصا أوسع فيدخل النص في علاقات متعددة مع النص المستهدف، يعبر عنها بمصطلحي «الصدى» و«المرآة»، وكلاهما يزيدان من ثراء النص المصدر. على سبيل المثال عندما لا يتمتع النص المستهدف بالكفاية المطلوبة تتضح أكثر قيمة النص المصدر بحيويته التي تستعصي على الترجمة، وعبقريته الكامنة في قلبه فتبرز قيمته.

ويحدث اختلال التوازن imbalance من خروج الطاقة من النص المصدر وتدفقها إلى النص المتلقى فيتغير كلاهما، ويتغير معهما توافق النظام، وهنا لا بد من تعويض. وعندما يأتي النص المستهدف أفضل من النص المصدر فهذا يعني أن النص المصدر يملك إمكانات لكنها لا تتحقق بذاتها، وعندما يأتي النص المستهدف أقل من النص المصدر فهذا يزيد من حضور النص المصدر ويبرز فضائله. وبهذا يتحقق الإنصاف والعدل equity اللذان يمنحان فكرة الأمانة fidelity بعدا أخلاقيا كما يقول شتاينر[168]:

يتسم المترجم أو المفسر أو القارئ بالأمانة، وتكون استجابته مسؤولة عندما يسعى إلى استعادة توازن القوى ذات الحضور التي أخل بتوازنها فهمه النص واستيلاؤه عليه.

ويؤمن شتاينر بأن مذهب «تفسير/ هرمنيوطيقا» الثقة يتمتع بالمرونة والتوازن والجانب الأخلاقي، ويتيح لنظرية الترجمة الهروب من أسر الثالوث القديم: الترجمة الحرفية والحرة والأمينة الذي ساد النظرة إلى الترجمة طويلا[169]. ويرى شتاينر أن الترجمة الناجحة هي التي تجعل النص المستهدف لا غنى عنه لفهم النص المصدر[170]، وهو ما يتحقق عندما تقتفي اللغة المستهدفة أثر اللغة المصدر؛ فيخرج نص أقرب ما يكون إلى الترجمة السطرية[171]. وهنا يعلن شتاينر اختلافه مع نظريات الترجمة التي تهزأ بالترجمة الحرفية؛ لأن اهتمامه ينصب على الكلمة التي يمكن احتواؤها وفضها لتفصح عن تفردها العضوي[172]. وإذا كان شتاينر يرى أن الفهم الحقيقي للنص، ومن ثم ترجمته، يتحقق عندما تتخلل اللغات بعضها بعضا، فالتوجه خارج الذات هو المفتاح الأساسي أو ما يسميه «الإيعاز بتحول الذات إلى الآخر هو سر مهارة المترجم»[173].

عزرا باوند وطاقة اللغة

يقول شتاينر إن عزرا باوند وفالتر بنيامين ينتميان إلى عصر النظرية والتعريف الفلسفي والشعري، وإن آراءهما أسهمت في تطوير النظريات المتعلقة بالعلاقات بين اللغات المختلفة[174].

ويتضح إسهام الشاعر الحداثي الأمريكي عزرا باوند في هذا الصدد في ممارسته الترجمة، وتناوله النقدي لترجمات عصره ملتزما منهجا تجريبيا ينظر في الملامح التعبيرية للغة، ويدعو إلى بعث الطاقة في اللغة energizing language، من خلال الاهتمام بالإيقاع والصوت والشكل أكثر من المعنى، وكانت قراءته للوحدات الكتابية التصويرية للغة الصينية نموذجا لمذهبه التصويري الذي يفضل الشكل الإبداعي للعلامة اللغوية الذي يلتقط الطاقة الكامنة في الشيء أو الحدث الذي تصوره. وتبدى منهجه التجريبي في ترجماته التي اتبع فيها أسلوبا يعتمد على استخدام الألفاظ المهجورة ومخالفة التقاليد الأدبية السائدة[175]، وهو ما وجد فيه فينوتي فيما بعد شبها باستراتيجية إضفاء الطابع الأجنبي على النص التي تبرز حضور المترجم[176].

وكان لآراء باوند تأثير في أجيال لاحقة من المترجمين والمنظرين؛ فوصف الباحث إدوين جنتزلر مذهب باوند بأنه «أداة في ساحة الصراع الثقافي»[177]، وكانت نظرته إلى الترجمة باعتبارها ممارسة نقدية إبداعية ذات تأثير هائل في الشعراء البرازيليين، ومن بينهم هارولدو دي كامبوس الذي أدى دورا بارزا في المدرسة الأدبية التي ازدهرت في البرازيل، وعرفت بالتهام الآخر cannibalist movement، وهو ما عبرت عنه الباحثة الزي فييرا كالتالي[178]:

يرى دي كامبوس أن ترجمة النصوص الإبداعية بمنزلة إعادة خلق، وهي النقيض من الترجمة الحرفية، لكنها عملية تبادلية على الدوام لا تشمل ترجمة المعنى فقط، بل تنطوي على ترجمة العلامة بكل جوانبها المادية المتجسدة من خصائص الصوت والصورة البصرية، وهو ما يضفي طابعا أيقونيا على العلامة الجمالية... أما باوند فالترجمة بالنسبة إليه بمنزلة عمل نقدي؛ إذ تحاول نظريا أن تستبق خلق النص فتمارس الاختيار وتحذف العناصر المكررة وتنظم المعرفة على نحو يهيئ للجيل القادم أن يجد فقط الجزء الذي لايزال نابضا بالحياة. وتصبح مقولة باوند الشهيرة «جدده» على يد دي كامبوس وسيلة لبعث الحيوية مرة أخرى في الماضي من خلال الترجمة.

فالتر بنيامين ومهمة المترجم

كان فالتر بنيامين من دعاة التجريب في الترجمة، مثله مثل عزرا باوند. ودعا إلى مذهبه في مقال له نشر في العام 1923 بعنوان Die Aufgabe des Ubersetzers، وترجم إلى الإنجليزية في العام 1969 بعنوان «مهمة المترجم» The Task of the Translator[179]. وكان المقال في الأصل مقدمة لترجمته إلى الألمانية لمجلد الشاعر الفرنسي بودلير «أزهار الشر» Les Fleurs du mal، خاصة الجزء المعروف بـ «لوحات باريسية» Tableaux Parisiens، ثم أصبح من أهم النصوص التي تتناول الترجمة الأدبية من منظور فلسفي.

والفكرة المحورية في مقال بنيامين أن الترجمة لا تهدف إلى أن تمنح القراء فهما لمعنى النص الأصلي أو محتواه من المعلومات؛ فالترجمة لها وجود منفصل لكنها تتصل بالعمل الأصلي، وتأتي تالية له، وتظهر من «حياته الأخرى» لكنها تمنح العمل الأصلي حياة مستمرة. وهذا اللون من إعادة الخلق يضمن بقاء العمل الأصلي على قيد الحياة بمجرد خروجه إلى «عصر شهرته».

ويرى بنيامين أن الترجمة الجيدة هي التي «تعبر عن العلاقة المتبادلة الرئيسية بين اللغات»[180]، وأنها تكشف عن العلاقات الكامنة الموجودة التي تظل مختبئة حتى تكشف الترجمة عنها. ويتحقق ذلك لا من خلال المحاولة؛ كي تكون الترجمة مطابقة للأصل، لكن بتحقيق الانسجام والتقريب بين اللغتين. وبهذا الأسلوب الإبداعي الصريح تسهم الترجمة في نمو اللغة الخاصة بها من خلال الظهور في اللغة المستهدفة للنص الجديد، وتحقق هدف الوصول إلى لغة نقية أكثر سموا، وتظهر هذه اللغة من خلال التعايش المشترك بين الترجمة والنص المصدر، والدور المكمل لكل منهما، ويكون ذلك من خلال ترجمة حرفية تسمح للغة النقية بالتحرر والظهور. وفي عبارة شهيرة له يقول بنيامين[181]:

الترجمة الحقيقية ترجمة شفافة، لا تحجب الأصل ولا تعوق نوره لكنها تسمح للغة النقية التي تترسخ من خلال الترجمة بأن تنير النص الأصلي، ويتحقق ذلك من خلال ترجمة حرفية للبناء، والذي يؤكد أن الكلمات - وليست العبارات - هي العنصر الأساسي للمترجم.

وعن قدرة الترجمة التي تنفرد بإمكان تحرير وإطلاق هذه اللغة النقية يقول[182]:

مهمة المترجم أن يطلق - من خلال لغته تلك - اللغة النقية التي تقع تحت تأثير لغة أخرى، وأن يحرر اللغة الحبيسة في عمل من خلال إعادة خلقه هذا العمل.

الترجمة والتفكيكية

ظهر مذهب التفكيكية في ستينيات القرن الماضي في فرنسا، ومن أهم رموزه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، وكان من المفاهيم الأساسية التي أتى بها الاختلاف والإرجاء **différence** الذي يجمع بين معنيي الفعل **différer**، ويجسد مبادئ مذهب التفكيكية - من حيث الدعوة - إلى التخلي عن المسلمات المتعلقة باللغة والخبرة الإنسانية، وما أنتجته من مصطلحات ومفاهيم، والدعوة إلى رفض ثبات المعنى، وتفكيك النص للكشف عن متناقضاته الداخلية. وتناول دريدا الترجمة من هذا المنظور؛ فرفض ما سبق أن قال به سوسير من ثبات الدال والمدلول، وإمكان إقامة علاقة بينهما تحدد معاني اللغة. كما تشكك دريدا والتفكيكيون في تقسيم جاكبسون الترجمة إلى ترجمة بين لغتين، وترجمة داخل اللغة، وترجمة بين نظامي علامات لاستنادها إلى وحدة اللغة، وكذلك

آراء فالتر بنيامن عن الترجمة في مقاله الشهير المشار إليه سابقا؛ لأن اللغة كما يراها دريدا عاجزة عن وصف عملية الترجمة وصفا كاملا ودقيقا، ودعا إلى تقويض التمييز أو الصلة بين النص المصدر والنص المستهدف؛ فكلاهما مدين للآخر بالبقاء. وتبلورت آراؤه عن الترجمة في محاضرة ألقاها في العام 1998 بعنوان ?Qu'est - ce qu'une traduction relevante، وترجمها لورنس فينوتي إلى الإنجليزية في العام 2001 بعنوان «ما الترجمة الملائمة» What is a Relevant Translation?[183].

الترجمة والتكنولوجيا

أسهمت التطورات التكنولوجية في ظهور مجالات جديدة في دراسات الترجمة، منها دراسات الترجمة من منظور علم المخزون اللغوي والترجمة السمعية والبصرية، وترجمة الأفلام على يد هواة، وإضفاء الطابع المحلي والأجنبي في مجال الأعمال والبرمجيات

دراسات الترجمة من منظور علم المخزون/ مدونات النصوص اللغوي

ظهر علم المخزون/ مدونات النصوص اللغوي corpus linguistics في أوائل الثمانينيات على يد عالم اللغويات البريطاني جون سنكلير؛ مستفيدا من تطور أنظمة الحاسبات لتكوين قاعدة بيانات من نصوص حقيقية يستعين بها علماء اللغويات للكشف عن أنماط استخدام اللغة، وتكون بديلا عن الأمثلة المختلقة التي كثيرا ما يعتمد عليها علماء اللغة والباحثون[184]. ومن أولى محاولات تطبيق مبادئ علم المخزون اللغوي في دراسات الترجمة ما قدمته منى بيكر (1993) و(1995)[185]، واهتمت فيها بتحليل مفهوم النمطية typicality لتحديد الأنماط اللغوية في مدونة نصوص مترجمة ومقارنتها بنصوص في لغتها الأصلية فيكون الاختلاف بين النصوص مرجعه ما أدخلته الترجمة من تغييرات.

وتنقسم مدونات النصوص إلى ثلاثة أنواع لكل أهدافها[186]:

- مدونات النصوص أحادية اللغة monolingual corpora، والتي يستعين بها المترجم كمرجع لغوي يكشف له عن أنماط اللغة كما يستخدمها أبناؤها.
- مدونات النصوص المقارنة ثنائية اللغة comparable bilingual corpora، وتتكون من مجموعات من النصوص المتشابهة في لغتين، ويستعان بها للكشف عن المصطلحات الخاصة بكل لغة وعناصر التعادل بينهما.
- مدونات نصوص موازية parallel corpora، من نصوص مصدرية ونصوص مستهدفة، والتي تتيح للدارس التعرف على استراتيجيات الترجمة المتبعة في نقل النصوص من لغة إلى أخرى.

ومن أمثلة المحاولات التي سعت إلى الاستفادة من هذا المبحث لإثراء دراسات الترجمة ما قدمته ميف أولوهان في كتابها «مدخل إلى استخدام مدونات النصوص في دراسات الترجمة»

Introducing Corpora into Translation Studies (2004)[187]، مستعينة بمدونة النصوص الإنجليزية المترجمة Translational English Corpus(TEC) التي أنشأتها جامعة مانشستر لتقدم تحليلا كميا وكيفيا. ويركز التحليل الكمي على عمل إحصاءات لكل من تكرار المفردات وتوزيعها، والكثافة اللفظية لنص وطول الجملة والكلمات الدالة/ المفتاحية مدعوما بالتحليل النقدي للنصوص في بيئتها الثقافية والاجتماعية، وهو ما يسمح بتطبيق منهج بيني يمكنه أن يكشف عن أنماط لغوية قد لا يلتفت إليها الباحثون حال استخدام نصوص منفردة. أما التحليل الكيفي فيهتم بوضع معجم مفهرس للألفاظ concordance، وهو ما يجعله قريب الصلة من الدراسات الوصفية ودراسة النص الناتج عن الترجمة. كما يهتم التحليل الكيفي بإقامة الصلة بين الأنماط الأسلوبية stylistic patterns في نص وأيديولوجية المترجم[188].

ومن أمثلة الدراسات البينية التي أفادت من مدونات النصوص المقارنة ثنائية اللغة ما قامت به الباحثة البلجيكية سيلفيان جرانجر التي حررت كتابا نشر في العام 2003 بالاشتراك مع ستيفاني بتش - تايسون وج. ليرو بعنوان «مداخل استخدام علم المخزون اللغوي في اللغويات التقابلية ودراسات الترجمة» Corpus - based Approaches to Contrastive Linguistics and Translation Studies[189]، والذي احتوى على دراسات تجمع بين دراسات الترجمة وعلم المخزون اللغوي واللغويات التقابلية.

الترجمة السمعية والبصرية

تمثل الترجمة السمعية والبصرية مجالا آخر للتفاعل بين دراسات الترجمة والتكنولوجيا، وقد بدأ الاهتمام الحقيقي بالترجمة السمعية والبصرية بوصفها أحد مجالات دراسات الترجمة في العام 1989 بمقال لديريك ديلاباستيتا بعنوان «الترجمة ووسائل الإعلام: الترجمة التلفزيونية وترجمة الأفلام كدليل على الدينامية الثقافية» Translation and Mass - communication: Film and TV translation as Evidence of Cultural Dynamics [190]؛ إذ لم تسبقه سوى إشارات عابرة من الباحثين في دراسات الترجمة إلى ترجمة الإعلانات، أو النظر إلى ترجمة الأفلام بوصفها لونا من ألوان الترجمة الأدبية[191]، أو حديث باحثين عما أطلقوا عليه الترجمة المقيدة constrained translation [192]، ويقصدون بها العناصر غير اللفظية المصاحبة لحوار الأفلام.

واهتم ديلاباستيتا بتحديد الملامح المميزة لهذا اللون من الترجمة والتي وصفها بأنها «نوع من أنواع التواصل متعدد الوسائط والشفرات» multi - channel and multi - code type of communication، وتشمل هذه الشفرات[193]:

- شفرة لفظية verbal من ملامح أسلوبية وأخرى تتعلق باللهجة.

- شفرة أدبية ومسرحية literary and theatrical، من حبكة وحوار بما يتلاءم مع النوع الفني.
- شفرة حركية kinetic، والخاصة بأنواع السلوك غير اللفظي.
- شفرة سينمائية cinematic، وتختص بالتكنيك والنوع الفني.

ويأتي اهتمام ديلاباستيتا بالترجمة السمعية والبصرية باعتبارها امتدادا لدراسات الترجمة، داعيا إلى النظر في مواصفات كل منهما، خاصة القيود التي تحكم الأولى، وأهمها وجود الوسيطين السمعي والبصري في آن واحد، والذي يحد من اختيارات المترجم[194]:

على الباحث أن يجمع بين معرفته بالقيود التقنية والسيميوطيقية التي ينطوي عليه كل نوع ومعرفته بعمليات الترجمة في العموم؛ فالتصنيفات الوصفية المتنوعة التي أنتجها مبحث دراسات الترجمة لا غنى عنها لإثراء المجال.

أنواع الترجمة السمعية والبصرية

قسم جامبييه (2003)[195] الترجمة المصاحبة للأفلام إلى عدة أنواع:

- ترجمة من لغة إلى أخرى interlingual subtitling، والتي تكون إما ظاهرة open على نسخة الفيلم، وإما مغلقة closed، كما في ألعاب الدي في دي DVD؛ بحيث يتحكم المشاهد في ظهورها وفي اختيار اللغة التي تكتب بها.
- ترجمة مكتوبة ثنائية اللغة bilingual subtitling، كالتي تصاحب الأفلام التي تعرض في بلدان لها لغتان رسميتان، وتظهر الترجمة إلى اللغتين في الوقت نفسه على شريط الفيلم.
- ترجمة مكتوبة إلى اللغة ذاتها intralingual subtitling لخدمة ضعاف السمع.
- دوبلاج dubbing، حيث يحل شريط الصوت باللغة المستهدفة محل شريط الصوت باللغة المصدر.
- الصوت المصاحب للمادة المعروضة voice - over، كما في الأفلام الوثائقية واللقاءات التلفزيونية.
- ترجمة أعلى خشبة المسرح، أو على ظهر المقاعد في المسرح ودار الأوبرا surtitling.
- ترجمة صوتية أو وصف صوتي لضعاف البصرaudio description.

واهتم دي ليند وكاي (1999)[196] بدراسة الاختلافات بين الترجمة المكتوبة والترجمة البصرية المصاحبة للأفلام، وأهمها القيود الزمنية والمتعلقة بالمساحة؛ إذ يجب ألا تتجاوز الترجمة سطرين يتكون كل منهما من عدد معين من الحروف، ولا يزيد ظهورها على الشاشة عن ست ثوان، وكذلك القيود الخاصة بالصورة التي تعرض على الشاشة، وشريط الصوت في اللغة المصدر، والذي يصاحب الصورة، ولذا يجب على المترجم أن يراعي أساسيات التصوير السينمائي، مثل قطعات الكاميرا، وأن يوفق بين مدة ظهور الترجمة على الشاشة وإيقاع الحوار.

ولا يقتصر الأمر على دراسة القيود القائمة، ولكن ظهرت محاولات لوضع قواعد تكون عالمية لقواعد الممارسة الصحيحة، ودعوة العاملين بالترجمة السمعية والبصرية إلى الالتزام بها، ومن هذه المحاولات الميثاق الذي وضعه إيفارسون وكارول[197] واعتمدته المنظمة الأوروبية لدراسات الترجمة السينمائية وأهم بنوده:

- الاهتمام بجودة الترجمة، خاصة الفروق الدقيقة الاصطلاحية واللغوية.
- استخدام وحدات دلالية محددة.
- الحفاظ على تماسك الحوار؛ إذا اقتضت الضرورة دمج أجزاء منه.
- ملاءمة النطاق اللغوي للحوار للكلمة المنطوقة.
- سلامة قواعد النحو، حيث يعتمد عليها البعض في تعلم اللغة.

وسعى البعض، مثل كارماتيروجلو (2000)[198]، إلى الخروج بالترجمة السمعية والبصرية من إطار الممارسة المجردة إلى التأصيل النظري، وتوضيح أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين الترجمة بمفهومها التقليدي؛ مستعينا بنظرية تعدد النظم ونظرية المعايير لمناقشة المشهد العام الذي تجري فيه ممارسة الترجمة السمعية والبصرية ومن عناصره:

- العامل البشري human agents the، من ممثلين ومخرج وفنيي صوت وخبراء تصوير فيديو ومصححين لغويين ومترجمين ومن يتولون تكليف المترجمين.
- المنتج the product، أو النص المستهدف بصوره المختلفة، من أفلام ومسلسلات وبرامج مترجمة.
- المتلقي the recepients، ويقصد به العميل الذي يطلب ترجمة العمل التلفزيوني أو السينمائي ومن يوجه إليه العمل المترجم.
- القالب the mode، وهو في هذه الحالة خصائص الترجمة السمعية والبصرية.
- المؤسسة the institution، من نقاد وموزعين وقنوات تلفزيونية، ومن يشاركون في مراحل العمل المختلفة من إعداد وتنفيذ.
- السوق the market، من دور عرض سينمائي ونوادي أفلام، والتي تقرر عرض الفيلم المترجم.

وخلافا لكارماتيروجلو الذي اهتم بتحليل العناصر الكبرى لهذا المجال اهتم كريستوفر تايلور(2003)[199] بتحليل العناصر الصغرى لنسخ عمل متعدد الوسائط multimodal transcription، أو كيفية تدوين وتحليل نص فيلم متعدد الوسائط كتابة، واستعان بنموذج تيبو[200] لتحليل الأفلام والإعلانات التلفزيونية (2000)؛ ليقدم نموذجا لتحليل الأفلام والإعلانات التلفزيونية، ويقوم هذا النموذج على تقسيم الشريط السينمائي أو التلفزيوني إلى مشاهد أو مراحل، وتقديم وصف متعدد المكونات لكل من[201]:

- مدة عرض كل صورة من صور الفيلم السينمائي على الشاشة وترتيب عرضها.
- عرض الصور المرئية.
- مكونات الصورة المرئية (وضع الكاميرا وتحديد زاوية التصوير وبؤرة الكاميرا والمسافة والعناصر الظاهرة في المشهد والملابس والألوان).
- الجانب الحركي للممثلين (الحركات والإيماءات).
- الحوار ووصف شريط الصوت.
- تفسير وظيفي للكيفية التي يخلق بها الفيلم الفكرة.

ويستعين فريدريك شوم (2004)[202] بمذهب يجمع بين دراسات الترجمة ودراسات الأفلام؛ ليقدم ما يطلق عليه نموذجا متكاملا لتحليل شفرات لغة التصوير السينمائي codes of[203] cinematographic language، ويحدد شوم عشر شفرات(204)، تتعلق أربع منها بالجانب السمعى acoustic:

- الشفرة اللغوية the linguistic code؛ حيث يرى شوم أن التلاعب بالكلمات والتورية، ووجود أكثر من لغة، والألفاظ ذات الخصوصية الثقافية كلها مشكلات شائعة في أنواع الترجمة الأخرى، ولا تقتصر على الترجمة السمعية والبصرية، ولكن الأخيرة تتميز بأن الشفرة اللغوية الخاصة بها تكتب لتنطق، وهو ما يتطلب من المترجم جهدا خاصا حتى يأتي المترجم بنطاق لغوي مشابه.
- الشفرة شبه اللغوية the paralinguistic code، حيث يتطلب إعداد النص المدبلج إضافة علامات للدلالة على الضحك أو فترات الصمت وخلافه. أما إعداد الترجمة البصرية فيتطلب إضافة رموز كتابية، مثل علامات التعجب أو الأحرف الكبيرة، أو علامات الإيقاف لتحديد مستوى الصوت والنبرة وفترات الصمت.
- الشفرة الموسيقية وشفرة المؤثرات الخاصة the musical and special effects code لتمثيل وتطويع كلمات الأغاني.
- شفرة ترتيب الصوت the sound arrangement code لتوضيح الفارق بين المتكلم الظاهر على الشاشة ومن يستمع المشاهد لصوته فقط، فإذا كانت الترجمة بصرية كتب حوار الشخصية التي لا تظهر على الشاشة بحروف مائلة. أما في الدوبلاج فلا بد من مراعاة تطابق الشفاه في حديث الشخصية الظاهرة على الشاشة.

وتتصل الشفرات الأخرى بالجانب البصري:

- الشفرة الأيقونية the iconographic code، ويقصد بها الرموز الأيقونية التي قد لا يلاحظها

المشاهد (كصورة لشخصية مشهورة في ثقافة اللغة المصدر ظاهرة في المشهد)، والتي قد تحتاج إلى شرح لفظي لفهم المشهد.

- الشفرة الخاصة بالتصوير the photographic code، وتتضح أهميتها عند ظهور مشكلات تتعلق بتغير الإضاءة في مشهد مما؛ يستدعي تغيير لون الترجمة البصرية المصاحبة، أو عند وجود عنصر بصري أو لون قد يسئ الجمهور المستهدف فهمه.
- شفرة التنظيم the planning code، وتتعلق باللقطات القريبة التي تتطلب تطابق الشفاه في الدوبلاج وترجمة العلامات اللفظية التي قد تظهر في الصورة.
- شفرة الحركة the mobility code، وتتعلق بوضعية الشخصيات في مشهد مدبلج والحاجة إلى التوافق بين الحركة والكلمات ودلالتها الثقافية.
- الشفرات الكتابية graphic codes، أو تمثيل العناصر اللفظية من الثقافة المصدر التي تظهر في مشهد يُدَبلَج.
- الشفرات البنائية التركيبية syntactic codes، وتشمل أسس المونتاج، ومنها ارتباط عناصر النص اللفظية بالأشكال السيميوطيقية، وكذلك بداية ونهاية الأبنية المتعاقبة.

ترجمة الأفلام والمسلسلات وألعاب الفيديو على يد هواة.

استفادت الترجمة السمعية والبصرية من التقدم التكنولوجي، وفتحت آفاقا جديدة لدراسات الترجمة بظهور أشكال جديدة للترجمة، من بينها الترجمة المصاحبة للأفلام والتي يقوم بها هواة fansubbing ويعرضونها على الإنترنت، وكذلك ترجمة ألعاب الفيديو[205]. واقترن هذا المصطلح عند ظهوره بترجمة أفلام الكرتون اليابانية المعروفة باسم مانجا وأنيمي. أما ترجمة ألعاب الفيديو فتجمع بين الترجمة السمعية والبصرية وإضفاء الطابع المحلي على برامج الكمبيوتر، أو ما يطلق عليه مانجيرون وأوهاجان(2006) [206]، التوطين وأهم ما يميزها الإبداع والجدة التي يجب أن يبديها المترجم كي تحقق التسلية والترفيه. ويتمثل الابتكار في إعادة تسمية الشخصيات وعناصر اللعبة، وإن تطلب الأمر مسميات جديدة واختيار اللهجة المناسبة التي تتحدث بها الشخصيات.

إضفاء الطابع المحلي وإضفاء الطابع العالمي

أسهم التقدم التكنولوجي في تمتع الترجمة بأهمية ملموسة في مجال الأعمال والشركات العالمية الكبرى والصناعة، خاصة صناعة وتداول البرمجيات فيما أصبح يعرف بمصطلح GILT، والذي يتكون من الأحرف الأولى لـ Globalization (إضفاء الطابع العالمي)، وInternationalization

(التدويل)، وLocalization (إضفاء الطابع المحلي)، وTranslation (الترجمة)[207]. وفي هذا السياق تكون الترجمة مكونا من مكونات إضفاء الطابع المحلي الذي تعرفه منظمة معايير صناعة إضفاء الطابع المحلي The Localization Industry Standards Association (LISA)، إنه تطويع منتج ما لغويا وثقافيا ليكون ملائما للموقع المستهدف الذي سيطرح فيه للاستخدام أو البيع[208].

واهتم باحثون بالدور الذي تؤديه الترجمة في هذه المنظومة، ومنهم أنتوني بم في كتاب له بعنوان «النص المتنقل: إضفاء الطابع المحلي والترجمة والتوزيع» The Moving Text: Localization, Translation and Distribution (2004)[209]. ويحاول بم أن يضع إطارا نظريا لدور الترجمة في صناعة البرمجيات، وتأثير هذا الدور على المفاهيم الراسخة في دراسات الترجمة، ومن بينها العلاقة بين النص المصدر والنص المستهدف. فما يحدث عند طرح منتج بعدة لغات مستهدفة (على سبيل المثال طرح برنامج كمبيوتر للبيع والتوزيع في أنحاء العالم بلغات مختلفة) هو إعداد نسخة تم تدويلها internationalized interlingua version، تستخدم أساسا لطرح نسخ للتداول في الموقع المستهدف، وهذه النسخة قابلة للتحديث المستمر، وهو ما يؤدي إلى تراجع مكانة ودور النص المصدر حتى يكاد يتلاشى[210].

مفهوم آخر هو التعادل الذي يتغير معناه في هذا السياق من إيجاد علاقة بين النص المصدر والنص المستهدف إلى قابلية النص المستهدف لأداء وظيفته functionality. ويرى بم في صناعة إضفاء الطابع المحلي تجريدا للترجمة من طابعها الإنساني والثقافي؛ إذ يصبح الشاغل الأكبر هو إمكان إنتاج منتج يمكن تسويقه في السوق المحلي، من خلال فريق عمل كل منهم مكلف بدور لا يتجاوزه، وقد لا يجمعهم مكان واحد عندما يكون الهدف هو البحث عن عمالة رخيصة يمكنها إنجاز المهمة لقاء مقابل مادي زهيد[211].

خاتمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مبحث دراسات الترجمة الذي شهد طفرة ملموسة في النصف الثاني من القرن العشرين، مدفوعا بإسهامات من مباحث عديدة أسهمت في تحرره من النظرة اللغوية الضيقة، ومفاهيم الترجمة الحرفية والحرة والأمينة التي سادت قرونا لينفتح المجال لدراسة الأطراف الفاعلة في عملية الترجمة، وتأثير الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي في ناتج الترجمة، ودور المترجم وما أحدثه التقدم التكنولوجي من فارق، وهو ما خلق آفاقا جديدة لدراسات الترجمة من حيث النظرية والممارسة والمنهجية. ومازال المجال مفتوحا أمام هذا المبحث الثري لمزيد من التفاعل الذي يسلط الضوء على جوانب من هذا النشاط الإنساني لم يتطرق إليها الباحثون بعد.

الهوامش

1. يستند هذا البحث إلى الإطار النظري لكتاب جيريمي منداي والمراجع الواردة به في طبعته الرابعة التي صدرت في 2016:
Munday, J. (4 th edition 2016) Introducing Translation Studies: Theories and Applications, London and New York: Routledge
2. Snell-Hornby, M.(1988) Translation Studies: An Integrated Approach, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins,(preface)
3. Snell-Hornby, M.(revised 1995) Translation Studies: An Integrated Approach. Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins,(preface)
4. Baker, M. (ed.)(1998) The Routledge Encyclopedia of Translation Studies, London and New York:Routledge
5. Caminade, M. and A. Pym (1995) Les Formations en Traduction et Interprétation. Essai de recensement Mondial, special issue of Traduire, Paris: Societe francaise des Traducteurs
6. Steiner, G. (1998) After Babel: Aspects of Language and Translation, London, Oxford and New York: Oxford University Press p.319
7. Cicero, M. (46 BCE/ 1960 CE) 'De Optimo Genere Oratrum' in Cicero De Inventio, De Optimo Genere Oratrum, Topica, translated H.M. Hubbell, Cambridge, MA: Harvard University Press; London: Heinemann,p.364
8. Robinson, D. (ed.) (1997) Western Translation Theory from Herodotus to Nietzsche, Manchester: St Jerome, p.25
9. Baker, M. pp320-321
10. Munday, J. p40
11. Robinson, D.p
12. Amos, F.R. (1920/1973) Early Theories of Translation, New York: Octagon
13. Dryden, J. (1680) 'Metaphrase, Paraphrase and Imitation' in Schulte, R. and J. Biguenet (eds) (1992) Theories of Translation, Chicago and London: University of Chicago Press, pp 17-20
14. Dryden, J. (1697) 'Dedication of the Aeneid' in Schulte, R. and J. Biguenet (eds) (1992) Theories of Translation, Chicago and London: University of Chicago Press,p. 26
15. Tytler, A.F. (Lord Woodhouselee (1790) Essay on the Principles of Translation, Edinburgh: Cadell and Davies in D.Robinson(ed.) (1997)p. 208

16 Schleiermacher, F.(1813) 'On the different methods of translating' in L.Venuti (ed.) (2nd edition2004) The Translation Studies Reader, London and New York: Routledge,p44

17 Robinson, D.p.49

18 'Munday, J.p.48

19 Robinson, D.pp.250-8

20 Jakobson, R. (1959) 'On Linguistic Aspects of Translation' in L. Venuti(ed.) (2004) p139

21 Venuti, L. p. 139

22 Venuti, L. p. 139

23 Nida, E.A. (1964) Towards a Science of Translating, Leiden: E.J. Brill

24 Nida, E.A. and C.R. Taber (1969) The Theory and Practice of Translation, Leiden, E.J. Brill

25 Nida, E. A. p.159

26 Nida, E.A.p.159

27 Nida,E.A.p.166

28 Munday, J.p.70

29 Gentzler, E. (2 nd edition 2001) Contemporary Translation Theories, Clevedon: Multilingual Matters

30 Munday, J. p.71

31 Newmark, P. (1981) Approaches to Translation, Oxford and New York: Pergamon

32 Newmark, P. (1988) A Textbook of Translation, New York and London; Prentice Hall

33 Newmark, P.(1981) p.39

34 Newmark, P. (1981) p.39

35 Koller, W. (1979a) Einfuhrung in die Ubersetzungswissenschaft, Heidelberg-Wiesbaden: Quelle und Meyer

36 Koller, W. (1979b) 'Equivalence in Translation Theory' translated from German by A. Chesterman in A. Chesterman(ed.)(1989) Readings in Translation Theory, Helsinki: Finn Lectura, pp.99-104

37 Koller, W. (1979b), p.104

38 Vinay, J.P. and J. Darbelnet (1958) Stylistique Comparee du francais et de l'anglais:Methode de Traduction, Paris; Didier, translated and edited by J. C. Sager and M. J. Hamel (1995) as Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins

39 Vinay and Darbelnet in J.C. Sager and M.J. Hamel pp.30-42

40 Vinay and Darbelnet in J.C. Sager and M.J. Hamel pp.94-99

41 Catford, J. C. (1965) A Linguistic Theory of Translation, London: Oxford University Press

42 Catford, J. C. p.27

43 Catford, J. C. pp.73-82

44 Levy, J. (1963/1969) Umeneni Prekladu, Prague:Ceskoslovensky spisovatel translated by W.Schamschula (1969) as Die Literarische Ubersetzung: Theorie einer Kunstgattung, Frankfurt: Athenum

45 Levy, J. (1967/2000) 'Translation as a Decision Process', in L. Venuti (ed.) (1st edition 2000) The Translation Studies Reader, London and New York: Routledge

46 Levy, J. (1967) in L. Venuti p.156

47 Holmes, J.S. (ed.) (1970) The Nature of Translation: Essays on the Theory and Practice of Literary Translation, The Hague and Paris: Mouton

48 Miko, F. (19700 'La Theorie de L'expression et la Traduction' in J.S.Holmes (ed.), ppp.61-77

49 Popovic, A. (1970) 'The Concept "Shift of Expression" in Translation Analysis', J.S. Holmes (ed.) pp.78-87

50 Popovic, A. (1976) Dictionary for the Analysis of Literary Translation, Edmonton: Department of Comparative Literature, University of Alberta

51 Bell, R. (1991) Translation and Translating: Theory and Practice, London and New York: Longman, p.43

52 Lederer, M. (1994) La Traduction Aujourd'hui: Le Model Interpratif, Paris: Hatchette, translated (2003) by N. Larche as Translation: The Interpretive Model, Manchester: St Jerome pp.23-42

53 Munday, J. p.101

54 Sperber, D. and D. Wilson (1986, 2 nd edition 1997) Relevance: Communication and Cognition, Oxford: Blackwell

55 Gutt, E. (2000) Translation and Relevance: Cognition and Context, Manchester: St Jerome, pp190-194

56 Bell, R. pp.35-81

57 Krings, H. (1986) 'Translation Problems and Translation Strategies of Advanced german Learners of French(L2)', in J. House and S. Blumkulka (eds) Interlingual and Intercultural Communication: Discourse and Cognition in Translation, Tubingen; Gunter Narr,pp.262-276

Tirkonen-Condit S. and R. Jaaskelainen (eds.) Tapping and Mapping the Processes of Translation and Interpreting: Outlooks on Empirical Research, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins

58 Jakobsen, A.and L. Schou (1999) 'Translog documentation', Copenhagen Studies in Language 24;149-184

Hansen, G. (2006) 'Retrospection Methods in Translator Training and Translator Research' Tne Journal of Specialized Translation 5: 1-40

59 O'Brien, S. (2006) 'Eye tracking and translation Memory matches', Perspectives 14.3: 185-205

60 Reiss, K. (1977) 'Text Types, Translation types and Translation Assessment' translated by A. Chesterman (ed.) (1989), pp.105-115

61 Fawcett, P. (1997) Translation and Language: Linguistic Approaches Explained, Manchester: St Jerome,pp.106-108

62 Snell-hornby, M., (1995), pp.31-32

63 Munday, J.,p.123

64 Holz-Manttari, J. (1984) Translatorischhes handeln: Theorie und Methode, Helsinki: Soumalainen Tiedeakatemia

65 يقول منداي إن دراسة هولتس - مانتاري لم تترجم كاملة إلى الإنجليزية، وإن المقتطفات الواردة هنا من ترجمته في كتابه المشار إليه (ص77 - 79).

66 Nord, C. (2005)Text Analysis in Translation: Theory, Methodology and Didactic Application of a Model for Translation-Oriented Text Analysis, Amesterdam: Rodopi, pp.31-32

67 Reiss, K. and H. J. Vermeer (1984) Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie, Tubingen: Niemeyer

68 Reiss, K. and H.G. Vermeer, p.119

69 Vermeer, H.J. (1989) 'Skopos and Commision Translational action' in L.Venuti (ed) (2004),p.234

70 Vermeer, H. J. (1989), p.235

71 Vermeer, H. J., p.237

72 Munday, J., p.129

73 Nord, C.(1997) Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained, Manchester; St Jerome, pp.109-122

Schaffner, C. (1989) 'Skopos Theory' in M.Baker (ed) (1998), pp.237-238

74 Vermeer, H.J. (1989) in L. Venuti (ed) (2004), pp232-233

75 Nord, C.(2005), pp.80-81

76 Nord, C. (1997), pp.59-67

77 Munday, J., p.134

78 Eggins, S. (2004) An Introduction to Systemic Functional Grammar, London: Continuum, pp.78-84

79 Eggins,p.84

80 House, J. (1997) Translation Quality Assessment, Tubingen: Gunter Narr, pp.101-104

81 House, J. pp.44-45

82 Munday, J., p.146

83 House, J., pp.105-109

84 House, J., p.66

85 House, J., p.69

86 House, J., p.114

87 Even-Zohar, Itamar 1978. "The Position of Translated Literature within the Literary Polysystem" In James S Holmes, José Lambert, and Raymond van den Broeck (eds) Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies, Leuven: Acco, pp. 117-127

88 Even-Zohar, p.118

89 Even-Zohar, p.122

90 Gentzler, E., pp123-125

91 Toury, G. (1995) Descriptive Translation Studies- And Beyond, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins

92 Toury, G., pp.36-39

93 Toury, G., p.55

94 Toury, G., p.54

95 Toury, G.,p.61
96 Toury, G.,p.55
97 Toury, G.,pp.56-59
98 Toury, G., pp.267-274
99 Chesterman, A.(1997) Memes of Translation, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins
100 Chesterman, A. pp.64-70
101 Bassnett, S. and A. Lefevere (eds) (1990) Translation, History and Culture, London and New York: Routledge
102 Snell-Hornby, M. (1990) 'Linguistic Transcoding or Cultural Transfer: A Critique of Translation Theory in Germany', in S. Bassnett and A.Lefevere (eds), pp.79-86
103 Lefevere, A. (1992) Translation, Rewriting and the Manipulation of literary Fame, London and New York; Routledge
104 Lefevere, A., p.2
105 Lefevere, A., p.8
106 Lefevere, A., p.9
107 Lefevere, A., pp.15-26
108 Lefevere, A., p.39
109 Lefevere, A., p.41
110 Simon, S.(1996) Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission, London and New York: Routledge
111 Simon, S.,p.1
112 Simon, S.,p.2
113 Godard, B. (1990) 'Theorizing Feminist Discourse/ Translation' in S. Bassnett and A. Lefevere (eds),pp.87-96
114 Simon, S.,p.15
115 Simon, S., pp.68-71
116 Spivak, G. (1993/2004) 'The Politics of Translation', in L. Venuti (ed.)(2004), pp.369-388
117 Spivak,G.,pp.371-372
118 Munday, J.,p.209
119 Niranjana, T. (1992) Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context, Berkeley, CA: University of California Press

120 Niranjana, T.,p.8

121 Niranjana, T.,p.33

122 Niranjana, T.,p.2

123 Niranjana, T.,pp.4, 8-49

124 Niranjana, T., pp.167-171

125 Niranjana, T.,p.173

126 Bassnett, S. and H. Trivedi (eds) (1999) Post-Colonial Translation: Theory and Practice, London and New York: Routledge

127 Bassnett, S. and H. Trivedi, p.13

128 Munday, J.,p.212

129 Bhabha, H. (1994) The Location of Culture, London and New York: Routledge

130 Wolf, M. (2000) 'The Third Space in Postcolonial Representation', in Simon, S. and P. St Pierre (eds) (2000) Changing the Terms: Translation in the Postcolonial Era, Ottawa: Ottawa University Press

131 Rao, S. (2006) 'From a Postcolonial to a Non-Colonial Theory of Translation', in Sakai, N. and J. Solomon (eds) (2006) Translation, Biopolitics, 'Colonial Difference', Hong Kong: Hong Kong University Press, p.89

132 Cronin, M. (1996) Translating Ireland: Translation, Languages, Cultures, Cork: Cork University Press

133 Tymoczko, M. (1999) Translation in a Post-Colonial Context: Early Irish Literature in English Translation, Manchester: St Jerome

134 Cronin, M., p.3

135 Cronin, M., pp.49-51

136 Cronin, M., p.92

137 Cronin, M.,p.174

138 Munday, J., p.212

139 Venuti, L. (1995) The Translator's Invisibility: A History of Translation, London and New York: Routledge, p.1

140 Venuti, L. (1998a) The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference, London and New York: Routledge, p.31

141 Venuti, L. (1995), pp.19-21

142 (Venuti, L. (1998b) 'The American Tradition', in M. Baker (ed.)(I998), p.242

143 Venuti, L. (1995),pp.305-306

144 Venuti, L. (1998a), p.11

145 Venuti, L. (1998a), pp.13-20

146 Venuti, L. (1995), p.29

147 Berman, A. (1984) L'epreuve de l'etranger: culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Paris: Editions Gallimard; translated (1992) by S. Heyvaert as The Experience of the Foreign: Culture and Translation in Romantic Germany, Albany, NY: State University of New York

148 Berman, A. (1985) 'La traduction comme epreuve de l'etranger', Texte 4 (1985):67-81, translated by L. Venuti as 'Translation and the trials of the foreign' in L. Venuti (ed.) (2004), pp.276-289

149 Berman, A. in L. Venuti, p.276

150 Berman, A. in L. Venuti, p.277

151 Berman, A. in L. Venuti, p.278

152 Berman, A. in L. Venuti, pp.280-287

153 Berman, A. in L.Venuti, pp.288-289

154 Venuti, L. (1998), pp.31-66

Venuti, L. (1995), pp.9-10

155 Pym, A. (1996) 'Venuti's visibility' (Review of the Translator's Invisibility), Target 8.1: 165-177

156 Pym, A., p.176

157 Munday, J., p.239

158 Bourdieu, P. (1977) Outline of a Theory of Practice, translated by R. Nice, Cambridge: Cambridge University Press

Bourdieu, P. (1991) Language and Symbolic Power, translated by Raymond and M. Adamson, Cambridge: Polity Press

159 Pym, A. (2006) 'On the social and cultural in translation studies' introduction to Pym, A. and M. Shlesinger and Z. Jettmarova (eds) (2006) Sociocultural Aspects of Translating and Interpreting, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins

160 Simeoni, D. (1998) 'The pivotal status of the translator's habitus', Target 10.1:1-40

161 Inghilleri, M. (2005a) Bourdieu and the Sociology of Translation and Interpreting, Special Issue of The Translator 11.2

162 Inghilleri, M. (2005b) 'The sociology of Bourdieu and the construction of the "object" in translation and interpreting studies', The Translator 11.2: 125-146

163 Gouanvic, J-M. (2005) 'A Bourdieusian theory of translation, or the coincidence of practical instances: field, "habitus", capital and illusio', The Translator 11.2: 147-166

164 Steiner, G., p.249

165 Steiner, G., p.312

166 Steiner, G., p.311

167 Steiner, G., pp.312-345

168 Steiner, G., p.318

169 Steiner, G., p.319

170 Steiner, G.,p.337

171 Steiner, G., p.338

172 Steiner, G., p.347

173 Steiner, G., p.378

174 Steiner, G., p.249

175 Munday, J., p.258

176 Venuti, L.(1995) p.34

177 Gentzler, E. (2001) p.28

178 Vieira, E. (1999) 'Liberating Calibans: Readings of Antropofagia and Haroldo de Campos' poetics of transcreation', in S.Bassnett and H. Trivedi (eds), p.105

179 Benjamin, W.(1969) 'The task of the translator', translated by H. Zohn, in L. Venuti (ed.)2004, p.77

180 Benjamin, W., p.77

181 Benjamin, W., p.81

182 Benjamin, W., p.82

183 Munday, J., pp.262-263

184 Munday, J., p291

185 Baker, M. (1993) 'Corpus linguistics and translation studies: implications and applications', in: Baker, M., G. Francis and E. Tognini-Boneli (eds) Text and Technology: In Honour of John Sinclair, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins:233-250

Baker, M. (1995) 'Corpora in translation studies; an overview and suggestions for future research' Target7.2:233-243

186 Bernadini, S., D. Stewart and F. Zanettin (eds) 'Corpora in translation education: an introduction' in Zanettin, F., S. Bernadini and D. Stewart (2003) Corpora in Translation Education, Manchester: St Jerome

187 Olohan, M. (2004) Introducing Corpora in Translation Studies, Manchester: St Jerome

188 Munday, J., pp.293-294

189 Granger, S., J. Lerot and S. Petch-Tyson (eds) (2003) Corpus-based Approaches to Contrastive Linguistics and Translation Studies, Amesterdam:Rodopi

190 Delabastita, D. (1989) 'Translation and mass-communication: film and TV translation as evidence of cultural dynamics', Babel 35.4:193-218

191 Snell-Hornby, M. (1988/1995)

192 Titford,C. (1982) 'Subtitling: Constrained translation', Lebende Sprachen 27.3 113-116

Mayoral, R., D. Kelly and N.Gallardo (1988) 'The concept of constrained translation: non-linguistic perspectives of translation', Meta 33.3: 356-367

193 Delabastita, D., p.196

194 Delabastita, D., pp.201-202

195 Gambier, Y. (ed.0 (2003) Screen Translation, Special issue of The Translator 9.2

196 De Linde, Z. and N. Kay (1999) The Semiotics of Subtitling, Manchester: St Jerome, p.3

197 Ivarsson, J. and M. Carroll (1998) Subtitling, Simirshamn: TransEdit

198 Karamitroglou, F. (2000) Towards a Methodology for the Investigation of Norms in Audiovisual Translation, Amesterdam and Atlanta: Rodopi, p.105

199 Taylor, C. (2003) 'Multimodal transcription in the analysis, translation and subtitling of Italian films', The Translator 9.2: 191-205

200 Thibault, P. (2000) 'The multimodal transcription of a television advertisement: theory and practice', in A.Baldry (ed.) Multimodality and Multimediality in the Distance Learning Age, Campobasso: Palladino Editore, pp.311-385

201 Taylor, C.,pp.192-193

202 Chaume, F. (2004) 'Film Studies and translation Studies', Meta 49.1: 12-24

203 Chaume, F., p.16

204 Chaume, F., pp17-22

205 Diaz Cintas, J. and P. Munoz Sanchez (2006) 'Fansubs: audiovisual translation in an amateur environment', The Journal of Specialized Translation 6: 37-52

206 Mangiron, C. and M. O'Hagan (2006) 'Game localization: unleashing imagination with "restricted" translation', The Journal of Specialized Translation 6:10-21

207 Munday, J., p.287

208 www.lisa.org

209 Pym, A. (2004) The Moving Text: Localization, Translation and Distribution, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins

210 Pym, A., pp.34-35

211 Pym, A., p.198

المراجع

Amos, F.R. (1920/1973) Early Theories of Translation, New York: Octagon.
Arnold, M. (1861/1978) On Translating Homer, London: AMS Press.
Baker, M. (1993) 'Corpus linguistics and translation studies: implications and applications', in: Baker, M., G. Francis and E. Tognini-Bonelli (eds) Text and Technology: In Honour of John Sinclair, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins: 233-250.
Baker, M. (1995) 'Corpora in translation studies: an overview and suggestions for future research' Target7.2: 233-243.
Baker, M. (ed.) (1998) The Routledge Encyclopedia of Translation Studies, London and New York: Routledge.
Bassnett, S. and A. Lefevere (eds) (1990) Translation, History and Culture, London and New York: Routledge.
Bassnett, S. and H. Trivedi (eds) (1999) Post-Colonial Translation: Theory and Practice, London and New York: Routledge.
Bell, R. (1991) Translation and Translating: Theory and Practice, London and New York: Longman.
Benjamin, W. (1969/2004) 'The task of the translator', translated by H. Zohn(1969), in L. Venuti (ed.)(2004), pp.75-82.
Berman, A. (1984/1992) L'épreuve de l'étranger: culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Paris: Editions Gallimard; translated (1992) by S. Heyvaert as The Experience of the Foreign: Culture and Translation in Romantic Germany, Albany, NY: State University of New York.
Berman, A. (1985/2004) 'La traduction comme épreuve de l'étranger', Texte 4 (1985):67-81, translated by L. Venuti as 'Translation and the trials of the foreign' in L. Venuti (ed.) (2004), pp.276-289.
Bernadini, S., D. Stewart and F. Zanettin (eds) 'Corpora in translation education: an introduction' in Zanettin, F., S. Bernadini and D. Stewart (2003) Corpora in Translation Education, Manchester: St Jerome.
Bhabha, H. (1994) The Location of Culture, London and New York: Routledge.
Bourdieu, P. (1977) Outline of a Theory of Practice, translated by R. Nice,

Cambridge: Cambridge University Press.
Bourdieu, P. (1991) Language and Symbolic Power, translated by Raymond and M. Adamson, Cambridge: Polity Press
Caminade, M. and A. Pym (1995) Les Formations en Traduction et Interprétation. Essai de recensement Mondial, special issue of Traduire, Paris: Societe Francaise des Traducteurs
Catford, J. C. (1965) A Linguistic Theory of Translation, London: Oxford University Press.
Chaume, F. (2004) 'Film Studies and Translation Studies', Meta 49.1: 12-24.
Chesterman, A. (ed.) (1989) Readings in Translation Theory, Helsinki: Finn Lectura
Chesterman, A. (1997) Memes of Translation, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins.
Cicero, M.T. (46 BCE/ 1960 CE) 'De optimo genere oratrum' in Cicero De inventio, De optimo genere oratrum, topica, translated H.M. Hubbell, Cambridge, MA: Harvard University Press; London: Heinemann, pp.347-373.
Cronin, M. (1996) Translating Ireland: Translation, Languages, Cultures, Cork: Cork University Press.
Delabastita, D. (1989) 'Translation and mass-communication: film and TV translation as evidence of cultural dynamics', Babel 35.4: 193-218.
De Linde, Z. and N. Kay (1999) The Semiotics of Subtitling, Manchester: St Jerome.
Derrida, J. (2001/2004) 'What is a "relevant" translation?' translated by L. Venuti, Critical Inquiry 27 (Winter 2001): 174-200, reprinted in L. Venuti (ed.) (2004), pp.423-447.
Diaz Cintas, J. and P. Munoz Sanchez (2006) 'Fansubs: audiovisual translation in an amateur environment', The Journal of Specialized Translation 6: 37-52.
Dryden, J. (1680) 'Metaphrase, Paraphrase and Imitation' in Schulte, R. and J. Biguenet (eds) (1992) Theories of Translation, Chicago and London: University of Chicago Press.

Dryden, J. (1697) ‘Dedication of the Aeneid’ in Schulte, R. and J. Biguenet (eds) (1992) Theories of Translation, Chicago and London: University of Chicago Press.

Eggins, S. (2004) An Introduction to Systemic Functional Grammar, London: Continuum.

Even-Zohar, Itamar (1978) “The position of translated literature within the literary polysystem” In L. Venuti (ed.) (2004), pp.199-204.

Fawcett, P. (1997) Translation and Language: Linguistic Approaches Explained, Manchester: St Jerome, pp.106-108.

Gambier, Y. (ed.0 (2003) Screen Translation, Special issue of The Translator 9.2.

Gentzler, E. (2 nd edition 2001) Contemporary Translation Theories, Clevedon: Multilingual Matters.

Godard, B. (1990) ‘Theorizing feminist discourse/ translation’ in S. Bassnett and A. Lefevere (eds), pp.87-96.

Gouanvic, J-M. (2005) ‘A Bourdieusian theory of translation, or the coincidence of practical instances: field, “habitus”, capital and illusio’, The Translator 11.2: 147-166.

Granger, S., J. Lerot and S. Petch-Tyson (eds) (2003) Corpus-based Approaches to Contrastive Linguistics and Translation Studies, Amesterdam: Rodopi.

Gutt, E. (2 nd edition 2000) Translation and Relevance: Cognition and Context, Manchester: St Jerome.

Hansen, G. (2006) ‘Retrospection methods in translator training and translator research’ The Journal of Specialized Translation 5: 1-40.

Holmes, J.S. (ed.) (1970) The Nature of Translation: Essays on the Theory and Practice of Literary Translation, The Hague and Paris: Mouton.

Holz-Manttari, J. (1984) Translatorischhes handeln: Theorie und Methode, Helsinki: Soumalainen Tiedeakatemia.

House, J. (1997) Translation Quality Assessment: A Model Revisited, Tubingen: Gunter Narr.

Inghilleri, M.(ed.) (2005a) Bourdieu and the Sociology of Translation and

Interpreting, Special Issue of The Translator 11.2.
Inghilleri, M. (2005b) 'The sociology of Bourdieu and the construction of the "object" in translation and interpreting studies', The Translator 11.2: 125-146.
Ivarsson, J. and M. Carroll (1998) Subtitling, Simirshamn: TransEdit.
Jakobsen, A.and L. Schou (1999) 'Translog documentation', Copenhagen Studies in Language 24: 149-184.
Jakobson, R. (1959) 'On Linguistic Aspects of Translation' in L. Venuti (ed.) (2004).
Karamitroglou, F. (2000) Towards a Methodology for the Investigation of Norms in Audiovisual Translation, Amesterdam and Atlanta: Rodopi.
Koller, W. (1979a) Einführung in die Übersetzungswissenschaft, Heidelberg-Wiesbaden: Quelle und Meyer.
Koller, W. (1979b) 'Equivalence in translation theory' translated from German by A. Chesterman in A. Chesterman (ed.)(1989) Readings in Translation Theory, Helsinki: Finn Lectura, pp.99-104.
Krings, H. (1986) 'Translation problems and translation strategies of advanced German Learners of French (L2)', in J. House and S. Blum-kulka (eds) Interlingual and Intercultural Communication: Discourse and Cognition in Translation, Tubingen; Gunter Narr, pp.262-276.
Lederer, M. (1994) La traduction aujourd'hui: Le modele Interprétatif, Paris: Hatchette, translated (2003) by N. Larche as Translation: The Interpretive Model, Manchester: St Jerome.
Lefevere, A. (1992) Translation, Rewriting and the Manipulation of literary Fame, London and New York: Routledge.
Levy, J. (1963/1969) Umeneni Prekladu, Prague:Ceskoslovensky spisovatel translated by W.Schamschula (1969) as Die Literarische Ubersetzung: Theorie einer Kunstgattung, Frankfurt: Athenäum.
Levy, J. (1967/2000) 'Translation as a decision process', in L. Venuti (ed.) (1st edition 2000) The Translation Studies Reader, London and New York: Routledge.
Mangiron, C. and M. O'Hagan (2006) 'Game localization: unleashing

imagination with “restricted” translation’, The Journal of Specialized Translation 6:10-21.
Mayoral, R., D. Kelly and N.Gallardo (1988) ‘The concept of constrained translation: non-linguistic perspectives of translation’, Meta 33.3: 356-367.
Miko, F. (1970) ‘La theorie de l’expression et la traduction’ in J.S.Holmes (ed.) (1970), pp.61-77.
Munday, J. (4 th edition 2016) Introducing Translation Studies: Theories and Applications, London and New York: Routledge.
Newmark, P. (1981) Approaches to Translation, Oxford and New York: Pergamon.
Newmark, P. (1988) A Textbook of Translation, New York and London: Prentice Hall.
Nida, E.A. (1964) Towards a Science of Translating, Leiden: E.J. Brill.
Nida, E.A. and C.R. Taber (1969) The Theory and Practice of Translation, Leiden: E.J. Brill.
Niranjana, T. (1992) Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context, Berkeley, CA: University of California Press.
Nord, C. (1997) Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained, Manchester: St Jerome, pp.109-122.
Nord, C. (2005) Text Analysis in Translation: Theory, Methodology and Didactic Application of a Model for Translation-Oriented Text Analysis, Amesterdam: Rodopi.
O’Brien, S. (2006) ‘Eye tracking and translation memory matches’, Perspectives 14.3: 185-205.
Olohan, M. (2004) Introducing Corpora in Translation Studies, Manchester: St Jerome.
Popovic, A. (1970) ‘The concept “shift of expression” in translation analysis’, in J.S. Holmes (ed.), pp.78-87.
Popovic, A. (1976) Dictionary for the Analysis of Literary Translation, Edmonton: Department of Comparative Literature, University of Alberta.
Pym, A. (1996) ‘Venuti’s visibility’ (Review of the Translator’s Invisibility), Target 8.1: 165-177.

Pym, A. (2004) The Moving Text: Localization, Translation and Distribution, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Pym, A. (2006) 'On the social and cultural in translation studies' introduction to Pym, A. and M. Shlesinger and Z. Jettmarova (eds) (2006) Sociocultural Aspects of Translating and Interpreting, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Rao, S. (2006) 'From a postcolonial to a non-colonial theory of translation', in Sakai, N. and J. Solomon (eds) (2006) Translation, Biopolitics, 'Colonial Difference', Hong Kong: Hong Kong University Press, pp.73-94.

Reiss, K. (1977) 'Text Types, Translation types and Translation Assessment' translated by A. Chesterman, in A.Chesterman (ed.) (1989), pp.105-115.

Reiss, K. and H. J. Vermeer (1984) Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie, Tubingen: Niemeyer.

Robinson, D. (ed.) (1997) Western Translation Theory from Herodotus to Nietzsche, Manchester: St Jerome.

Schaffner, C. (1989) 'Skopos Theory' in M.Baker (ed) (1998), pp.235-238.

Schleiermacher, F. (1813) 'On the different methods of translating' in L.Venuti (ed.) (2004), pp.43-63.

Simeoni, D. (1998) 'The pivotal status of the translator's habitus', Target 10.1:1-40.

Simon, S.(1996) Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission, London and New York: Routledge.

Snell-Hornby, M.(1988/1995) Translation Studies: An Integrated Approach, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins.

Snell-Hornby, M. (1990) 'Linguistic transcoding or cultural transfer: A critique of translation theory in Germany', in S. Bassnett and A.Lefevere (eds), pp.79-86.

Sperber, D. and D. Wilson (1986/ 1995) Relevance: Communication and Cognition, Oxford: Blackwell.

Spivak, G. (1993/2004) 'The politics of translation', in L. Venuti (ed.)(2004), pp.369-388.

Steiner, G. (1975, 3rd edition 1998) After Babel: Aspects of Language and

Translation, London, Oxford and New York: Oxford University Press.

Taylor, C. (2003) 'Multimodal transcription in the analysis, translation and subtitling of Italian films', The Translator 9.2: 191-205.

Thibault, P. (2000) 'The multimodal transcription of a television advertisement: theory and practice', in A.Baldry (ed.) Multimodality and Multimediality in the Distance Learning Age, Campobasso: Palladino Editore, pp.311-385.

Tirkonen-Condit S. and R. Jääskeläinen (eds.) Tapping and Mapping the Processes of Translation and Interpreting: Outlooks on Empirical Research, Amesterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Titford,C. (1982) 'Subtitling: Constrained translation', Lebende Sprachen 27.3: 113-116

Toury, G. (1995) Descriptive Translation Studies- And Beyond, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins.

Tymoczko, M. (1999) Translation in a Post-Colonial Context: Early Irish Literature in English Translation, Manchester: St Jerome.

Tytler, A.F. (Lord Woodhouselee (1790) Essay on the Principles of Translation, Edinburg: Cadell and Davies in D.Robinson (ed.) (1997), pp.208-212.

Venuti, L. (1995) The Translator's Invisibility: A History of Translation, London and New York: Routledge.

Venuti, L. (1998a) The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference, London and.

New York: Routledge.

Venuti, L. (1998b) 'The American Tradition', in M. Baker (ed.) (I998), p.242.

Venuti, L. (2nd edition 2004) The Translation Studies Reader, London and New York: Routledge.

Vermeer, H.J. (1989) 'Skopos and commision in translational action' in L.Venuti (ed) (2004), pp.227-238.

Vieira, E. (1999) 'Liberating Calibans: readings of Antropofagia and Haroldo de Campos' poetics of transcreation', in S.Bassnett and H. Trivedi

(eds), pp.95-113.

Vinay, J.P. and J. Darbelnet (1958) Stylistique Comparée du francais et de l'anglais: methode de traduction, Paris; Didier, translated and edited by J. C. Sager and M. J. Hamel (1995) as Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation, Amesterdam and Philadelphia, PA: John Benjamins.

Wolf, M. (2000) 'The third space in postcolonial representation', in Simon, S. and P. St Pierre (eds) (2000) Changing the Terms: Translation in the Postcolonial Era, Ottawa: Ottawa University Press.



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

التربية البيئية على ضوء العدالة الإيكولوجية .. مقاربة سوسيولوجية

د. محمد فاوبار *

تدور إشكالية هذه الدراسة(**) حول استجلاء أهمية تدريس مقاربة العدالة الإيكولوجية التي ترصد - بشكل أفقي - مسألة العلاقة بين التفاوتات الاجتماعية والتدهور البيئي، من منطلق تضرر الفئات الدنيا في المجتمعات الحديثة من آثار البيئة المهدورة، ومن ثم تنطلق الدراسة من فرضية الربط بين العدالة الإيكولوجية والعدالة الاجتماعية، باعتبار أن تمكين الإنسان من الإنصاف والحرية والتربية الجيدة يجعله أكثر قدرة على حماية المجتمع والطبيعة. وهنا تكمن فاعلية المناهج التربوية البيئية في البلدان العربية التي تقوم على مفهوم العدالة الإيكولوجية لمواجهة آثار العقل الأداتي. وضمن هذا الإطار تسعى الدراسة إلى استعراض ملامح التربية البيئية العربية، وحاجتها إلى منظور إيكولوجي وتربوي اجتماعي نقدي وعادل يسهم في تطوير التربية العربية، ويقود نحو بلورة مشروع مجتمعي كفيل بمواجهة إكراهات التغير المناخي وعواقبه.

تناقش هذه الدراسة **أربعة محاور**، يعالج **المحور الأول** منها علاقة البيئة بالمجتمع والتربية، ويتناول **المحور الثاني** التربية البيئية في الكتب المدرسية لبعض البلدان العربية، ويقدم **المحور الثالث** تحليلا سوسيولوجيا للعدالة الإيكولوجية مع التركيز على البعد التربوي. وفي **المحور الرابع** سيتم رصد أهم ملامح التيار النقدي في التربية البيئية، وتبين الجوانب الفكرية والتربوية المهمة لدى التيارات الفكرية في التربية البيئية.

---

* أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب سايس - فاس - المملكة المغربية.

** هذه الدراسة تشكل جزءا من بحث نظري وميداني قيد الإنجاز حول التعليم والبيئة بالمدرسة المغربية، وقد حظي بدعم من المجلس العربي للعلوم الاجتماعية ببيروت.

البيئة بين المجتمع والتربية

منذ نهايات القرن الماضي بدأت العلاقة تتوطد بين ثلاثية المجتمع، والتربية، والبيئة، بفعل تطور الفاعلية التواصلية بين الأفراد والجماعات والنخب، وداخل المؤسسات التعليمية، والاجتماعية والمدنية، أي ضمن المجتمع باعتباره الحامل للكلية الاجتماعية، وهي التي تتعلق بالبنية والفاعل، والمقصود بذلك مختلف البنيات الاقتصادية والسياسية والقانونية التي شكلها الإنسان عبر التاريخ وانفصلت عنه بعد أن تحولت إلى بنيات موضوعية.

أما الفاعل فهو ذاك الكائن الذي ينخرط في ممارسات وأفعال مع الآخرين، بمعية بنيات المجتمع، إما بشكل تعارضي صراعي، وإما بشكل تفاعلي تبادلي انطلاقا من المكانة والدور اللذين يكتسبهما جراء نشاطه وكفاءته. في حين تتعلق التربية بمجمل القيم والرموز والمفاهيم، والنماذج السلوكية، ومختلف الطرق والاستراتيجيات المتبعة من طرف هيئات التنشئة (الموروثة والمتجددة)، والتي بواسطتها يُوجَّه الكائن ويُنشَّأ وفق غايات ومرامٍ تهدف إلى أنسنته وتيسير علاقته بذاته، ومع الآخر، والمجتمع، بهدف خلق الانسجام بين العالم والذات، وبين الذوات، بمعنى تذويت الموضوعي وموضعة الذاتي. وتنجح التربية المدرسية - بشكل خاص - حينما تُبنى سيرورة تذويت الفرد في تفاعل مع ذوات أخرى في أفق تكوين كفاءته ومهاراته، ومشروعه الدراسي والمهني، ومن ثم تنتج المدرسة فاعلين وذواتا، أي فاعلين ذوي أدوار وأفعال واعية وقصدية، وذوات بمعنى نزوع الفرد نحو الحرية والاستقلالية التي بموجبها يتمكن من ممارسة مسافة مع أدواره ومكانته المسندة إليه، أو تلك التي أسهم في تحقيقها.

في حين ترمز البيئة بدورها إلى الوسط الذي ابتكره الإنسان للعيش والتكيف مع سائر المخلوقات، بهدف استدامة وجوده على الأرض، من منطلق تمدده في الطبيعة وتمايزه عنها. ويشير التفاعل إلى قدرة الإنسان - منذ بداية النهضة الحديثة بواسطة العلوم - على استغلال خيرات الطبيعة وتطويعها لإنشاء المجتمع الصناعي والتقني. أما التمايز فيرتبط بطبيعة الإنسان المماثلة للطبيعة إجمالا في خصائص الحياة، والموت، والتجدد، لكنه يختلف عنها في قدراته الواعية، والعقلية، وفي كينونته الخاصة.

منذ انطلاقة القرن الماضي (القرن العشرين) أنشئ نظام التعليم في المجتمعات الغربية، وذلك استجابة للحاجات المتزايدة التي عبر عنها اقتصاد السوق، والتحولات المتسارعة في تقسيم العمل الاجتماعي، واتضحت ضرورة إعداد الناشئة الأوروبية للتربية التعليمية المؤسساتية التي تؤلف بين تكوين الفرد على الخبرة والمهارة، وفي الوقت نفسه تمكنه من القيم الحديثة، أي التذويت، حتى يقع الانسجام بين الكائن والعالم، وحتى يكون فاعلا وقادرا على العطاء والإبداع، باعتبار أن

المجتمع الحداثي يتطلب باستمرار تحقيق الإبداع والابتكار في المجالات العلمية والتقنية والفنية والاقتصادية. وقد حققت المجتمعات الأوروبية - على الرغم من إخفاقات بارزة خلال النصف الأول من القرن العشرين - مكتسبات كبرى، وحصلت فيها تحولات عميقة بفعل تثقيف الشعوب وتوعيتها وتكوينها بصورة مكنتها من القضاء على الأمية والأمراض والفقر، وكذا السمو بالساكنة إلى مستويات راقية في المجالات كافة، والاستجابة لحاجاتها الأساسية في مجال الإدماج، والاندماج الاجتماعي، والحرية. ولم يكن ممكنا تحقيق هذه الحداثة في الغرب من دون تفعيل استراتيجيات تربوية في المدرسة والأسرة تستند على الفعل التواصلي القائم على العقل والتنوير، وتنشئة الفرد على الحرية، والاستقلالية الفردية، والتعاون، والتوازن بين الحق والواجب. كما أن الطروحات البيئية أخذت ترتكز على المعرفة ومفهوم العدالة البيئية، بالانطلاق من الربط بين البيئة وأوضاع الفرد والجماعة في أفق تكوين المواطن الأرضي وفق تعبير إدجار موران.

ولا شك في أن التحولات التي أفرزها المجتمع الصناعي على الصعيد الكوني تمثلت أساسا في بروز المنظور الصراعي حول البيئة، أي اقتران الفقر مع التدهور البيئي، والنمط اللامتكافئ في توزيع الاختلالات البيئية نتيجة الاستغلال المتزايد للطبيعة والإسراف في استخدام منتجاتها والإضرار بها، وبفعل ممارسة الأنشطة الصناعية والعمرانية؛ مما أدى إلى إفقار مجموعات اجتماعية كبيرة، ونضوب خيرات الطبيعة ذاتها، أو ما يسمى بيئوية الإفقار[1]. وبالتالي أدى التدهور البيئي المتزايد إلى تناقص خيرات الطبيعة بشكل أخذ يهدد حياة الإنسان على الأرض؛ مما أفضى بالمجتمع المدني والحركات البيئية المدافعة عن الفقراء لاستنهاض الهمم بغية التكلم بصوت الطبيعة، قصد حمايتها والمحافظة عليها، وتشكيل قوة ضاغطة ومؤثرة ضد القوى الاقتصادية والاحتكارية التي لا يهمها الوضع البيئي، ولا تخدم سوى مصالحها المادية، وتحاول توظيف الدولة قصد ديمومة هذه المصالح.

في هذا السياق اهتدت المجتمعات المعاصرة إلى ابتكار عدد من الآليات لنصرة الطبيعة والبيئة، من خلال النظام التعليمي الذي يعد أهم المداخل لتأطير الوعي المجتمعي والساكنة، وتنشئتها على أساس منظور جديد للعدالة البيئية قوامه المعرفة والسلوك المطابق، لذلك تبلورت استراتيجيات تربوية وأساسا التربية على البيئة أو التربية البيئية التي تستهدف تكوين الوعي والمعرفة لدى الناشئة، علاوة على خلق الاتجاهات، والمهارات اللازمة للمشاركة، وبناء القدرة التقويمية لدى الفرد والجماعة.

في البلدان العربية، باعتبارها المتضررة من التدهور البيئي بفعل التخلف المجتمعي، انبنت النظم التعليمية الحديثة بعد استقلال هذه البلدان في منتصف القرن العشرين على أساس اقتباس

النموذج الغربي في التعليم، كما هو الأمر في دول المغرب العربي(*)، سواء على صعيد المناهج، أو القوانين، أو على مستوى مسالك، وبنيات، وأسلاك التعليم، في غياب شبه تام للاجتهاد والإبداع عند صياغة نظم تعليمية تنسجم وتلتقي مع تاريخ المجتمع العربي وحاجاته الأساسية في النهضة والتقدم، ومع متطلبات الشعوب الطامحة إلى المعرفة والتكوين والخبرة. وقد كان مردود النظم التعليمية المستعارة ضعيفا قياسا إلى نوع الخريجين، ودرجة مساهمة التعليم في البلدان العربية على مستوى الإبداع والابتكار، ويعزى ذلك أساسا إلى نمط التلقين المعرفي، وتدني اعتماد المقاربات النقدية والدفع بالمتعلم إلى اكتساب مهارات التفكير والاجتهاد الذاتي والاستقلال في الوعي والسلوك، وهو ما يعتبر اللبنة الأساسية نحو الإبداع.

هكذا تقوم هذه البلدان باستعارة دائمة لنماذج التربية والمناهج والمقررات الدراسية من محتوى نظام التعليم بفرنسا أو إنجلترا وأمريكا، وتحدث التعديلات والإصلاحات التي تندرج في النموذج الأصل، ووفق ما تدعو إليه المنظمات الدولية والمؤسسات البنكية الدائنة، مثل إدراج التربية السكانية، والتربية على المواطنة، والتربية البيئية وغيرها، وهي تعديلات ومظاهر تجديد لم تتبلور بناء على نقاش مجتمعي، أو نتيجة حاجات محلية، بل نتيجة تبني خارجي من موقع الضعف في الثقة الذاتية وتهلهل البناء المعرفي الذاتي.

وهو ما يتضح في ارتباط المنهاج الدراسي بالبيئة؛ إذ لا نجد تلك العلاقة العضوية بين المجتمع، والتربية، والبيئة كما هو الأمر في المجتمعات الناهضة، تلكم الفاعلة في ذاتها ومحيطها، وذلك نتيجة الطابع السلطوي للدولة في البلدان العربية، والتي لا تؤسس النظام التعليمي على أساس الاستقلال الذاتي والحاجات النهضوية، كما لا تترك مساحة الحرية للمجتمع المدني حتى يضطلع بدوره في خدمة البيئة والمجتمع. خاصة أن البيئة لا تعد أولوية تنموية وحضارية لديها، مثل قضايا النمو الاقتصادي، والإدماج الاجتماعي.

وعلى صعيد التربية والتعليم فإن النظم التعليمية لا تقوم على مشاريع تربوية واضحة المعالم تنسجم مع أولويات تنموية مدققة، كما أن الاهتمام بالقضايا البيئية يظل ضعيفا في حقل التعليم، وذلك نتيجة «ضعف الاهتمام بقضايا البيئة، فضلا على عدم الإدراك الكافي لدور وأهمية التربية البيئية في الأقطار العربية كعلم من العلوم الحديثة (...)، حيث إن أغلبية المجتمعات النامية لا تعطي أهمية أو أولوية للبرامج البيئية في مناهجها التعليمية... وتظل أغلبية النشاطات المدرسية فيها محصورة في نطاق المدرسة ذاتها، ولا ترتبط بالمجتمع

* نقصد بهذه الدول المملكة المغربية والجزائر وتونس، وهي دول كانت مستعمرة سابقا من طرف فرنسا التي أدخلت المدرسة الحديثة إلى هذه البلدان، منذ منتصف القرن التاسع عشر.

الخارجي»[2]. ويعزى ذلك إلى كون منظور التربية البيئي المدرسي في البلدان العربية - كما سنبين فيما بعد - لا يعدو أن يكون منظورا تجريديا وتقنيا لا يرتبط بتراث المجتمع وثقافته، ولا بمنظور اجتماعي بيئي.

يعد التساند بين التربية والمجتمع والبيئة محركا أساسيا لمواجهة التحولات المجتمعية والطبيعية، والتقنية، علما بأن التقنية أصبحت تؤثر في الفعل الإنساني وفق ما كشف عنه الباحث برنو لاتور في نظرية الفاعل/ الشبكة، لكن هذا التساند والترابط في البلدان العربية يظل مختلا بفعل الافتقار إلى مشروع سياسي واقتصادي مجتمعي يقوم على العدالة والإنصاف. ومن ثم فالنظام التعليمي لا يعمل على أساس تكافؤ الفرص التعليمية، والاجتماعية، ولا يرتكز على ثقافة نقدية متنورة، وعلى منظومة قيم تؤلف بين القيم المستنيرة في التراث وقيم العصر، خاصة قيم الاستقلالية، والمسؤولية، والتضامن، والمشاركة، تلك التي تمد الفرد بالوعي، وتمكنه من المعرفة الضرورية لبناء صرح علاقة واعية عمادها الثوابت المؤثرة في الذات، والمحيط، والآخر، والبيئة بمختلف أبعادها، فلا غرو أن لمسنا ضعف مردود التعليم الاجتماعي والثقافي والتربوي، مع افتقاد المتعلم ذلك الحس الثقافي، أو تلك الاتجاهات والمهارات الاجتماعية التي تقود إلى الاستنارة بالعقل، والمشاركة التطوعية الفاعلة، والمهارة التجديدية والإبداعية. وحسبنا قولا أن التربية البيئية ستكون مثل نظيراتها من أشكال التربية الأخرى المدرجة في المواد الحاملة غير مستندة إلى منظور «يعيد بناء شبكة العلاقات بين الأشخاص والجماعات والمحيط»[3]، ويجيب عن حاجات التلميذ الثقافية والبيئة والمجتمعية.

إن الحاجة تقوى وتتعاظم في الظرف الراهن نحو بناء المدخل البيئي التربوي في المناهج التربوية، على أساس منظور شمولي يؤسس لتذويت الطبيعة وطبيعانية الذات، وهو ما يقود حتما إلى المزاوجة بين المعرفة واللايقين، وبين العلم والثقافة، وبين الفهم والفعل. ومن شأن ذلك الرفع من شأو الإنسان في علاقته بالمجتمع والنوع لتتحقق جدلية التاريخ والمكان الأرضي والكوني، ولتتشكل وشائج الترابط بين الحاضر والمستقبل.

ضرورة الترابط بين الإيكولوجيا والعلوم الاجتماعية

تشكل موضوعة البيئة ميدانا لتدخل أنظمة معارف مختلفة تشمل العلوم الاجتماعية والعلوم الدقيقة، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حين أخذت تبرز معالم الاختلالات البيئية في الطبيعة والمجتمع، ومن بين العلوم البيئية المهمة نجد علم الإيكولوجيا الذي تكون منذ نهايات القرن التاسع عشر مع العالم الألماني في البيولوجيا إرنست هيكل (Haeckel,E) سنة 1866. وقد

تطور هذا العلم بعد منتصف القرن العشرين، ليهتم فيما بعد بالدراسة العلمية للتفاعلات الحاصلة بين الكائنات ووسطها، مع العلم أن مفهوم الوسط بالمعنى الإيكولوجي هو ذلك الميدان الذي تبنى ضمنه العلاقات بين أفراد النوع نفسه، وآخر من أنواع مختلفة، كما أن الوسط ذاته يتعلق بمكونات أساسية، مثل المناخ والأرض والرطوبة والضوء. أما البيئة فهي مجموع الخصائص الفيزيقية والكيميائية والبيولوجية التي تملك القدرة على الفعل المباشر أو غير المباشر آنيا وبعديا على مجموع الكائنات الحية والأنشطة البشرية، أي أن الأمر يتعلق هنا بعوامل مناخية، وكيميائية (المادة المعدنية وحالتها الصلبة أو الغازية)، وإيكولوجية خارج تدخل الإنسان ومختلف العناصر، وهي الماء، والهواء، والضوء، ودرجة الحرارة. وعلى أساسها تقوم الطبيعة بمهمة سند تطور الكائنات الحية وبنيتها التي تشترط تدخل الكائنات الحية في الطبيعة لاستغلالها[4]. وتتضمن الإيكولوجيا كذلك معارف مهمة تهدف إلى حصر المشكلات البيئية وفهمها وحلها، خاصة ضبط اشتغال الأنظمة البيئية؛ لأن من شأن هذه المعرفة تمكين الإنسان من الاستغلال الرشيد للموارد الطبيعية.

ضمن الإطار نفسه يعتبر عالم الاجتماع إدجار موران أن النظرية الإيكولوجية الجديدة التي مازالت في طورها الجنيني قد عملت على تغيير مفهوم الطبيعة ببروز فكرة أن المجموعات الأحيائية (Biocénose) التي تعيش في بيئة حيوية (Biotope) تشكل مع هذه الأخيرة وحدة عامة، أو نظاما بيئيا لأن مجموع الإكراهات والتفاعلات والترابطات داخل فضاء إيكولوجي تمثل في الواقع تنظيما ذاتيا، بمعنى أنه يقوم ذاته بتفاعلات مكوناته الخاصة[5].

والمهم هو أن هذه الترابطات والتضامنات المعقدة بين الكائنات النباتية والحيوانية والإنسانية تبين أن الطبيعة العضوية عامة، ككينونة أساسية تتوسل الهدم أو الموت ديدنا للضبط. فالوعي الإيكولوجي الجديد - يقول إدجار موران - ينبغي أن يغير فكرة الطبيعة في العلوم البيولوجية، حيث إن الطبيعة ما هي إلا انتقاء للأنساق الحية، وليس حميلة بيئية إدماجية للإنسان، تماما كما في العلوم الإنسانية، حيث تعبر الطبيعة عن فكرة اللانتظام؛ لذا فما ينبغي أن يتغير هو العلاقة بين الكائن الحي ومحيطه، أي أن وعي الإنسان ينبغي أن يتجه إلى أنه يجسد نسقا، وهذا النسق يمثل جزءا من نسق آخر مندمج فيه، بمعنى أنه كلما كان النسق الحي مستقلا كان تابعا للنظام البيئي، ويعتبر إدجار موران أن التبعية/ الاستقلالية الإيكولوجية للإنسان توجد في درجتين متتابعتين ومترابطتين هما: النظام البيئي الاجتماعي، والنظام البيئي الطبيعي، هنا يتم الدمج بين الإيكولوجي والاجتماعي، وبين الطبيعي والثقافي[6]. إنه الوعي المستمر بأهمية الفهم العميق للطروحات الإيكولوجية، والوعي الحقوقي المتزايد بالوضع الإيكولوجي/ البيئي، كنوع من إعادة إحياء العلاقة بالحياة البدائية، ومراجعة الأسس الفكرية والحضارية للمجتمعات الحديثة.

فالمفكرون الغربيين يدعون إلى إعادة النظر في الثقافة والتشبث بالأسس سالفة الذكر باعتبارها منطلقا لبناء نظرية إيكولوجية تتضمن الاستمرارية بين الإيكولوجي والمجتمعي، تناهض النموذج الاستهلاكي، وتموضع الإنسان ضمن الطبيعة، وتتجاوز المسلمة الفلسفية القائلة بالذات/ موضوع، عن طريق خلخلة مفهوم الطبيعة بالربط الجدلي بين الإنسان والطبيعة بمختلف مستوياتهما.

وتأسيسا لكل ما سبق، يكمن التصور العلائقي الذي يربط بين الإيكولوجيا والمجتمع - بما في ذلك محورية الإنسان الفاعل ضمن إطار مشروع مجتمعي يضع حماية البيئة الطبيعية، ومواجهة نتائج التغير المناخي في المستوى نفسه، ويبحث للتربية المدرسية والبيئية خاصة عن موطئ قدم تتلمس من خلاله مكانتها ووظيفتها ضمنه، إنه مشروع واعد لتكوين الناشئة وتمكينها من المساهمة في بلورة المجتمع البديل الذي تتعالق فيه العدالة الاجتماعية بتكييف مكونات المجتمع لمواجهة الآثار السلبية للتغيرات المناخية نحو مجتمع خال من الكربون بتعبير دافيد هيكس[7]. ونتيجة لذلك تبرز الحاجة إلى صياغة منهاج تربوي يقوم على مقاربة العدالة الإيكولوجية، ويضع التصور المعقد للمستويات الكونية والقارية والوطنية والمحلية والشخصية للمسألة الإيكولوجية والبيئية، ويبحث عن طرق الفعل البيداجوجي لترسيخ معارفها وقيمها وذلك بالمزاوجة بين المعرفة والعلم والأنسنة، وبين العقل والشعور، وبين تأكيد مقصد المساواة والسعي إلى بلوغ مرامي حرية الفرد وبناء قدراته الإبداعية، «يقول دافيد هيكس إن التلاميذ يستجيبون بشكل جيد خصوصا للتربية من أجل الاستدامة، عندما تمنحهم فرصة للمشاركة في الأنشطة العملية داخل قاعة الدرس وخارجها، وتمكنهم من البحث، والتخطيط، وتطبيق المشاريع التي تحدث فارقا واضحا بالنسبة إلى المدرسة والسكان المحليين»[8].

على أساس هذا القول يتبين دور إشراك المتعلم في التخطيط لكيفية حماية الطبيعة، ومواكبة التغيرات المناخية بالمشاريع المطابقة في إطار استدامة عادلة، نظرا إلى أن التلميذ مواطن يجسد قوة اقتراحية للمشاريع المناسبة لحماية ذاته والآخرين والطبيعة، وهكذا يتبين عقم المناهج التقليدية النصية التي تعتمد على المكتوب عوض الفاعل وسلوكه، وتعلي من الذاكرة على حساب العقل والوجدان، ولعل هذا يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي: ترى كيف تتحدد التربية البيئية في المناهج التربوية العربية؟

التربية البيئية في الكتب المدرسية العربية

نعتمد في المراجعة النقدية للأدبيات التي اهتمت بدراسة التربية على البيئة، أو التربية البيئية في بعض البلدان العربية على معرفة مدى احتضان المناهج المدرسية العربية العدالة

الإيكولوجية، ودرجة اهتمام الباحثين العرب بها، ونوعية القضايا التي تُرصَد على مستوى بيئي وتربوي، ومعرفة مستويات حضور الثقافة البيئية في المدرسة العربية بمختلف المستويات التعليمية، ومن أهم الدراسات ما يلي:

- بحث عبدالسلام العديلي وكوثر عبود الحراحشة حول أثر «دراسة مساق في التربية البيئية في اتجاهات طلبة جامعة آل البيت نحو بعض القضايا المتعلقة بالسلامة البيئية» في الأردن، وهو بحث ميداني اعتمد فيه الباحثان المنهج شبه التجريبي الذي طُبِّق على عينة من الجامعة المذكورة آنفا، وتتكون من 163 طالبا وطالبة (85 طالبا وطالبة مجموعة تجريبية و78 طالبا وطالبة مجموعة ضابطة). كما استُخدم مقياس للاتجاهات نحو بعض القضايا المتعلقة بسلامة البيئة، بعد إدخال بعض التعديلات عليه[9]. وقد تجلت أهمية الدراسة في كون الشباب في أمس الحاجة إلى التربية البيئية «فهم صناع القرار في المستقبل وعليهم تقع مسؤولية حماية البيئة والمحافظة عليها؛ مما يعزز أنماط التفكير والسلوك الإيجابي لديهم تجاه البيئة»[10]. وقد تطرق الباحثان - قبل عرض نتائج الدراسة - إلى مفهومي التربية البيئية والبيئة، فبالنسبة إلى المفهوم الأول ذكرا أن التربية البيئية هي ذلك «الجانب من التربية الذي يكسب الفرد المتعلم المعارف والمهارات والاتجاهات التي تمكنه من فهم وتقدير النظم البيئية بكليتها. وعلى وعي بالاستراتيجيات اللازم اتباعها للتعامل مع تلك المشكلات، وكذلك المشاركة بفعالية للعمل في اتجاه إيجاد حلول لها»[11]. وبذلك تصبح التربية البيئية مكونة من ثلاثة مستويات مترابطة وهي المستوى المعرفي والمستوى التخطيطي والاستراتيجي والمستوى السلوكي التطوعي، وهي مستويات مترابطة من الضروري أن تكون متضمنة في أي منهاج دراسي.

أما مفهوم البيئة فيدل على «المجال أو الإطار الذي يعيش فيه الإنسان بكل ما يشمله من هواء وماء وتربة، وبكل ما يوجد في هذه المكونات من جماد أو كائنات حية. وكذلك الشمس والطاقة والمناخ والرياح والأمطار، ويشمل أيضا المكونات التقنية والاجتماعية»[12]. وبذلك تتضمن البيئة مستويات إيكولوجية وتقنية واجتماعية متداخلة، يكون الإنسان أحد الفاعلين في إحداث التغييرات داخلها إلى جانب قوى الطبيعة. وعلاقة بالبيئة، وعملا على حمايتها يُنظر إليها من خلال أنظمتها الإيكولوجية والتكنولوجية والاجتماعية، وأيضا عبر مشكلاتها واختلالاتها، وأخيرا عبر سبل حمايتها قانونيا وعلميا وتربويا، واجتماعيا وثقافيا. وفي هذا الإطار تأخذ المؤسسات التربوية على عاتقها، وبمختلف أسلاكها، مهمة نشر الثقافة البيئية بهدف بلورة سلوك بيئي إيجابي لدى الطلاب في أفق الحفاظ على البيئة وتوازنها.

وقد استخلصت الدراسة فاعلية المعرفة البيئية في صناعة الاتجاهات البيئية لدى الطلاب، أي الأثر الإيجابي الذي يحدثه تدريس مساق يتعلق بالبيئة وبالتربية البيئية «خاصة إذا ما علمنا أن هذا المساق يحتوي الأبعاد الثلاثة للتربية البيئية المتمثلة في التعلم عن البيئة، ومنها ولأجلها»[13]. بمعنى التأكيد على دور المعارف في تشكيل الاتجاهات بشكل أقوى من متغيرات أخرى، مثل النوع الاجتماعي. ومن أوكد ما ورد في الدراسة الاهتمام الذي تأخذه إشكالية تلوث البيئة بمختلف مظاهرها؛ بالإضافة إلى إبراز أثر التفاعل بين دراسة مساق التربية البيئية والمستوى الدراسي في اتجاهات الطلبة المبحوثين نحو السلامة البيئية.

ولا تخفى أهمية هذه الدراسة التي كشفت عن دور متغير المعرفة البيئية في تشكيل الاتجاهات الطلابية نحو سلامة البيئة، غير أنها تظل دراسة غير كافية نظرا إلى عدم قيامها بتحليل نقدي لمحتوى مساق التربية البيئية الذي يتعلمه الطلاب انطلاقا من حضور أو غياب منظور العدالة الإيكولوجية، وعدم التعمق في أسباب نقص تكوين المدرسين في المجال البيئي، وعوامل انتشار سلوكيات ضارة بالبيئة لدى طلاب المدارس منذ المراحل الأولى من التعليم.

● أما البحث الثاني فيتعلق بواقع «التربية البيئية في كتب الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي (عينة من 16 كتابا) في جمهورية السودان» لصلاح إبراهيم عبدالرحيم إبراهيم، وقد تحدد الهدف من هذا البحث في «تقويم واقع التربية البيئية في كتب الحلقة الثانية المشار إليها، وكذلك تحديد درجة مساهمتها في تحقيق سلوك بيئي سليم لدى التلاميذ»[14]. وبعد أن تناول الباحث مفهوم التربية البيئية كونه يدل على «نهج تربوي يهدف إلى تزويد التلاميذ بالمعارف والمعلومات والقيم والاتجاهات والمهارات اللازمة؛ مما يسهم في تكوين سلوك بيئي سليم، يساعدهم في إيجاد حلول للمشكلات البيئية المعاصرة»[15]، أبرز الأهمية القصوى للتربية البيئية بمختلف البلدان في العالم، ومختلف الطرق التي يُدمج عبرها هذه التربية في المناهج الدراسية.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي وأسلوب تحليل المحتوى لدراسة مضمون التربية البيئية الذي يُمرَّر للتلاميذ، واستخلص إحدى السلبيات الأساسية التي تعانيها مناهج السودان الدراسية، وهي أنها «أولت الجانب المعرفي، أي جانب المعلومات والمعارف والحقائق، أهمية أكبر من جوانب التعلم الأخرى، مثل المهارات والقيم والاتجاهات والميول، وهذا بالطبع قد لا يؤدي إلى تحقيق التربية البيئية أهدافها المنشودة»[16]. وهذا التركيز على الجوانب المعرفية على حساب الجوانب الوجدانية والقيمية والضميرية وتنميتها لدى المتعلم في مستوى التربية البيئية لا تخص السودان وحده، بل نجدها حاصلة في بلدان عربية أخرى، مما يدل على أن

المدرسة العربية غير مفعمة بالحياة في أبعادها الأساسية وفق ما ينص على ذلك جون ديوي، ومتصلة بشكل أقل بحاجات وحياة المتعلم. ومادامت العلاقة بالبيئة علاقة إنسانية وجدانية وقيمية وذاتية تحديدا، علاوة على أنها موضوع للمعرفة، فإنه يغدو مستبعدا أن يتشبع المتعلم بالقيم الناظمة للبيئة، بحيث يكون ظهيرا لها، ومستبطنا لها في المتخيل، والسلوك، والاتجاه.

ومن الملاحظات الأساسية التي تبرز في هذا العمل، كون الباحث لم يؤطر رؤيته النقدية للمناهج والكتب المدرسية في السودان بالارتكاز على أحد المنظورات المعرفية، ومنها العدالة الإيكولوجية، لأن من شأن ذلك إيجاد الروابط بين الجوانب البيئية والتربوية، والجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وضرورة انعكاسها في الدروس، والأنشطة الثقافية والعملية التي ينبغي أن ينخرط فيها الأستاذ والتلميذ في صميم البيئة المحلية.

● أما البحث الثالث فيتمحور حول التربية البيئية ضمن مناهج التعليم العام لإبراهيم صالح المعتز، وفيها تعرض لتقييم الدراسات العربية حول حالة المناهج المدرسية، مبينا خصائص المدخلين الاندماجي والمستقل في عرض وتصميم القضايا البيئية في المنهاج الدراسي، وكاشفا من خلال جرد كثير من الدراسات أن العديد من المفاهيم البيئية غير واضحة المعالم، واستنتج ضعف التنسيق بين محتويات المواد[17]. كما استخلص الباحث «أن مناهج الدول العربية تعاني قصورا شديدا في جانب الاهتمام بالتربية البيئية»، سواء على مستوى التسلسل المفهومي، أو الممارسة العملية للمفاهيم البيئية، والاقتصار على المظاهر الطبيعية دون المظاهر الاجتماعية[18].

ومن المفيد التنويه بذكر الباحث الظواهر الاجتماعية عند دراسة التلميذ للبيئة، وعدم التركيز على المنظور الطبيعي وحده، لكن لم يُحدَّد الإطار النظري الذي يندرج ضمنه تحليل الظاهرة الاجتماعية وعلاقة ذلك بالعدالة الإيكولوجية.

● وتتوالى الدراسات الأكاديمية المهمة لتشمل «بحث التربية البيئية في المدارس الابتدائية بالجزائر من وجهة نظر المعلمين» لعبلة غربي، ويختص البحث بدراسة كيفية إنجاز التربية البيئية في المدارس وطرق تدريسها، في إطار التفاعل التربوي بين المدرس والتلميذ. وقد سلكت لذلك المنهج الوصفي والمقابلة. كما رصدت الباحثة أهمية الوعي البيئي في المجتمع، ودور المدرسة في ترسيخه نتيجة ما أحدثه الإنسان من استنزاف للموارد الطبيعية، لذلك يغدو فعل المدرس أساسيا لجهة إنجاح التربية البيئية، وتحقيق أهدافها «فهو المنشط والمنظم للعملية التعليمية، لذلك وجب إعداده وتكوينه، وأيضا تدريبه على استعمال الوسائل الحديثة»[19]. وقد انطلقت الباحثة من فرضية تنص على أن واقع التربية البيئية يتسم بعدم الانسجام بين الجانبين النظري والتطبيقي، وفي محاولة منها لاختبار صدق فرضيتها حللت في البداية بعض

التوجهات النظرية البيئية، وبعض المفاهيم الأساسية في التعليم من قبيل: البيئة وأنواعها، والتربية البيئية، ومفهوم النظام البيئي، والتلوث، والفقر، والمشكلة السكانية، والتنمية.

وقد سلطت الباحثة الضوء على واقع التربية البيئية في بعض النظم التعليمية العربية، وكشفت انطلاقا من أبحاث سابقة «تدني مستوى أداء الطلاب المعلمين في الجانب البيئي، وقصور في طبيعة المقررات البيئية» كما هو الأمر في اليمن[20]. كما حللت مفهوم التربية البيئية، وقدمت عدة تعاريف، مشيرة إلى مؤتمر تبليسي سنة 1977، الذي حُدِّدت فيه أهداف التربية البيئية، بالاعتماد على بعض التجارب الناجحة، وندوات واشنطن ونيودلهي سنة 1985، وبروكسل في سنة 1989، والتي عملت على تطوير المناهج المختصة بهذه التربية[21]. وقد عالجت الباحثة التربية البيئية من حيث المبادئ، والأهداف، والاستراتيجيات الخاصة بذلك، وطرق التدريس، ودور المعلم، ومكانة المادة الدراسية، والوسائل التعليمية.

على صعيد مبادئ التربية البيئية نجدها تتركز في دراسة البيئة من كل وجوهها الطبيعية، والتكنولوجية، والاقتصادية، والسياسية، والتاريخية، والأخلاقية، والجمالية، وكونها عملية مستمرة مدى الحياة، وتخص العناية ببيئة المتعلم، وتساعد على الاكتشاف، والتفكير الدقيق، وتكوين المهارات لحل المشكلات البيئية[22]. وعلى مستوى الأهداف، يتعلق الأمر بتعزيز الوعي بترابط الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والبيئية في المناطق الريفية والحضرية، وتأمين فرص كل شخص قصد اكتساب المعرفة والمهارات الضرورية لحماية البيئة وتحسينها، وخلق أنماط جديدة من السلوك، وإقرار النظرة التكاملية للبيئة. هذا علاوة على التركيز على الأوضاع البيئية الحالية، وتحقيق أهداف التربية البيئية في المجالات المعرفية الثلاثة، وهي المعرفة، والمهارات، والوجدان[23].

تتعلق أهداف التربية البيئية المدرسية، وفق الباحثة، بتوضيح دور العلم في تطوير علاقة الإنسان ببيئته، وإبراز فكرة التفاعل بين العوامل الاجتماعية، والثقافية، والقوى الطبيعية، والتأكيد على أهمية التعاون بين الأفراد والجماعات للنهوض بمستويات حماية البيئة. وتعمل المدرسة الجزائرية على تحقيق الوعي، والمعرفة وتنمية المواقف والاتجاهات، والمهارات، والمساهمة في حل المشكلات البيئية[24]. وعلى مستوى الاستراتيجيات التربوية أشارت إلى المدخل الاندماجي، ومدخل الوحدات الدراسية، والمدخل المستقل. كما ركزت على الدور الأساسي للمعلم من قبيل ترسيخ الوعي البيئي في عقل التلاميذ ووجدانهم، ولتحقيق ذلك من الضروري تنويع طرق التدريس، ومنها الخبرة المباشرة أو الزيارات الميدانية، والبحوث الإجرائية، والدراسات العملية، وأسلوب القصص، واللعب، والمحاكاة، وتمثيل الأدوار. ويتعين كذلك على

المدرس تنظيم التلاميذ في مجموعات عمل، وجذبهم نحو البيئة، وتخطيط جوانب العمل معهم، لذلك من المفيد تدريب المدرسين في إطار دورات خاصة، وإشراكهم في الندوات[25].

واستخلصت الباحثة من دراستها الميدانية للمدارس الابتدائية بمدينة قسنطينة بشرق الجزائر أن 94 في المائة من المعلمين في العينة لم يتلقوا أي تكوين بصدد التربية البيئية، كما أن 44 في المائة من المعلمين ليست لديهم الخبرة والقدرة الكافيتان للتحكم في موضوعات التربية البيئية، واستعمال الوسائل لتحقيق أهدافها[26]. كما أن المعلمين وجدوا صعوبة في تدريس الموضوعات المتعلقة بالتربية البيئية (74 في المائة)، زد على ذلك أن 35 في المائة فقط من المدرسين هم الذين اطلعوا على الوثائق الوزارية الخاصة بالتربية البيئية[27]. وقد أشار المعلمون إلى أن الموضوعات البيئية تركز بكثرة على مشكلة التلوث كأنها هي المشكلة البيئية الوحيدة[28]. في حين أن أهم القضايا تكمن كذلك في التغيرات المناخية ودور الاحتباس الحراري في إنتاجها، والإسراف في استهلاك الطاقة الغازية، واستنزاف الخيرات الطبيعية نتيجة تحكم قوى الاقتصاد الرأسمالي التي لا تهدف إلا إلى الربح والإنتاج الزائد على الحاجة دونما اكتراث بمقدرة البيئة الطبيعية على تحمل الاتجاه الرامي إلى مزيد من الإنتاج والاستهلاك، وعواقب الدورة الاقتصادية على التوازن الإيكولوجي.

وخلصت الباحثة إلى نتائج مفادها أن ثمة ضعفا بيِّنا على مستوى «المناهج الدراسية» المتعلقة بإدراج التربية البيئية في الجزائر، وتباعد واضح بين الأهداف المسطرة والتطبيق، وقصور في مستوى التكوين لدى المدرسين، وفي الوعي البيئي لدى الناشئة، وواضح أن من أسباب ذلك غلبة الطابع التجريدي على التعلمات، وضعف الانطلاق من حاجات التلميذ وواقعه السوسيو اقتصادي والبيئي باعتماد العدالة الإيكولوجية كإطار نظري وتربوي، ليس فقط في إرساء المناهج، ولكن حتى على مستوى طرق التدريس، وفي مسألة تكوين المدرسين، وفي العلاقة بالمحيط. لكن لا يظهر في دراسة الباحثة مثل هذا النهج رغم إشارتها إلى دور العوامل الاجتماعية، من دون تفصيل لكيفية تنزيل التحليل المترابط للعوامل الاجتماعية والسياسية والعوامل البيئية.

● دراسة أخرى مهمة، وهي عبارة عن «برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بمدارس التعليم الأساسي»، تسعى، إلى توظيف بعض الأنشطة الفنية والموسيقية المستمدة من التراث الشعبي لميرفت حسن برعي من منطلق أن تنمية الوعي البيئي لدى الناشئة لا بد من أن تنطلق من خلفية أنثروبولوجية وثقافية، لكون الثقافة المكتسبة تعتبر مصدرا لوضع الحلول للمشكلات البيئية. وتكمن أهمية الوعي البيئي في خلق السلوك الرشيد تجاه البيئة

لدى الفرد، والتعامل معها برفق وتحضر خاصة بتوظيف الفن والموسيقى[29]. وتتجلى فاعلية الأنشطة الموسيقية الغنائية في كونها تنمي روح المشاركة لدى الطفل، وترفع من الحس البيئي لديه، فالموسيقى تثير الوجدان، واستثمارها في النشاط التربوي البيئي يرسخ القيم والاتجاهات الإيجابية نحو البيئة وهي فرضية البحث الأساسية.

تتمثل خطوات برنامج الدراسة المقترح في تكوين الطفل بواسطة مهارات فنية ومنها الموسيقى، والقصص، والألعاب، وربط التدريبات والأنشطة بأهداف البرنامج ومحتواه. ويتعلق الأمر أساسا بتكوين المعرفة البيئية، والوعي البيئي، والمهارات، والمشاركة عن طريق توظيف الأغاني التراثية التي «يستغرق فيها الطفل بكل كيانه». كما يمكن تقديم الرقصات الشعبية المرتبطة بالبيئة المحيطة لتعريف الأطفال بالبيئة الزراعية. وقد قدمت الباحثة عددا من الأغاني ذات العلاقة مع ما هو بيئي والتي ينبغي تعليمها للطفل[30].

● ثمة دراسة أخرى تخص «التربية البيئية في النظام التعليمي المغربي» لحفصة بن براهيم تخص دراسة أهداف التربية البيئية، والتحقق من مدى حضورها في الكتب المدرسية لعلوم الحياة والأرض في التعليم الثانوي بالمغرب. وهي دراسة أشارت فيها الباحثة إلى أن الأحياء الفقيرة بالمغرب تعاني ضعف التطهير، ومن الفضلات والأزبال التي تتجاوز كميتها على المستوى الوطني خمسة ملايين طن في السنة[31]. وتتهدد البيئة المغربية مخاطر كبيرة قد تجازف وتقضي على المسلسل التنموي بسبب الاستغلال المضاعف للموارد الطبيعية، وتلوث المياه، والمناخ، وتدهور التربة، وتراجع جودة البيئة الحضرية.

استعرضت الباحثة، مثل بقية الباحثين في الدراسات السابقة، خصائص التربية البيئية معتمدة على وثائق المؤتمرات الدولية (مؤتمر تبليسي1977) لإبراز تمفصل المواد الدراسية والتجارب التربوية لتيسير الإدراك المندمج للمشكلات البيئية، والتمكن من إنجاح عمل عقلاني متوافق مع حاجات المجتمع. وتوقفت الباحثة عند تاريخية مفهوم التربية البيئية؛ بدءا من ندوة الأمم المتحدة حول البيئة باستوكهولم سنة 1972 التي اعترفت بدور هذه التربية كأداة أساسية للكفاح ضد تدهور بيئة الحياة، والملتقى الدولي في بلجراد سنة 1975، ومؤتمر تبليسي سنة 1977، وإعلان المؤتمر الدولي الثاني حول التربية والتكوين المتعلق بالبيئة بموسكو سنة 1987، ومؤتمر ريو سنة 1992 الذي بلور مفهوم التنمية المستدامة، وأدرج ضمنها التربية البيئية، مع الإشارة إلى إعلان مونتريال سنة 1997[32].

أبرزت الباحثة أهداف التربية البيئية خاصة اكتساب الوعي بالبيئة العامة والمعرفة الأساسية بها، واتخاذ اتجاهات وقيم إيجابية، وامتلاك الكفاءة والمشاركة، وبينت أن برامج الدراسة في

السلك الأساسي الأول تقدم معطيات معرفية وعاطفية وروحية مهمة لاكتساب معارف أساسية حول البيئة، وإشعار التلميذ بالعلاقة التي ينشئها مع بيئته. كما تؤدي الجمعيات ذات العلاقة بالبيئة دورا أساسيا في دعم التربية البيئية من خلال المشاريع التي تقترحها على المدرسة، ودعم وتحفيز المدرسين أصحاب المبادرات البيئية، ووضع مشاريع مشتركة بتعاون مع المنتديات البيئية[33]. وتستخلص الباحثة أن احترام غايات وأهداف التربية البيئية يقود إلى إنجاح تطبيق برامج التربية البيئية.

إن تركيز الباحثة على مسألة تطبيق أهداف التربية البيئية بالمدرسة المغربية للنهوض بالبيئة من موقع النظام التعليمي لا يقود فعلا لتحقيق الهدف؛ لأن المشكل الأساسي يظل هو صياغة الأهداف نفسها التي تبقى قاصرة، مادامت لم توضع في الاعتبار فعالية المقاربة الإيكولوجية العادلة التي تجمع بين البيئة والمجتمع والتاريخ والثقافة.

سوسيولوجيا العدالة الإيكولوجية

برز علم الاجتماع البيئي منذ سنة 1978 مع كاتون ودونلوب (Catton, Dunlop)، ومع باتل، وديفير، وفودجايت (Buttel, Deverre, Woodgate)، وتطور بشكل متزايد منذ تسعينيات القرن الماضي، وذلك حين تم الربط بين الطبيعي والاجتماعي، وتحقق إدراج البيئة في تحليل الواقع الاجتماعي، تلك البيئة التي كانت مستبعدة من أبحاث السوسيولوجيا الكلاسيكية باستثناء مدرسة شيكاغو التي استحضرت البعد الإيكولوجي في تكوين المدن، وعمل علم الاجتماع البيئي على إدماج الإنسان والمجتمع وكل الواقع الاجتماعي في عالم بيوفيزيقي، وبالتالي تحقق استحضار الطبيعة في المجتمع بموازاة استحضار المجتمع في الطبيعة[34]. ويلاحظ أن علم الاجتماع البيئي قد اجتهد لرصد ثلاث قضايا كبرى تتمحور حولها القضايا البيئية المجتمعية: وهي الحركات الاجتماعية، والسياسات العمومية، والأشكال الجديدة للمشاركة الجماعية.

تتعلق **القضية الأولى** بالحركات البيئية، وتدرس فيها مسألة تعاطيها مع البيئة في علاقتها بالمجتمع، وأساليب الحفاظ على التوازنات البيئية، وطرق تعبئتها الجماعية، ومواجهتها للعولمة. أما السياسات العمومية **القضية الثانية** فتسائل فيها السوسيولوجيا البيئية التدابير التي تقوم بها الحكومات لمواجهة المخاطر البيئية، ونوع البنيات المؤسساتية والتنظيمية التي تصطنعها لهذه الغاية. وترتبط **القضية الثالثة** بالآليات المعتمدة قصد إشراك أكبر للمجتمع المدني بصورة ديموقراطية في تدبير العلاقة مع الشأن البيئي، ودراسة الصراعات واستراتيجيات الفاعلين[35].

وفي إطار دراسة العوامل الاجتماعية للمشكلات البيئية، وإشكالية المشاركة اتجه البحث إلى دراسة سلوكيات الفاعلين وتمثلاتهم، خاصة في العلاقة بالاستهلاك وأنماط الحياة. وفي سياق الترابطات الأفقية للقضايا البيئية برزت أهمية دراسة ظاهرة هيمنة التقنو/ علوم (-Techno science)، والتعدد الثقافي، ومسألة التفاوت الاجتماعي في علاقتها بالقضايا البيئية، والهجانة بمعنى الربط بين ما هو بشري وما هو طبيعي، وهي قضايا تتطلب تداخل الاختصاصات العلمية، والبيولوجية، والإيكولوجية، والفيزيائية والاجتماعية، لتحليل ودراسة الترابطات المعقدة للظواهر البيئية والظواهر المجتمعية[36].

تطرح علاقة الإنسان بالطبيعة في الفكر الفلسفي والسوسيولوجي إرث فلسفة الأنوار؛ ذلك أن هذه الفلسفة - بإعلائها من شأن العقل التنويري - قد عملت على هدم السلط الدينية والسياسية التي كانت تستعبد الإنسان، وكانت الطبيعة جزءا من عالم الميتافيزيقا خاضعة لهيمنة الفكر اللاهوتي الديني؛ مما جعل الفلسفة، ومنذ ديكارت، تشيد بالفصل بين الإنسان والطبيعة، وتجعله سيدا عليها بهدف تطويعها لمصلحته. وأدى نزع القداسة عن عالم الطبيعة إلى الفصل التدريجي بين الإنسان والطبيعة، وتلاه الفصل بين الطبيعة والثقافة. واقترن مسار الحداثة في القرن العشرين بتطور القوى المنتجة، وتقدم وضع البشرية خصوصا في المجتمعات الغربية، كما تطورت العلوم البيولوجية، والطبية، والإيكولوجية التي كشفت منذ نهايات القرن العشرين المفاعيل السلبية للتطور الصناعي، ومن ثم بدأت تبرز فكرة إعادة تلحيم علاقة الإنسان مع الوسط الطبيعي من منطلق ترابطه مع النظام البيئي واستقلاليته النسبية بالنظر إلى دوره الواعي من جهة، وفاعليته العملية من جهة أخرى.

أفضت نتائج التطور الصناعي في الغرب، وفي العالم، إلى المس بالتوازن البيئي، وإلى إلحاق الضرر بالحياة البشرية على الكون، واقترن ذلك بظهور تفكير سوسيولوجي ينتقد الحداثة الحالية وسلبياتها، ويدعو إلى حداثة أخرى تؤسس لحضارة غير استهلاكية تصالحية مع البيئة، تجلى ذلك في سوسيولوجيا أولريخ بيك التي أكدت على الانتقال في المجتمع المعاصر من حالة الصراع على الثروات والامتيازات إلى حالة مواجهة المخاطرة الناتجة عن التدهور البيئي. وبذلك نعت بيك المجتمع الراهن بمجتمع المخاطرة، هذه المخاطرة التي تتخذ - بشكل متزايد - طابعا كونيا. وأصبح المجتمع الحالي يؤلف بين الأوضاع الاجتماعية والصراعات المتعلقة بتوزيع الثروات وتلك المتعلقة بتوزيع المخاطر[37].

وهكذا حلل بيك الترابط المتسلسل بين تزايد التطور الصناعي، وتطور القوى المنتجة، وتزايد المخاطر المولدة لوضعيات تهديد الحياة البشرية. ولعل أطروحة أولريخ بيك الأساسية تكمن

في نقد النظر إلى المسألة البيئية من منظور تقاني أو طبيعاني، والتفكير فيها من منطلق الإنسان، أي إدراج البعدين الاجتماعي والثقافي. وقاده هذا الطرح إلى اعتبار توزيع المخاطر على الصعيد المجتمعي تابعا لتفاوت الشرائح والطبقات الاجتماعية، مما يثبت التداخل الحاصل بين مجتمع الطبقات ومجتمع المخاطرة. علاوة على اقتران المخاطر البيئية بحالة الهشاشة التي يعانيها السكان المستضعفون من جراء ذلك[38].

لا يحصر أولريخ بيك المخاطرة البيئية والمجتمعية في إطار النظام الطبقي، بل يدعو كذلك إلى النظر للظاهرة من منظور آخر يتجاوز الطبقات إلى المس بالحياة الإنسانية ككل، وهنا تكمن الخطورة التي تلاحق كل الأفراد والجماعات في الكون مهما كان انتماؤهم الاجتماعي. ومن الثابت أن التفكير الإنساني في الوجود الطبيعي والاجتماعي اليوم، ومخاطر هذا الوجود، يمليان عليه الوعي بعلاقة المخاطر البيئية بالحاضر والمستقبل، وهو ما جعل التفكير الانعكاسي يتطور عند الإنسان المعاصر وفق ما يؤكد ذلك كل من أولريخ بيك وجيدنز.

ويعد اقتران المسألة البيئية بالتفاوتات الاجتماعية، وتضرر الفئات الدنيا من تدهور البيئة وتلوثها المتواصل إحدى القضايا التي تدور حولها العدالة الإيكولوجية. وتلك هي الإشكالية التي تتمحور حولها كتابات أولريخ بيك التي مهدت الأرضية المناسبة لتطور البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا للتفكير والعمل على تفكيك قضية العدالة البيئية في علاقتها بالتربية، وهذا التوجه يتطلب على الصعيد الإبيستمولوجي التوليف بين علم اجتماع البيئة وعلم الاجتماع التربوي والإيكولوجيا من منطلق إحالة العدالة البيئية التربوية إلى مقاربة سوسيولوجية للعدالة الإيكولوجية، ولطرق وآليات تنزيلها في الوسط المدرسي عبر تصور سوسيولوجي للمدرسة كمؤسسة اجتماعية.

تطرح العدالة كإشكالية مركبة تتعلق بالمبادئ التي على أساسها تدرك العدالة، والفلسفة الموجهة لها في سياق مجتمعي وتاريخي محدد، وطبيعة المؤسسات التي تقوم عليها، وعموما ترتبط العدالة اليوم بطابعها الاجتماعي، بمعنى حق كل مواطن في المشاركة في صناعة القرار البيئي (سياسيا وقانونيا واجتماعيا)، بغض النظر عن جنسه ولونه وانتمائه الاجتماعي، ومن ثم مراوحتها بين مفهومي المساواة (الماركسية) والإنصاف (راولز). وعلى أساس التسويغ القانوني والاجتماعي والسياسي لمنظومة العدالة في المجتمع تُعتمَد آليات توزيع الخيرات الرمزية، والمادية، والمخاطر البيئية. وعلاقة بالبيئة ثمة تقابل بين العدالة واللاعدالة، ذلك أن العدالة تتحدد على أساس المساواة بين الأفراد والجماعات في طريقة تعاطي السلطات في كل بلد مع المجالات الترابية التي تسكنها مختلف الفئات الاجتماعية بهدف عدم المس بالبيئة

والحرص على حمايتها، وإشراك السكان في اتخاذ القرار البيئي بشكل ديموقراطي، وتوفير الوسائل نفسها لدعم البيئات المختلفة، وفي حالات قصوى توزيع متكافئ للمخاطر في أفق العمل على احتوائها وإرساء طرق جديدة للتعامل مع نتائج التغير المناخي، تربويا وغذائيا وخدماتيا وصناعيا.

وقد ظهرت العدالة البيئية من خلال مقاربتين: **الأولى** تخص الحركات المحلية، **والثانية** تتعلق بالمبادرات العامة والسياسات العمومية (الوطنية والجهوية)، علما بأن الحكومات في الغرب لم تتبنَ قضية التصدي لمسألة اللامساواة الإيكولوجية إلا في بداية الألفية الثالثة، كما هو الأمر في فرنسا، أي في سنة 2003[39]، ومعلوم أن الحركات التي نادت بالعدالة البيئية انبثقت في المجتمع الأمريكي في علاقة مباشرة بحركة الحقوق المدنية التي كانت مدعومة من طرف الكنائس في عقد الثمانينيات من القرن العشرين، والتي أدانت التمايزات العرقية والمجالية، وكشفت عن عدم تطبيق السياسات الحكومية في مجال البيئة بطريقة متكافئة بين مختلف المجموعات السكانية. يتعلق الأمر بإدانة إنشاء مصانع ملوثة للبيئة، ومستودعات النفايات السامة في الأحياء الفقيرة التي يسكنها في الغالب الأمريكيون الأفارقة الفقراء. ولعل هذا الوضع هو الذي أفرز تداول مفهوم العنصرية البيئية منذ سنة 1987، وهو مفهوم يعكس حالة الهشاشة التي تعانيها فئات واسعة من الساكنة في مجالاتها الترابية بسبب التدهور البيئي، والتغير المناخي، يتمظهر ذلك في الأمراض المزمنة، والوفيات الناتجة عن أضرار البيئة والتي تمس الماء، والتربة، والهواء[40].

ولعل انحصار حركات العدالة البيئية والإيكولوجية في حدود المجتمع الأمريكي لم يقف دونها حائل، بل امتدت كذلك إلى بلدان الجنوب، كما هو الأمر في جنوب أفريقيا، والهند، والبرازيل حيث تعرف هذه البلدان وغيرها من البلدان النامية والعربية كذلك ظواهر اللاعدالة البيئية، ولم يعد مفهوم العدالة البيئية مقصورا على الوسط الحضري وإطار الحياة، بل امتد ليشمل مسألة العلاقة بالموارد وتراجعها وعدم تجديدها في المستقبل (خيرات الأرض والمياه)، وكيفية الاستفادة المجتمعية منها ليس فقط من منظور اقتصادي، وإنما من حيث تأطيرها القيمي الثقافي والهوياتي. واللافت أن حركات العدالة البيئية تجد صعوبات كبرى في الوجود في البلدان الفقيرة والبلدان العربية كذلك. وفي البلدان الأوروبية تعاملت الحكومات مع قضية العدالة البيئية في علاقتها بالعدالة الاجتماعية في إطار توظيف الخبرة العلمية من جهة، وفي سياق أطروحة التنمية المستدامة من جهة أخرى، تلك الأطروحة التي استلهمتها أيضا حركات العدالة البيئية[41].

العدالة الإيكولوجية المتعلقة بالتربية (Eco justice Education)

تتعلق العدالة الإيكولوجية بنوع العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع، وارتباطا بهذه العلاقات تتحدد الروابط بين الأفراد والجماعات بالبيئة، بمعنى أن علاقة الناس بالطبيعة تتحدد بنوع علاقة الناس فيما بينهم، وبالإطار الناظم لهذه العلاقات؛ لذلك تفيد العدالة الإيكولوجية معنى البحث في العنصرية البيئية، ومعنى الهيمنة الاقتصادية للشمال على الجنوب، وضرورة إعادة إحياء تقاليد الجماعات، والمجموعات الإثنية المعنية بالحفاظ على الثقافات الإيكولوجية المستدامة، من دون التغاضي عن معنى المسؤولية الكامنة في تكييف أنماط حياتنا، حتى لا تُعرَّض البيئة للخطر بشكل يمس مصالح الأجيال المقبلة[42]. ويوجد تمفصل مهم بين هذه الرؤية ونوع المرجعية التربوية اللازمة لتأطير المناهج المدرسية التي يُنشَّأ التلاميذ على أساسها؛ فالعدالة الإيكولوجية تتميز - إلى حد ما - عن العدالة البيئية؛ كون الأولى تزيد على الثانية بالرؤية العلمية والنسقية لما هو بيئي، أما العدالة البيئية فتتضمن كل ما يحيط ببيئة الإنسان، سواء كان طبيعيا أو غير طبيعي، وما يتعلق بذلك من حماية بشرية وطبيعية شاملة؛ لذلك تعارض العدالة الإيكولوجية هدم الإنسان للكون والطبيعة، والإفراط في ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية بشكل يؤدي إلى تحميل الفقراء نتائج العواقب البيئية.

إن إرساء التربية على أساس العدالة الإيكولوجية يتطلب منظورا ثقافيا نقديا للثقافة الغربية من ناحية، وتحليلا متعدد التخصصات من ناحية أخرى يساعد في وضع منظور للعدالة الإيكولوجية ضمن السياق الحضاري العربي، ويتعلق الأمر بهدفين أحدهما يخص تحليل الخطاطات اللسانية والاعتقادية والسلوكية التي قادت نحو منطق الهيمنة بشكل أفرز العنف الاجتماعي، والتدهور الإيكولوجي. وأما الهدف الثاني، فهو تعيين وإعادة إحياء المشتركات الإيكولوجية التي توفر أنماطا حياتية بمختلف الثقافات، وتكون أقوى من حيث الاستمرارية[43].

ويرى باورز Bowers أن ثمة حاجة ماسة نحو إصلاحات تربوية تتطلبها مسألة التربية في أفق العدالة الإيكولوجية حتى نتمكن من إرساء مفهوم المسؤولية الراهنة للجيل الحالي تجاه الأجيال المقبلة التي لها الحق في العيش في بيئة سليمة، وغير معدية. وبذلك نجده يربط بين مفهوم العدالة الاجتماعية وبين الجنوسة، والأقليات الثقافية، واقتصاد الطبقة الدنيا[44].

من أهم المدخلات التي تهتم بها السوسيولوجيا المعاصرة، من أجل ممارسة تحليل ثقافي نقدي للعدالة الإيكولوجية، وبحث آليات تحويلها إلى السياق التربوي نجد دراسة واستقصاء دور اللغة المتداولة بين الناس، وكذا الأنساق الرمزية الراسخة والمستخدمة في التواصل البيئي من أجل كشف ما تخفيه هذه اللغة، وكيف أنها تبعد الناس عن الطبيعة، خاصة اللغة

المؤسساتية كما هو الأمر في المدرسة؛ إذ تباعد اللغة بين المتلقي ومحيطه. لذلك يغدو من الضروري تعرية الطبقات السطحية عن اللغة للوصول إلى اللغة التي كونها الناس في تاريخهم بشكل بلاغي؛ مما مكنهم من التلاحم مع بيئتهم. وهناك العديد من الشعوب اللاأوروبية التي تستخدم البلاغات القرابية من أجل وصف العلاقة مع الكون. وتحليل اللغة والأنساق الرمزية في إطار العدالة الإيكولوجية، وذلك أمر يقود حتما إلى رصد دينامية قوة المعرفة والخطابات المستعملة قصد عقلنة الفصل المفرط بين الجماعات البشرية والعالم الطبيعي، وتشييء الكائنات الحية والأنظمة البيئية باعتبارها موارد[45]. ويظهر أن التلوث، وخصخصة مصادر المياه، ومنع الصيد في البحار كلها سيرورات معقلنة تقوم بها ذهنية أداتية، بمعنى التعامل مع الأنظمة الحية التي تتعرض للاتلاف، وكذا التعاطي مع القيم بطريقة أداتية.

تسهم اللغات في الثقافة الغربية في إبعاد المواطن عن بيئته، لاحتوائها عبارات دالة على مفاهيم التقدم، والاستهلاك، واللامساواة، أي أنها لغة خاصة بليبرالية السوق، ومن ثم تكون العدالة الإيكولوجية مطالبة بتبيان طرق مقاومة الجماعات والثقافات بشكل نشط للقوى النيوليبرالية المعولمة. وبالتالي فإعادة إحياء وحماية المحيط الثقافي والبيئي تقتضي الإنصات لأصوات الشعوب المحلية لكشف نسقها الاعتقادي وممارساتها باعتبارها أنماطا للحياة، والانتصار لتعلم وإبداع طرق في الفكر الاقتصادي تعمل من خارج الأيديولوجيات والأنساق الليبرالية المعتادة المهيمنة على الطرق الحديثة في المعرفة[46].

والواضح أن الطلاب يتعلمون في العدالة الإيكولوجية النتائج المترتبة على مختلف المقاربات الاقتصادية التي يطغى عليها العقل الأداتي، كما يدركون العلاقة القائمة بين اللسانيات والثقافة، والتنوع البيولوجي، من أجل إعادة ربطهم ومدرسيهم بجماعاتهم المحلية، وتمتين عرى الروابط التي يتقاسمونها فيما بينهم، وإعادة الاعتبار للتربية القائمة على توظيف الوسط المحلي في إطار نظري للعدالة، وذلك لأن التربية في عين المكان تمنح الطلاب إمكان ربط دراستهم بالتجارب الجادة والأصيلة في أمكنة تكون مطبوعة بالمعنى بالنسبة إليهم. كما يتعلمون تعيين المشكلات وتحديدها في الأحياء والمشاهد الطبيعية، والتعاون مع المتدخلين المحليين، وأقدم الأقارب في العائلة. ويظل التعليم قويا عند الطالب حينما يكون متكيفا مع الفهم الشخصي، ومرتبطا بالمكان، أو الأمكنة التي له بها علاقة وجدانية، وهي تدرس في تعقيداتها الملموسة الحية لا في إطار تجريدي. وهكذا فالتلاميذ والطلاب عندما يحللون المشكلات التي تتعرض لها الجماعات في الإطار العريض للعدالة الإيكولوجية فإنهم يعترفون بالطرق الثقافية العميقة المبنية، والتي تقود إلى البنيات الاجتماعية، وتتجه بهم نحو القرارات المؤثرة في الوضعيات النوعية، ذلك أن

المحلي متشابك نظرا إلى تعالقه مع الأنساق العامة الثقافية والاقتصادية والسياسية.

تتضمن التربية تنشئة التلميذ على امتلاك المعرفة في مستوياتها التجريدية والإجرائية واكتسابها معرفة فن الحياة، وحسن التصرف، وقواعد العيش المشترك، لكن مضامين وصور التعليم هذه وأزمنة التعلمات المرتبطة بها ينبغي ألا يتم تبليغها بطرق ثقافية تجريدية صفية، بل من الضروري أن تخضع لمصفاة الحياة، ولليومي وفق تصور الفيلسوف جون ديوي. ذلك أن تشجيع التلاميذ على تعيين مظاهر البيئة التي تقود إلى العيش المشترك المنشود مرتبط بإمكان فهم الممارسات والعلاقات كنقاط قوة لمواجهة مظاهر اللاعدالة الاجتماعية والإيكولوجية الحالية باعتبارها نتاج الثقافة الاستهلاكية المفرطة.

وهكذا لا تقتصر التربية على العدالة الإيكولوجية عبر الاعتراف بالمشكلات وتحليلها، بل وكذلك اعتراف بالمدرسين والتلاميذ، وإعادة إحياء الكفاءات والتقاليد والممارسات المستبعدة، وهو ما سيتيح للمواطنين فهم واتخاذ القرارات الجماعية لمعالجة مشكلات الجماعة التي ينتمون إليها. وتنفتح العدالة الإيكولوجية بالتالي على المواطنة كموضوع للتفكير، وبالتالي نطرح السؤالين التاليين: ما معنى أن يُربى الإنسان لأجل المواطنة؟ وما أهداف الدراسات الاجتماعية؟ ويكمن الباعث في طرح هذين السؤالين في أن هدف التعليم العمومي ينبغي أن يكون هو تنمية مواطنين يقومون بأعمالهم في أفق المجتمع الديموقراطي والمستدام الذي يثمن التعدد الثقافي والقيم الثقافية التي تعمل على حل مشكلات الجماعة.

وحين يتعلق الأمر بعملية التعليم ينصرف التفكير إلى المنهاج المدرسي وما يرتبط به من غايات، ومرامٍ، ومحتوى، وطرق تدريس، وأنشطة التلميذ، ومهام الأستاذ، وسيرورة العملية التقويمية، لذلك يغدو عمل الأستاذ التعليمي محوريا، خصوصا حين يتعلق الأمر بالتربية على العدالة الإيكولوجية، حيث يكون مطالبا بالتشبع بأسس هذه العدالة ومراميها العميقة، والتمكن من البيداجوجيا المسؤولة لتبليغ آفة اللامساواة في أشكالها المختلفة، والتفكير في إنجاز التعلمات من خارج الأسوار المدرسية وبتوظيف الفنون[47].

تتجلى مسؤولية الأستاذ الجسيمة في الوعي بالمخاطر الكبيرة على البيئة، وفي الممارسة المسؤولة قصد المساهمة في حمايتها، غير أن خبراته تختلف عن الآخرين لأنه يمتلك الوعي النقدي الذي يجعله يدرك دور النظم الاجتماعية والتعليمية في إعادة إنتاج العنصرية، والأحادية الجنسية، واللامساواة الاقتصادية، وحيازة وعي خاص بالثقافة، وبتجذرها من منظور أنثروبولوجي دينامي يتابع فاعليته في السياق، وفيما بين الأجيال. علاوة على نقد الثقافة الغربية وخصائصها الأورومركزية والاستعلائية، والحرص على الاعتراف بأهمية التنوع الحيوي

والثقافي. لذلك يتعين مساعدة الأستاذ على تحمل أعباء هذه المسؤولية الجسيمة بالتكوين الفعال لأنه سوف ينجز عمله في التعليم والتفاعل في إطار العدالة البيئية داخل سياق الجماعة التي تتطلب حنكة في التواصل، والفهم الثقافي حتى يبدع طرقا جديدة في إدراك العالم. وبالتالي تغيير علاقته بذاته، وبطلابه ليتمكن من تفعيل دورهم في الوسط الاجتماعي، وتمكينهم من القدرة على الفعل النشط والنافذ في المجال البيئي، ودمجهم مع مجمل الفاعلين في الوسط.

النظرية النقدية في التربية ذات العلاقة بالبيئة

تطورت النظرية النقدية في كندا وأوروبا، وارتبطت أساسا بالتربية ذات العلاقة بالبيئة، وهي نظرية تتقارب مع نظرية العدالة الإيكولوجية التربوية لكونها تربط بين العدالة البيئية والعدالة الاجتماعية، لكنها تتميز عنها بالانفتاح على منظور منهاجي وتربوي سياسي واشتراكي. إنها نظرية راديكالية في توجهها التربوي والبيداجوجي، فهي في علاقتها بالتربية المتعلقة بالبيئة ذات بعد سياسي؛ ذلك لأن الهوية السياسية مكون أساسي للهوية الإيكولوجية[48]. مثلما هي الحال بالنسبة إلى القيم الأخلاقية، ومن ثم لا يمكن الفصل بين المسائل السوسيوإيكولوجية والأخلاقية والسياسية. وهي نظرية تجد امتدادها في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، والتي برز فيها مفكرون أمثال أدورنو، وهوركايمر، ووالتر بينجامين، وفرانز نومان والتي اشتهرت بنقد العقل الذي تحول من وظيفته التنويرية التحريرية إلى عقل أداتي تقنوي وكلياني في القرن العشرين، كما أن النظرية النقدية التربوية ارتكزت كذلك على البيداجوجيا التحريرية لبولو فرير Paulo Freire. وانطلاقا من هذه المصادر المعرفية انبرت هذه النظرية لنقد ودحض العقل الأداتي التقنوي الذي سعى للنظر إلى الطبيعة بنظرة تقنوية، وهذا ما يتبين من أعمال الباحثة لوسيه سوفيه التي بلورت رؤية واقعية نقدية تقوم على التفاعل الأمثل بين الذوات والواقع الاجتماعي، في إطار علاقة حوارية جدلية تنبثق منها معارف تحفز على التحولات الاجتماعية[49].

اعتمدت لوسيه سوفي Sauvé في إطار صياغة إشكالية التربية البيئية على ثلاثة منظورات نقدية، يقوم **المنظور الأول** على وضع التربية ذات العلاقة بالبيئة، في إطار تحليل المشكلات البيئية في ارتباطها بعلاقة البشر بوسط الحياة بهدف الحفاظ على الأوساط الطبيعية وجودة الحياة، أما **المنظور الثاني** فيتضمن موقعة التربية في سياق تطوير أمثل للأشخاص والجماعات في علاقة مع البيئة بالرهان على تطوير الكفاءات المعرفية، والعاطفية، والنفعية، والأخلاقية، والسياسية، والجمالية... ويتعلق **المنظور الثالث** بتجديد الوضعية البيداجوجية بالتركيز على

الذات المتعددة الأبعاد، والبناء الاجتماعي المعقد لموضوع المعرفة، وتحقيق دور الوكيل بين النظرية، والممارسة، والفاعلية. وبالتالي يظهر الوسط كشبكة محدودة من العلاقات بين الأشخاص، والمجتمعات، والبيئة، ويفضي ذلك بالفاعل التربوي إلى الاختيار بين نماذج التعليم والتعلم وتكييفها وفق مقاربات تجريبية، وشمولية، ونسقية، ومتعددة التخصصات، وتعاونية، وتصريفية[50].

يعلن روبوتوم Robottom,I أن مبادئ النظرية النقدية شكلت قطيعة مع العقلانية التقنوقراطية، تلك العقلانية التي تطرح الإيكولوجيا في شكل معرفة محددة مسبقا، وبصورة قبلية ومنظمة بشكل تكون قابلة للنقل والحفظ، تعمل على انفصال الإنسان عن الإيكولوجيا، بما في ذلك انفصاله عن أطر السياسة والاجتماع، مما يحول التربية إلى أداة أو وسيلة. وقد أتاحت هذه الرؤية النقدية التحريرية للعقل والذات والبيئة تشكيك سوفي في صلاحية أطروحة التنمية المستدامة منادية بضرورة إدماج التربية كي لا يحدث استبعاد البعد النقدي، وافتقاد قيمة كل نقاش حول العلائق بين المعرفة والسلطة. وحتى لا يُعوَّض كل وضع نقدي جذري للوقائع السوسيواقتصادية المعولمة لفائدة شرعية تنموية يسوغها التقدم العلمي والابتكار التقني، لأجل ذلك يشكل مفهوم التنمية المستدامة أداة عولمية يعمم رؤية كونية تنموية ومواردية[51].

ترى على ماذا تعتمد النظرية النقدية لتقدم بديلا يتجاوز المنظورات الوضعية والتقنوية، وأطروحات المؤسسات الدولية؟ لا شك في أن موارد هذه النظرية تمتح من نقد الثقافة الغربية وأفقها الاستعماري والهيمني، وتستمد أسسها من خطاب المقاومة الذي يجد امتداده في حركات الجنوب السياسية والاجتماعية، ومن إبيستمولوجيا بديلة ولدت في مجالات غير غربية بسبب تغلغل علاقات السلطة بالمعرفة في قلب الإشكاليات السوسيوإيكولوجية. وتظهر المنظورات الإيكولوجية النسائية هذا التواطؤ بين السلطة الذكورية والمعرفة، وفي العلاقة بالعلوم والبيئة؛ ففي كلا الحقلين تم تجاهل دور النساء، أو استصغاره، وهنا يلتقي استعباد الطبيعة باستعباد النساء، وقد أدت أربعة عوامل دورا أساسيا في تشكيل العلاقات بالمحيط، وهي العلاقة بالزمن (الزمانية)، والعلاقة بالأسباب (السببية)، والعلاقة بالآخر (الغيرية)، والعلاقة بالمتعالي (الروحانية).

وتعمل النظرية النقدية كذلك على كشف العنصرية البيئية كنوع من التمييز الذي يلحق الأقليات وبلدان العالم الثالث؛ بسبب أن المجموعات الأكثر اضطهادا هي التي تشعر بحدة بالمفاعيل الاجتماعية والإيكولوجية للتغيرات المناخية؛ لذلك تطور مفهوم الهشاشة وليس الفقر لتعيين حالة الجماعات التي تواجه مفاعيل التغيرات المناخية نتيجة لغياب وسائل

الدفاع واللاأمن، والتعرض لمخاطر الصدمات والضغوط النفسية. من هنا تصبح سياسات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية عاجزة عن تغيير علاقات السلطة لمصلحة العدالة السوسيواقتصادية والعدالة البيئية[52]. وتظل استراتيجية المقاومة لأجل البقاء والاستمرارية ضرورية لمواجهة اقتصاد السوق المفرط، والأزمة الاجتماعية البيئية باعتماد إبيستمولوجية إيكولوجية مقاومة للاستعمار والاستعمار الجديد، تفكك المعارف التي يتلقاها الناس، لذلك فهي إبيستمولوجيا أهلية مرتبطة بالبيئة وبالأشخاص والجماعات في إطار العلاقة بالعالم، والآخر، والذات.

تنبني النظرية النقدية وفق لوسيه سوفي على رؤية نقدية للتربية تستمد أسسها من أفكار الفيلسوف جون ديوي، ومن فكرة علم نقدي حقيقي في مجال التربية أبان عنه كل من كار وكميس Karr, Kemmis اللذين استلهما صنافة هابرماس لأنماط المعارف لتحديد مقاييس بحث نقدي لفائدة التربية يقوم بها الفاعلون أنفسهم في إطار وضعيات تربوية انطلاقا من مقاربة نقدية لتصوراتهم الخاصة وممارساتهم[53]. وارتكازا على ثلاثية منظورها النقدي البيئي، والتربوي، والبيداجوجي، تتجه التربية على البيئة إلى حل المشكلات البيئية للكائنات الحية ضمن وسطها الحياتي المنظور إليها اجتماعيا وكليا، وذلك بهدف البقاء وجودة الحياة، يتطلب ذلك الاعتراض على تدهور الأوساط الطبيعية والحد من الانتقاص الكمي والكيفي للموارد. بمعنى آخر أن الحل الكلي يكمن في سيرورة تربوية تراعي الروابط والعلاقات الوثيقة بين الثقافة، والاقتصاد، والبيئة، وتشجع على الالتزام لأجل القيام بتحول جوهري في أنماط الفكر، والإنتاج، والاستهلاك، كما تدعو إلى نقد طرق التنمية، والنظر في سبل بديلة للتنمية الإيكولوجية.

تنفتح التربية على البيئة - وفق سوفي - على التطوير المعرفي للكفاءات المعرفية (التحقيق النقدي)، والعاطفي (توضيح المواقف)، والنفعي (التدبير الإيكولوجي)، وكذا تطوير الجوانب الأخلاقية (أزمة القيم) والسياسة، والجمالية المرتبطة بتنسيق العلاقة مع البيئة. وفي سياق بيداجوجي تتجه التربية البيئية إلى تطوير سيرورة التعليم والتعلم تأخذ بالاعتبار الطابع المتعدد الأبعاد للشخص عبر تنمية المظاهر المعرفية، والعاطفية، والاجتماعية، والأخلاقية، أي الطابع الكلي والمعقد لموضوع التعلم، إنه نسج لشبكة العلاقات الشخص - مجتمع - بيئة ورصد الطابع البنائي الاجتماعي للمعارف، والعلاقة الوثيقة بين النظرية والفعل[54]. ومن الآليات البيداجوجية الأساسية في التربية المتعلقة بالبيئة نجد بيداجوجيا المشروع، والتعلم التعاوني، ومقاربة حل المشكلات، وانفتاح المدرسة على المحيط والفعل الميداني، والشراكة مع

المجتمع المحيط. كما ينبغي أن تقوم علاقة مدرس/ متعلم على مبدأ الشراكة في سيرورة تعلمية تعزز من الالتزام الشخصي، والإبداع، والمسؤولية، والاستقلالية.

ووقوفا عند مجموعة من الأبحاث المتخصصة تنص سوفي على أن تصور التغيير الإيكولوجي لا يتحقق إلا في علاقة جدلية بالتغيير الاجتماعي وتغييرات مقابلة في التنظيم الاقتصادي، فالمسألة البيئية ينبغي أن تدمج المشكلات المرتبطة بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية في إطار عدالة اشتراكية. وتنصب التربية على البيئة من خلال إشاعة الوعي البيئي النقدي المستند إلى رؤية عامة للبيئة باعتبارها مجموع العلاقات المترابطة والمتداخلة بين الأنساق الطبيعية والاجتماعية، وإلى دراسة تاريخية للإشكاليات البيئية الحالية والمستقبلية، ودراسة عوامل ونتائج المشكلات البيئية والحلول البديلة لها، من خلال تحليل العلاقات القائمة بين الأيديولوجيا، والاقتصاد، والتكنولوجيا. وعليه ترمي هذه التربية إلى تنمية أخلاقية من جهة، وتنمية الكفاءات من جهة أخرى[55].

ولكي تخرج التربية المتعلقة بالبيئة من جدران القسم الدراسي، ومن الممارسة الصفية نحو المجتمع الحي والملموس، يتعين تفعيل الطابع الجماعاتي والتعاوني للتربية المتعلقة بالبيئة، ذلك أن التدخل الجماعي هو الوحيد القادر على قيادة تغيير السياسات؛ فالتلاميذ والمدرسون وأعضاء الجماعة يعملون بصفتهم الجماعية لتحليل وحل المشكلات البيئية الواقعية لوسطهم الخاص، وينبغي أن يكون هذا التحقيق الميداني نقديا اجتماعيا، بمعنى كشف قيم ومصالح الأشخاص الذين كيفوا مواقف تتعلق بالأسئلة الإشكالية. وتقوم الطريقة على فحص خصائص المشكلات المطروحة لا تحديد أهداف تعلمات محددة بصورة قبلية، وذلك حتى تتأتى مساءلة القيم الضمنية الثاوية في المسائل والسياسات الاجتماعية والبيئية الهادفة إلى تحويل الواقع.

هذه الأطروحات التي تمت صياغتها في العدالة الإيكولوجية في علاقتها بالتربية تنطلق من منظورات نقدية للبيئة والمجتمع وتتوسل بمفاهيم أساسية كالشخص، والجماعة، والعدالة البيئية والاجتماعية وغيرها من المفاهيم المهمة الهادفة إلى التسلح بفكر وممارسة نقديين يتيحان فعلا فهم وتشخيص الواقع البيئي، ويكشفان عن حدود السياسات العمومية في مواجهة المعضلات البيئية، وتقدم عناصر بديلة كفيلة بإصلاح المدرسة وأساليب التربية لأجل مساهمة أكبر للفاعلين التربويين في حماية البيئة وصيانتها. وهو ما يقودنا إلى طرح السؤال التالي: ألا تعد العودة إلى ما هو جماعي في تفعيل الإصلاح البيئي حنينا إلى ماضي ما قبل الحداثة؟ ثم ما مجالات تدخل هذه الإبيستمولوجيات الجهوية الثالثية في صياغة الوعي البيئي العالمي الجديد، وما معالمها النظرية التي لا نراها بارزة في نصوص السوسيولوجيا

النقدية والعدالة الإيكولوجية؟ وكيف يفكر الباحثون في البلدان النامية في العدالة الإيكولوجية من داخل مجتمعاتهم؟

تعزز في العمق هذه التساؤلات من ضمن أخرى فعالية سوسيولوجيا وأنثروبولوجيا العدالة الإيكولوجية والتربوية، وهي تبرز فعلا الحاجة إلى مراجعة جذرية للمناهج المدرسية، وفي طرق تكوين المدرسين، وفي تصور وتدبير ثقافة التلاميذ وحاجاتهم، خصوصا في النظم التعليمية العربية، حيث لا تستلهم التربية على البيئة منظورات العدالة الإيكولوجية، ولا تعمل على «أجرأة» التربية والأساليب البيداجوجية لتنفتح على المجتمع والواقع المحلي، وتجتهد في أفق إدماج الفرد والجماعة فيهما من موقع تصورات بيئية واجتماعية لا تفصل بين العدالة البيئية والعدالة الاجتماعية. في الوقت الذي لاتزال الإيكولوجيا مقصورة على المجتمع المدني (جمعية أطاك بالمغرب)، الذي لا يملك دعما حكوميا أو أكاديميا كافيا لكسب رهان تحديات العدالة الإيكولوجية، خاصة أن إشكالية الديموقراطية العصية في الوطن العربي، بكل ما يرتبط بذلك من إشراك المواطن في صناعة القرارات البيئية يمنع هذه الجمعيات من العمل والنفاذ في المجتمع على أساس الكفاح من أجل العدالة البيئية والعدالة الاجتماعية.

التيارات الفكرية المتعلقة بالتربية على البيئة

بعد تحليل أهم أطروحات العدالة الإيكولوجية، خاصة ما يتعلق منها بالتربية والتعليم، من الضروري رصد التيارات الفكرية والبيئية التي حاولت بلورة توجهات فكرية وعملية للتعامل مع البيئة والنهوض بها، وإرساء معرفة علمية بها، والمساهمة في صياغة أساليب إجرائية تمكن من بناء تربية فعالة قصد إعداد الناشئة للتفاعل الإيجابي مع مختلف الظواهر البيئية في محيطها الاجتماعي، ومن أهم هذه التيارات التي لا توجد بينها قطائع معرفية ومنهجية، وإنما اختلافات في الرؤية وامتدادات منهجية وفكرية أحيانا، ما يلي:

● التيار الطبيعاني، وهو يدعو إلى إعادة بناء العلاقة مع الطبيعة باعتماد مقاربات حسية، وتجريبية، وعاطفية، ومعرفية وفنية خلاقة، ويتحقق ذلك عبر استراتيجيات الانغماس، والتأويل، واللعب الحسي، وأنشطة الاكتشاف، ومن ثم فإن التربية على البيئة تنطلق أساسا من مسألة إعادة بناء العلاقة مع الطبيعة. ومن أعلام هذا الاتجاه، ميكاييل كوهين M, Kohen، وستيف فان ماتر S,V,Matre[56].

● وإذا كانت البيئة هي الطبيعة عند التيار الطبيعاني، فإنها تتحول لدى تيار المحافظة على البيئة إلى موارد، يتعلق الأمر بتبني سلوكات المحافظة على البيئة، وتطوير القدرات المتعلقة

بتدبير المسألة البيئية. ولأجل ذلك يتوخى هذا التيار اعتماد المقاربتين المعرفية والتداولية في أفق بلورة مدونة السلوك، وإقرار الافتحاص البيئي، وصياغة برنامج تدبيري بهدف تنظيم السلوك الاستهلاكي البيئي للموارد، كما يظهر ذلك في أنشطة جمعية كورن Coren البلجيكية[57].

● ويدعونا تيار حل المشكلات 13 إلى تنمية قدرات حل المشكلات من منطلق أن البيئة هي عبارة عن وضعية/ مشكل، وعليه ينبغي اعتماد المقاربتين المعرفية والتداولية، وعلى استراتيجيات دراسة الحالة، وتحليل الوضعية/ المشكل، واستخدام تجربة حل المشكلات في ارتباط مع مشروع محدد، وهو ما نلمسه لدى كل من أوري زولر U,Zoller، وشوشانا كيني S, keiny[58].

● ويتصور التيار العلمي البيئة[59] من منطلق كونها موضوعا للدراسة العلمية لاكتساب المعارف الخاصة بعلوم البيئة، وتنمية الكفاءة العلمية بالتوسل إلى مقاربات معرفية استقرائية واستنباطية، مضمونها التقنيات العلمية من ملاحظة وأنشطة تجريبية، وبرهنة منطقية تُطبَّق على الظواهر البيئية، وهو ما يظهر في أبحاث جوفان L,Goffin. لكن يتعين الانتباه إلى الاختلاف الحاصل بين أهداف البحث العلمي البيئي وأهداف التربية على البيئة، خاصة على مستوى القيم.

● كما ينظر التيار الإنساني إلى البيئة بوصفها وسطا للحياة، ويتحدد هذا الوسط كموضوع لمعرفة علاقة الإنسان به، وتنمية الشعور بالانتماء إليه، لذلك تسعى المقاربات الحسية، والمعرفية، والعاطفية، والتجريبية، والفنية إلى كشف مستويات العلاقة بين الإنسان والوسط لدراسة هذا الأخير، وضبط مساره، وقراءة المشهد الطبيعي، وهو ما يظهر في أعمال دوهان Dehan B,[60].

● ويسعى التيار الأخلاقي إلى النظر إلى البيئة بوصفها موضوعا للقيم لإثبات المدنية الإيكولوجية للإنسان، وتطوير النسق الأخلاقي باعتماد مقاربات معرفية، وعاطفية، وسلوكية في أفق تحليل ونقد القيم الاجتماعية[61].

● أما التيار الكلي فيتناول البيئة كواقع شامل بهدف تنمية مختلف أبعاد الكائن، في تفاعل مع مجموع الأبعاد البيئية، وتطوير معرفة عضوية بالعالم، وتوطيد الفعل التشاركي مع الطبيعة ومن داخلها، باعتماد مقاربات كلية، وعضوية، وحدسية في أفق الاكتشاف الحر، وإدماج الاستراتيجيات المتكاملة، كما يبرز ذلك لدى هوفمان Hofman, N[62].

● ويرصد التيار العملي، أو تيار الممارسة (البراكسيس) الطبيعة كميدان للفعل والتفكير، ضمنه يتحقق التعلم بواسطة الفعل، وتطوير كفاءة انعكاسية بالتوسل إلى مقاربة علمية، وإلى أبحاث الخبرة، ويظهر هذا التوجه عند ستاب (Stapp,w)[63].

● ويمتاز التيار النقدي بتصور البيئة كموضوع تحول وميدان للتحرر، بهدف تفكيك الوقائع البيئية لاحتواء كل العناصر المؤدية إلى توليد المشكلات، باعتماد مقاربة عملية، انعكاسية وحوارية ترتكز على استراتيجيات تحليل الخطاب، ودراسة الحالة، وأبحاث الخبرة، ويتجلى هذا التوجه عند سوفي Sauvé، وروبوتوم Robottom,I. ويسعى إلى دعوة الممارسين إلى التفكير والبحث في أنشطتهم الخاصة تجاه التربية على البيئة، وذلك بالانتباه إلى القطائع الحاصلة بين ما يفكر فيه الممارس وما يفعله في الواقع(64).

● ويختص التيار النسائي بدعوته إلى إدماج القيم النسوية في العلاقة مع البيئة، بمعنى أن هناك خصوصية نسائية في التعاطي مع البيئة والمحيط، ويمكن معرفة ذلك باعتماد مقاربات حدسية، وعاطفية، ورمزية، وروحية، وفنية في أفق دراسة الحالة والانغماس، وتبادل الأفكار والتواصل، ويبرز هذا التوجه لدى جوج Goug h,A(65).

● وينظر التيار الإثنوغرافي إلى البيئة بوصفها ميدانا ترابيا تتقاطع فيه الطبيعة بالثقافة، ويثمن البعد الثقافي في علاقته بالبيئة باعتماد مقاربات تجريبية، وحدسية، وعاطفية، ورمزية، وروحية، وفنية، والتوسل إلى طرق بحثية عبر الحكايات، والقصص، والأساطير، واستخدام تقنيات الانغماس والمرافقة، نلمس ذلك في أعمال جالفاني Galvani,P. وهكذا ففي البحث الإثنوغرافي لا يعطى المعنى بشكل قبلي، وإنما نراه ينبثق عبر الأصداء الرمزية التي تنكشف بواسطة التفاعل بين الشخص والحدث(66).

● ويسعى تيار الاستدامة، في الأخير، إلى تصور البيئة بوصفها موردا من أجل التنمية الاقتصادية، وموارد مشتركة رهن الاقتسام؛ بهدف تعزيز التنمية الاقتصادية، آخذا في عين الاعتبار الوقائع الاجتماعية والبيئية عن طريق مقاربة نفعية ومعرفية تتوسل دراسة الحالة، ويأخذ هذا التيار بعين الاعتبار الوقائع الاجتماعية والبيئية، ويقارب ذلك من منظور نفعي ومعرفي، من خلال توسل دراسة الحالة، وتجارب حل المشكلات، ومشاريع التنمية المستدامة، كما هو الأمر عند جوديانو Gaudiano,E,G(67).

هذه المقاربات المختلفة - بمناهجها المشتركة أحيانا - تولدت من داخل التفاعل بين الفكر الغربي وعالم البيئة، وارتباط ذلك بالتحولات العلمية والاقتصادية والثقافية المعاصرة، وهي مفيدة للعلوم الاجتماعية العربية لكونها تساعد على إرساء التربية على البيئة في البلدان العربية، شريطة النظر إليها بصورة نقدية ومن منظور تعددي، ووفق متطلبات بنيات الواقع العربي، وما تتضمنه أطر الفكر من توجهات فكرية وثقافية ودينية ذات علاقة بما هو بيئي.

نتائج الدراسة

يظهر من خلال دراستنا السوسيولوجية للتربية البيئية عامة، في ضوء العدالة الإيكولوجية، أن ثمة حاجة ماسة إلى إعادة بناء المناهج الدراسية العربية نتيجة عوامل متعددة؛ حتى تصبح هذه التربية فعالة وناجعة، وبيان ذلك فيما يلي:

- ضعف اهتمام النظم التعليمية العربية بالتربية البيئية بإرساء المناهج الدراسية، ليس على أساس التلقين المعرفي، ولكن بتطوير قدرات الناشئة على التفكير والنقد والممارسة داخل المدرسة وخارجها. وبالتالي لا يمكن النظر إلى الإيكولوجيا تربويا على أنها معرفة قبلية تُستَظهَر من طرف المتلقي، بل هي وعي وممارسة في الميدان تتكون في إطار تفاعلي.
- الربط بين الجوانب البيئية والتربوية، والجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وضرورة انعكاس ذلك الترابط في الدروس والأنشطة الثقافية والعملية، علاوة على توعية التلاميذ بتعددية المنظورات البيئية؛ مما سيتيح انخراطا فعالا للأستاذ والتلميذ في صميم البيئة المحلية.
- ضرورة تأطير التربية البيئية بمرجعية العدالة الإيكولوجية، وذلك لكونها كشفت أهمية الترابط بين توزيع المسؤولية الحمائية وتوزيع المخاطر، واقتران ذلك بالتفاوتات الاجتماعية بين فئات المجتمع، ووفق الإثنية والنوع، هذا علاوة على إبراز اللاتكافؤ بين المجتمعات، بسبب هيمنة الشمال على الجنوب سياسيا وتقنيا واقتصاديا.
- ارتكاز العدالة الإيكولوجية على التوزيع العادل لمسؤولية حماية البيئة، ولمسؤولية تدبير مخاطرها على الأفراد والجماعات، وقيام العدالة الاجتماعية على توزيع الثروات المادية والرمزية والمجالية بصورة عادلة.
- انفتاح مرجعية العدالة الإيكولوجية (وهي تربط بين الثقافة والاقتصاد والبيئة) على ثقافة المجتمعات وإرثها الرمزي، وليس على استدعاء أيديولوجيات لا تتناسب وحالة هذه المجتمعات ووضعها الحضاري، هذه الثقافة التي تتمثلها الجماعات لتحرير علاقتها بالبيئة والطبيعة، وإبداع طرق خاصة لتنمية البيئة بتوظيف القدرات المعرفية والجمالية والنفعية والثقافية بشكل متوازن ومستدام؛ بهدف استمرارية البيئة الطبيعية لفائدة الأجيال الحالية وأجيال المستقبل.

خاتمة

اعتمدنا في هذه الدراسة على فرضية الترابط العضوي بين العدالة الإيكولوجية والعدالة الاجتماعية، من منطلق الإقرار بضرورة التكافؤ بين الناس على مستوى توزيع مسؤولية حماية الطبيعة ومسؤولية تحمل المخاطر الناتجة عن إهدار البيئة نتيجة الأنشطة التي تقوم بها مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، أخذا بالاعتبار اختلاف مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية في استغلال الطبيعة والإفادة منها. وبالتالي فإن العدالة الإيكولوجية تعد مقاربة شاملة وتحريرية تدعو إلى الإنصاف الكوني والوطني، بدعوتها إلى عدم تحميل الفقراء والفئات المقهورة إثنيا واجتماعيا وجندريا وزر تدهور البيئة، سواء على مستوى المجال أو على صعيد الوضع الاجتماعي. ومن ثم تكشف أن العدالة الإيكولوجية هي في الأساس عدالة اجتماعية؛ لأن تحقيق الإنصاف والتوزيع المتكافئ للخيرات الرمزية والمادية سيتيح فعلا تحقيق العدالة الإيكولوجية، وذلك بمقاومة مظاهر «العنصرية البيئية» المتمثلة في المساس ببيئة الفقراء، والتصدي لهيمنة الشمال على الجنوب، والعمل على إحياء الثقافات الإيكولوجية المحلية والرمزية للشعوب التي ستسعف الناس في تحرير علاقتهم بالطبيعة والبيئة، وتجعلهم أكثر اقتدارا على التعلق بها واستدامتها بحكمة وبتوازن، ومن دون نزوع استهلاكي إلى فائدتهم وفائدة الأجيال المقبلة. وبالتالي تخليصهم من مخلفات العقل الأداتي (النيوليبرالي) على الصعيدين الثقافي والنفعي، والذي يختزل البيئة إلى حقل للموارد، من دون مراعاة عدم قابلية العديد من عناصر البيئة للتوالد والتجدد، وبالتالي القضاء على التنوع البيولوجي.

يتضح مما سبق أن إرساء التربية البيئية على أساس العدالة الإيكولوجية ذو أهمية بيداجوجية حاسمة، ليس فقط على صعيد الفهم البيداجوجي الفعال للتلميذ لما هو بيئي وما هو مجتمعي، ولكن لجهة إرساء سياسة إيكولوجية تربط بين حماية البيئة وحماية الإنسان، خاصة الفئات الأكثر عددا والأكثر فقرا. علاوة على أن هذا المنظور الإيكولوجي العادل يمكّن من بناء تعليم فعال ييسر على المدرس عمله البيداجوجي، وذلك بربط التلميذ بالواقع من جهة، ومساعدته على تكوين الاتجاه الملائم والمواقف السليمة في هذا المجال، ويجعل

من المدرسة تلك المؤسسة التي تستجيب للطلب الاجتماعي في أثناء التعاطي للمشكلات البيئية والاجتماعية.

كما أن العدالة الإيكولوجية تدمج التلميذ في ثقافته المحلية حينما تطلب منه توظيف تلك الثقافة لحماية الطبيعة ومواجهة تأثيرات التغير المناخي. وهو ما يتطلب منظورا ثقافيا نقديا للثقافة الغربية من جهة، وتحليلا متعدد التخصصات من جهة أخرى، يساعد على وضع منظور للعدالة الإيكولوجية في السياق الحضاري العربي، ويتعلق الأمر بهدفين أحدهما يخص تحليل الخطاطات اللسنية والاعتقادية والسلوكية التي قادت نحو منطق الهيمنة بشكل أفرز العنف الاجتماعي، والتدهور الإيكولوجي. في حين يتجلى الثاني في تعيين وإعادة إحياء المشتركات الإيكولوجية التي توفر أنماطا حياتية بمختلف الثقافات، وتكون أقوى من حيث الاستمرارية، وذلك لكون الثقافة الرمزية للمجتمع تكون أقوى تجذرا في الذاتية الفردية والجماعية، فإنها تعتبر المورد الجوهري الذي يضمن اندماج الإنسان في الطبيعة، والتعامل معها برشد وحكمة، وليس السيطرة عليها، أو التحول إلى مجرد كائن استهلاكي.

الهوامش

1. Joan Martinez Alier.The environmentalism of the poor,a study of ecological conflicts and valuation ,Edwar Elgar Publisching-limited Massachustess.USA,2002, pp.14-30-54.
2. الشراح، يعقوب أحمد، التربية البيئية ومأزق الجنس البشري، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 32، مارس 2004، ص48، 54.
3. Lucie Sauvé.(dir) Education et environnement.Un croisement des savoirs.UQAM. Acfas.N104, 2005 , p.8.
4. Edgar Morin.Le paradigme perdu : la nature humaine.Editions Seuil, 1973, pp.6-27.
5. Ibid.30.
6. Ibid.31-33.
7. دافيد هيكس، تربية الأمل في الأزمنة الحرجة، التغير المناخي والانتقال إلى عصر ما بعد الكاربون، ترجمة: يوسف تيبس، مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، فلسطين، 2014، ص64.
8. المرجع السابق، ص26.
9. عبدالسلام موسى العديلي وكوثر عبود الحراحشة، أثر دراسة مساق في التربية البيئية في اتجاهات طلبة جامعة آل البيت نحو بعض القضايا المتعلقة بسلامة البيئة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات العدد 19، 2، 2013، ص98، الأردن، https://www.aebu.edu/jo/journal/manar/manarArt1923html
10. المرجع السابق، ص88.
11. المرجع السابق، ص89.
12. المرجع السابق، ص88 و89.
13. المرجع السابق، ص102.
14. صلاح إبراهيم عبدالرحيم إبراهيم، واقع التربية البيئية في كتب الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية السودان، مجلة جامعة بخت الرضا العلمية - السودان، العدد الثامن، سبتمبر 2013، ص133.
15. المرجع السابق، ص134.
16. المرجع السابق، ص146.
17. إبراهيم صالح المعتاز، التربية البيئية في مناهج التعليم العام، كلية الهندسة - جامعة الملك سعود، 1992، ص4، انظر الحامل aculty.ksu.edu.sa
18. المرجع السابق، ص1 و2.
19. عبلة غربي، التربية البيئية في المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين بالجزائر 2009، ص7، (أطروحة جامعية) su.umc.edu.dz/theses/sociologies/AGHA2941.pd

20 المرجع السابق، ص24.

21 المرجع السابق، ص76.

22 المرجع السابق، ص77.

23 المرجع السابق، ص78.

24 المرجع السابق، ص79.

25 المرجع السابق، ص85 و86.

26 المرجع السابق، ص124 و125.

27 المرجع السابق، ص129 - 131.

28 المرجع السابق، ص136.

29 ميرفت حسن برعي، برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعض الانشطة الفنية والموسيقية، جامعة الأسكندرية، 2006، ص573./www.1mans.edu.eg/facse/arabic/moktamar first/19.pdf

30 المرجع السابق، ص596 و597.

31 hafsa benBrahim.L'éducation relative à l'environnement dans le système éducatif marocain, 2002,p.20 Mem-envi.ulb.ac.be/Memoires_en pdf/MFE_01…/MEE_Ben_Brahim-01-02pdf

32 المرجع السابق، ص30 و31.

33 المرجع السابق، ص103.

34 Rémi Barbier, et autres.La sociologie de l'environnement :objets et démarches (Manuel de sociologie de l'environnement).PUL,2012,p.116. http://www.researchgate.net/.../280847862-la_sociologie _de l'environnement_objets_

35 المرجع السابق، ص118.

36 المرجع السابق، ص123 و124.

37 Ulrich Beck.La société du risque.sur la voie d'une autre modernité. Flammarion.2008,p,38.

38 Ibid, 63.

39 David Blanchon, et autres.Comprendre et construire la justice environnementale. Annales de Géographie, 1/2009 ,No 665-666,p.1-2.http://www.cairn.info/revue-annales-de-geographie-2009-1-page-35.htm

40 Ibid,7

41 Ibid,20-21

42 kathryn Ross Wayne,David,A,Gruenewald.Ecojustice and Education , A special Issues of the Educational studies: Routledge,2014.p.7.

43 Rebecca Martusewicz, Gary Schnakenberg.« Ecojustice ,community- based learning, and social studies Education ».in Critical Theories ,Radical Pedagogies, and social Education, New Perspectives for social studies Education.Abraham P.Deleon and Yane Ross: Sense Publishers ,Rotterdam,2010, p.7,25.

44 chet Bowers (chet),A.Education for Eco-justice and community: University of Georgia Press,2001,p.33.

45 Rebecca Martusewicz" Ecojustice,community –based learning ».op.cité.p.27

46 Ibid.28.

47 Ibid.2931-30-.

48 Lucie Sauvé ,Isabel Orellana.« conjuguer rigueur , équité , créativité et amour : l'exigence de la criticité en éducation relative à l'environnement".in Education relative à l'environnement.Vol 7.2008, p.10.www.espace-ressources.uqam.ca/images/contenu/chaire.../EditorialCriticiteMod7.pdf

49 Gina Théseé, Paul Carr." Une proposition d'élargissement de la dimension critique en éducation relative à l'environnement : la résistance éco-epistémologique".in Education relative à l'environnement ,Vol 7,2008,p.68.www.revue-ere.uqam.ca/vol7/vol7_pdf/GThesee.pdf

50 Ibid,69.

51 Ibid, 72.

-lucie Sauvé.L'éducation relative à l'environnement et la globalisation : enjeux curriculaires et pédagogiques.Regards-Recherches-Réflexions,N 6.2007 ,p.18.www.revue-ere.uqam.ca/PDF/volume601/_sauve_L.pdf

52 Gina Théseé, Paul Carr." Une proposition d'élargissement de la dimension critique en education relative à l'environnement..op.cite,pp 8283-.

53 Lucie Sauvé.L'approche critique en education relative à l'environnement ,origines théoriques et applications à la formation des enseignants.Revue des sciences de l'éducation, vol 23, N1.1997.p,172.

54 Ibid,p174.

55 Ibid,p 176.

56 Lucie Sauvé.Courants théoriques et pratiques en éducation relatives à l'environnement : Essai de cartographie du domaine.ERE-UQAM.p, 7.Wikis.cdrflorac.fr/wikis/Ecorespon/wakka.php ?wiks=Outils/download…courants…

57 Ibid ,8.

58 Ibid,p16.

59 Ibid ,p20.

60 Ibid,24.

61 Ibid,27.

62 Ibid, 30.

63 Ibid, 38.

64 Ibid, 41-42.

65 Ibid, 46.

66 Ibid,51.

67 Ibid,58.

المراجع

1 - العربية

● **الشراح، يعقوب أحمد،** التربية البيئية ومأزق الجنس البشري، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، العدد 3، المجلد 32، مارس 2004.

● **صلاح إبراهيم عبدالرحيم إبراهيم،** واقع التربية البيئية في كتب الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية السودان، مجلة جامعة بخت الرضا العلمية، السودان، العدد الثامن، سبتمبر 2013.

● **هيكس دافيد،** تربية الأمل في الأزمنة الحرجة، التغير المناخي والانتقال إلى عصر ما بعد الكربون، ترجمة: يوسف تيبس، مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، فلسطين، 2014.

2 - الأجنبية

● **Alier Joan Martinez.**The environmentalism of the poor, a study of ecological conflicts and valuation,Edwar Elgar Publisching Limited Massachusetts,USA,2002.

● **Beck Ulrich.La société du risque,** sur la voie d'une autre modernité.Flammarion ,2008.

● **Bowers ,Chet.A.Education** for Eco-justice and community, University of Georgia Press,2001.

● **Bowers,Chet** ,A.In the Grip of the Past : Educational reforms that adress what should be changed and what should be conserved.Eco-justice Press LLC,2013.

● **Bruillard,Eric.Manuels scolaires ,** regards croisés.Caen :Basse Normandie ,2005.

● **Latour,** Bruno.Politique de la nature ,Paris : la découverte.1999.

● **Martusewicz,** Rebecca & Schnakenberg Gary. "Ecojustice" ,community- based learning, and social studies "Education" .in

Critical Theories ,Radical Pedagogies, and social Education.New Perspectives for social studies Education.Abraham P.Deleon and Yane Ross.Sense Publishers Rotterdam, 2010.

● **Morin Edgar.L**e paradigme perdu : la nature humaine.Editions Seuil, 1973.

● **Ross Wayne,**K,& Gruenewald David.Ecojustice and Education, A special Issues of Educational studies.Routledge,2014.

● **Sachs Ignacy.1980,** l'écodéveloppement, stratégie pour le 21e siècle.Paris Spros,1980.

● **Sauvé Lucie.L'approche** critique en éducation relative à l'environnement , origines théoriques et applications à la formation des enseignants.Revue des sciences de l'éducation vol 23, N1, 1997.

المراجع الإلكترونية

1 - العربية

● **العديلي، عبدالسلام موسى، والحراحشة، كوثر عبود،** أثر دراسة مساق في التربية البيئية في اتجاهات طلبة جامعة آل البيت نحو بعض القضايا المتعلقة بسلامة البيئة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات العدد 19، 2، 2013، الأردن.

https://www.aebu.edu/jo/journal/manar/manarArt1923html

● **المعتاز، إبراهيم صالح،** التربية البيئية في مناهج التعليم العام، كلية الهندسة جامعة الملك سعود.1992 aculty.ksu.edu.sa

● **برعي، ميرفت حسن،** برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعض الانشطة الفنية والموسيقية، جامعة الأسكندرية،

www.1mans.edu.eg/facse/arabic/moktamar/first/19.pdf 2006

● **غربي، عبلة،** التربية البيئية في المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين بالجزائر، 2009 (أطروحة جامعية).

su.umc.edu.dz/theses/sociologies/AGHA2941.pd f

2 - الأجنبية

● **Attac,** Maroc.contre la mondialisation libérale ,Rapport Etat de la justice climatique au Maroc.2015.www.cadtm.org/IMG/pdf/Attac_Rapport_justice_climatique_FR.pdf

● **Barbier Rémi,** et autres.La sociologie de l'environnement: objets et demarches (Manuel de sociologie de l'environnement). PUL.2012.http://www.researchgate.net/.../280847862-la_sociologie _de l'environnement_objets_

● **benBrahim**,Hafsa.L'éducation relative à l'environnement dans le système éducatif marocain, 2002.Mem-envi.ulb.ac.be/Memoires_en pdf/MFE_01.../MEE_Ben_Brahim-01-02pdf

● **Blanchon David et autres.**Comprendre et construire la justice environnementale.Annales de Géographie 1/2009 ,No 665-666. http://www.cairn.info/revue-annales-de-geographie-2009-1-page-35.htm

● **NaylaNaoufal.**connexions entre la justice environnementale , l'écologisme populaire et l'éco citoyenneté.Vertigo-La revue électronique en sciences de l'environnement.Vol,16,N1,2016. http://vertigo.revues.org/17053,DOI:10.4000/vertigo.17053

● **Pflierger,Géraldine & Fol,Sylvie.la** justice environnementale aux Etats –Unis :construction et usage d'une catégorie d'analyse et d'une catégorie d'action.Spatial justice N 2,2010.Js/sj.http://www.jssj.org/wp-content/uploads/2012/12/jssj2-8fr1.pdf

● **Sauvé ,Lucie** et autres.conjuguer rigueur , équité , créativité et amour :l'exigence de la criticité en éducation relative à l'environnement.in Education relative à l'environnement.

Vol 7,2008.www.espace-ressources.uqam.ca/images/contenu/chaire.../EditorialCriticiteMod7.pdf

- Sauvé Lucie.L'éducation relative à l'environnement et la globalisation : enjeux curriculaires et pédagogiques.Regards-Recherches-Réflexions,N6,2007.www.revue-ere.uqam.ca/PDF/volume6/01_sauve_L.pdf
- Théseé Gina & Carr,Paul.Une proposition d'élargissement de la dimension critique en éducation relative à l'environnement : la résistance éco-epistémologique.in Education relative à l'environnement ,Vol 7,2008.www.revue-ere.uqam.ca/vol7/vol7_pdf/GThesee.pdf



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

الحداثة في العلاقة بين أنطولوجيا الأنا أفكر وواقعية الآخر في فلسفة ديكارت

د. سفيان سعدالله *

يَصعب تعريف مفهوم الحداثة؛ لأنّها ليست حدثا تاريخيّا خالصا، ولا تَرجع ضرورة إلى موْطن مُعيّن؛ لأنّها في جوهرها فكر يَبني صورة جديدة للإنسان وعلاقته بالغير. وكلّ فكر يتحرّر من الاتباع والانغلاق من أجل إبداع دَلالات جديدة لا تقودها أشكال من الفهم الجاهزة هو فكر حديث. وما يَسم الحِقْبة التاريخية التي اصْطُلح على تَسميتها بالحداثة ليس الثورة العلميّة وحْدها، ولا حركة الإصلاح الديني ولا تغيُّر بُنى المجتمع على الصّعيد الاقتصادي، بل اكتشاف الإنسان ذاته من حيث هو أنا مستقلّ عن «سلطة» الغير. وفي هذا الصدد سنَنظُر في مسألة الأنا والغير لدى ديكارت، ضمن مستووين متداخلين الفصلُ بينهما منهجيّ؛ فَعلَى مستوى نظري تبدو الحداثة في أُول معانيها تأسيس لمفهوم جديد للإنسان بوصفه أنا أفكّر، لا يحتاج إلى الغير، وهو ما تُفصح عنه تجربة الحريّة لدى ديكارت، بما هي تجربة الفكر المستقلّ عن الغير. غير أنّه ينبغي أن نُميّز بين عدم إمكان التّعالي على الغير واقعيا وبين تأسيس الأنا أنطولوجيا بمعزل عن الغير. فليست تجربة ديكارت الفلسفيّة في قطيعة مع إقامته علاقات مع الناس كافّة، ولهذا سنركّز الاهتمام في المستوى الثاني على ما يتّصل أيضا بمفهوم الإنسان الحديث الذي أَدرَك أنّه لا يَسكن عالما متعاليا بل يخوض تجارب مع الغير. ومن ثمّة يُؤسس ديكارت - على عكس ما ساد في معظم البحوث بأنّه فيلسوف الذّاتيّة - رُؤية جديدة لعلاقة الأنا بالغير تُعبّر عن قيم الحداثة مثل الاحترام والمروءة[1].

* دكتوراه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة - الجمهورية التونسية.

I - في التقابل بين الأنا والغير

1 - حداثة سؤال: من أنا؟

ليس في مقدورنا أن نتجاهل ما أحدَثته فلسفة ديكارت من ثورة في مجال المعرفة وتأسيس مفهوم الأنا، فلم يَعد من أوّليّات الفلسفة التّساؤل عن الوجود أو العالَم، وإنّما التّساؤل عن طبيعة الأنا واقتداره على إنتاج معرفة بذاته وبالعالم وبالإله تَصدر عن العقل. فلا يحتاج الأنا إلى مساعدة من الغير فيما يتّصل بمعرفة الأشياء والبحث عن الحقيقة. ولعلّ من بين الأمور التي يعتزم ديكارت إبلاغها «الكشف عمّا تحويه النّفوس من كنوز حقيقيّة، فاتحا بذلك لكلّ إنسان السّبل إلى أن يجد في نفسه ومن دون استعارة، أيّ شيء من غيره، كلّ العلم الذي هو بحاجة إليه لتدبير حياته، وليكتسب كل المعارف العجيبة التي في وسع العقل البشري تحصيلها بعد الدراسة»[2]. يُمثّل الأنا الصّورة التي يَتّخذها الإنسان الحديث عن ذاته على النحو الذي يُعَبّر فيه عن مبدأ وجوده ألا وهو التّفكير. وهذا ما يؤكّده ديكارت بقوله: «ما أنا على وجه التدقيق إلاّ شيء مفكّر، أي ذهن أو روح أو فكر أو عقل»[3]. وبما أنّ الإنسان جوهره العقل، ففي مستطاعه التفكير تفكيرا مستقلّا عن الغير. ههنا ينبجس مفهوم الأنا دليلا على وجود «شيء يُفكّر». ومن معاني ذلك الشكّ والتّساؤل عن طبيعة معارفنا وإعادة النّظر في أحْكامنا. ولا يَدلّ الشّكّ على عجز الإنسان عن اكتشاف الحقيقة، بل يعبّر عن إيمان بقوّة العقل؛ فأنْ نشكّ، وفق ديكارت، هو أن نفكّر في جميع الأشياء بحثا عن الحقيقة. ومادام الأنا يَشكّ فهو يفكّر وهو موجود. وتتضَمّن صيغة الكوجيتو «أنا أفكر إذن أنا موجود» بشكل أكمل: «أنا الذي أشكّ، أنا أفكّر، فأنا موجود، أنا شيء يفكّر. إنّه الحدث الفكري المتجدّد كما يراه ديكارت. ويرتكز المفهوم في نقطة أنا التي تَشمل جميع المكوّنات وتَلتَقي في أنا أشكّ، أنا أفكّر، أنا موجود»[4]. وإذا كان من الممكن استبدال التّعريف اليونانيّ للإنسان بأنّه «حيوان ناطق»، بمفهوم آخر مختلف مثل الأنا أو الذات في تاريخ الفلسفة الحديثة، فهذا يرتبط ضرورة بطرح مُشكلات جديدة وبناء مُسطّح مختلف عن المسطّحات السّابقة. «وربّما يُحيل مفهوم سابق على مشكل مختلف عن الكوجيتو (يجب أن تَحدث طفرة في المشكل كي يظهر الكوجيتو الديكارتي)، أو أنّه يَجري وفق مُسطّح مختلف»[5]. ولأمر كهذا، يرى دولاز وغاتاري، أنّ الكوجيتو أو الأنا مفهوم حديث[6].

تَرجع حداثة الفلسفة الديكارتية لا إلى الاستعاضة عن سؤال ما الوجود؟ أو ما العالم؟ بسؤال من أنا؟ فقط بل أيضا في اعتبار الأنا مبدأ معرفة جميع الأشياء «أنا كائن وأنا موجود: هذا أمر يقيني، ولكن إلى متى؟ أنا موجود مادمت أفكر، فقد يَحصل أنّي متى انقطعت عن التفكير تماما انقطعت عن الوجود بتاتا»[7]. إنّ الشرط الضامن لوجودي هو التّفكير، ولكي أُوجد لا بدّ من أنْ

أفكّر، وأنا موجود لأنّني أفكّر. فأنا «جوهر لا تَتَمثّلُ كلّ ماهيته أو طبيعته إلاّ في التفكير، ولا حاجة له كي يكون بأيّ مكان، ولا يرتبط بأيّ شيء مادي»[8]. وبالتالي فإنّ وجودي لا يُعْزى إلى غير أي شيء آخر مثل الجسد أو العالم. وبتعبير آخر، لا يحتاج الأنا بوصفه جوهرا مفكّرا إلى شيء خارج ذاته، لأنّ الأنا يُفكّر في ذاته كشيء مفكّر. إنّ عودة الأنا إلى ذاته للتّفكير في طبيعته من حيث هو جوهر مفكر يَصطلح عليه ديكارت بمفهوم الوعي، بحيث نَشهد علاقة من نوع «التفكير في الفكر»، متكوّنة بمنآى عن الغير. بهذا نُدرك أنّ الأنا يُوجد حينما يكتشف ذاته ككائن مفكّر، وأنّ وجوده لا يرتبط إلاّ بالتفكير في استقلال عن الغير. وليس في وسعنا بيان المشروع الحداثي ما لم نتفحّص منزلة الأنا عند ديكارت.

2 - في منزلة الأنا

من مميّزات الفلسفة الحديثة الاتجاه نحو وضع مبادئ جديدة بمُقتضاها تكون الحقيقة واحدة غير مُنقَسمة. ولئن كان الفكر المدرساني يُميّز بين المعارف وفق تنوّع المواد، فإنّ الحكمة في دلالاتها الحديثة هي كُلّ موحَّد، والذي يجعلها باختلاف مواضيعها على غاية من التّسلسل والتّماثل هما كونها تصدر - من زاوية معرفية - عن مبدأ هو الأنا أو الكوجيتو. ويستعمل ديكارت في كتابه قواعد لتوجيه الفكر مجاز «الشّمس» للتّأكيد أنّ «العلوم جميعا سوى الحكمة الإنسانيّة، وهي عينها تظلّ دوما واحدة مهما تنوّعت الموضوعات الّتي تبحث فيها، فهي لا تتأثّر بتغيّر هذه الموضوعات أكثر ممّا يتأثّر نور الشّمس بتنوّع الأشياء الّتـي يضيئها، فليس مـن داع إلى فرْض أيّ حدّ على الفكر الإنسانيّ. ولا تصرفنا المعرفة بحقيقة ما عن اكتشاف أخرى، بل تُساعدنا فعلا على تحقيق ذلك، وعلى النّقيض، يُعيقنا حذق فنّ عن تعلّم فنون أخرى»[9]. يتضمّن مجاز الشمس أنّ الفلسفة - وفق مهامها الجديدة - ليست معرفة بموضوع معيّن، بل هي معرفة كليّة ترتدّ إلى مبادئ ثابتة. وهكذا يظهر لنا أنّ العلاقات بين مختلف المعارف أو العلوم هي علاقات تأسيس بمعنى أنّها ترجع إلى مبدإ يُوحّدها هو الكوجيتو أو الأنا.

لا يدْرس الحكيم علما خاصا؛ لأنّ جميع العلوم تترابط فيما بينها؛ لا لشيء إلاّ لكونها ترجع جميعها إلى مبادئ ثابتة هي الضامن لوحْدتها. وهو ما أكّده ديكارت بقوله: «إنّ المعرفة التي يتوسل بها إلى هاتيك الغايات [والمقصود بذلك دراسة الحكمة وتدبير الحياة] لا بدّ من أن تكون مُستنبطة من العلل الأولى، بحيث يكون من الضروري لاكتسابها (وهو ما يُسمّى على التحقيق تفلسفا) أن نبدأ بالفحص عن هاتيك العلل الأولى، أي بالفحص عن المبادئ»[10]. ليست الحكمة في دلالتها الحديثة معرفة بالمواضيع، وإنّما بمبدأ معرفتنا بها. فكان لا بدّ من وضع مبادئ جميع الحقائق التي يَستطيع الذهن الإنساني أن يَعرفها»[11]. وأوّل المبادئ الكوجيتو أو الأنا «وقد أخذت

كينونة هذا الفكر أو وجوده على أنّه المبدأ الأوّل. ومن هذا المبدإ استنبطت بكلّ وضوح المبادئ التالية، أعني وجود إله هو صانع ما هو موجود في هذا العالم [...]، ومن هذه المبادئ استنبطت استنباطا واضحا كلّ الوضوح مبادئ الأشياء الجسمانية أو الفيزيقية [...]، هذه بالإيجاز جميع المبادئ التي استنبطت منها حقيقة الأشياء الأخرى»[12]. إنّ اختلاف العلوم اختلاف ثانوي بالنظر إلى مبدأ يوَحّدها. وهذا التركيز على الوحدة دون الاختلاف من شأنه أن يُثبت أنّ الحداثة هي اكتشاف للأنا بوصفه المبدأ المؤسّس لمختلف العلوم. وهذا ما يَعني أنّ الفلسفة سوف تتّخذ مع ديكارت دلالة حديثة هي اكتشاف مبدأ جميع المعارف بدلا من الإحاطة بالمعارف واحدة واحدة. فلا تستقيم أيّ معرفة، في نظر ديكارت، إلا باكتشاف الأنا و«استنباط» وجود الله، ومن هذه المبادئ استنباط حقيقة الأشياء الأخرى.

إنّ هذا التّحوّل العميق فيما تَضطلع به الفلسفة من دور توحيدي وفي الوقت نفسه تأسيسي ليس منفصلا عن ميزة أخرى وهي أنّها ليست معرفة نظريّة خالصة «إنّ لفظ الفلسفة معناه دراسة الحكمة، وإنّه لا يقصد بالحكمة التّحوّط في تدبير الأمور فقط، بل يقصد منها معرفة كاملة لكّل ما يستطيع الإنسان أن يعرفه، إمّا لتدبير حياته أو لحفظ صحّته أو لاستكشاف الفنون جميعا»[13]؛ فالفلسفة، على خلاف المدرسانيّة، تفكير وعمل. وماذا عَسى أن يكون التفكير إنْ لم يكن تفكيرا في الحياة الإنسانية، إذ يتوقّف «تدبير الحياة»، أو «حفظ الصحّة»، أو «استكشاف الفنون» وغير ذلك من الغايات العمليّة على معرفة المبادئ الأولى، ونَعني الأنا والإله؛ ففي العصر الحديث يوجد - منذ ديكارت - تَساوق بين المعرفيّ والعملي، أي معرفة الإنسان لحقيقته من حيث هو أنا، أي جوهر مفكّر في مقدوره معرفة قوانين العالم وبين سعيه إلى أن يجعل هذه الحقائق نافعة للناس كافة؛ فديكارت لم يقتصر على اكتشاف الأنا بوصفه مبدأ كل معرفة فقط، بل اكتشف إمكان «تدبير» شؤون الحياة أيضا.

ولئن كان هاجس الفيلسوف في كتابه حديث الطريقة وضع قواعد في المنهج واكتشاف الكوجيتو أو الأنا بوصفه أوّل مبدإ للفلسفة الحديثة[14]، ثم الإله، فهذا لم يُشغله عن تفسير الطبيعة وقوانينها ووصف جسد الإنسان ومُكوّناته والاستفادة من مختلف الاختراعات «إذ تَبَيّن لي أنّه في الإمكان التّوصّل إلى معارف جدّ نافعة في الحياة، وأنّنا نستطيع أن نعثر، عوضا عن هذه الفلسفة النّظريّة الّتي تدرَّس بالمدارس، على [فلسفة] عمليّة، إذا عرفنا من خلالها ما للنّار، والماء، والكواكب، والسّماوات، وكلّ الأجسام الأخرى الّتي تحيط بنا، من قوّة وأفعال، [معرفة] لا تقلّ تميّزا عن معرفتنا لمختلف حِرَفِ [...] صنّاعنا، استطعنا أن نستخدمها بالكيفيّة نفسها في كلّ الأعمال الّتي تُلائمها، وأن نجعل أنفسنا بذلك بمنزلة أسياد للطّبيعة وممتلكين لها»[15]. ممّا يعني

أنّ الفيلسوف لم يكْتف بالتأمّل في مسائل ميتافيزيقية بل كان شاغله أيضا بناء معرفة - تطبيقية بكلّ ما يمكن أن يُحيط بالإنسان من أجل استدرار النّفع في الحياة. وممّا لا شك فيه أنّ ابتكار الوسائل يجعل الإنسان يتمتّع من دون جهد بثمار الأرض، لكنّ الأهمّ من ذلك «حفظ الصّحة [...]، وهي أوّل نعمة وأساس كلّ النّعم الأخرى في هذه الحياة»[16]. ولهذا كان من مهام الفلسفة العمليّة معرفة الجسد معرفة كافية كي «نَحتمي من عدد كبير من الأمراض [...] ومن ضعف الشيخوخة»[17]. وبهذا يرسم ديكارت أفقا جديدا، هو أفق سيادة الإنسان الحديث على نفسه وعلى الطّبيعة. وشرط ذلك هو اكتشاف الإنسان ذاته بوصفه كوجيتو أو أنا.

لم ينحصر دور الفلسفة في تحرير الإنسان معرفيا ممّا يُكبّله من «آراء باطلة» تَسم نفسها - على الرغم من ذلك - بكونها الحقيقة بإطلاق، بل تحريره أيضا من هوْل الطبيعة وتقلّباتها؛ فالسّيادة في بعدها العملي ليست إلاّ نتاجا لسيادة أُولى تتمثّل في قدرة الإنسان على التفكير تفكيرا مستقلاّ. وبتعبير آخر، ليس الأنا مصدر المعرفة، بل هو أيضا مصدر الأعمال النّافعة. ولأمر كهذا يؤكّد ديكارت وجوب اكتشاف مبدأيْ الأنا والإله لا من أجل المعرفة فقط، بل أيضا لتحقيق نفع في الحياة. ويُلخّص ديكارت مقوّمات فلسفة الحداثة في كتابه حديث الطريقة الذي يستهلّ بمبدأ فحواه: العقل هو «أعدل الأشياء توزّعا بين النّاس»، وخاتمته حلم إنسانيّ: «أن نجعل أنفسنا بذلك بمنزلة أسياد للطّبيعة وممتلكين لها». ويُعلّمنا ديكارت أنّ الفلسفة أوّلا وقبل كلّ شيء اكتشاف للإنسان من حيث هو قدرة على إنتاج معرفة خاصة مستقلّة عن الغير، وأنّها تُوجّهنا نحو تحقيق منافع في الحياة. وإذّاك يعدّ اكتشاف الأنا والإله أساس المعرفة بالطبيعة والسيطرة عليها. وما يمكن استخلاصه اليوم أنّ الإنسان لا يقدر على تحقيق السّيادة على الصّعيد العملي التّقني والاقتصادي ما لم يكُن سيّد ذاته. وهو ما يُثبت قيمة اكتشاف ديكارت للإنسان، أو بالأحرى منزلة الأنا على الصّعيد المعرفي والعملي.

من أهمّ أهداف الفلسفة الحديثة أيضا تأسيس العلوم بإرجاعها إلى مبادئ ميتافيزيقية منها: الأنا أو الكوجيتو. هذا المنحى التأسيسي بَرز على وجه الخصوص في كتاب التأمّلات: «لا بدّ من بدء بناء جديد من الأسس، إذا كنتُ أريد أن أقيم في العلوم شيئا وطيدا مستقرّا»[18]؛ فالعلم يَستمدّ مشروعيّته لا من موضوعه بل من الأسس التي يقوم عليها. وفي هذا السياق شَبّه ديكارت الفلسفة بأسرها بالشجرة «جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي الطب والميكانيكا والأخلاق، وأعني الأخلاق الأرفع والأكمل التي كانت تَفترض معرفة تامّة بالعلوم الأخرى؛ فقد بلغت المرتبة الأخيرة من مراتب الحكمة»[19]. وإذا كان مجاز الشجرة يشير إلى كون الفلسفة معرفة تشمل

مختلف العلوم، وأنّها ليست تأمّلا خالصا متعاليا عن مقتضيات الحياة، فإنّه يتضمن أيضا الروح الديكارتية؛ فديكارت «يريد» أن يؤسّس العلم بمعنى إرجاعه إلى مبادئ أولى ميتافيزيقية. ونحن «نعرف أولا أنّنا موجودون باعتبار أنّ طبيعتنا هي التفكير، ونعرف في الوقت نفسه وجود إله نعتمد عليه»[20]. ويتوافر في هذه المبادئ شرطان: «أحدهما أن تكون من الوضوح والبداهة، بحيث لا يستطيع الذهن الإنساني أن يرتاب في حقيقتها متى أمعن النظر فيها. والثاني أن تعتمد عليها معرفة الأشياء الأخرى، بحيث إنها يمكن أن تعرف من دون هذه الأشياء، ولا تعرف هذه الأشياء من دونها»[21]. وأول المبادئ هو الكوجيتو أو الأنا - كما سبق أن أوضحنا ذلك - ومنه يَستنبط ديكارت جميع الحقائق الأخرى. ممّا يترتّب عليه أنّ «مَنْ جَهِل اللهَ فلن يستطيع أن يعرف شيئا آخر معرفة يقينية»[22]. هنا تظهر المبادئ الميتافيزيقية أسمى من العلم. وهذا ما يفسّر توجّه ديكارت في الأساس نحو وضع مبادئ المعرفة الإنسانية.

يتبيّن لنا إذن أنّ حداثة الفلسفة الديكارتية لا تكمن في طرح سؤال مَنْ أنا فقط؟ بل أيضا اتخاذه المبدأ الأول في الفلسفة. فتصبح الفلسفة تأمّلا في طبيعة الأنا من حيث هو المبدأ المؤسّس لكلّ معرفة، سواء كانت المعرفة بالله أو العالم. فالتّفلسف يبدأ من معرفة الأنا. ويُعبّر الكوجيتو أو الأنا عن اكتشاف صورة الإنسان الحديث الذي بقدر ما يَعرف ذاته يعرف أيضا جميع الأشياء. وكما أشرنا يُبرز ديكارت أنّه لا وجود لأيّ يقين ما لم نكتشف الكوجيتو والإله. ويَتمثل دور الأنا لا فيما يؤسّسه من معارف بالله والعالم، بل أيضا فيما يجعله سلطانا على الطبيعة وتحقيق نفع في الحياة. فالأنا في صورته الديكارتية يَحمل مشروعا معرفيا - تطبيقيا من شأنه أن يُجذّر الإنسان الحديث في الحياة. فأن نَحيا هو أن نَحيا وفق أفكارنا أحرارا وعلى الطبيعة أسيادا.

II - شروط معرفة الأنا لذاته

1 - الأنا والتاريخ

بَرزت سمات الإنسان الحديث مع ديكارت الذي خاض بتعبير سارتر «تجربته الأولى [...]، وهي في الأساس تجربة الفكر المستقلّ الذي يكشف بقواه الخاصّة»[23] الحقيقة بمعزل عن الغير، أي سلطة القدامى ورجال الدين. ولهذا السّبب قد تكون العودة إلى ديكارت اليوم هي العودة إلى فهم دلالة من دلالات الحداثة القائمة على حريّة الاختيار التي تَعنِي ضمنيا تمرينَ الفكر باستقلال عن الغير. فما فتئ ديكارت يؤكّد ضرورة التّحرّر من التبعيّة إزاء المعلّمين والعزم على ألا يَطلب علما آخر إلاّ ما «يمكن أن يُوجد عندي»[24]. بيد أنّه لم يكن في وسعه، وهو «تلميذ» بمدرسة «لافلاش»، أشهر مدارس أوروبا، إلاّ أن يَتعلّم، مثلما يقول عن نفسه: «كلّ ما تعلمه غيري»[25] من

آداب إنسانيّة. ولم يَكد يُنهي تلك الفترة حتى غيّر رأيه تغييرا تامّا «إنّني وجدت نفسي مُكبّلا بالشكوك والأخطاء إلى حدّ بَدا لي معه أنّني لم أغنم من سعيي إلى تثقيف نفسي سوى أنني اكتشفت جهلي أكثر فأكثر»[26]. ومن ثمة ينصح ديكارت من يريد خوض مغامرة التّفلسف بنقد كل ما تَعلمّه عن المعلّمين «على كلّ إنسان، ما أن يبلغ سنّا معيّنة نُسمّيها سنّ النّضج حتّى يتّخذ قرارا لا رجعة فيه، لتخليص مخيّلته من كلّ الأفكار غير الجدّيّة التي ترسّخت فيها إلى ذلك الحين. وعليه أن يبادر جدّيّا بتكوين أفكار جديدة مستخدما في ذلك كلّ قدرته الذّهنيّة»[27]. يَبتغي الفيلسوف التّخلّص من الغير أو الفكر المدرسانيّ بوصفه التّعبير «الرّسميّ» عن طفولة الفكر، و«نظرا إلى كوننا كنا أطفالا قبل أن نصبح رجالا، ولأنّنا كنّا مُسيرين خلال فترة طويلة من طرف أهوائنا ومُربّينا، [...]، فمن المُحال أن يكون لأحكامنا من الصفاء والمتانة ما كان يكون لها لو أننا تمتّعنا منذ الولادة باستعمال تامّ لعقولنا»[28]. ليست الطفولة مجرّد زمن أو حِقبة من الزمن، بل هي تاريخ حافل بالأحكام المسبقة، وما الرّجولة إلاّ التعبير الرّمزي عن ولادة الأنا والتّحرّر من الآراء القديمة التي «تسرّبت في الماضي إلى اعتقادي من دون أن تَمرّ إليه بطريق العقل»[29]. هناك عزم على تقويض آرائنا الطفولية بما يَعني أنّ الفلسفة ليست تحرّرا من الغير بصفته كيانا يَمْثل أمامنا بقدر ما هي تحرير النفس من آراء الغير التي أصبحت جزءا منّا لشدّة ترسّخها فينا فتُعيقنا عن استعمال عقلنا نحن، و«من يرد التّخلّص من الرأي والمحتمل من أجل بلوغ اليقين، فينبغي عليه أن ينفصل عن الماضي؛ وبواسطة الشك المنهجي يرجع إلى المنطلق المطلق غير الزمني»[30]، فالشكّ بما هو فعل العقل شكّ في تاريخ بأكمله، تَحْكمه آراء مُسبقة ومتسرّعة. وليست الحداثة سوى التعبير عن إرادة التّحرّر من سلطة الماضي والتعويل على قدرات الإنسان في التفكير بشكل مستقلّ عن الغير. و«الرجولة» في هذا السياق استعمال العقل من حيث هو «المقدرة على الحُكم الجيّد والتمييز بين الحقيقة والخطأ[31]. فهناك مماثلة بين الحُكْم والحريّة، على اعتبار أنّ الحُكْم فعل عقلي يستمدّ أصله من إرادة الإنسان التي تتجلّى، فيما يرى ديكارت، في تقويض المبادئ التي كانت تعتمد عليها جميع الآراء الباطلة ممّا ينجرّ عنه ضرورة تقويض البناء بأكمله[32]. وليست الحريّة في هذا المجال سوى إمكان أن تحدّد الإرادة نفسها بنفسها بقول «لا» إزاء الآراء التي تَقبّلناها منذ حداثة السنّ، و«لما كان الإله قد حبا كلاّ منّا بشيء من النور للتمييز بين الحقيقة والخطأ، فإنّي ما كنت لأقتنع بضرورة اكتفائي بآراء الغير لحظة واحدة، لو أنّي لم أعتزم فحصها بفكري في الإبان»[33]. تبرز الحريّة ههنا تجربة في تأسيس تفكير مستقلّ عن الغير. «لقد فَهِم، [ديكارت] أفضل من أيِّ شخص آخر، أنّ أيّ تمشّ يَسْلكه الفكر، يُلزم الفكر كلّه. إنّه فكر مستقلّ، يُثبت ذاته في أيّ فعل من أفعاله في استقلال كامل ومطلق»[34]. إنّ تجربة الاستقلال عن الغير مثلما وَضَع ديكارت لَبناتها

الأولى الحديثة ذات أهمية على الصعيد النظري. ذلك أنّ معرفة الحقيقة لا تتوقّف على إثبات «أن العقل هو أعدل أشياء الكون توزّعا بين [الناس]»[35]، وإنّما القدرة على الحُكم والتّحرّر من الغير، أي التّاريخ المدرساني. لأنّ التّساوي بين جميع البشر بما هو تساو في اعتبار الإنسان جوهره العقل والقدرة على التفكير تفكيرا خاصا يتضمّن الإقرار بأنّ الإنسان عند ديكارت حرية تَبلوَرت بعض معانيها في الاستقلاليّة والقطع مع آراء الغير.

إنّ الإنسان الحديث، وقد اكتشف ذاته بوصفه أنا أفكّر، يُمكن أن يَتخلّص من كلّ ما هو غير، أي من تاريخه وذاكرته. ولا يَبقى إلاّ الأنا وحده، دون الغير، أي دون التاريخ «فقد كُنت أنتزع من فكري كل الأخطاء التي أمكَنَها التّسرّب إليه في الماضي»[36]. وإنّه لمنْ شروط اكتشاف الأنا نقْض التاريخ الذي لم يُبْنَ إلاّ على الأرض المتحرّكة والرّمال. وعلى العكس من ذلك، يهدف ديكارت إلى العثور على الصّخر والصّلصال للظفر باليقين[37]. ويُعدّ منهج الشّكّ عمليّة ضروريّة للتّخلّص من الماضي وأخطائه، والتّهيّؤ لاكتشاف الحقيقة. ومن ثمّة تقوم الحداثة على الفصل بين الأنا بما هو فرد يُفكّر تفكيرا مستقلاّ والغير، أي التاريخ، وتعميق الفصل أيضا بين الذاكرة والعقل، الرأي والمعرفة. وتؤسس الفلسفة مع ديكارت نمطا من التفكير لا يَستَبْقي من التاريخ إلاّ الحاضر وما يُجسّم قدرات العقل على بناء معرفة مستقلة. ولأمر كهذا تستشرف الفلسفة تجاوز الماضي ونقْضه بغاية تكوين عقلانيّة أساسها الإيمان بالإنسان بوصفه أنا يفكّر بمعزل عن الغير؛ فهل يقتضي الأمر إحداث ثورة على الأخلاق من جنس الثورة على التاريخ وآراء الغير؟

إنّ رفض الماضي، أو التاريخ المدرساني، على أنّه عَقَبة تجاه الحداثة لا يُشرّع بتاتا على مستوى عملي الشكّ في عادات الغير والتعاليم الدينية والتّنصّل منها «ينبغي - كما يقول ديكارت - ألا نستعمل هذا الشكّ في تدبير أفعالنا»[38]. لم يَتخَلّ فيلسوف الحداثة عن الأخلاق السّائدة التي تَضبط كيفيّة العيش مع الغير؛ فطاعة ديكارت لقوانين بلده وعاداته، والتّمسّك بالديانة، كما تَعلّمها منذ الطّفولة، وتعديل السّلوك تبعا لـ «أكثر الآراء اعتدالا وأبعدها عن الشطط [من بين] التي قبلت عموما في الممارسة من طرف أعقل [الناس] الذين قد أعيش معهم»[39]، كلّ ذلك يَدلّ على أن الحداثة - على مستوى عملي - ليست هدما لعادات المجتمع ونظمه الاجتماعية أو التعاليم الدينية، وهذا ما أكّده ديكارت بقوله: «كنت أجلّ لاهوتنا وأتوق - مثل أيّ سواي - إلى كسب السماء»[40]. وإذا كان من اللّزوم الشّروع في تقويض المعارف السائدة كلّها، فإنّ من معاني العقلانيّة المحافظة على الأخلاق والدين «حتى لا أعدل عند ذلك عن العيش أسعد عيش أقدر عليه»[41]. وممّا لا شكّ فيه أنّ العادات ونُظم المجتمع الأخلاقية هي بمنزلة «الحِكم» شديدة الإفادة يزخر بها التاريخ على وجه العموم، وتُسهم في توطيد العلاقات

بين أفراد المجتمع. ولعلّ الدرس الذي علينا أن نَستخلصه من حِكم التاريخ ونظمه الأخلاقيّة هو الاعتدال واتباع أكثر الآراء اعتدالا.

لكن قد يكون الالتزام بقواعد «الأخلاق المؤقتة» حِصنا يَحمي صاحبه من اتهامات الآخرين حتّى يتفرّغ لتقويض آرائهم والبحث عن الحقيقة. ومهما كانت مبرّرات حفظ العادات والتّمسك بالدين، فهذا لا يتعارض مع شعور الإنسان الحديث بأنّه جزء من المجتمع، وهو ما أكّده ديكارت نفسه: «فقد بدا لي من الأصلح أن أعدّل [سلوكي] وفق الذين أعيش معهم»(42)، لا خشية من اتهامات رجال الدين أو «العامة» فقط، بل رغبة أيضا في تدعيم التماسك بين الأفراد؛ ممّا يستدعي منه الالتزام بعادات المجتمع و«المحافظة على الدوام بالدين»(43). وهكذا تظهر الحداثة لدى ديكارت في صورة خطاب عقلاني متوافق مع المعتقد السائد، فلا تخلو فعلا من أبعاد أخلاقية تتجلّى في «إصلاح أخلاقنا وهداية سلوكنا في الحياة»(44)، بعد «معرفة المبادئ الحقة»(45)، أي الأنا من حيث هو فكر واستنباط وجود الإله. وغاية الأمر إصلاح سلوك الأفراد بما يتلاءم مع العقل والدين. وعلى قدر التزام الفرد بأكثر الآراء اعتدالا والمحافظة على «الدوام بالدين» تتحقق الوحدة بين أفراد المجتمع. ولهذا بدت قواعد الأخلاق - كما جاءت في حديث الطريقة أو مقدمة كتاب مبادئ الفلسفة - مشروعا يؤسّس وحدة العقل والدّين والمجتمع. وليس شاغلنا في هذا المقام إثبات أنّ ديكارت فيلسوف يَحْمل «قناعا»، ويعمل على تأسيس الثيولوجيا تأسيسا عقلانيا، وإنّما بيان أنّ الفلسفة لدى ديكارت لا تتعارض ضرورة مع إعادة التفكير في أهمّ المسائل، مثل النفس والإله، التي «تُبرهن بأدلة الفلسفة خيرا ممّا تبرهن بأدلة اللاهوت»(46). والفرق بين الدين والفلسفة هو فرق في المنهج. وتكمن قيمة الإنسان الحديث في اتباع منهج عقلي للبحث عن حقيقة الأنا والعالم والإله.

2 - العزلة الأنطولوجيّة

يقتضي التفكير في هذه المسائل، أي الأنا والإله والعزلة، إذ يتحدّد الأنا بما هو ذاتية مُكتفية بذاتها، جوهرها الوعي والارتداد على الذات، وتأمّلها في ذاتها بمعزل عن الغير. وفعلا يتميّز الإنسان عن سائر الأشياء بهذه القدرة على استبعاد الغير، مادامت آنية الإنسان تتوقّف على التّفكير الخالص. ولا يحتاج الأنا كي يفكّر إلى أن يجعل من شواغل الحياة همّا له. وهنا ينبغي أن نميّز بين وجود الفيلسوف في هذا العالم، وإقامة علاقة مع الغير، وبين ما يستدعيه التفكير من تفرّغ للتأمل في عزلة كي يستعيد الذهن صفاءه والنفس طمأنينتها. وهذا ما عبّر عنه ديكارت بقوله: «بينما لا يوجد في هذه المدينة الكبيرة التي أقطنها أيّ إنسان غيري أنا، لا يُمارس التجارة،

فكل واحد حريص على توفير الربح، حتى أننّي أستطيع أن أقطن هنا طوال حياتي من دون أن يَراني أيّ إنسان. أتَجوّل كلّ يوم وسط فوضى شعب كبير بكلّ حرية وراحة، كما لو كنت تتنزّه في ممرّات حديقتك، وإنّني لا أُعير أيّ اهتمام للبشر الذين أراهم، كما لو كانوا أشجارا في الغابة، أو حيوانات تَرعَى. أمّا الضوضاء التي يُحْدِثُونها، فإنّها لا تقْطع أحلامي فكأنّها خرير بعض الجداول»[47]. يختار الفيلسوف العزلة بحثا عن الحقيقة؛ كأنّ التفكير في مسائل ميتافيزيقية، مثل الذات أو الأنا والإله يتصلّب العزوف عن الغير والاحتماء داخل مملكة التفكير في مقابل الحياة. لقد «عزمت على القيام بمراجعة لمختلف مشاغل الناس في هذه الحياة حتى أحاول اختيار أحسنها؛ وإن كنت لا أريد أن أقول شيئا بشأن مشاغل الغير، فقد فكّرت أنّ ليس في إمكاني أحسن من أن أواصل ما كنت بصدده، أي أن أسخّر كلّ حياتي لتهذيب عقلي، والتقدّم قدر المستطاع في معرفة الحقيقة وفقا للطريقة التي وضعتها لنفسي»[48]. وبدلا من النّظر في مشاغل الناس ولَهْفتهم الشديدة على تلبية الحاجات وتوفير المال يُؤْثر الفيلسوف العزلة ووضع منهج والبحث عن الحقيقة. وفي العزلة يتحرّر الفيلسوف من المذاهب السائدة، يقول ديكارت: «تتمثّل رغبتي في حياة هادئة، وفي مواصلة العيش الّذي بدأته على أساس هذا الشّعار: عاش عيشا حسنا من اختفى اختفاء حسنا»[49]. ما يخشاه فيلسوف الحداثة هو الصّراع مع الغير «ولما كان لي من عزّة النفس ما جعلني آبى أن يصفني الناس بما ليس فيّ [...]؛ فقد فكّرت أنّه من واجبي أن أسعى - بكل الوسائل - إلى جعل نفسي جديرا بتلك الشّهرة [...]، وحيث استطعت وسط جمهور غفير حثيث النشاط، أكثر اهتماما بشؤونه منه بشؤون الغير [...] أن أعيش وحيدا منعزلا كما في أقصى الصحاري»[50]. كان الفيلسوف ينفر من المساجلات ويَخشى من وطأة اللاّهوتيّين ومناصري العلم الأرسطيّ، وهذا ما حدا به إلى اختيار العزلة.

إنّ التأمّل - بما هو فعل فلسفي خالص - يشترط أيضا الابتعاد عن طلب الملذّات فيكون الإنسان حرّا، أي سيّد ذاته، وهو ما أشار إليه ديكارت بقوله: «خلّصت فكري من كل ضروب المشاغل، وأخليْت نفسي بحمد الله من هزات الانفعالات، وظفرت لنفسي براحة مؤكّدة في عزلة مطمئنة»[51]. تُتيح العزلة - بما هي لحظة استكشاف داخلي لقوى الإنسان الحقيقية - بلورة رؤية للعالم. فقد كان ديكارت يُفضّل التأمّل والكتابة في عزلة، حيث الهدوء والسّكينة. وتُصوّر لنا محاورة البحث عن الحقيقة لجوء الفيلسوف إلى الريف[52]، والابتعاد عن صَخب المدينة للبحث في موضوعات مختلفة مثل المنهج والحقيقة؛ فالعزلة تكتسي قيمة أنطولوجية لأنّها خرق لليومي وشواغله وحاجات الإنسان وملذّاته.

إنّ تجربة العزلة هي اختيار للسفر في عالم أفكاري بعيدا عن هذا العالم؛ «فقد كنت أمكث

طول النهار وحيدا في غرفة دافئة أنظر في أفكاري»[53]. ولا يمكن للإنسان أن يَعرف ذاته إلاّ على قدر التّحرر من هذا العالم والإقامة في عالم فردي، حيث يتأكّد الأنا من وجوده بالفكر وفي الفكر والتّحرّر من الغير. أليست العزلة هي الفضاء الذي تتجلّى فيه إنسانية الإنسان؟

لا تَعني العزلة العيش وحيدا بإطلاق؛ فالأنا يوجد في العالم الآهل بالمتناقضات والاتّهامات، ولكن وجود الأنا رهين إقباله على التفكير من أجل الغير. ومن المفارقة أنّ الفيلسوف في عزلته يفكّر في شؤون البشر وتحقيق المنفعة للنّاس. فـ «كلّ إنسان - كما يقول ديكارت - مُلزم بتوفير الخير لغيره بقدر ما يكون ذلك في استطاعته، وأنّه لا قيمة البتّة لمن لا يفيد أحدا، ومن الحق أيضا أنه يجب أن تمتدّ عنايتنا إلى أبعد من الوقت الحاضر، وأنه من المفيد أن نتغاضَى عن الأشياء التي قد تَجلب بعض النفع لمن هم على قيد الحياة إذا كان الغرض من ذلك الاهتمام بأخرى تجلب منه أكثر لأحفادنا»[54]. لا يتعارض من ناحية أولى اختيار الفيلسوف العزلة والتفكير بشكل مستقلّ عن الآخرين مع الرغبة في بناء تفكير حديث يَنتصر للحاضر؛ فالعقل - على خلاف الماضي - هو الحاضر. ومن ناحية أخرى لا يتعارض القطع مع التاريخ مع ضرورة وضع أسس جديدة تُنْبئ بفهم مختلف للإنسان الحديث وعلاقته بالغير، وتَفتح أفقا لـ «أحفادنا»؛ إذ يتعدّى مفهوم الحداثة لدى ديكارت القطع مع الماضي إلى ضرورة التفكير في الحاضر. وهذا ما يَجلب «النفع لمن هُمْ على قيد الحياة». وبدلا من الاستغراق في نقد الماضي وما ينجرّ عنه من خصومات، يكون من «المفيد» التّطلّع إلى تكوين معرفة وتشريع أفعال تنهض بأفراد المجتمع حاضرا ومستقبلا.

ولعلّ الدرس الذي يُمكن أن نتعلّمه من فيلسوف الحداثة هو أنّ العزلة هي موطن إبداع فكر مُستقبلي، وهو شأن الفلاسفة «الكبار» مثل ديكارت، أمّا شاغل «الحرفيّين الصّغار» فهو الانجراف نحو تلبية حاجات الحياة وشنّ معارك، وبالتالي فهم عاجزون عن الابتكار؛ فديكارت لم يعُقه نقض الماضي عن وضع أسس فكر منفتح على المستقبل. وفلسفته تعلّمنا التفكير على نحو مُتجدّد وهذا هو الأهمّ؛ لأنّ الحداثة في عمقها تجديد مستمر لا تؤسس الحاضر إلا من أجل المستقبل. وللابتعاد عن المجادلات والاعتراضات والردود يؤكّد ديكارت ضرورة التفكير فيما يُحقق نفعا «فلا يترك فرصة لإفادة الجمهور»[55]. واللّافت للانتباه هو حرص ديكارت على الاهتمام بأشياء أخرى تُحقق أعظم نفع للأجيال اللاحقة[56]. وعلى خلاف الفلسفة النّظريّة التي تُعلَّم في المدارس، تتميز الدّيكارتيّة - مثلما أشرنا - بكونها فلسفة ذات رهانات عمليّة، من بينها الوصول إلى معارف عظيمة النفع في الحياة. وقد نحتاج اليوم - أكثر مما مضى - إلى السكون إلى الراحة و«ترك مسافة» إزاء المذاهب والأحداث على غرار ما اختاره ديكارت؛ فالفيلسوف يفكّر بمعزل عن الغير، ولكن من أجل الغير وفيما يُحقّق نفعا للبشر، وفي رسم ملامح مستقبل أفضل لـ «أحفادنا». على أنّ من مقتضيات

التفكير أيضا كما يقول ديكارت عن نفسه: «أن أتسلّح بجانب من التحرّي إزاء كل الأشياء، بحيث أحتمي من السقوط حتى إن كنت لم أتقدّم إلا قليلا جدا»[57]. لأنّ أخطر ما يَخشاه الإنسان هو «التّسرّع والظن»[58]. ولهذا تَنصّ القاعدة الأولى من قواعد المنهج على ضرورة الابتعاد عن التّسرّع والظن[59]. فلا بدّ إذن من السير رويدا واتباع السبيل السويّ للتّقدّم أكثر من الذين «يُسرعون ويَبتعدون عنه[60]، وهذا ما يُبرّر الحاجة إلى إبداع منهج.

3 - المنهج الحديث

إنّ الأنا لا يفكّر إلا وفق قواه؛ فلا يَقتبس الأفكار من الغير بل يَصنعها بما يُعبّر عن الحرّية التي تظهر في تجربة الشكّ. وبدل اتباع الغير يعتقد ديكارت في وجوب الكشف عن العقل ووضع قواعد؛ فـ «لا يكفي أن يكون الفكر جيّدا، بل أهمّ من ذلك أن يُطبّق تطبيقا حسنا»[61]. ومن ثمّة نفهم إصرار ديكارت على وضع منهج لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة؛ إذ يُفصح الشك عن إرادة الأنا في التّحرّر من آراء الغير على اعتبارها أخطاء. وليس الشّكّ مجرّد منهج، أي إجراءات منطقية شأن قواعد علماء المنطق، فما انفكّ ديكارت ينقد المنطق الأرسطي لأنّ «قياساته وأغلب تعاليمه الأخرى تَصلح لأن نَشرح للناس ما نَعلَمه وحتى للكلام، مثل فن لول، كلاما من دون حُكم في الأمور التي نجهلها، أكثر لتعلّمها»[62]. في حين أنّ المنهج الحديث «يُعلم المرء توجيه عقله لاكتشاف الحقائق التي يجهلها»[63]. ليس المنهج عند ديكارت أسلوبا في الكلام، بل هو التّفكير عينه الذي يُجسّم وعي الإنسان الحديث بقدرته على بلوغ معرفة يقينيّة. ويبلغ منهج الشك مُنتهاه في هذا المبدأ: «أنا أشكّ إذن أنا موجود، أو قُل أنا أفكّر إذن أنا موجود»[64]. ويبيّن دولاز وجاتاري أنّ الأنا أو الكوجيتو يَتكوّن من ثلاثة أفعال، هي «الشّكّ والتّفكير والوجود»[65]. وأنّ معرفة الأنا لذاته أنطولوجيا لا تحتاج إلى الغير أو إلى قياسات المناطقة بقدر ما تتطلّب انخراط الأنا نفسه في عمليّة التّفكير وفق منهج جديد. ولهذا تتوقّف الحداثة على خوض الإنسان تجربة الحريّة التي تتجلّى في وضع منهج خاص فلا يُؤْثر اتباع الغير. ولقد راهن ديكارت - كما سبق أن أوضحنا ذلك - على طرح إشكاليات جديدة ووضع منهج يختلف عن القديم. وذاك أحد مظاهر الحداثة.

يُواجهنا في هذا المقام سؤال: هل يشترط تأسيس فكر عربي حديث تقليد المنهج الديكارتي ضرورة؟ لقد سعى ديكارت، وبوعي عميق مقصود، أن يُؤسس تفكيرا مختلفا[66] عن الغير. قد نتّخذ من المنهج الديكارتي نموذجا، فنعتبره المنهج الوحيد لمعرفة الحقيقة، ونعتقد في إطلاقيته اعتقادا في ضرورة اتباعه إن أردنا التّخلّص من الماضي. وعلى الرغم من ذلك يُحذرنا من مَغبّة اتباعه فـ «ليس مجرّد العزم على التّخلي عن كل الآراء التي اعتقدها المرء في الماضي مُثُلا يجب على كل

واحد أن يحتذيها»[67]. وبقدر ما يَحرص ديكارت على الابتعاد عن تقليد القدامى بنقد منهجهم، فإنّه يَحثّنا على ألا نحتذي منهجه في التّخلّص من جميع الآراء التي اعتقدها الإنسان فيما مضى. ههنا تبرز قيمة الخطاب العقلاني في رفض كل أشكال التقليد حاضرا ومستقبلا. وإذا أردنا اليوم أن نفكّر ديكارتيا يجب أن نُقلع عن الاحتذاء الذي يتعارض مع التفكير الحرّ؛ لاسيما أنّه لا يوجد منهج واحد وإنّما مناهج متنوّعة؛ ويقترن الإبداع بوضع منهج جديد في التفكير. ولهذا لا بدّ من أن نستعمل عقلنا استعمالا خاصّا، أي أن نمارس الحريّة بالتدرّب على التفكير المستقلّ عن الغير؛ فذاك هو طريق الإبداع، وإلاّ بَقينا طول الحياة مُقلّدين لا مبدِعين.

لا يستدعي بناء فكر عربي حديث اتباع الغير على وجه العموم اتباعا مطلقا، وهو ما أكّده ديكارت نفسه في قوله: «إذ اكتفيت بتقديم هذا الكتاب كقصّة فقط، أو إن شئتم أحسن من ذلك كأسطورة يجد فيها القارئ بين بعض الأمثلة التي يمكن احتذاؤها كثيرا من الأمثلة الأخرى التي قد يكون من المصيب عدم اتباعها، فإني أرجو أن يكون نافعا للبعض من دون أن يضرّ بأحد، وأن تفوز صراحتي برضَى الجميع»[68]. ولا ريب في أنّ ديكارت يُبين بعض مزايا طريقته التي وضعها تخلّصا من المنطق الأرسطي. ولكن «قد يكون من المصيب عدم اتباعها»، وفي ذلك تأكيد على حرّية الإنسان في وضع منهج خاص. ولا تتعارض حرية الإنسان في التفكير مع إمكان الاستفادة من الماضي وتجارب الغير. والدليل على ذلك ما عبّر عنه ديكارت نفسه: «وكما يَحدث عندما يهدم المرء مسكنا قديما إذ يحتفظ عادة بأنقاضه لاستخدامها في بناء جديد، كذلك وقفت وأنا أهدم كل ما وجدته من آرائي غير قائم على دعائم صحيحة، على كثير من الملاحظات، واكتسبت كثيرا من التجارب التي قادتني إلى إرساء آراء أكثر يقينا»[69]. يَبني ديكارت فلسفته على أنقاض الماضي ولكنّه لا يَجحد إسهامات القدامى جحودا مطلقا. ولا شكّ في أن التقابل بين القديم والحديث، بين الماضي والحاضر، في جوهره تقابل منهجي وعلمي. غير أنّ الأخطر هو تحويل هذا التقابل إلى تقابل قيمي وحضاري. فيصبح الماضي كلّه، مهما تنوّعت مجالاته، ركاما من الأخطاء ممّا يترتّب عليه الاعتقاد في كون الحداثة لم تظهر إلاّ في الغرب مع ديكارت وغيره من الرّواد، وهو ما يستوجب القطع مع الماضي بإطلاق على جميع المستويات. هذا المنطق الانفعالي يستهدف محوَ الماضي محوا تاما، ويذهب إلى أخذ المنهج الديكارتي مأخذ القيمة بإطلاق. هذا المنطق لا يصمد أمام التمحيص الدقيق، فمن ناحية أولى يتنكّر للماضي في كلّيته بدعوى أنّ التّغيرات الحاصلة في مسار التاريخ لا ترجع إلى الماضي، وأنّ حركة التاريخ ليست شيئا آخر سوى الدّفع نحو الأمام أو التّقدّم. ومن ناحية أخرى يُبرّر المنطق الانفعالي للاختلاف، واعتبار فلسفة الحداثة «الفلسفة الحقّ»[70] بإطلاق.

وفي تقديرنا يتناقض المنطق الانفعالي مع حركة التاريخ نفسها وطبيعة التفكير الفلسفي ومنطق

الحضارات، فمن ناحية أولى يظهر هذا المنطق مهووسا بإبراز الفروق بين القديم والحديث، وهي فوارق لا يمكن إنكارها على الصعيد المنهجي والعلمي والتقني على وجه الخصوص. غير أنّه يُلغي منطق التاريخ نفسه الذي لا يعرف السكون في اللّحظة التي تشكّلت فيه فلسفة الحداثة مع ديكارت. وبتعبير آخر، مثلما أنّ الحداثة تقتضي القطع مع الماضي لأنّ التاريخ سيرورة ومسار نحو التّقدّم، فإنّ فلسفة ديكارت، وإن شكّلت نقطة تحوّل نوعي في مجرى التاريخ، لا يمكن عَدّها نهاية التاريخ واكتماله. فالحداثة، على عكس المنطق الانفعالي، تجديد متواصل. ولم نعد اليوم نتحدّث عن الحداثة بل ما بعد الحداثة؛ فكأنّ المنطق الانفعالي بَقي حَبيس لحظة معيّنة من التاريخ؛ فعشاق الحداثة - وفق هذا المنطق - عشاق إلغاء التاريخ، فهم يرفضون الماضي رفضا مطلقا كأنّما الحاضر لا تاريخ له، ويُؤبّدون الحاضر ضاربين صفحا عن صيرورة التاريخ. إنّهم لا يرون في الماضي إلا ركاما من الأخطاء لا تتعلق بالعلوم من الأساس، بل تشمل أيضا مختلف جوانب الحياة على الصعيد النظري والعملي، المعرفي والقيمي. فهل الماضي في كليته أخطاء بالضرورة؟ ألم تسهم المجتمعات الأخرى وثقافاتها في بناء الحضارة المعاصرة؟

ومن ناحية ثانية، يتوق المنطق الانفعالي إلى تأبيد المنهج الديكارتي بل وفلسفته برمّتها، وفي ذلك إلغاء لحركة الفكر وخصوصيّة الفلسفة ذاتها التي تتّخذ شكل المراجعة والنقد؛ فعلى الرّغم من الاعتراف بقيمة الحداثة مع ديكارت في نقد المدرسانيّة على وجه العموم، فإنّ ميزة العقلانيّة - على سبيل المثال - مع سبينوزا تتمثّل في نقد فلسفة ديكارت وتصوّرها لطبيعة الإنسان وعلاقاته بالغير، وقد كان سبينوزا واعيا بهذا الدّور؛ إذ يقول: «لا أزعم أنّي عثرت على الفلسفة الأفضل، لكنّي أعلم أنّ لديّ معرفة بالفلسفة الحقّ»[71]، فكلّ فلسفة تنشأ وتتطوّر على أنقاض فلسفة أخرى تصريحا أو تضمينا، وقوام الفلاسفة هو النقد بما يعني حقيقة حرّية التفكير. وفعلا يبرز فساد المنطق الانفعالي إذا ما أدركنا بعض خصائص الفلسفة؛ إذ ينقد ديكارت كلّ أشكال الوصاية التي مارسها المدرسانيون على الفكر بحُكم اعتبار المنطق الأرسطي أفضل الأساليب التي تُعلّم الكلام و«التفكير». وعلى خلاف ذلك، يؤسس ديكارت منهجا حديثا في التفكير بانت ملامحه مع كتاب قواعد لتوجيه الفكر وكتاب حديث الطريقة على وجه الخصوص.

ولكنّ ديكارت نفسه لا يعتقد مطلقا أنّ منهجه أفضل المناهج، ومثلما يقول في ذلك في مفتتح كتاب حديث الطريقة: «ليس غرضي هنا تدريس الطريقة التي يجب على كل واحد أن يتّبعها ليقود عقله قيادة حسنة، بل إظهار الكيفية التي بها سعيت إلى قيادة عقلي فقط»[72]. يكتفي ديكارت ببيان الوجه الذي حاول هو نفسه أن «يقود عقله قيادة حسنة»، فما يميّز العقلانية الديكارتية هو إبداع منهج خاصّ في التفكير. وإذا رمنا اليوم بناء فكر عربي حديث ينبغي إبداع

منهج خاص في التفكير، أي أن نفكّر تفكيرا مستقلاّ عن الغير، وأن نتخلّى عن التقليد لأنّه نقيض الإبداع، ومثلما يقول ديكارت: «تعلّمت ألا أثق بشيء وثوقا نهائيا من كل ما لم أتعلّمه إلّا من التقليد والعادة، وهكذا تخلّصت شيئا فشيئا من أخطاء كثيرة يمكن أن تخمد نورنا الطبيعي وتجعلنا أقل قدرة على فهم لغة العقل»[73]. يرفض ديكارت تقليد ما تعلّمه لأنّه يتعارض مع الحداثة أصلا. وإذا أردنا أن نكون فعلا حداثيين ينبغي ألا نقلّد منهج ديكارت ضرورة، وإنما نحافظ على الروح الديكارتية فنؤسس منهجا مختلفا. وليس لدينا من حجة لبيان تهافت الموقف الانفعالي أبلغ ممّا أكّده ديكارت من أن منهجه هو مجرّد تجربة خاصة في كيفية قيادة العقل، ولا يبتغي تعليم منهجه ولا يُلزم أيّ فرد بتقليده.

إنّ التفكير الحديث بالأساس تجربة شخصيّة، اكتشاف فردي؛ وهو ما يؤكده ديكارت في قوله: «إنّ هدفي لم يمتد قط إلى أبعد من محاولة إصلاح أفكاري الخاصة والبناء في أرض كلها لي. وإن أعجبني عملي إلى حد جعلني أعرض عليكم هنا نموذجه، فلست أريد بذلك أن أنصح أيّا كان بتقليده»[74]، ممّا يعني أنّ التفكير الحقّ لا يستدعي بالضرورة تقليد الغير، والدليل على ذلك أنّ ديكارت لم يتّبع المنطق الأرسطي ولا ترديد أقوال أفلاطون وأرسطو، لأنّه يدرك تمام الإدراك أنّ الإبداع فعل فردي مستقل عن الغير. وتلك هي إحدى علامات الحداثة البارزة.

ومن ناحية ثالثة، لا شكّ في أنّ ديكارت أبدع منهجا جديدا أو فكرا مختلفا عن الغير يسم به عصر الحداثة. ولكن كل مجتمع صنع حداثته بكيفية تميزه عن غيره. وإذا كان الفكر الديكارتي هو «رائد الفلسفة الحديثة بحقّ، بما أنّه اتّخذ التّفكير مبدأ»[75] وفق شهادة هيجل، فإنّ اليونان صنعوا أيضا حداثتهم وفلاسفة الإسلام وزعماء حركات الإصلاح صنعوا أيضا حداثتهم؛ فليس ثمة حداثة واحدة كونية ومطلقة بل «حداثات». وأنّ عملية استنساخ الفكر الديكارتي بغاية أن نُحسب من الحداثيين يتناقض مع مفهوم الحداثة كما رَسم معانيه ديكارت نفسه «أما الفائدة التي قد يَجنيها الآخرون من الاطلاع على أفكاري، فهي لن تكون كبيرة جدا، مادامت لم أمض بعد بها إلى حدّ بعيد يجعلني بغير حاجة إلى أن أضيف إليها كثيرا من الأشياء قبل تطبيقها على العمل. وأعتقد أنني أستطيع القول دون غرور، أنّه إن كان هناك أحد يملك القدرة على ذلك، فلا بدّ من أن أكون أنا وليس أحد سواي: لا لأنه لا يمكن أن يكون في العالم عديد العقول التي هي دون مقارنة أفضل من عقلي بكثير؛ بل لأنّنا لا نستطيع، عندما نتعلّم شيئا عن غيرنا، أن نتصوره ونتملكه بكيفية أفضل مما لو كنّا اخترعناه بأنفسنا»[76]. إنّنا فعلا قلّما نجد اليوم من يفكّر بنفسه، والسبب في ذلك تقليد نمط معين في التفكير نعتبره أنموذجا، و«ليس من النافع لكل إنسان أن يخالط من يفرغون لهذه الدراسة، بل إنّ الأفضل له قطعا أن يوجّه انتباهه إليها وأن يشتغل

بها، كما أنّ استعمال المرء عينيه لهداية خطواته واستمتاعه عن هذا الطريق بجمال اللون والضوء أفضل بلا ريب ممن يسير مغمض العينين مسترشدا بشخص آخر [...]، ولأن يحيا المرء من دون تفلسف هو حقا كمن يظل مغمضا عينيه لا يحاول أن يفتحهما»[77]، فلا نستطيع اليوم أن نُمارس حرية التفكير؛ بل إننا لا نستطيع أن نحسن التفكير، وأن نجعله نابعا من ذاتنا إذا تعلّمناه من الغير. والفرق شاسع بين أن نفكّر مثل الغير كما لو استكشفناه بأنفسنا، وبين أن نفكّر بأنفسنا، وذاك هو الإبداع كما تعلّمناه من ديكارت نفسه. فالحداثة أو التحديث نتاج الذات.

والحاصل من هذا، أنّ الحداثة الحقيقية ترفض التقليد. فأن نفكّر اليوم مثلما فكّر ديكارت، فنحن لا نفكّر بأنفسنا، وأن نفكّر مع ديكارت كأن نخوض تجربة في التفكير مستقلة عن الغير ونصنع منهجا خاصا مختلفا، فذاك هو الحفاظ على الروح الديكارتية، وما عدا هذا فهو حداثة مشبوهة مصطنعة. وتَرجع أزمة «المفكر» العربي اليوم إلى كونه يريد أن يكون حداثيا ولكنّه يجهل شروط ذلك، ولايزال مهموما باتباع فكر معيّن يتوهّم أنّه الحق بإطلاق، والحال أنّ الحداثة الحقيقية تفكير مستقل يَأبى التقليد.

4 - الأنا والتّحكّم في الجسد

لا يكتفي ديكارت بوضع منهج حديث بل تطبيقه لحظة طرح مشكلات ميتافيزيقية، وقد برز هذا في كتاب التأملات أو مبادئ الفلسفة على وجه الخصوص، إلى حدّ أنّه يصعب التمييز بين المنهج وتفحّص الأنا بصفته الحقيقة الأولى الصّادرة عن منهج الشّك، فهل للجسد منزلة في تحديد إنسانية الإنسان؟ ألا يُعدّ الجسد غيرا في مقابلَ «الأنا أفكّر»؟

يتألّف الإنسان في نظر ديكارت من نفس وجسد، والنفس جوهر مفكّر والجسد جوهر ممتد[78]. ولا يُمثل الجسد جوهر الإنسان وآنيته، بل هو غير طالما أنّ الأنا - كما سبق أن بيّنا ذلك - جوهر مفكّر ولا يتقوّم إلاّ بذاته، ولا يحتاج إلى الجسد بوصفه غيرا، فأنا «لست تلك المجموعة من الأعضاء التي تُسمّى الجسد الإنساني»[79]. فالأنا لا يتمكّن من معرفة طبيعته إلا باستبعاد الجسد، وحالما أتساءل من أنا؟ فإنّ معرفتي بذلك تستدعي التمييز بين ما يَنتسب إلى أنيتي من حيث هي نفس، أي جوهر مفكّر، وبين ما لا ينتسب إلى أنيتي، أي الجسد، على اعتبار أنّ «النفس التي أنا بها ما أنا متميزة تماما عن الجسد»[80]؛ فأنا «شيء» آخر غير الجسد. و«كل واحد منّا يدرك في ذاته أنّه يفكّر، وأنّه يستطيع - وهو يفكّر - أن يبعد عن ذاته أو عن نفسه كل جوهر مفكر ممتد، نستطيع أن نستخلص أيضا أنّ كل واحد منا إذا نظر إليه من هذه الجهة كان متميزا تميزا واقعيا من كل جوهر آخر مفكّر، ومن كل جوهر جسماني. ومع أننا نفترض أن الله قد جمع بين

جسم ونفس جميعا يستحيل معه أن يتحدا اتحادا أوثق فجعل من ذلك كلاّ مُؤلفا، فالجوهران يظلان متميزين تميزا حقيقيا على الرغم من هذا الاتحاد؛ لأنه مهما جعل بينهما من وشائج لم يكن في وسعه أن يُخلى ذاته ممّا يملك من قوة الفصل بينهما، أو حفظ أحدهما بمعزل عن الآخر»[81].

يُميّز ديكارت بين النّفس أو الأنا والجسد، لاسيّما أنّ النّفس جوهر مستقلّ عن الجسد وصفاته الحسّيّة، ولا نُدرك حقيقة النّفس إلاّ بواسطة العقل؛ فلا يحتاج الأمر إلى الجسد. وفي هذا السياق يقول ديكارت: «إنّ صفة النّفس هي الفكر، كما أنّ الامتداد صفة الجسم. ولكن، مع أنّ كلّ صفة تكفي لتعريفنا بالجوهر، غير أنّ في كلّ جوهر صفة تقوم طبيعته وماهيّته، وتعتمد عليها جميع الصّفات الأخرى. وأعني بذلك أنّ الامتداد في الطّول والعرض والعمق هو المقوّم لطبيعة الجوهر الجسمانيّ، وأنّ الفكر هو المقوّم لطبيعة الجوهر الذي يفكّر، لأنّ كلّ ما تستطاع نسبته إلى الجسم، يفترض وجود الامتداد»[82]. إنّ الأنا يعرف حقيقته من حيث هو نفس، ولا يحتاج إلى وسائط سوى عود الأنا إلى ذاته، وهو متيقّن من وجوده بوصفه نفسا قبل أن يتيقّن من وجود الجسد. و«أنّ معرفة النفس أيسر من معرفة الجسم»[83]، ممّا يَعني أنّ الأنا لا يستطيع أن يَعرف الجسد معرفة يقينيّة ما لم يعرف نفسه معرفة يقينيّة؛ فالأنا كائن يتعالى عن الغير، سواء كان الجسد أو العالم. وفي ذلك يقول ديكارت: «رأيت أنه في إمكاني أني لا أملك أيّ جسد، وأنه لا وجود لأيّ عالم، ولا لأيّ مكان أشغله»[84]. لا يستدعي وجود الأنا وجود الجسد أو العالم؛ إذ «يكون من الميسور لنا أن نفترض أنّه لا يوجد إله ولا سماء ولا أرض، وأنّه ليست لنا أبدان، لكنّنا لا نستطيع أن نفترض أنّنا غير موجودين حين نشكّ في حقيقة هذه الأشياء جميعا، لأنّ ممّا تأباه عقولنا أن نتصوّر أنّ ما يفكّر لا يكون موجودا حقّا حينما يفكّر»[85]. إنّ وجود العالم ومعرفة قوانينه وكيفيّة خلقه يتوقّف على اكتشاف الأنا من حيث هو كائن مفكّر. وبتعبير آخر، لا يرتبط وجود الأنا بوصفه جوهرا مفكرا بالغير مهما تنوّعت معانيه، سواء كان الجسد أو العالم؛ فليس للغير قيمة أو فاعلية في معرفة الأنا لذاته وتحديد طبيعة وجوده. وإذا كانت النّفس جوهرا مستقلاً عن الجسد لأنّها من طبيعة مختلفة عنه، فكيف يمكن للنّفس، وهي متميّزة عن الجسد، أن تتّحد به لتشكّل الإنسان؟

يتركّب الإنسان - كما أوضحنا ذلك - من جوهرين متميّزين هما النّفس والجسم، وأنّ طبيعة النّفس مختلفة عن طبيعة الجسد، وأنّ العلاقة بينهما هي علاقة تمايز. وعلى الرّغم من ذلك، يُثبت ديكارت اتّحادهما. وهو ما عبّر عنه بقوله: «يتبيّن لنا تمام التّبيّن أنّ طبيعة الإنسان [...] أنّه مركّب من النّفس والجسم»[86]. وليست الانفعالات سوى الإدراكات أو الإحساسات التي «تُنسب بشكل خاص إلى النفس لا لغيرها، تُسببها وتُغذيها وتقويّها حركة معينة للأرواح»[87]. يميّز ديكارت بين أفعال النّفس وانفعالاتها، فأفعال النّفس هي الإدراكات والإرادات الّتي تتأتّى مباشرة

من النّفس ولا ترتبط إلاّ بها. أمّا الانفعالات فهي نوع من الإدراكات الّتي تنتسب إلى النّفس بحُكم اتّصالها بالجسد «هنالك أشياء [...] لا يمكن أن تُنسب إلى النّفس وحدها، ولا إلى الجسد وحده، بل إلى الاتحاد الوثيق بينهما [...]: ومن قبيل هذه الأشياء شَهيّة الشرب والأكل... إلخ، وكذلك انفعالات النّفس وخوالجها التي لا تعتمد على الفكر وحده، مثل الانفعال عند الغضب والابتهاج والحزن والحب... إلخ، وكذلك المشاعر كالألم والدغدغة والضوء والألوان والأصوات والروائح والطعوم والحرارة والصلابة وجميع الصفات التي لا تقع تحت حاسة اللمس»(88). تنتاب الإنسان العديد من الانفعالات مثل الغضب واللّذّة والألم. وتدلّ كلّها على ما تنفعل به النّفس من جرّاء اتّحادها بالجسد على وجه الخصوص. و«ليس من عامل يؤثّر بطريقة مباشرة في النّفس، كما يؤثّر الجسد الّذي ترتبط به»(89). ولهذا السّبب، يفسّر ديكارت أصل الانفعالات وطبيعتها، لا من جهة علاقتها بالفكر، ولا من جهة علاقتها أيضا بالجسد، بل من جهة اتّحاد النّفس بالجسد.

هذا التّصوّر الحديث للإنسان وانفعالاته يَنجرّ عنه ضرورة مراجعة علاقة الأنا بالغير. فمن ناحية أولى يفسّر ديكارت الأنا بوصفه جوهرا مفكّرا متحرّرا من الغير سواء كان الجسد أو العالم. ومن ناحية ثانية يتراءى لنا الإنسان من جهة كونه مُركّبا من نفس وجسد، ويتصرّف وفق منظومة الانفعالات، ممّا يفترض إقامة علاقات مع الغير بوصفه أنا آخر. إنّ الانتقال من اعتبار الأنا جوهرا مفكرا متعاليا عن الجسد إلى تفسير ما يختلج الإنسان من انفعالات، يترتّب عليه تغيير دلالة مفهوم الغير؛ فالأنا جوهر مفكّر والجسد هو الغير. وفضلا على ذلك فالإنسان وحدة نفس وجسد، فعل وانفعال. ومختلف التجارب تفصح عن أنّ الإنسان لا يتصرّف وفق عقله ولا يسكن عالما متعاليا، بل يَبني علاقات مع الغير، أي أنا آخر. وبتعبير آخر، لم يعد الأمر متعلّقا بالإنسان بما هو فرد يعيش في مملكة الفكر بحثا عن الحقيقة؛ إنّه فرد يُقِيم علاقات مع الغير. ومن أسس «الحكمة» لدى ديكارت ورهاناتها أن يَتعلّم الإنسان «أن يصبح سيّد انفعالاته، وبأن يتحكّم فيها بمهارة فائقة»(90). والإنسان الحديث مثلما تصوّره ديكارت ليس الذي يتحكّم في أفكاره وفق منهج سليم، بل أيضا في انفعالاته تحكّما يجعله سيّد أفعاله، و«يكفي أن نُحسن الحُكم حتى نُحسن العمل، وأن نَحكم كأحسن ما يمكننا [الحكم] لنعمل كأحسن ما يمكننا [العمل]، أعني لاكتساب كل الفضائل، وكذلك كل الخيرات الأخرى التي يمكن اكتسابها»(91)؛ إذ تتمثّل قيمة الإنسان في التّخلّص من أحكامه المسبقة وانفعالاته فيصبح حرّا.

هناك وحدة بين التفكير والحريّة على الصعيد النظري والعملي. وهذا يعني أنّ التفكير وحدهُ مصدر السيادة والحريّة. والإنسان الحديث أيضا هو الذي يصدر أحكاما جيّدة من أجل التصرّف تصرّفا جيّدا. وشرط ذلك العقل والإرادة. والحريّة صفة من يُحسن استعمال العقل والانفعالات.

وإن أخذنا بعين الاعتبار هذه الشروط، وقوامها العقل، فإنّ الإنسان يكتسب الفضائل، فكلّ فعل يتطابق مع العقل خيرٌ. وكلّ فعل يتعارض مع العقل شرٌّ. ومن ثمّة لا يخلو تفسير طبيعة الإنسان وانفعالاته من أبعاد اجتماعية وأخلاقيّة.

يتبيّن لنا إذن أنّ فلسفة الحداثة هي تحرير الإنسان من الماضي، واستعمال العقل استعمالا خاصّا بما يضمن حرّية الإنسان في التفكير. ومن ثمّة تكون العزلة عنصرا أساسيّا لممارسة التّفكير في مسائل شائكة مثل طبيعة الأنا وثنائية النفس والجسد. وقد أفضى التفكير في طبيعة الأنا أنطولوجيا إلى استبعاد الأنا المباشر، أي التجريبي الذي تحكُمه الانفعالات. وعلى خلاف هذا، كان على الإنسان أن يتحكّم في انفعالاته، وأن يتصرّف وفق إرادته كي تستقيم العلاقات مع الغير، وتسود الفضائل وأهمها الاحترام والمروءة. وهذا ما سنعمل على تحليله.

III - أسس تكوين علاقة مع الغير وأنواعها

1 - الأنا التاريخي[92]

لئن كان ديكارت حريصا على الابتعاد عن صخب المدينة والظّفر براحة قصد إنشاء منهج حديث واكتشاف الأنا ميتافيزيقيا، فإنّ هذا لم يمنعه من إقامة علاقات مع الغير «فقد أنفقت - كما يقول عن نفسه - بقية شبابي في الترحال، وفي رؤية بلاطات وجيوش، ومعاشرة أناس من ذوي الطبائع المختلفة والمراتب [المتنوّعة]، وجمع مختلف التجارب»[93]. وقد يكون من الصّعب تصوّر ديكارت الذي عُرف بكونه فيلسوف الذاتية، والذي اختار العزلة مسكنا للابتعاد عن ضجيج المدينة، يُقيم علاقات مع كل النّاس مثل اللاّهوتيين والعلماء والأدباء و«المعلّمين» والنساء أيضا. ولعلّ العودة إلى بعض الرّسائل تُتيح لنا الكشف عن جوانب من حياة ديكارت غامضة أو تكاد تكون مَنسيّة فيما يتعلّق بعلاقته بالمرأة على وجه العموم. ومن المفارقة إثارة مسألة الحبّ والأهواء عند ديكارت على وجه الخصوص، في ضوء فلسفة تتّسم بكونها عقلانيّة. واللاّفت للانتباه ليس التفكير في أسباب الحبّ وأنواعه وآثاره فقط، بل أيضا خوض مغامرة عاطفية أفصح عنها قائلا: «عندما كنتُ صبيّا أحببت فتاة كانت في مثل سنّي، وكان بعينيها حَوَلٌ»[94]، وعلى الرغم من هذه العاهة فإنّه يشعر نحوها بحبّ. وصار بعد ذلك، كلّما أبصر أشخاصا بعينيهم حَوَلٌ، شَعر بميل إلى محبّتهم[95]، فهل يُعمي الحبّ الأبصار؟

تدفع بعض الأسباب الإنسان إلى الحبّ وإقامة علاقة مع شخص بدلا من شخص غيره، أحدهما يرتبط بالنفس والآخر بالجسد. الأوّل يُسمّيه ديكارت الحبّ الذّهنيّ الخالص أو العقليّ، والثاني انفعال. والحبّ الذّهني «ليس سوى ما يكون عندما تُبصر نفسنا خيرا ما، حاضرا أو غائبا، وتَحكم

بكونه يناسبها، فتنضمّ إليه بمحض إرادتها، أي أنّها تَعتبر ذاتها مع هذا الخير كلاّ جامعا يكون هو أحد جزأيه، وتكون هي جزأه الآخر»[96]؛ فالحبّ بهذا المعنى حبّ النّفوس يصدر عن إرادة مشتركة ويتّجه إلى غاية مشتركة أيضا هي الخير الذي يتجسّم في علاقة وحدة بين الأنا والآخر «غير أنّ نفسنا عندما تكون موصولة بالجسد، فإنّ هذا الحبّ العقليّ يكون في العادة مصحوبا بالحبّ الآخر الّذي يمكن أن نُسمّيه جنسيّا أو حسّيّا»[97]، وعلى الرغم من ذلك، يرى ديكارت، أنّه من الصعب التّمييز بين هذين النوعين من الحب «لأنّ الرّابطة الّتي تجمعهما تكون من المتانة بحيث إنّ النّفس إذا حَكَمت بأنّ شيئا هو أهل لها، فهذا يُهيّئ القلب فورا للحركات الّتي تنبّه انفعال الحبّ، وعندما يكون القلب مهيّأ بهذا الشّكل بأسباب أخرى، فإنّ هذا يفضي فعلا إلى أنّ النّفس تتخيّل في الأشياء صفات مثيرة للحب حيث كانت لا ترى فيها فيما مضى إلاّ عيوبا»[98]. والإنسان الحكيم لا ينساق إلى الحبّ بما هو انفعال أو شهوة قبل أن يأخذ بعين الاعتبار فضل الشّخص الّذي يشعر نحوه بالتّأثّر؛ فديكارت يَعلم مثلما يقول عن علاقته بالفتاة: «أنّ الحَوَلَ من العيوب [...] ولم أتأثّر به مطلقا»[99]. ولعلّ أفضل علاقة يمكن للإنسان الحكيم أن يقيمها مع الآخر هي مثلما يقول ديكارت: «أن نحصل على صداقة بعض الأشخاص الّذين تَصلنا بهم ميولنا الخفيّة بشرط أن نلاحظ فيهم الاستحقاق، وفضلا على كون هذه الميول الخفيّة نجد أسبابها في النّفس لا في الجسد، فأعتقد أنّه يجب اتباعها دائما»[100]. وإذا كان الفيلسوف قد فضّل حقا العزلة، فإنّه لا يُخفي سروره بالتّحدث إلى الأميرة إليزابيت التي لم تصرفها شواغل البلاط عن تثقيف نفسها والنّفاذ إلى أسرار العلوم والإحاطة بكل ما تشتمل عليه مؤلّفات ديكارت[101]. وفضلا على ذلك كانت الأميرة على جمال «محياها أقرب إلى أن يمثل محيا إحدى ربات الجمال اللواتي يتحدّث عنهن الشعراء، من أن يَمثل محيا إحدى ربات الشعر أو محيا العالمة مينرفا»[102]. لقد امتازت الأميرة بصفات نادرة تجمع بين العناية بالعلم وندرة الجمال ورصانة الأخلاق، فأهدى إليها كتابه مبادئ الفلسفة ولم يَعْتبرها صديقته فقط، بل أيضا «تلميذته» الصادقة، لأنّها ما انفكّت تطرح عليه أسئلة حول اتّحاد النفس بالجسد، وتدفعه إلى إبداء رأيه في مسائل «خطيرة» كالأخلاق والدين والسياسة. أفلا تتضمّن المراسلات مع إليزابيت مراجعة لطبيعة الأنا؟

لم يَعد التأمّل في الأنا في حدود كونه جوهرا مفكرا كافيا لفهم مختلف التجارب التي يعيشها الإنسان، ولهذا كان من الضروري التّطرّق إلى مسألة الانفعالات وآثارها في السلوك. وعلاوة على ذلك تكتسي المراسلات مع إليزابيت أهمية لأنّها تحتوي بكل وضوح على تصوّر ديكارت لمسألة الحريّة والأخلاق والسعادة وأنماط العلاقات بين أفراد المجتمع. وعلى عكس كتاب التأملات، كانت المراسلات مع إليزابيت مناسبة لطرح نظرية المروءة والحريّة في بعدها الفردي والاجتماعي[103].

فعلا كان التّراسل مع الأميرة خير حافز على تأليف كتاب انفعالات النّفس، فأرسل نسخة منه إلى إليزابيت في شتاء 1645/ 1646، كما أرسل نسخة أخرى إلى الملكة كريستين بالسّويد في 20 نوفمبر 1647، التي أيقنت أنّ التراث المدرساني يُكبّل العقل وفق «سلاسل» هي قواعد المنطق الأرسطي. وهذا ما دفعها إلى طلب العلم والمعرفة على وجه العموم. وفي شتاء 1649 تلَقّى ديكارت دعوة من الملكة كريستين للإقامة بالسّويد كي يُعلّمها الفلسفة الحديثة. وقد سَحَرته كريستين برسائلها ودعتْه إلى بلاطها. وحدّدت الملكة الخامسة صباحا كي تتلقّى الفكر الحديث والتأمّل في مسائل مثل الأخلاق والحريّة والسعادة. كان ذلك ثلاث مرّات في الأسبوع، وقَبِل ديكارت الأمر رغم قسوة الشّتاء، وعلى الرغم من أنّه من عادته الاستيقاظ متأخّرا من نومه والبقاء وحيدا في «غرفة دافئة».

لقد كانت مراسلات ديكارت - على وجه العموم - دليلا على أنّ الفيلسوف، وإن كان يفضّل حقا العزلة والابتعاد عن جميع الأماكن التي يمكن أن يكون له فيها من يعرفهم[104]، فإنّه يخوض تجارب متنوّعة عقليّة وعاطفيّة وسياسيّة مع الأميرات على وجه الخصوص. وربّما كانت هذه التجارب دافعا إلى التأمّل في مسائل، مثل الأخلاق والدين والأهواء والسياسة. وقد تكون الخصومات مع الغير من لاهوتيين و«معلمين» وحملات القذف والاتهام دافعا إلى السّفر إلى السويد أو هولندا، وإقامة علاقة مع الأميرات للاحتماء من أعداء التفكير الحرّ، ومن ثمّة نشر فلسفته. وقد وجد ديكارت في الحديث إليهنّ ما يفصح عن «ميوله الخفية» تجاه من يستحقّ الصداقة. والحقيقة أنّ صداقة المفاهيم ليست أقل قيمة من صداقة الأجساد!

يُقيم ديكارت تجارب مع الغير، ولم يثنه ذلك عن التّأمّل في مسائل عدة مثل الذّات والأخلاق؛ فكتاب حديث الطريقة يصوّر لنا الأنا في دلالاته التجريبيّة. وإذ يسعى الفيلسوف إلى الاستفادة من الغير و«إفادة الجمهور» فإنّه يحرص على الكتابة باللغة الفرنسية[105]، والإشراف على ترجمة مؤلّفاته من اللاتينية إلى الفرنسيّة أيضا، وهذا ما يدعم سبل التّواصل مع الغير. وإذا ما فضّل الفيلسوف العزلة فهذا لا يعبّر بالضّرورة عن رفضه للغير رفضا قاطعا؛ بقدر ما يُعدّ من شروط التّفكير والبحث عن منزلة الأنا وأنماط العلاقات بالغير؛ فالفيلسوف وهو يفكّر في عزلته إنّما هو يفكّر من أجل الغير، فلا يبتغي كما جاء في آخر كتاب حديث الطريقة: «أشرف المناصب في الأرض»[106]، بل التّفكير من أجل بلوغ التقدم العلمي والطبي.

يتبيّن لنا من ناحية أولى أنّ الأنا من حيث هو جوهر مفكّر يتعالى عن الواقع رغبة في معرفة ذاته بحثا عن الحقيقة، ومن ناحية أخرى يظهر الأنا بصفته كائنا مُنفتحا على الغير. وليس في ذلك تناقض، إن أخذنا بعين الاعتبار التحوّل في معالجة مسألة الأنا والغير من المستوى الأنطولوجي الخالص إلى المستوى التجريبي. غير أنّ ما يميّز الفلسفة مع ديكارت أيضا هو التفكير في الأنا وأنماط

العلاقات بين الأفراد وفق منظومة قيم قوامها المروءة والاحترام.

2 - المروءة واحترام الإنسان نفسه

ما المروءة؟ سؤال يتعلّق بمعرفة طبيعة الإنسان في الأساس، وبقدر ما يعرف الإنسان نفسه فإنّه يحترم نفسه ومن يجهل نفسه يحتقرها أيضا. ويتوقّف احترام الإنسان نفسه على معرفة طبيعته. وما يميّز الإنسان ذا المروءة معرفة نفسه، وذلك بالتّخلّص من كل تبعيّة للغير نحو خوض تجربة الحريّة وأساسها العزم على تكوين تفكير مستقل. فأساس المروءة هو أن يعرف الإنسان نفسه من حيث هو كائن يريد أن يكون حرّا. وإذا ما تصرّف الإنسان تصرّفا حرّا في إرادته، فإنّه يحترم نفسه بل يَحظى أيضا بالاحترام أيضا. ولا يقتصر هذا الأمر على معرفة ما هو كامن في النفس مثل الذهن والإرادة، بل أيضا «حسن استعمال حرية الاختيار» فمن المروءة استعمال الحريّة استعمالا حسنا.

ولتبيّن هذه المعاني النبيلة، أو بالأحرى الدّروس التي يُمْكن أن نَتعلّمها اليوم من ديكارت نستشهد بهذا النص على طوله «إنّ المروءة الحقة التي تجعل الإنسان يحترم نفسه إلى أعلى درجة تمكنه بحق أن يحترم ذاته بها، تقوم في جزء منها فقط في أنّ هذا الإنسان يعرف بأن ليس هناك من شيء ينتمي إليه بحق ويَخصّه مثل التصرف الحر في إرادته، وأنّه لا يمكن أن يُقرظ أو يُلام إلاّ لحسن استعماله، أو لسوء استعماله لهذه الحريّة الموضوعة تحت تصرفه. والجزء الآخر للمروءة يقوم على أنّ الإنسان يشعر في نفسه بتصميم حاسم، وثابت في أن يستعمل هذه الحريّة استعمالا جيدا، أي في ألّا تنقصه الإرادة أبدا، لكي يبادر إلى عمل كل الأشياء التي سيحكُم أنّها الأفضل وينفذّها، وهذا هو اتباع الفضيلة تماما»[107]. تقوم المروءة على أسُس تتكامل فيما بينها: منها احترام الإنسان نفسه والتّصرّف وفق إرادته. وحُسن استعمال الحريّة، وكذلك التصميم على إنجاز أعمال تُعدّ الأفضل. وهذا هو طريق الفضيلة. يبدو أنّ التعريف الديكارتي للمروءة غَنيّ بالمعاني، ولهذا سنعمل على توضيحه لا من أجل الكشف عن طبيعة الإنسان بما هو فرد فقط، بل أيضا ما يشرّعه من علاقات مع الغير تجعل الإنسان أهلا لاحترام نفسه، ويَحظى باحترام الغير؛ فمن احترم نفسه احترمه الغير.

إنّ الاحترام والاحتقار، فيما يرى ديكارت، يُمكن على وجه العموم «أن يُنسبا إلى مختلف أصناف الأغراض والموضوعات، إلاّ أنّهما يبرزان بشكل رئيسي حين ننسبهما إلى ذواتنا، أي حين يكون استحقاقنا هو ما نحترم أو نحتقر»[108]. لا يرتبط الاحترام أو الاحتقار تبعا لعظمة شيء ما نتعجّب منه لرفعته أو وضاعته، بل أيضا يُمكننا «أن نَحترم أنفسنا أو أن نحتقرها»[109]، ومن هنا

تتولّد المروءة أو التّعجرف (L'orgueil)، والتواضع أو الدناءة. والاحترام هو «ميل تملكه النفس لكي تَتصوّر قيمة الشيء المحترم»[110]. أمّا الاحتقار فهو «ميل تملكه النفس كي تأخذ في الاعتبار حقارة أو صغر ما تحتقره»[111]. على أن الاحترام أو الاحتقار لا يرتبط بعلاقة الإنسان بالغير بل قبل كلّ شيء بعلاقته بذاته. وبتعبير آخر، يتوقّف احترام الآخرين أو الغير على احترام الإنسان نفسه. فما الذي يَحْمله على ذلك؟

لا يَرجع احترام أنفسنا إلى أسباب خارجية، بل إلى أسباب داخلية تتّصل أساسا مثلما يقول ديكارت: بـ «الرأي الجيّد الذي يَملكُه المرء حول نفسه»[112]. فلا بدّ قبل كلّ شيء من معرفة «قوى» النفس وأفعالها معرفة حقيقيّة. ونحن حين نفحص ماهيتنا نفكّر، أي نُدرك أنّنا لا نحتاج إلى أيّ شيء خارج فكرنا سوى فكرتنا عن أنفسنا. فنعْرف على وجه اليقين أنّنا نفكّر[113]. والنفس لها وحدها ملكة الوعي أو التفكير[114]. ههنا نشهد علاقة من نوع التفكير في النفس وجوهرها الفكر. وليس في النفس سوى نوعين من الفكر، الذهن والإرادة[115]؛ فالنفس التي بها أنا ما، أنا تفكّر، أي تُدرك وتتصوّر وتريد أي تثبت وتنكر[116] أيضا. فنحن، فيما يرى ديكارت، لا نستطيع من ناحية أولى أن نَحكم على شيء ما لم يتدخّل ذهننا، ومن ناحية ثانية تمنح الإرادة تصديقا لما أدركناه[117]، وبالتالي فـ «إنّ الإرادة لازمة للحُكم لزوم الذهن»[118]. ومن المروءة احترام الإنسان نفسه، وذلك بمعرفة قوى النفس وأفعالها، أي الذّهن أو الفكر والإرادة. وقد تجلّى كل ذلك لحظة «الشروع الجدّي - كما يقول ديكارت - في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقّيتُها في اعتقادي من قبْل»[119]، من أجل بناء أحكام جيّدة لا مصدر لها سوى العقل[120]. فأن يحترم الإنسان نفسه معناه أن يفكّر تفكيرا حرّا. ومن المروءة خوض تجربة الحريّة، فأنا كائن يفكّر وأنا حرّ لأنّني أفكّر، ولا وجود لنقلة من التفكير إلى الحريّة والعكس بالعكس، لأنّ قوام الحريّة هو التفكير على نحو مستقلّ. وليست النّفس قوة تفكير فقط، بل هي أيضا فعل يتجسّم في أفعال. وإذا تصرّف الإنسان تصرّفا حرّا فهذا يرجع إلى فكره وإرادته. ومن المروءة أن يعتزم الإنسان التفكير المستقلّ والتصرّف الحرّ في إرادته.

نفهم من هذا أنّ الحريّة عند ديكارت لا مصدر لها سوى الأنا من حيث هو جوهر مفكّر له إرادة. وإذا كان الذّهن يدرك الأشياء القليلة المعروضة عليه فتكون معرفته دائما محدودة جدا، فإنّ الإرادة تبدو لامتناهية[121]. ويذهب ديكارت إلى أنّ «حرية الاختيار تجعلنا بطريقة معينة أسياد أنفسنا»[122]؛ لأنّ الإرادة وحدها، أو حرية الاختيار التي نختبرها في أنفسنا هي «أوسع نطاقا من الذهن»، بحيث لا نتصوّر غيرها أوسع وأرحب منها، (.....)[123]. وأن يحترم الإنسان نفسه معناه أن يتصّرف وفق إرادته. وأيّ قيمة أسمى من اعتبار الإنسان حرا

لأنّه يتصرّف وفق إرادته. فأن يحترم الإنسان نفسه هو أن يدرك حقيقته من حيث إنّ له قدرة على المعرفة، وقدرة على الاختيار، أي الحريّة[124].

يؤكّد ديكارت أنّ الإنسان ذا المروءة هو الذي يعي كونه كائنا حرّا. بمعنى أنّه يفكّر بشكل مستقلّ عن الغير، ويتصّرف تصّرفا حرا في إرادته، فيكون في استطاعته أن يفعل شيئا أو لا يفعله، وأن يُثبته أو ينفيه وأن يُقدم عليه أو يحجم عنه؛ فالمروءة هي «أن نتصرّف بمحض اختيارنا من دون أن نحسّ ضغطا من الخارج يُملي علينا ذلك التصرف»[125]؛ ممّا يعني أنّ الإنسان لا يكتسب صفة المروءة إلا إذا عَرف قواه الداخلية من ذهن وإرادة وتصرّف تصرّفا حرا في إرادته. فلا يحتاج الإنسان ذو المروءة إلى دروس «المعلّمين» أو وصايا رجال الدين، قدر حاجته إلى معرفة قواه الذاتية فبالذهن يدرك الإنسان الأشياء، وبالإرادة يختار ما يجب اختياره. إنّ الإنسان الحديث، وقد تخلّص من الفكر المدرسانيّ سواء في بعده الفلسفيّ أو الكنسيّ، يستطيع بمفرده، أن يفكّر بشكل حرّ وفق منهج سليم، ويستطيع أيضا بإرادته الحرّة أن يفعل أو لا يفعل؛ فمن معاني المروءة أن نختار نمط حياتنا.

في مراسلة ديكارت إلى إليزابيت يُبرز أنّ قوى النفس أو العقل - على وجه الخصوص - ليست مجرّد ملكة لاكتساب معرفة، بل هي أساس حياة: «لا يمكن الإجابة مطلقا عمّا نكون نحن، إلا من جهة ما نحن عليه، تجاه أنفسنا، وأن يفقد المرء حياته، أهون من أن يفقد استعمال عقله»[126]. فلولا استعمال العقل لما كان لوجودنا معنى ولعلاقاتنا بالآخرين قيمة. وليس من معنى للمروءة سوى أن يبلغ الإنسان «أعلى درجة يمكنه بحق أن يحترم ذاته»، وذلك بأن يفكّر تفكيرا مستقلا عن الغير، وأن يتصّرف في إرادته تصّرفا حرا. وهو ما أكده ديكارت بقوله: «إني لا ألاحظ فينا سوى شيء واحد يستطيع أن يعطينا الحق الصحيح في أن نحترم أنفسنا، وذلك هو استعمال حريتنا في الاختيار والسيادة التي لنا على إرادتنا»[127]. فالمروءة هي التي تَحْمل الإنسان على احترام نفسه احتراما لا مزيد عليه وقوامه التّصرّف وفق الإرادة وحسن استعمال حرية الاختيار.

3 - المروءة حُسن استعمال الحريّة

الإنسان ذو المروءة - مثلما أوضحنا ذلك - هو الذي يحترم نفسه، فأدركها تمام الإدراك بوصفه كائنا يفكّر ويتصرّف وفق عقله وإرادته. وهو جدير بهذا «الاستحقاق» لأنّه يتضمّن شروط إمكان أن يكون ذا مروءة، ونَعني بذلك المقدرة على استعمال حرية الاختيار استعمالا حسنا؛ فالمروءة تقوم فعلا على الحريّة. وهي مبدأ كلّي يشمل جميع الأفراد طالما أنّهم يفكرون

على نحو حرّ، ولكن لا يكفي أن يكون الإنسان حرّا، بل المهمّ هو أن يُحسن استعمال الحريّة. وبتعبير آخر، يَكتسب الإنسان صفة المروءة إنْ استعمل الحريّة استعمالا حسنا. ولا يُذمّ الإنسان ولا يُمدح إلاّ وفق هذا المبدأ، أي استعمال الحريّة استعمالا حسنا، وما من فعل يصدر عن حسن استعمالنا لحرية الاختيار إلا ويَجلب لنا المدح. أمّا الفعل الذي لا يصدر عن العقل وليس لإرادتنا سلطان عليه فيجلب لنا الذمّ. مافتئ ديكارت يؤكد القوة الطبيعية للعقل ووجوب استعمال الحريّة استعمالا حسنا لتحقيق ضرب من طمأنينة النفس أو الغبطة، وفي الرّسالة نفسها مع إليزابيت يقول: «مثلما كان الأمر حينما تحدّثت عن الغبطة ترجع تماما إلى حرّية الاختيار التي يمكن للناس كافة اكتسابها، دون الحاجة إلى الغير، تُلاحظين جيّدا أنّه توجد أمراض، بنَزعها القدرة على التفكير، تنزع أيضا القدرة على الاستمتاع برضا عقلي، وهذا يعلّمني أنّ ما كنت قد قلته بوجه عام عن جميع البشر، ينبغي ألاّ يُفهم إلاّ من قِبل من يمارسون نشاط العقل بحرية، وبهذا يعلَمون الطريق الذي ينبغي اتباعه من أجل اكتساب هذه الغبطة»[128]. يَنظر ديكارت إلى الإنسان على أنّه كائن حرّ، لأنّه يفكّر بمعزل عن الغير. وترجع حرية الاختيار بوصفها قيمة إنسانية كونيّة إلى مبدأ العقل والإرادة؛ ففي وِسع كلّ إنسان بما هو جوهر مفكّر أن يخوض تجربة الحريّة بأكملها كأن يُحسن التفكير وفق منهج سليم، وأن يتحكّم في الانفعالات، وبالتالي يكون سيّد ذاته.

يكتسي الإنسان قيمة ويحظى بالاحترام، سواء بالنسبة إلى ذاته أو غيره على قدر استعمال حرية الاختيار استعمالا حسنا. على أن الاستعمال الحسن للحرية رهين بما يُملي علينا العقل من أفعال[129]؛ فالمروءة ليست التّخلّص من الانفعالات تخلّصا مطلقا لأنها فيما يقول ديكارت: «كلّها جيدة بطبيعتها»[130]، وإنّما هي علاج ضد الإفراط فيها؛ إذ «ليس أمامنا ما نَتجنّبه منها سوى استعمالاتها السيئة أو الإفراط فيها»[131]. وبقدر ما يُحسن الإنسان استعمال عقله ويتصرّف وفق إرادته ضد كلّ انفعالات مفرطة يشعر بالحريّة.

إنّ ما يَحمل المرء على احترام نفسه هو الإرادة واستعمال حرية الاختيار استعمالا حسنا[132]؛ فالمروءة تمرين في ممارسة الحريّة. وعلى خلاف هذا، إذا ما أساء الفرد استعمال ما هو كامن فيه، أي حرية الاختيار وليس للإرادة من سلطان على أفعاله، فهذا من بين عاهات الفرد[133]. ومن ثمّة احتقر نفسه واحتقره الغير. والإنسان - مثلما بيّنا - لا يُذمّ ولا يُمدح إلاّ وفق هذا المبدأ، أي استعمال الحريّة استعمالا حسنا. وبقدر ما يتصّرف الإنسان وفق إرادته ويستعمل حريّة الاختيار استعمالا حسنا، يكتسب المروءة[134]. وعلى النقيض من ذلك إذا تخلّى عن حريته أو أساء استعمالها يكون مُتعجرفا.

إنّ المروءة، في ما يقول ديكارت، هي «مفتاح كل الفضائل الأخرى، وعلاج لكلّ اختلالات الانفعالات»[135]، كالكره والغيرة والحسد ونكران الجميل والعداوة. وما يميّز أصحاب المروءة هو أنّهم يستعملون الانفعالات استعمالا حسنا. ولعلّ من توصيفات الإنسان ذي المروءة أنّ أفعاله، كما يتصوّرها ديكارت، لا تصدر إلاّ عن الذّهن لمعرفة الخير، والتصرّف وفق الإرادة تصرّفا حرا. ولأسباب كهذه تُعدّ المروءة في جوهرها قيمة أخلاقيّة كونيّة خالصة لأنّها تقوم على حسن استعمال الحرية والقيام بأفعال لا تتناقض مع العقل وإرادة الخير للناس كافّة. إنّ ديكارت بهذا التّصوّر يثبت أنّ الإنسان بما هو جوهر مفكّر ويتصرف وفق إرادته، في مقدوره أن يبسط سلطانه المطلق على أفعاله؛ فالمروءة هي تجربة حرية الاختيار بمعنى التّصرّف الحرّ في الإرادة وحُسن استعمال حرية الاختيار والشعور في قرارة النفس بضرورة الإقبال على الأفعال الفاضلة.

إنّ هذه الأسس هي التي تجعل الإنسان يحترم نفسه، وفي الوقت نفسه يحترمه الغير. وإذا تنصّل الإنسان من هذه المبادئ احتقر نفسه واحتقره الغير أيضا. ومن ثمة نفهم أن العلاقات مع الغير تتحدّد وفق استعمال الحرية فإنْ أحسن الإنسان استعمال الحرية احترم نفسه وكان ذا مروءة، وإن أساء استعمالها احتقر نفسه وأصبح متعجرفا. يقول ديكارت: «لما كانت الإرادة بطبيعتها رحيبة جدا، فقد فزنا عن طريقها بميزة عظيمة، وهي أن نتصرف بحرية بحيث نكون مستقلين بأفعالنا استقلالا يجعلنا جديرين بالثناء إذا أحسنا التصرف»[136]. إنّ رفض ديكارت أشكال الوصاية على الفكر والفعل هو الذي قاده إلى إبراز قيمة العقل والإرادة من أجل استعمال الحريّة استعمالا حسنا. فما انفكّ ديكارت يؤكّد «أنّ أعلى مراتب الكمال عند الإنسان هو أنّه حر في الاختيار، وهو الأمر الذي يجعله خليقا بالمدح والذم»[137]. وعلى هذا النحو تُمثّل الحريّة مصدر الحُكم والفعل؛ فكان لديكارت جدارة تقدير الأفكار أو الأفعال وفق مبدأ العقل والحريّة. وهو مبدأ إنساني، ويكون الإنسان موضع مدح أو قدح على قدر استعماله للحرية استعمالا حسنا. ومن ثمّة تكون المروءة على وجه الخصوص هي حسن استعمال الحريّة.

4 - المروءة واحترام الغير

بقدر معرفة الأنا نفسه، واحترام نفسه فإنّه ينزع إلى إقامة علاقات مع الغير أساسها الحبّ والتواضع والوفاء والاعتراف بالجميل. ولهذا يصف ديكارت أهل المروءة بكونهم «أسياد انفعالاتهم، وبشكل خاص أسياد الرغبات والغيرة والحسد، وسبب ذلك أنهم يعتقدون بأن ليس هناك من شيء اكتسابه لا يتوقّف عليهم يُساوي الكثير كي يستحق بأن يتمَنوه بشدة، وهم يتحكّمون أيضا في انفعال الكراهية نحو البشر، وسبب ذلك أنهم يحترمونهم جميعا، وكذلك هم أسياد خوفهم لأنّ

الثقة التي عندهم في فضيلتهم تُطمئنهم، وأخيرا فهم أسياد غضبهم، ومردّ ذلك أنهم لما كانوا لا يحترمون كل الأشياء التي تتوقّف على إرادة الغير إلاّ قليلا جدا؛ لذا فإنّهم لا يعطون أبدا لأعدائهم أيّ أفضلية تجعلهم يعترفون بأنهم قد أهينوا بسببها»[138]. يتميّز الإنسان ذو المروءة بقدرته على اختيار طريقة حياته مع الغير أو الآخرين بما يُمليه العقل والإرادة فيكون سيّد ذاته. ولأنّه صَمّم على القيام بأفعال خيرة لا يستهويه تحصيل الأغراض المادية الخالصة ولا يحسد الغير. وبتعبير آخر لا يساوي ما يكتسبه الغير من أغراض ما يصدر عن الذات من أعمال لا يتوقّف كسبها ضرورة على الغير. ولا يخاف الإنسان ذو المروءة الغير لأنّه على ثقة بأفعاله التي يراها فاضلة. ولا يغضب من الغير لأنّه لا يحترم إلاّ قليلا الأشياء التي ترجع إلى الغير؛ فالإنسان ذو مروءة لا يَحسد ولا يخاف ولا يغضب لأنّه سيّد ذاته. وما يجعله أهلا لذلك هو ما يمتلكه في ذاته من قدرة على التفكير أو الفعل تصدر عن ذاته وليس عن سلطة خارجية فيتصرّف تصرفا حرا وفق إرادته.

وعلى نقيض الإنسان ذي المروءة «يكون المرء متعجرفا متكبّرا من دون أي موضوع أو مبرّر، أي من دون أن يعتقد أنّه يملك في ذاته استحقاقا معينا يجب أن يُقيّم ويُحترم من أجله»[139]. ويرجع ديكارت هذا «الاستحقاق» الذي يجعل من الإنسان جديرا بالاحترام أو الاحتقار إلى العقل أو التصرّف الحرّ وفق الإرادة؛ فالمتعجرف «لا يقيم أيّ وزن للاستحقاق، ويظن أنّ المجد ليس سوى تعدٍّ واغتصاب أعتقَد أنّ أولئك الذين ينسبون إلى أنفسهم كثيرا من المجد يملكون بالفعل كثيرا منه»[140]. وهكذا فإنّ الإنسان المتعجرف يرى نفسه «يُحترم من أجل أشياء لا تستحق أيّ ثناء، بل حتى من أجل أشياء تستحقّ الملامة والتأنيب، وهذا ما يُعطي الفرصة إلى أكثر الناس جهلا وأشدهم حماقة بأن يقعوا في هذا النوع من التعجرف»[141]. في حين لا تقاس قيمة الإنسان وفق ما يكتسبه من مال وما يحوزه من منصب وما يُنجزه من «أعمال»، فقد تتحوّل هذه الأمور إلى عيوب تتنافى مع العقل وحُسن استعمال حرية الاختيار. ولا يشكّ أيّ أحد، فيما يرى ديكارت، في الذّكاء والجمال والثّراء والأمجاد وغيرها من الخيرات. وقد جرت العادة بأن يكون احترامها أجلّ كلّما كان وجودها في عدد أقلّ من النّاس، ولمّا كانت هذه الخيرات والحسنات من طبيعة تمنع انتشارها لدى عدد كبير من النّاس، «فهذا ما يجعل المتعجرفين يحاولون أن يَحطّوا من شأن كل بقية البشر»[142]. ومن ثمة تكون نتائج التعجرف مناقضة لنتائج المروءة.

إنّ الإنسان ذا المروءة، وقد أدرك حقيقته من حيث هو كائن يتصرّف وفق إرادته يتّسم بالتواضع. وأكثر الناس مروءة أكثرهم تواضعا[143]. ولا يقوم «التواضع الفاضل» L'humilité vertueuse، مثلما يُسمّيه ديكارت، إلاّ على «التفكير في ضعف طبيعتنا، وأنّ الأخطاء التي نكون

ارتكبناها في الماضي، أو أنّنا قادرون على اقترافها والتي لا تقلّ عن الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها الآخرون، هي السّبب في أننا لا نفضّل أنفسنا على أيّ أحد من الناس، وأننا نعتقد أنّ الآخرين الذين يملكون مثلنا تماما حرية الاختيار يستطيعون هم أيضا أن يستعملوا هذه الحريّة استعمالا حسنا»[144]. كلّ إنسان عُرضة للخطأ بحكم «ضعف» الطبيعة البشرية، ولمّا كان الأمر كذلك، فلا مبرّر لكره الغير، بل إنّ ما يميّز أهل المروءة هو حبّهم للغير؛ فـ «لا يحتقرون أبدا أيّ شخص، ومع أنهم كثيرا ما يرون أن الآخرين يرتكبون أخطاء تظهر ضعفهم، فإنّهم مع ذلك يميلون أكثر إلى عُذرهم بدل لوْمهم، وإلى الاعتقاد أنّهم يرتكبون أخطاءهم بالأحرى بسبب نقص في المعرفة، وليس بسبب نقص في إرادتهم الحسنة الخيرة»[145]؛ فقد يرتكب الغير أو الآخرون أخطاء لأسباب ترجع إلى «نقص في المعرفة»، وتدلّ على ضعفهم على وجه العموم. ولكن تَبقى إرادتهم «إرادة حسنة خيرة»، وهو ما يَعنِي أنّ المروءة أو احترام الإنسان غيره تتوقّف على الإرادة الخيّرة. وليس هناك ما يبرّر احتقار الغير مادام كل واحد من البشر له «إرادة خيرة». وبهذا يتميز الإنسان ذو المروءة بالسماحة تجاه الغير. وترجع قيمة الإنسان وعلاقته بالغير - مثلما يؤكّد ديكارت - لا بما يمتلكه من مال أو مجد، ولا إلى ما يتميز به من ذكاء أو معرفة أو جمال[146]؛ لأنّ جميع هذه الأشياء بالنسبة إلى الإنسان ذي المروءة ليست ذات قيمة كبيرة «إذا قورنت بالإرادة الحسنة الخيرة التي من أجلها وحدها يحترمون أنفسهم، وهم يفترضون أنها في كل واحد من الناس الآخرين أو يمكن أن تكون فيه»[147]، فلا يُفضّل أهل المروءة أنفسهم على غيرهم من الناس ولا يحتقرونهم؛ لأنهم يعتقدون أنّ الإرادة الخيِّرة هي «أعدل الأشياء توزعا بين الناس»، ومن ثمة يسعى كل إنسان ذي مروءة إلى الخير وحبّ الغير.

غير أنّ الإنسان - كما سبق أن بيّنّا - قد يقترف أخطاء، وهي «عيوب تأتي عادة من الجهل، وأنّ أقلّ الناس معرفة بأنفسهم هم الذين يتعَرّضون أكثر لأنْ يتعَجرفوا أو أن يذلوا أنفسهم أكثر مما عليهم أن يفعلوا؛ لأنّ كل ما يحصل لهم من جديد يفاجئهم، وبالتالي فإنهم ينسبونه إلى أنفسهم فيعجبون لأنفسهم فيحترمون أنفسهم أو يحترقون ذواتهم وفق ما يحكُمون على ما حلّ بهم، إن كان لمصلحتهم أو عكس ذلك»[148]. وعلى عكس التعجرف «ليس في المروءة أيّ شيء لا يتماشى مع التواضع الفاضل، وليس هناك أيّ شيء يمكنه أن يُغير المروءة والتواضع، وهذا ما يجعل حركاتهما راسخة وثابتة ودوما مشابهة كثيرا لنفسها»[149]. ومن نتائج هذا أنّ أصحاب المروءة، أو من يُسميهم ديكارت بأصحاب النفوس القويّة «لا يخشون أيّ شرّ لأنفسهم، وهم يقفون على مسافة أبعد من أن تطولها سلطة الحظ وتقلبات الدهر، ليسوا بمنأى عن التعاطف والشفقة حين يرون ضعف الناس الآخرين ويسمعون شكواهم؛ لأن حيازة الإرادة الخيِّرة نحو

كل الناس تُشكّل جزءا من المروءة»[150]. فلا يتّخذ ديكارت المصلحة والمصادفة معيارا للتمييز أو التفاضل بين البشر.

لا يَحظى الإنسان بالاحترام أو الاحتقار، وفق تلبية الرغبات وتحقيق المصالح، وإنّما مبدأ الإرادة الخيرة وحُسن استعمال الحريّة، وهي الشروط اللازمة لإنجاز أفعال فاضلة. والإنسان ذو المروءة لا يحترم إلّا الإنسان الحرّ القادر على إسداء الخير للنّاس كافّة[151]. وهو يَكنّ الحبّ لمن ينتظر منه الخير. ولهذا يتّجه الإنسان ذو المروءة نحو إسداء الجميل «رغبة في أن نرى الخير يصل إلى شخص نكنّ له كل إرادة خيرة»[152]، فيحصل «الرضا عن الذات»، وهو نوع من الفرح لأننا نعتقد أننا قمنا بفعل جيّد وخيّر[153] يُعبّر عن حبّ الغير. وعلى نقيض ذلك، توجد ما يُسمى وفق ديكارت الحقارة La bassesse أو «التواضع الشائن» l'humilité vicieuse، ويَتمثّل في «أنّ المرء يشعر بأنّه ضعيف أو قليل الحزم، ولا يدرك كل منفعة حرية اختياره[154]؛ فينساق إلى القيام بأشياء سيندم عليها فيما بعد، والسبب في ذلك أنّه لا يملك القدرة على استعمال حرّيّة اختياره استعمالا تامّا؛ فيظلّ المرء عبدا للغير «يعتقد أنه لا يستطيع أن يستمر في الوجود بذاته، ولا أن يستغني عن أشياء عديدة اكتسابها يتوقّف على الغير»[155]. وهكذا يكون التواضع الشائن أو احتقار المرء ذاته نقيض المروءة. «وغالبا ما يحصل بأنّ الذين يملكون أحقر النفوس هم أكثر الناس تغطرسا وتعاليا، كما أنّ أكثر الناس مروءة هم أكثر الناس تواضعا وقناعة»[156]. ويرجع التمييز بين المُتعجرف والإنسان ذي المروءة إلى الرأي الذي يكوّنه كلّ منهما عن نفسه، أو عن الشيء الذي يجعله يحترم نفسه ويقدرها أو يحتقرها. فأصحاب المروءة - كما سبق أن أشرنا - هم أصحاب النفوس القوية لاعتقادهم في كون العقل أو حرية الاختيار قوّة طبيعيّة كامنة في الإنسان. وتتوقّف قيمة الإنسان على حسن استعمال الحريّة والقيام بأفعال فاضلة. وأصحاب المروءة أو النفوس القوية هم أهل للاحترام والحبّ. أمّا أصحاب النفوس الضعيفة فهم على قدر احتقار أنفسهم يحتقرون الغير. ويبرز ديكارت الفروق بينهما في شاهد نورده على طوله لأهمّيته في توضيح العلاقة مع الغير: «كلما كنّا نملك نفسا ذات مروءة سخية ازداد ميلنا إلى أن نعطي لكل واحد ما هو له، وهكذا فَلَسْنا نشعر فقط بتواضع عميق جدا أمام الله، ولكننا كذلك نقوم، من دون نفور، بأداء كل تكريم واحترام واجبين نحو الناس، لكل وفق الرتبة التي يحتلها والسلطة التي يمارسها في العالم، وكذلك فإننا لا نحتقر شيئا سوى العيوب والرذائل. وعلى العكس من ذلك، فإنّ الذين يملكون نفسا وَضِيعة هم عُرضة لأن يُخطئوا بسبب الإفراط، أحيانا أخرى حين يبجلون بعض الأشياء ويخافونها مع أنّها لا تستحق سوى الاحتقار، وأحيانا أخرى حين يزدرون بكل وقاحة الأشياء التي تستحق أكثر من كل ما عداها كل تبجيل واحترام، وهم غالبا ما يتحوّلون بسرعة غريبة من أقصى الاستخفاف والتجديف إلى التطير والإيمان بالخرافات، ثم من

الإيمان بالخرافات إلى الاستخفاف والتجديف، حتى أنه لا يعود هناك من عيب أو اختلال نفس أو اضطراب عقلي إلاّ ويصبحون قادرين عليه»[157]. ينظر ديكارت إلى الإنسان ذي المروءة لا على أنّه فرد يكتفي باحترام نفسه فقط، بل أيضا يحترم الآخرين ويوفي كلّ فرد حقّه من التّكريم والاحترام وفق «رتبته» ومهامه في الحياة. ولا يحتقر الإنسان ذو المروءة سوى «العيوب والرذائل». ويتميّز الإنسان ذو المروءة بكونه فاضلا لأنّ أفعاله تصدر - من حيث المبدأ - عن قوى النّفس ونعني العقل والإرادة وتهدف إلى الخير. ومن ثمّة، ليس في الإمكان فهم معاني المروءة عند ديكارت إلا بإرجاعها إلى العقل والتصرّف الحر في الإرادة وحرّيّة الاختيار والقيام بأفعال أو أعمال فاضلة.

5 - الأعمال الفاضلة

يَعرف الإنسان نفسه، أو بالأحرى السبب الذي يَجعله يحترم نفسه وهو المقدرة على استعمال الحريّة استعمالا حسنا. ويتجسّم ذلك في إنجاز فعل يَحكم الإنسان نفسه بأنّه فاضل ذلك أنّ «الأعمال التي تتوقّف على حرية الاختيار هذه تستحقّ وحدها أن تكون عن حقّ موضع تقريظنا أو ملامتنا»[158]. وكلّما عَرف الإنسان نفسه معرفة حقيقية وتَصرّف وفق إرادته وصَمّم على القيام بأفعال يراها الأفضل، فإنّه ذو مروءة. وهذه الشروط ليست حكرا على فرد بعينه، بل «إنّ الذين يملكون مثل هذه المعرفة عن أنفسهم، ومثل هذا الشعور، يقتنعون بسهولة بأنّ كل واحد من بقية البشر يستطيع أيضا أن يمتلك مثل هذه المعرفة وهذا الشعور عن ذاته، لأنّ ليس في هذا الأمر أيّ شيء يعتمد على الغير»[159]؛ فلا وجود لأيّ مبرّر لاحتقار الغير. وبتعبير آخر، مادام كلّ إنسان يَعرف نفسه على أنّه حرية فإنّه يحترم نفسه ويَحظى باحترام الغير ولا يحتقره أيضا. ومن ثمة فإنّ أساس العلاقات بين البشر هو احترام الإنسان نفسه، والتصرّف وفق الإرادة وحُسن استعمال الحريّة، وإنجاز أعمال خيّرة تخلو من منفعة مادية أو مصلحة شخصية؛ فـ «في حين نرى أنّ أولئك الذين لهم نفس قوية ذات مروءة لا يغيرون البتة من مزاجهم أمام ما يحصل لهم من نجاحات وازدهار أو معاكسات وفشل، نرى في المقابل أنّ الذين لهم نفس ضعيفة دنيئة لا يتصرفون إلاّ سعيا وراء الثروة والنجاح يملأهم زهوا بقدر ما يجعلهم الفشل متواضعين، بل إننا غالبا ما نرى أنهم يذلون أنفسهم بطريقة مخجلة أمام أولئك الذين ينتظرون منهم مكسبا أو يخشون منهم شرا، وفي الوقت عينه فإنهم يتعالون بلا حياء على أولئك الذين لا يأملون منهم شيئا، ولا يخشون منهم أي مكروه»[160]. وما يميّز أهل المروءة أو أصحاب النفوس القويّة هو المحافظة على ما يجعلهم أهلا للاحترام، ونَعني بذلك التصرّف وفق الإرادة وحُسن استعمال الحريّة والإقبال على الأعمال الخيّرة؛ فلا يُغيّروا من مزاجهم أمام ما يحصل لهم من نجاح أو فشل. وهم «ميالون طبيعيا

إلى عمل أشياء عظيمة، وعلى كل حال فهم لا يبادرون إلى القيام بأي شيء من دون أن يشعروا بأنهم قادرون عليه. ولأنهم لا يقدرون شيئا مثل احترامهم وتقديرهم لعمل الخير للآخرين من البشر، واحتقارهم مصلحتهم الخاصة، ولا يعتبرون أنّ هناك شيئا أعظم من هذا الأمر، لذلك فهم دوما بالتمام كيسون ودودون لطفاء غير متكلفين نحو كل واحد من الناس»[161]. وعلى عكس هذا، يتصرّف أصحاب النّفوس الضعيفة من أجل المصلحة الخاصة لا هَمّ لهم إلاّ المال والمجد والنفوذ والتكبّر والغطرسة، ومن ثمة احتقار الغير.

هكذا نلاحظ أنّ العلاقات مع الغير، مهما كان نوعها، تتحدّد وفق فهم الإنسان لذاته؛ ففي الحالة الأولى يتصرّف الإنسان ذو المروءة وفق إرادته، ويُحسن استعمال حريته ويكون سيّد ذاته؛ فلا يحسد ولا يخاف ولا يغضب، وإنّما يُحبّ الغير ويقوم بأفعال فاضلة. وفي الحالة الثانية، أي التعجرف أو التكّبر، يحتقر الإنسان نفسه فيكون عبد رغباته وأفعاله يُحركّها الكره والحسد والغيرة[162]؛ فيحتقر الغير. وبهذا نتبيّن بعض الفروق بين أصحاب المروءة أو النفوس القوية، وبين أصحاب النفوس الضعيفة الذين يَنعتهم ديكارت بالمتعجرفين أو المتكبّرين.

خاتمة

من أهمّ النّتائج الّتي نَستخلصها في خاتمة هذا البحث

أوّلا: إذا كان ديكارت يؤكّد أنّ الأنا ذات مفكّرة وحرّة، فغاية الأمر تأسيس صورة للإنسان الحديث الذي يُنتج أفكاره - وهذا ما يبرز قيمة العقل - بمعزل عن الغير، وهو الذي له القدرة أو الإرادة على الفعل بقطع النظر عن أيّ سلطة. ولئن كان هدف ديكارت الأساس رسم صورة جديدة للإنسان، من حيث إنّه كائن يفكّر، في مستطاعه إدراك الحقيقة مادام جوهره العقل النّقيّ الذي لم تُفسده تصوّرات الغير المدرسانيّة، فإنّ هذا الفهم الحديث لطبيعة الأنا، ستكون له نتائج مهمّة على الصّعيد السياسي، ومثلما يقول سارتر: «لا نُخفي إعجابنا بأنّ ديكارت في زمن الاستبداد قد أرسى الدّعائم الأولى للديموقراطية، وتابع مقتضيات فكرة الاستقلالية إلى النهاية»[163]، إذ أصبح من الممكن الحديث عن الإنسان باعتباره مواطنا في وِسعه تنظيم المدينة وتشريع قوانين يَسنّها بنفسه، بعد أن تحرّر من سلطة رجال الدين. وهذا من شأنه أن يقيم الدّليل على أنّ الفلسفة، وهي تفكّر في الإنسان بوصفه كائنا مفكرّا تؤسس مشروعا سياسيا مستقلاّ عن الغير، أي القساوسة، فبواسطة العقل يكون الإنسان مُهيّأ لحريّة كاملة تتجلّى من خلال التفكير والفعل العملي. ولقد فَهم ديكارت فعلا أنّ مفهوم الحريّة يتضمّن ضرورة فكرة الاستقلالية المطلقة من كل أشكال الوصاية المعرفية والسياسية، وهذا هو أساس معنى الحداثة.

ثانيا: إنّ اهتمامنا بالمروءة، من حيث هي أساس فهم طبيعة الإنسان وعلاقاته بالغير أو الآخرين، هو تأكيد للصورة التي رسمها ديكارت عن الإنسان الحديث، نَعني ما يجعله أهلا للاحترام فيتصرّف تصرّفا حرّا في إرادته، وأن يستعمل حريته استعمالا حسنا. ولا يبتغي الإنسان ذو المروءة منفعة سوى إنجاز أفعال نَحْكم بكونها فاضلة لأنّها تَصدر عن إرادة حسنة خيرة. بهذا تبدو الفلسفة الحديثة في تفحّصها لطبيعة الإنسان ذي المروءة قد فَتحت أفقاً جديدا في تناول مسائل عملية تتّصل أساسا بأنماط العلاقات بين الأنا والغير؛ فالفلسفة ليست مجرّد معرفة نظريّة محضة، بل بحث في الأخلاق أيضا، أو بالأحرى كيف يصبح الإنسان فاضلا. والمروءة هي فضيلة الإنسان الحديث، وليست من صفات رجل الدين بل جميع البشر إذا ما أدركوا حقيقتهم من حيث إنّهم يفكّرون تفكيرا مستقلا ويتصرّفون وفق إرادتهم. هناك إذن فهم جديد للمروءة يُخرجها من مجالها اللاهوتي ومضامينها الأخلاقية السائدة كي تصبح مشروعا إيتيقيّا يرتبط بالإنسان بوصفه كائنا حرّا، وهو ما برز على نحو جليّ في كتاب انفعالات النفس. ولا ترجع قيمة الإنسان ورفعته إلى التطابق مع عادات المجتمع وقوانين البلاد، كما جاء في كتاب حديث الطريقة، وإنّما أساسا إلى التطابق مع الإرادة وحرية الاختيار؛ فالمروءة قيمة إنسانية إيتيقيّة وليس دينية ضرورة. ولهذا كان شاغل ديكارت هو وضع مبادئ تحدّد كيفيّة التّعامل مع الآخرين في وفاق مع طبيعتهم، أي الحريّة بعيدا عن تعليمات «المعلمين» واللاّهوتيين. وتكمن قيمة الإنسان فعلا في أن يتصرّف تصرّفا حرّا في إرادته، وأن يستعمل حرية الاختيار استعمالا حسنا.

ثالثا: قد نكون اليوم - أكثر من أيّ وقت مضى – في حاجة إلى العودة إلى ديكارت لأنّنا مازلنا نجهل أنفسنا، بل إنّنا نعيش لا وفق إرادتنا وحريتنا، بل إرادة سلطات قد تكون لاهوتية أو سياسية تُحدّد ما يجب فعله وما لا يجب فعله، فلا نَنْعم أبدا بالسعادة. والمروءة بخلاف هذا هي القيمة «الأخلاقية» التي تجعل الإنسان يتصرّف وفق طبيعته أي إرادته؛ فنحن نحتاج اليوم إلى أن نتصرّف وفق طبيعتنا وأنْ نكون أحرارا. والأهمّ من كلّ هذا هو استعمال الحريّة استعمالا حسنا - وهو جوهر المروءة - للحدّ من هَوس الإنسان برفع القيود بدعوى التّحرّر. وتبلغ هذه الأزمة ذروتها حينما يسود اليوم بين الأفراد، الكره والحسد والغضب ونكران الجميل. وللتّخلّص من هذه الانفعالات علينا اليوم التفكير في علاقات الأنا بالغير من أجل تشريع قيم المروءة والمحبّة والتسامح والاعتراف بالجميل. باختصار شديد علينا أن نقيم علاقات أساسها المروءة والاحترام.

الهوامش

1 رأينا تعريب المفهوم الوارد باللسان الفرنسي généreux بكلمة المروءة بدلا من النُبل الذي يقابله اللفظ الفرنسي Noblesse الذي استعمله جورج زيناتي في ترجمة كتاب ديكارت انفعالات النفس، المنشور بدار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1993.

2 ديكارت (رينيه)، البحث عن الحقيقة بالنّور الطبيعي، ترجمه وقدّم له: سفيان سعدالله، راجعه: حمادي بن جاء بالله، دار محمد علي للنشر، 2006، ص132، (التنصيص منّا).

3 ديكارت (رينيه)، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: الدكتور عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980، ص100.

4 DELEUZE (GILLES.) et GUATTARI (FÉLIX.), Qu'est - ce que la philosophie ? éd. Cérès, Tunis, 1993, p. 29.

5 Ibid, p.30.

6 Voir, ibidem.

7 ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، م. م.، التأمّل الثاني، ص99.

8 ديكارت (رينيه)، حديث الطريقة، الجزء الرابع، ترجمه وشرحه وقدّم له عمر الشارني، دار المعرفة للنشر، 1987، ص122 - 123.

9 ديكارت (رينيه)، قواعد لتوجيه الفكر، القاعدة 1، ترجمه وقدّم له: سفيان سعدالله، دار سراس للنشر، 2001، ص28.

10 ديكارت، مبادئ الفلسفة، رسالة من المؤلّف، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: الدكتور عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، 1960، ص46 و47.

11 المصدر نفسه، ص36.

12 المصدر نفسه، ص60 و61.

13 المصدر نفسه، ص46.

14 انظر، ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الرابع، ص119.

15 المصدر نفسه، الجزء السّادس، ص252 و253.

16 المصدر نفسه، الجزء السّادس، ص254.

17 المصدر نفسه، الجزء السّادس، ص255.

18 ديكارت، التّأمّلات في الفلسفة الأولى، م. م.، التّأمّل الأوّل، ص71.

19 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص69 و70.

20 المصدر نفسه، ص99.

21 المصدر نفسه، ص47.

22 المصدر نفسه، ص99.

23 SARTRE (JEAN - Paul), SITUATIONS, I,ESSAIS CRITIQUES, Paris, GALLIMARD ,1947 , et. réédité en 2004, p.289.

24 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص41 (التنصيص منّا).

25 المصدر نفسه، الجزء الأوّل، ص31 (التنصيص منّا).

26 المصدر نفسه، الجزء الأوّل، ص30.

27 ديكارت، البحث عن الحقيقة بالنور الطبيعي، م. م.، ص140.

28 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثاني، ص49 – 51، وانظر أيضا، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص87.

29 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثاني، ص59.

30 BELAVAL(YVON), Leibniz Critique de Descartes, Gallimard, 1960, p. 99.

31 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص25.

32 ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، م. م.، التأمل الأوّل، ص72.

33 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص96 (التنصيص منّا).

34 SARTRE (JEAN - Paul), SITUATIONS, I,ESSAIS CRITIQUES, op.cit., p.290.

35 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص25 (بتعديل طفيف منا).

36 المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص101.

37 انظر، المصدر نفسه والصفحة نفسها، وانظر أيضا الجزء الأوّل، ص37.

38 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص87.

39 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص83 و84.

40 المصدر نفسه، الجزء الأول، ص38.

41 المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص82.

42 المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص83.

43 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

44 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص49.

45 المصدر نفسه، ص57.

46 ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، م. م.، ص39.

47 Descartes, Œuvres Philosophiques, Textes établis, présentés et annotés par Ferdinand ALQUIÉ,Éd., Garnier Frère, 1963, Lettre à Balzac, 5 mai 1631, t. I, p.292.

48 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص93 و94.

49 DESCARTES, Œuvres Philosophiques. Op,cit., Lettre à Mersenne, Avril 1634, p. 495.

50 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص107 و108.

51 ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، م. م.، التأمّل الأوّل، ص72.

52 انظر، ديكارت، البحث عن الحقيقة بالنور الطبيعي، م. م.، ص133.

53 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثاني، ص47.

54 المصدر نفسه، الجزء السادس، ص265 (التنصيص منا).

55 المصدر نفسه، الجزء السادس، ص264.

56 انظر، المصدر نفسه، الجزء السادس، ص265.

57 المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص58 - 59.

58 المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص77.

59 انظر، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص64.

60 انظر، المصدر نفسه، الجزء الأوّل، ص26.

61 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

62 المصدر نفسه، الجزء الثّاني، ص59 و60.

63 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص68.

64 ديكارت، البحث عن الحقيقة بالنور الطبيعي، م. م.، ص155.

65 DELEUZE (G.) et GUATTARI (F.), Qu’est - ce que la philosophie ?, op.cit., p. 29.

66 انظر، ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص78.

67 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثاني، ص55.

68 المصدر نفسه، الجزء الأوّل، ص29 و30.

69 المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص102.

70 انظر، ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص74.

71 اسبينوزا، مراسلات، رسالة إلى السيّد ألبيربورغ، ترجمة: جلال الدّين سعيد، مراجعة: صالح مصباح، المركز الوطني للترجمة، ط1، تونس 2015، ص461، (ورد مسبوقا بكتابَيْ: مبادئ فلسفة ديكارت، أفكار ميتافيزيقيّة).

72 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص29.

73 المصدر نفسه، الجزء الأوّل، ص43.

74 المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص55.

75 HEGEL, Leçons sur l’histoire de la philosophie, traduction et annotation par Pierre Garniron, Paris, Vrin, 1985, t.6, p.1384.

76 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء السادس، ص268 (التنصيص منا).

77 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص48 و49.

78 المقصود بالامتداد «كلّ ما له طول وعرض وعمــق...» (قواعــد لتوجيه الفكــر، م. م.، القاعــدة 14، ص 114). وانظر أيضا مبادئ الفلسفة، م. م.، ص149 و150.

79 ديكارت، التأمّلات في الفلسفة الأولى، م. م.، التأمل الثاني، ص100 (بتعديل طفيف منا).

80 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الرابع، ص124 (بتعديل طفيف منا).

81 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص157 و158 (التنصيص منّا).

82 المصدر نفسه، القسم الأوّل، ص148 و149.

83 ديكارت، التّأمّلات في الفلسفة الأولى، م. م.، التّأمّل الثّاني، ص93 (بتعديل طفيف منا).

84 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الرابع، ص121 (بتعديل طفيف منا).

85 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص92.

86 ديكارت، التّأمّلات في الفلسفة الأولى، م. م.، التّأمّل السّادس، ص267.

87 ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الأوّل، المقالة 27، ص28.

88 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص142 و143 (بتعديل طفيف منا).

89 ديكارت، انفعالات النّفس، م. م.، القسم الأوّل، المقالة 2، ص15 (بتعديل طفيف منا).

90 المصدر نفسه، القسم الأوّل، المقالة 212، ص124.

91 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص97 و98.

92 ما يميز كتاب حديث الطريقة على وجه الخصوص لا سرد مختلف التجارب التي خاضها ديكارت فقط، بل التفكير فيها سعيا إلى اكتشاف طبيعة الأنا أو الكوجيتو. ومن ناحية أولى يظهر الأنا بصفته كيانا في التّاريخ، ومن ناحية أخرى فلسفيّة يتعالى الأنا على التّاريخ، على اعتبار أنّ ماهيته التفكير. انظر، ALQUIÉ (FERDINAND), La découverte métaphysique de l'homme chez Descartes, Collection Idéa, éd., Cérès, 1995, p. 197.

93 ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص42.

94 Œuvres Philosophiques, op.cit, Lettre de Descartes a Chanut, 6 juin, 1647, t.III ,p.741.

95 Ibidem.

96 Œuvres Philosophiques, op.cit., Lettre de Descartes a Chanut,1 er février 1647, t.III , p.709.

97 Ibid, p.711.

98 Ibid ,p.712.

99 Œuvres Philosophiques, op.cit., Lettre de Descartes a Chanut, 6 juin, 1647, t.III ,pp.741 - 742.

100 Ibid , p. 742.

101 انظر، ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، ص41 و42.

102 المصدر نفسه، ص42 و43.

103 انظر،

Descartes , Correspondance avec Elisabeth et autres Letrres. Introduction, bibliographie et chronologie de Jean - Marie Beyssade et Michelle Beyssade, GF Flammarion.1989, p.34.

104 انظر، ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الثالث، ص107.

105 انظر، المصدر نفسه، الجزء السادس، ص280.

106 المصدر نفسه، الجزء السادس، ص281.

107 ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الثالث، المقالة 153، ص96 (بتصرف).

108 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 151، ص95 (التنصيص منا).

109 المصدر نفسه، القسم الثاني، المقالة 54، ص46.

110 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 149، ص95.

111 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

112 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 160، ص100.

113 انظر، ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص93.

114 انظر، المصدر نفسه، القسم الأوّل، ص94.

115 انظر، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

116 انظر، المصدر نفسه، القسم الأوّل، ص126.

117 انظر، المصدر نفسه، القسم الأوّل، ص127.

118 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

119 انظر، ديكارت، التأملات في الفلسفة الأوّلى، م. م.، التأمل الأوّل، ص71.

120 انظر، ديكارت، حديث الطريقة، م. م.، الجزء الأوّل، ص25.

121 انظر، ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص128.

122 ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الثالث، المقالة 152، ص96.

123 ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، م. م.، التأمل الرابع، ص187.

124 المصدر نفسه، التأمل الرابع، ص185.

125 المصدر نفسه، التأمل الرابع، ص188.

126 Œuvres Philosophiques, , op.cit, Lettre à Elisabeth, 1 septembre 1645,, t.III. p.600.

127 ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الثالث، المقالة 152، ص96.

128 Œuvres Philosophiques, op.cit, Lettre à Elisabeth, 1 septembre 1645,, t.III. p.599.

129 انظر، ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الثالث، المقالة 150، ص95.

130 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 211، ص122.

131 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

132 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 158، ص99.
133 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 160، ص101.
134 انظر، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
135 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 161، ص102.
136 ديكارت، مبادئ الفلسفة، م. م.، القسم الأوّل، ص130.
137 المصدر نفسه، القسم الأوّل، ص129.
138 ديكارت، انفعالات النفس، م. م.، القسم الثالث، المقالة 156، ص98 (التّنصيص منّا).
139 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
140 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
141 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
142 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 158، ص99.
143 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 155، ص97.
144 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
145 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 154، ص97.
146 انظر، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
147 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
148 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 160، ص100 و101.
149 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 160، ص101 (بتصرف).
150 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 187، ص111 (بتصرف).
151 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 162، ص102.
152 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 192، ص114.
153 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 190، ص113.
154 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 159، ص99.
155 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
156 المصدر نفسه، والصفحة نفسها (بتصرف).
157 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 164، ص102 و103 (بتصرف).
158 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 152، ص96.
159 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 154، ص97 (التنصيص منا).
160 المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 159، ص99 و100.
161 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 156، ص98.
162 انظر، المصدر نفسه، القسم الثالث، المقالة 158، ص99.
163 SARTRE (JEAN - Paul), SITUATIONS, I,ESSAIS CRITIQUES, op.cit,p. 308.

المصادر والمراجع

I - **المصادر**

1 - باللغة الفرنسيّة

● **BEYSSADE (JEAN - MARIE),** Descartes, Correspondance avec Elisabeth et autres lettres, éd, GF, Flammarion, 1989.

● **HEGEL,** Leçons sur l’histoire de la philosophie, traduction et annotation par Pierre Garniron, Paris, Vrin, 1985.

● **Œuvres Philosophiques,** Textes établis, présentés et annotés par Ferdinand ALQUIÉ,Éd., Garnier Frère, 1963.

● **SARTRE (JEAN - Paul),** SITUATIONS, I,ESSAIS CRITIQUES, Paris, GALLIMARD, 1947, et réédité en 2004.

2 - باللغة العربيّة

● **ديكارت،** انفعالات النّفس، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، بيروت - لبنان، دار المنتخب العربيّ للدّراسات والنّشر والتّوزيع، 1993.

● **ديكارت،** البحث عن الحقيقة بالنّور الطّبيعيّ، ترجمه وقدّم له: سفيان سعد الله، وراجعه: الأستاذ حمّادي بن جاء بالله، دار محمّد علي للنّشر، صفاقس، 2006.

● **ديكارت،** التّأمّلات في الفلسفة الأولى، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: الدّكتور عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1980.

● **ديكارت،** حديث الطريقة، ترجمه وشرحه وقدّم له: عمر الشّارني، دار المعرفة للنشر، تونس، 1987.

● **ديكارت،** قواعد لتوجيه الفكر، ترجمه وقدّم له: سفيان سعد الله، تونس، دار سيراس للنّشر، 2001.

● **ديكارت،** مبادئ الفلسفة، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: الدّكتور عثمان أمين، مكتبة النّهضة المصريّة، 1960.

● **سبينوزا،** مراسلات، رسالة إلى السيّد ألبيربورغ، ترجمة: جلال الدّين سعيد، مراجعة: صالح مصباح، المركز الوطني للترجمة، ط1، تونس، 2015.

II - المراجع

1 - مراجع حول ديكارت

● **ALQUIÉ (FERDINAND),** La découverte métaphysique de l'homme chez Descartes, Collection Idéa, éd., Cérès, 1995

● **BELAVAL (YVON),** Leibniz Critique de Descartes, Gallimard, 1960.

2 - مراجع عامّة

● **DELEUZE(GILLES)** et GUATTARI (FÉLIX), Qu'est - ce que la philosophie ?éd. Cérès, Tunis, 1993.



العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)

الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية ومبادئها (المنفعة العامة أساس الأخلاق البيولوجية)

د. مصطفى عبدالرؤف راشد أحمد *

تعد الأخلاق التطبيقية أحد أهم فروع فلسفة الأخلاق المعاصرة؛ نظرا إلى ما تقدمه من وضع حلول آنية لمختلف المشكلات والقضايا التي يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية، سواء بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر؛ حيث تعمل على وضع مجموعة من التشريعات والمبادئ التي تضبط السلوك الإنساني وتهذبه في مختلف مناحي مجالات الحياة، وتتشعب الأخلاق التطبيقية إلى الأخلاق الطبية والبيولوجية، والأخلاق المهنية، والأخلاق البيئية، وأخلاق الأعمال التجارية... وغيرها.

ونظرا إلى التقدم التكنولوجي السريع في مجال العلوم البيولوجية، فقد انشغل الفلاسفة والباحثون الأكاديميون العاملون في هذا المجال بوضع أطر أخلاقية ومبادئ حاكمة لهذا التطور؛ حتى لا يؤدي بنا هذا التطور السريع إلى هلاك البشرية، وأن التطور فائق الحدود الذي يمكن أن يجعل من الإنسان مجرد دمى في أيدي العلماء يتحكمون في مصائرهم وطبائعهم (العقلية والطبيعية)؛ ومن ثم فقد انشغل العديد من الفلاسفة والمنظمات الدولية والأطباء -العاملين في مجال أخلاق البيولوجية- بوضع نهج المبادئ الأربعة للأخلاق البيولوجية، وهي التي يجب على العاملين في هذا المجال اتباعها والالتزام بها، وهي: مبدأ استقلال الذات، ومبدأ الإحسان، ومبدأ عدم الإيذاء أو الضرر، ومبدأ العدالة.

* مدرس القيم وفلسفة الأخلاق، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية.

وترتكن الأخلاق البيولوجية إلى المنفعة العامة كأساس لها؛ حيث تقتضي تحقيق أكبر قدر من المنفعة الصحية لأكبر عدد ممكن من المرضى، مع تقليل أو منع الأذى أو الضرر الواقع عليهم.

ووفقا لذلك، ترجع أهمية البحث إلى كونه محاولة لكشف النقاب عن نهج المبادئ الأربعة للأخلاق البيولوجية وأساسها المعرفي، كما أنه يعد مساهمة في تطوير فلسفة الأخلاق على نحو يتجاوز قضايا فلسفة الأخلاق التقليدية، وترجع تلك الأهمية أيضا إلى أن الدراسة ستقترح نهجا جديدا للأخلاق البيولوجية؛ حتى نستطيع حل مشكلة صراع المبادئ الأربعة أو إشكالية التوفيق بين المبادئ العامة والحالات الخاصة. أمَّا عن إشكالية الدراسة فتكمن في الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية؟ وما مجالاتها؟ ما المبادئ التي تعتمد عليها الأخلاق البيولوجية؟ هل هذه المبادئ مطلقة أم نسبية؟ ماذا نعني بصراع المبادئ الأربعة؟ هل تكفي هذه المبادئ لإقامة نظرية شاملة للأخلاق البيولوجية؟ هل يمكن إقامة مبدأ جديد تعتمد عليه الأخلاق البيولوجية لحل الصراع الناشئ بين المبادئ الأربعة؟ ما أهم النظريات التي عارضت نهج المبادئ الأربعة؟

أمَّا عن منهجية البحث، فسوف أعتمد على المنهج التحليلي النقدي من أجل تبسيط القضايا للوقوف على أصولها، مع محاولة تقديم حلول لها، والمنهج التاريخي للبحث عن التأصيل المعرفي لهذا العلم.

وتأسيسا على ما سبق، فقد جاء البحث في مقدمةٍ، وخمسة محاور، وخاتمة؛ المحور الأول يتضمن فكرة الثورة على الأخلاق التقليدية، وبداية ظهور الأخلاق التطبيقية. والمحور الثاني سيتناول الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية، من حيث تعريفها ومجالاتها وطبيعة مادتها. أمَّا المحور الثالث فأعرض فيه مبادئ الأخلاق البيولوجية، أو نهج المبادئ الأربعة، ويتضمن: مبدأ الاستقلال الذاتي، ومبدأ الإحسان، ومبدأ عدم الإيذاء، ومبدأ العدالة. والمحور الرابع أتناول فيه صراع المعايير الأربعة مع محاولة إقامة منهج جديد للأخلاق البيولوجية. أمَّا المحور الخامس فأتناول فيه بعض النظريات التي عارضت نهج المبادئ الأربعة.

المحور الأول: ثورة على فلسفة الأخلاق التقليدية .. وبداية ظهور الأخلاق التطبيقية

تنتقد الفلسفة الأخلاقية اليوم - خاصة عقب فترة ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية -بأنها غير مجدية، وعديمة النفع أو الفائدة، وبعيدة عن المشكلات الأخلاقية المتعلقة بواقع الحياة، وجرى التعامل معها من قِبل الفلاسفة على أنها ليست أكثر من تطبيق تقنيات منطقية لتحليل اللغة الأخلاقية[1]. وقد شكل هذا النهج من الفلسفة الأخلاقية نوعين من الافتراضات؛ الأول يرى

أن الفلسفة الأخلاقية تتميز بشكل حاد عن الفلسفة التجريبية، وأنها لا تؤثر في المطالب من الدرجة الأولى والقضايا الأخلاقية. والثاني يرى أنه إذا كانت الفلسفة الأخلاقية تسعى نحو تبرير مركزيتها ومكانتها في التعليم الإنساني، فلا بد لها من الانخراط - بشكلٍ كامل - في المشكلات الأخلاقية للحياة الواقعية[2].

ووفقا للافتراضين السابقين يرى الأول أن دور الفلسفة الحقيقي يكمن في دراسة المشكلات الأخلاقية، من خلال تحليل القواعد العامة والمفاهيم والتصورات النظرية للسلوك الأخلاقي فقط، من دون محاولة الدخول في المشكلات والمواقف العملية بشكل مباشر. ولعلهم معذورون في ذلك؛ فقد كان المهتمون بدراسة الأنماط والأحكام الأخلاقية، منذ أوائل هذا القرن، موزعين بين فريقين؛ الفريق الأول: كان من الفلاسفة التحليليين الذين أسسوا مجالا جديدا في الأخلاق أطلقوا عليه اسم «ما بعد الأخلاق» Meta - ethics. وقد اعتقدوا أن مهمتهم يجب أن تنحصر في دراسة الأحكام الأخلاقية لغويا وتصنيفها؛ لكي تُستبعَد كل الأحكام الأخلاقية التي لا تطابق عباراتها الواقع[3]. أمَّا الفريق الثاني فقد اهتم بدراسة الأخلاق وأنماط السلوك، وكان يتألف من علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجي الذين توصلوا - نتيجة لدراساتهم الوصفية لأنماط السلوك - إلى أن الأخلاق بشكلٍ عام ما هي إلا أنماط سلوك نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن فرد إلى فرد، مما دفع كثيرين إلى القول إنه لا يوجد حكم أخلاقي مطلق ثابت لأي موقف، وإن المبادئ الأخلاقية ما هي إلا انفعالات ومشاعر شخصية تقف وراء الأحكام التي نصدرها[4].

ونظرا إلى تفعيل دور الفلسفة الأخلاقية في التعلم الإنساني وحل المشكلات التي تواجهه في حياته الواقعية؛ فقد نشأ عنها ما يسمى «الأخلاقيات التطبيقية» Applied Ethics، وهي وفقا لتعريف «وينكلر» E. R. Winkler، في كتابه «الأخلاق التطبيقية»: «مجال عام جدا للدراسات التي تشتمل على كل الجهود المنظمة لفهم المشكلات الأخلاقية والعمل على حلها، وهي تلك المشكلات التي تنشأ في بعض مجالات الحياة العملية للإنسان»[5]. وهي فرع من فروع الفلسفة التي تسعى نحو توظيف النظرية الأخلاقية ومناهج التفكير الفلسفي في حل المشكلات العملية المهمة، وذلك من خلال تجاوز المخاوف التي تطرحها الأخلاق النظرية، عن طريق تقديم تبرير منظم للأحكام الأخلاقية، وعن طريق تجاوز المخاوف التي تطرحها «ما وراء الأخلاق» - «ميتا - أثيكا» - حول طبيعة العبارات أو الصيغ الأخلاقية[6].

ويعني هذا، أن الأخلاق التطبيقية أخذت مادة بحثها من المشكلات التي تواجهنا في حياتنا اليومية، وفي حياة أولئك الذين يشتركون معنا في هذا العالم، ومن أهم المشكلات التي تسعى نحو تقديم حلول لها، مشكلة الإجهاض، ومشكلة القتل الرحيم (قتل المرحمة)، ومشكلة

الحروب، ومشكلة التلوث البيئي، ومشكلة عقوبة الإعدام، ومشكلة المجاعة والفقر، ومشكلة الاستنساخ[7]، والتلقيح الاصطناعي...إلخ؛ فالأخلاق التطبيقية مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية النوعية، تسعى إلى تنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا، وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشكلات الأخلاقية التي طرحتها تلك الميادين - لا انطلاقا من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة - اعتمادا على ما يُتوصَّل إليه بواسطة التداول والتوافق، وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقدة أو المستعصية[8].

وتأسيسا على ما سبق، فالأخلاق التطبيقية تشتمل على مجموعة واسعة النطاق من مجالات الحياة العامة والخاصة على حد سواء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الأخلاق الطبية أو الأخلاق البيولوجية، والأخلاق البيئية، وأخلاقيات الأعمال التجارية، وأخلاق العدالة الدولية، وأخلاقيات السياسة العامة، وأخلاقيات الرياضة، وأخلاقيات الحاسوب وشبكة الإنترنت، وأخلاقيات الحروب، وأخلاقيات المهن، وتتضمن قطاعا واسعا جدا من المهن، مثل أخلاقيات: رجال الشرطة، والصحافيين، والمذيعين في وسائل الإعلام، والمهندسين، والمحامين... إلخ. ومن بين هذه المجالات هناك ثلاثة مجالات ذات أهمية بالغة في الأخلاق التطبيقية، وهي الأخلاق البيولوجية، والأخلاق البيئية، والأخلاقيات المهنية[9]. وتسعى الأخلاق التطبيقية إلى الإجابة عن التساؤل عما ينبغي علينا أن نفعله أو نقوم به - في هذه المجالات - وهي تشمل المسائل المتعلقة بالفرد - بشأن ما ينبغي عليَّ أن أفعله في حياتي - والمسائل المتعلقة بالسياسة العامة - بشأن ما ينبغي علينا أن نفعله في حياتنا العامة التي تربطنا بالآخرين[10].

ويرجع ظهور مصطلح الأخلاق التطبيقية بوصفه مجالا للدراسة إلى النصف الأخير من القرن العشرين، حينما ناقش كل من «دانيال كالاهان[*]» **Daniel Callahan** (1930م - ...) و«هوجو

* دانيال كالاهان: هو فيلسوف أمريكي ورائد في مجال الأخلاق البيولوجية في العالم، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد، ومُنح العديد من درجات الدكتوراه الفخرية من عدة جامعات، من بينها جامعة تشارلز في جمهورية التشيك، وقد أسس «كالاهان» معهد «هاستينجز» مع «ويلارد جيلين» في العام 1969م، وشغل منصب مدير المعهد في الفترة من 1969 إلى 1996م، وهو حاليا عضو بمجلس الإدارة، وهو باحث بارز في معهد العلوم السياسية والدراسات السياسية في جامعة ييل، وهو عضو منتخب في الأكاديمية الوطنية للطب، وعضو في الأكاديمية الوطنية للعلوم الاجتماعية، وله العديد من المؤلفات المهمة، منها على سبيل المثال: بحث بعنوان: «الإجهاض: القانون، الاختيار، والأخلاق» في العام 1970م، حيث أصر على أن قانون الإجهاض ينبغي أن يسمح بالاختيار للمرأة الحامل (ففي ذلك الوقت كان الإجهاض غير قانوني في معظم دول العالم إلا في حالة إنقاذ حياة المرأة الحامل)، وله كتاب: «وضع الحدود: الأهداف الطبية في مجتمع الشيخوخة» في العام 1987م، حصل من خلاله على جائزة بوليتزر. وله كتاب أيضا عن «البحث عن الخير: الحياة في الأخلاق البيولوجية» في العام 2012م، و«جذور الأخلاق البيولوجية: الصحة، التقدم، التكنولوجيا، والموت»، في العام 2012م.

تريسترام إنجلهاردت» Hogo Tristram Engelhardt(*) (1941م - ...) عمل الأخلاق التطبيقية في مركز «هايسينجز» Hastings Center في ولاية «نيويورك» في العام 1969م، على الرغم من أن المصطلح لم يكن شائعا في ذلك الحين؛ لأن الموضوعات المتعلقة بالأخلاق التطبيقية كانت تُدرَّس في مجال العلوم الطبيعية والسلوكية فقط[11]. وبعد هذا التاريخ بدأ الاهتمام المتزايد بالأخلاق التطبيقية، خاصة القضايا الأخلاقية المتعلقة بالرعاية الصحية وأخلاق الأعمال التجارية والأخلاق المهنية، وقد نمت وتطورت أكثر من غيرها في مجال الفلسفة في الربع الأخير من القرن العشرين، على حد تعبير «وينكلر» [12].

وفي ضوء ما سبق، يتضح أن هناك ثلاثة معان أساسية لمصطلح الأخلاق؛ المعنى الأول يشير إلى أن الأخلاق فرع من فروع الفلسفة، وتسمى أيضا فلسفة الأخلاق، وهي بهذا المعنى أخلاق نظرية[13]، وتتسم مبادئها بالكلية والعمومية، وهي مبادئ ثابتة مطلقة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال. والمعنى الثاني يشير إلى الأخلاق العملية، وغرضها الاكتشاف والتحليل، وترتبط ارتباطا وثيقا بمفاهيم الأخلاق ومبادئها النظرية أو أخلاق الدرجة الأولى. والمعنى الثالث يتمثل في الأخلاق العادية (العادة)، أو أخلاق أحكام القيمة كما هي موجودة في سياق مهني، وهذا الاستخدام يبرز الاستمرارية بين المشكلات الأخلاقية للحياة اليومية، وبين المشكلات التي واجهتنا في المستشفيات أو غيرها من مجالات الممارسة المهنية[14]. والأخلاق بالمعنى الثالث تشير إلى مجموعة القواعد أو الشرائع الإجرائية والإرشادية والنصائح المهنية بوجه عام، والأخلاق بهذا المعنى تعني «قواعد تنظيمية مهنية»؛ لأنها توفر بعض المبادئ التي يقوم عليها النشاط المهني عبر الحدود الثقافية والقومية والدولية[15].

ووفقا للتعريف الأخير، يمكن أن نحدد أهم خصائص الأخلاق التطبيقية على النحو التالي:

1 - أنها تمثل واقعا عمليا وثقافيا جديدا تعيشه المجتمعات الغربية.

2 - أنها تشكل قواعد جديدة لتوجيه الممارسة داخل مختلف الميادين العلمية والعملية في المجتمعات المعاصرة.

3 - هي قواعد عملية وليست نظرية، ورغم ذلك فهي تقوم على مفاهيم أخلاقية كلاسيكية، مثل مفهوم الحق، ومفهوم المسؤولية، ومفهوم الواجب، ومفهوم الكرامة... إلخ.

4 - هي أيضا قواعد براجماتية، لا يراعى فيها الصدق والكذب أو الصواب والخطأ، أو حتى الخير

---

* هوجو تريسترام إنجيلاردت: هو فيلسوف أمريكي، حصل على درجة الدكتوراه في كل من: الفلسفة من جامعة تكساس في أوستن، والطب من جامعة تولين Tulane، هو أستاذ الفلسفة في جامعة رايس Rice في هيوستن تكساس، وهو متخصص في تاريخ وفلسفة الطب، لاسيما من وجهة نظر الفلسفة القارية أو الأوروبية، وهو أيضا أستاذ فخري في كلية بايلور للطب، وعضو في مركز بايلور لأخلاق مهنة الطب والسياسة الصحية. ويعمل حاليا محررا عاما لمجلة الطب والفلسفة والأخلاق البيولوجية المسيحية، ومحرر عام لكتاب «الفلسفة والطب»، وهو زميل مشارك في مركز «هاستينجز»، وهو مؤسسة بحثية مستقلة في مجال الأخلاق البيولوجية.

والشر، بل تراعى فيها الصلاحية.

5 - أنها قواعد علمانية؛ فهي لا تستمد من الدين، بل غرضها تنظيم الحياة العملية.

6 - هي قواعد تداولية توافقية، وغالبا ما تُتداول مثل هذه القضايا داخل ما يعرف بـ «لجان الأخلاقيات»، وهي هيئات جديدة أفرزتها المعضلات والمشكلات التي خلفتها نتائج التقدم العلمي والتكنولوجي في ميادين متعددة ومختلفة، ويتكون أعضاؤها من ممثلي التخصصات المعنية مباشرة بتلك المشكلات[16].

ويمكننا القول: إن الفلسفة الأخلاقية قد اندثرت في صورتها «الأفلاطونية» و«الكانطية» في عالمنا المعاصر، وحلت بدلا منها الأخلاق التطبيقية التي تعمل على وضع قواعد «مواثيق» أخلاقية لضبط السلوك الإنساني في مجالات الحياة المتعددة، من أجل مواكبة التغييرات التي طرأت على المجتمعات في أنماطها الثقافية من ناحية، ومواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة من ناحية أخرى. وسوف أقصر بحثي الآن على دراسة الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية ونهج المبادئ الأربعة، نظرا إلى التطور العلمي الرهيب في هذا المجال، والمخاطر والأضرار التي يمكن أن يسببها هذا التطور للحضارة الإنسانية، إذا لم تكن هناك ضوابط وقواعد أخلاقية حاكمة لهذا التطور.

المحور الثاني: الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية

«الأخلاقيات البيولوجية» Bioethics هي في الأصل كلمة يونانية تنطوي على شقين: الشق الأول كلمة «Bios» وتعني «السير»، بمعنى «الحياة» Life، والشق الثاني مشتق من كلمة Ethike ويقصد بها دراسة القضايا الأخلاقية التي تنشأ في ممارسة التخصصات البيولوجية (أي ضبط وتهذيب سلوك البيولوجي)، ويشمل هذا مجال الأدوية، والتمريض، والرعاية الصحية، بما في ذلك العلوم الطبية البيطرية... وغيرها من علوم الحياة[17].

وفي العام 1970م استخدم الباحث والطبيب «فان رينسيلار بوتر[*]» Van Rensselaer Potter (1911-2001م)، لأول مرة، كلمة «الأخلاق البيولوجية» Bioethics، وكانت بقصد وصف

* فان رينسيلار بوتر: هو عالم أمريكي في مجال الكيمياء الحيوية، وكان أستاذا في علم الأورام في مختبر «مكاردل» McArdle لأبحاث السرطان في جامعة «ويسكونسن ماديسون» لأكثر من خمسين عاما، وفي العام 1970م صاغ الدكتور «بوتر» مصطلح الأخلاق البيولوجية لوصف فلسفة جديدة تسعى نحو دمج البيولوجيا والبيئة والطب والقيم الإنسانية معا. وقدم أيضا لمصطلح الأخلاق البيولوجية العالمية Global Bioethics، وهو دعوة جديدة من أجل تجاوز أخلاق التخصصات الجزئية ودمجها في التخصصات الجديدة التي تسعى نحو معالجة المشكلات العالمية الكلية، ومن أهم مؤلفاته: «الأخلاق البيولوجية: جسر إلى المستقبل»، في العام 1971م، وكتاب «الأخلاق البيولوجية العالمية» في العام 1988م.

فكرته عن دراسة العلاقة بين القيم الإنسانية والمعرفة البيولوجية، وBio (الحيوي) في مجال الأخلاق البيولوجية ترجع أصولها إلى الكلمة اليونانية Bios التي تعني الحياة Life؛ أي أن كلمة الحياة كلمة مركزية في مجال الأخلاق البيولوجية؛ لأن الحياة هي أكثر من سلسلة أو مجموعة من العمليات الكيميائية والفيزيائية لحفظ الكائن الحي وبقائه على قيد الحياة؛ لأن الحياة تجربة إنسانية من الفرح والمعاناة، والمعتقدات والقيم[18]، واللذة والألم، والخير والشر، والصدق والكذب، والحقيقة والزيف، والصواب والخطأ... وهكذا.

وقد استخدم فان رينسيلار بوتر هذا المصطلح للإشارة إلى القواعد والمواثيق الجديدة التي تجمع بين المعرفة البيولوجية ونسق القيم الإنسانية، من أجل بناء جسر بين العلوم من ناحية، والدراسات الإنسانية من ناحية أخرى، ومساعدة الإنسان من أجل البقاء Survive ودعم العالم المتحضر وتحسينه[19]. ومع ذلك، فقد استخدمت الكلمة أيضا في وقتٍ قريب من هذا التاريخ، ولكن بمعنى مختلف إلى حد ما، من قِبل متخصص هولندي في علم الوظائف الجينية والتوليد هو «أندري هيليجرز» Andre Hellegers الذي كان يعمل في واشنطن، وغيره ممن أسس معه معهد كنيدي للاستنساخ البشري، وأخلاق علم البيولوجي في جامعة جورج تاون في العام 1971م، فـ «أندري» وجماعته استخدموا المصطلح بمعنى أضيق من المعنى الأول من أجل تطبيقه على أخلاقيات الطب وبحوث الطب الحيوي[20]. أو بعبارة أخرى: «دراسة الأبعاد الأخلاقية لمهنة الطب والعلوم البيولوجية» [21]. وفي الإشارة إلى هذين المعنيين المختلفين يشير «وارن رايتش» Warren T. Reich، رئيس تحرير موسوعة الأخلاق البيولوجية، إلى أنه استخدم المصطلح لأول مرة في العام 1971م، في موسوعة الأخلاق الطبية[22]. وبعد ذلك تركز معنى المصطلح أو ضاق؛ لكي يقتصر على الالتزامات الأخلاقية للأطباء، وعلى العلاقة بين الطبيب والمريض فقط[23].

وقد كان للتطور والتقدم في مجال العلوم الطبية الحيوية وتطبيقاتها التكنولوجية ثلاث نتائج كبيرة منذ بداية العام 1960م، أولاها أنها غيرت من الأفكار التقليدية العديدة حول طبيعة ومجال العلوم الطبية والبيولوجية. وثانيتها تغيير مفهوم الصحة الإنسانية، حيث أُضيفت أبعاد أخرى، ثقافية ومجتمعية، إلى ما يعنيه عيش حياة إنسانية. وثالثتها أن مهنة الطب تحولت من تشخيص وتسكين المرض إلى عامل قوي قادر على علاج المرض، وأداة نشطة فعالة في منع الوفاة؛ فالصحة الإنسانية - وفقا لتعريف منظمة الصحة العالمية – تشمل، بالإضافة إلى تعريف الصحة، أنها حالة من الرفاهية الجسدية والعقلية والاجتماعية الكاملة، وليست فقط مجرد غياب المرض أو العجز[24].

ويمكن أن ينظر إلى ظهور الأخلاق البيولوجية بوصفها رد فعل اجتماعي للتغييرات الكبيرة التي طرأت على علوم الحياة، والسؤال الرئيس هنا هو: كيف يواجه الموجود أو الكائن البشري الألغاز والارتباك والتشويش والتحديات الأخلاقية التي يفرضها التقاء التغيرات العلمية والثقافية للمجتمعات البشرية؟ من الذي يجب أن يمتلك السلطة على التقنيات العلمية الناشئة حديثا؟ من الذي يمتلك حق أو امتياز اتخاذ أو صناعة القرارات الأخلاقية المهمة والصعبة؟ كيف يمكن مساعدة الأفراد للإفادة من الإمكانات الطبية الجديدة، وحمايتهم من الأذى والضرر؟ كيف يمكن الإفادة من ثمار التقدم العلمي؟ أي نوع من الفضائل الإنسانية سيكون لها تأثير في الاستخدام الأمثل والحكيم للتكنولوجيا الجديدة؟ أي نوع من المؤسسات أو القوانين أو الأنظمة سيكون في حاجة إلى إدارة التغييرات القادمة بطريقة أخلاقية؟(25).

كل هذه التساؤلات وغيرها جعلت هناك حاجة ماسة إلى ظهور الأخلاق البيولوجية، ولكن تجب ملاحظة عاملين هنا، وهما: الأول يجب على الأطباء ملاحظة أو مراعاة أن صناعة أو اتخاذ القرارات الأخلاقية لا تقل أهمية عن صناعة القرارات الطبية؛ ففي الواقع القرار الطبي الجيد هو بمنزلة قرار أخلاقي جيد، أي يجب محو الخط الفاصل بين الحقائق والقيم. والعامل الثاني هو إيجاد أو تطوير المنهجيات اللازمة للبدء في التعامل مع المشكلات الأخلاقية الجديدة في مجال العلوم البيولوجية(26).

وقد أدت المخاوف الأخلاقية الناشئة عن الاهتمام المتزايد من علماء البيولوجيا والعاملين في البحوث والممارسة الطبية إلى إيجاد أخلاقيات بيولوجية تهدف إلى ضبط وتهذيب السلوك للتعامل مع دراسة مسائل القيمة الناشئة في الأبحاث البيولوجية والبحوث الطبية الحيوية في ممارسة الطب، وهذه المخاوف ليست جديدة أو فريدة من نوعها على مجتمعاتنا؛ فقد جرى التعبير عن بعض هذه المخاوف في القسم الطبي لـ «أبقراط(*)» Hippocrates (460-377 ق. م) في القرن

* قَسَم «أبقراط» الطبي: أقسم بالطبيب أبولو وأسكليبيوس وهيجيا وبانكيا وجميع الأرباب والربات وأشهدهم، بأني سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد. وأن أجعل ذلك الذي علَّمني هذا الفن في منزلة أبي، وأن أعيش حياتي مشاركا إياه، وإذا صار في حاجة إلى المال أن أعطيه نصيبا من مالي، وأن أنظر بعين الاعتبار إلى ذريته تماما كنظرتي إلى إخواني، وأن أعلمهم هذا الفن - إذا رغبوا في تعلمه – من دون مقابل، وأتعهد بأن أعطي نصيبا من التعاليم الأخلاقية والتعليمات الشفهية وجميع أساليب التعليم الأخرى لأبنائي ولأبناء الذي علَّمني، وللتلاميذ الذين قبلوا بالعهد وأخذوا على أنفسهم القسم وفقا لقانون الطب، وليس لأي أحد آخر.

ولن أعطي عقارا مميتا لأي إنسان إذا سألني إياه، ولن أعطي اقتراحا بهذا الشأن، وكذلك لن أعطي امرأة دواء مجهضا. وسوف أحافظ على حياتي وفني بطهارتي وتقواي. ولن أستخدم الموسى حتى مع الذين يعانون الحصوات داخل أجسامهم. وسوف أتراجع لمصلحة الرجال المشتغلين بهذا العمل. وأيا كانت البيوت التي قد أزورها، فإنني سأدخل لنفع المريض، على أن أظل بعيدا عن جميع أعمال الظلم المتعمَّد، وجميع الإساءات ....، أحرارا كانوا أو عبيدا. وسوف أظل حريصا على منع نفسي عن الكلام في الأمور المخجلة، التي قد أراها أو أسمعها في أثناء فترة المعالجة، وحتى بعيدا عن المعالجة فيما يتعلق بحياة الناس، والتي لا يجوز لأحد أن ينشرها. فإذا ما وفيت بهذا القسم ولم أحِدْ عنه، يحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وبالفن الذي شَرُفت بالاشتهار به بين جميع الناس في جميع الأوقات؛ وإذا ما خالفت القسم وأقسمت كاذبا، فيجب أن يكون عكس هذا نصيبي وجزائي.

الرابع قبل الميلاد، ويتطلب هذا القسم مبدأ: «لا ضرر ولا ضرار في ممارسة الطب»، وعلى الرغم من أن القسم الطبي يعزز الأبوية بين الطبيب والمريض، غير أنه يحتوي على العديد من العبارات الغامضة؛ لأنه كان يستخدم من قِبل الأطباء كملخص عن شعورهم وإحساسهم بالالتزامات الأخلاقية لعدد من السنوات[27].

أي أن المبادئ التوجيهية والإرشادية للأخلاق الطبية وجدت في كتابات الطبيب اليوناني أبقراط، حيث يعكس القسم المفاهيم التقليدية الأبوية Paternalism في مهنة الطب، والذي يعتبر الطبيب بأنه صانع القرار الأساسي للمريض، وهو الشخص الأكثر قدرة على تحديد مسار العمل أو الفعل لمصلحة المريض، ويتطلب هذا القسم من الطبيب العمل لمصلحة المرضى ومنعهم من الأذى أو الضرر، ويلام الطبيب فقط إذا حاول مساعدة مرضاه على الانتحار أو الإجهاض[28]. وهذا يعني أن أخلاق مهنة الطب ترجع إرهاصاتها الأولى إلى القرن الرابع قبل الميلاد في قسم أبقراط، واستمرت للعديد من القرون، وفي العام 1772م نُشرت مجموعة من المحاضرات حول مؤهلات الطبيب وواجباته من قِبل الطبيب والأخلاقي «جون جريجوري» John Gregory (1727-1773م)، أكد من خلالها فضائل الطبيب وكرامته، وكذلك حدَّد مسؤولياته وواجباته تجاه مرضاه[29].

وفي العام 1803م كتب «توماس بيرسيفال» Thomas Percival (1740-1804م) أول مدونة لأخلاق مهنة الطب، براجماتية في النهج، وشدد من خلالها على السلوك المهني للطبيب وعلاقته مع المستشفيات والجمعيات الخيرية والصيدليات... إلخ، وقد حث بيرسيفال الأطباء على العمل من أجل تحقيق أقصى قدر من الرعاية للمرضى، وقد انعكس تأثير مدونته على قواعد الرابطة الطبية الأمريكية (AMA) (1847-1957م)[30]. وفي الوقت نفسه - تقريبا - من تلك الفترة، أي في العام 1954م، بدأ التغيير من النظرة اللاهوتية للأخلاق البيولوجية إلى النظرة الدنيوية مع الأسقف اللاهوتي «جوزيف فرانسيس فليتشر» Joseph F. Fletcher (1905-1991م)، حيث أدخل أخلاق الموقف أو الحالة Situation Ethics لمهنة الطب، مؤكدا أهمية تفرد القرار الأخلاقي، واستقلالية المريض بوصفه شخصا وليس حالة[31].

وقد كان أول اعتماد رسمي لمدونة قواعد السلوك للأخلاق البيولوجية في العام 1847م من قِبل الرابطة الطبية الأمريكية، وفي العام 1957م اعتمدت الرابطة الطبية الأمريكية مبادئ الأخلاق الطبية لمهنة الطب، وهي عبارة عن عشرة مبادئ تحدد الوصايا الأخلاقية للطبيب، وأكدت أيضا أن مهنة الطب تتطلب من الطبيب استخدام خبراته لخدمة الإنسانية، وفي العام 1973م اعتمدت جمعية المستشفيات الأمريكية «قانون حقوق المريض» الذي يضمن حقوق المريض في الخصوصية والسرية التامة[32].

وبعد هذا التأصيل لمصطلح الأخلاق البيولوجية، يمكننا تقديم مجموعة من التعريفات الاصطلاحية التي وردت حول مصطلح الأخلاق البيولوجية، وهي:

أولا: دراسة متعددة التخصصات للمشكلات الأخلاقية الإنسانية الناشئة عن التقدم الصحي في مجال الطب والتكنولوجيا،... وتكمن أهميتها في الانضباط أو التهذيب؛ حيث تسعى نحو وضع مجموعة من المبادئ والقواعد التوجيهية الإرشادية، من أجل صناعة أو اتخاذ القرارات الأخلاقية الحاسمة والملائمة في مجال الموارد الطبية والبيولوجيا، والقانون، والفلسفة، واللاهوت، والعلوم الاجتماعية[33].

ويبدو أن هذا التعريف يربط بين علم البيولوجيا مع مسائل البعد الأخلاقي والمسؤولية المهنية التي تشمل جميع أشكال الحياة، وهي قضية صنع القرار الطبي، وقضية قرار الانسحاب وحجب الرعاية الصحية، وقضية قرار إجراء البحوث على الكائنات البشرية، وقرار تخصيص الموارد الطبية النادرة، وقرار نقل الخلايا من واحد أو عدة كائنات حية لإنتاج آخر له الخصائص الوراثية نفسها (الاستنساخ) Cloning، وقرار الحفاظ على الموارد الطبيعية؛ من خلال الاستخدام الفعال للطاقة من أجل حماية الغلاف الجوي - مواجهة التأثيرات الضارة من الملوثات[34].

ثانيا: يشير أ. د. حسين علي إلى أن المقصود بمصطلح الأخلاق الحيوية Bioethics دراسة القضايا الأخلاقية التي تنشأ في مجال الرعاية الصحية والعلوم التكنولوجية. فضلا عن أنها تشمل دراسة القضايا الاجتماعية والقانونية والاقتصادية التي لها صلة بالقضايا الأخلاقية[35].

ثالثا: أوردت «جاكلين روس» في كتابها «الفكر الأخلاقي الجديد» أيضا مجموعة من التعريفات؛ فمثلا يعرّف «بيير دي شامب» P. Des Champs الأخلاق الحياتية بأنها العلم المعياري للسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في مجال الحياة والموت. ويعرفها «دافيد روي» D. Roy بأنها دراسة تداخل جملة الشروط التي تقتضيها إدارة مسؤولة للحياة الإنسانية (أو الشخص الإنساني) في إطار صنوف التقدم السريعة والمعقدة للمعرفة والتقنيات الحيوية الطبية. ويعرفها أيضا «جي دوراند» Guy Durand بأنها البحث عن جملة المطالب لاحترام الحياة الإنسانية والشخص وتقدمهما في القطاع الحيوي - الطبي[36].

رابعا: وقد أورد أيضا «جوناثان بارون» Jonathan Baron (1944م -) تعريفا قائلا: «الأخلاق البيولوجية ظاهرة حديثة نسبيا، إنها محاولة لتطوير المؤسسات التي تساعد الإنسان على اتخاذ أو صناعة القرارات المهمة والحاسمة في مجال الرعاية الصحية والبحوث الطبية في مجال البيولوجيا، مثل الهندسة الوراثية»، وهي تعتمد على فلسفة الأخلاق والقانون وبعض التقاليد الخاصة بها، وهذه التقاليد تأخذ شكل الوثائق والمبادئ التي انبثقت عن «محاكمات

نورمبرغ»[(*)] Nuremberg Trials (1946-1949م) بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945م). وفي بعض الحالات تكتسب هذه الوثائق قوة القانون، بيد أنها في معظم الحالات تكون خارجة عن القانون، وتفرض عن طريق الاتفاق العام[(37)].

ونستنتج من التعريفات أو المعاني السابقة عن ضبط وتهذيب سلوك الأخلاق البيولوجية: أولا، أنها تشير إلى عنصر رئيس في مجال الأخلاقيات البيولوجية؛ وهي أخلاقيات مهنة الطب وأخلاقيات الرعاية الصحية. ثانيا، أنها تدل على أن هناك خلافا جوهريا حول مدى ما يمكن أن يسمى الأخلاقيات التطبيقية العامة لضبط أو تهذيب سلوك الأخلاقيات البيولوجية التي ينبغي أن تكون. وثالثا، تشير إلى التطورات الرئيسة داخل هذا الموضوع الضيق لأخلاق مهنة الطب التي كانت تحدث في ستينيات القرن الماضي، أي الإشارة إلى أخلاقيات مهنة الطب حتى قبل اختراع مصطلح الأخلاقيات البيولوجية[(38)].

وللأخلاق البيولوجية **ثلاثة أدوار** مشابهة لمهنة الطب، وهي:

أولا: الانضباط التطبيقي لدى الاشخاص الذين جرى تدريبهم، أو الذين يعملون في مجال الأخلاقيات البيولوجية في المستشفيات والإعدادات الطبية الأخرى، وأحيانا مساعدة الموظفين والمرضي للتفكير حول صناعة القرارات الحاسمة[(39)].

ثانيا: لا بد من أن يكون هناك توافق حول صناعة القرارات الصعبة، فعلى الرغم من أن عدد المشاركين في صناعة القرار قليل جدّا (المريض، والطبيب، وأفراد أسرة المريض)، فإن هناك صعوبة في توافق الآراء، وينشأ التوافق فقط عندما تكون الأخلاقيات البيولوجية مدفوعة نحو مسار نهائي مشترك، وهذا ما يربطها بفكرة النتائج[(40)]، أو المحصلة النهائية للقرار.

ثالثا: صياغة قواعد السلوك الأخلاقي، هذه الحالة أو الوضع فريدة من نوعها إلى حد ما؛ فمواثيق الشرف مكتوبة من قبل الممارسين الذين تنطبق عليهم، ولكن عندما يتعلق الأمر بالبحوث الأخلاقية، ينشأ على الفور توتر وصراع بين الباحثين العلميين والباحثين غير العلميين[(41)].

---

* محاكمات نورمبرج: في أبريل 1949م صدر الحكم في آخر سلسلة من اثنتي عشرة محاكمة من جرائم حرب نورمبرج التي بدأت في أكتوبر 1946م، وعقدت عملا بقانون مجلس الحكماء الرقم 10، وقد شهدت تلك المحاكمات اتهامات بارتكاب جرائم حرب وجرائم أخرى ضد القانون الجنائي الدولي، وقد شمل هذا شخصيات بارزة في ألمانيا الهتلرية، وشمل ديبلوماسيين وسياسيين بارزين، مثل وزير الدولة في وزارة الخارجية «فون فايزايكر»، ووزير الحكومة «فون كروزيك ولامرز»، وشمل أيضا قادة عسكريين مثل المارشال «فون ليب»، وقادة ss ومديري I.G Farben، وشمل أيضا أطباء مثل الطبيب الشهير جيرهارد روز... وغيرهم.

See: Trials of War Criminals before The Nuernberg Military Tribunal under Council Law 10, Nurenberg October - 1946 April - 1949, Volume III, U.S Government printing office, Washington, 1951, p.III. In: https://www.loc.gov/rr/frd/Military_Law/pdf/NT_war - criminals_ Vol - III.pdf , in: 23 - 12 - 2017.

في واقع الأمر، فإن الأخلاق البيولوجية تهدف إلى تحقيق أكبر قدر من الرفاهية الإنسانية، بمعنى أنها تلتزم بزيادة الفوائد أو المنافع وتقليل الأضرار إلى أدنى حد ممكن، وهذا السياق يعكس الالتزام المنتشر على نطاق واسع للأطباء وغيرهم من العاملين في مجال الرعاية الصحية لتحقيق أكبر قدر من الفائدة الصحية بالقدر نفسه الذي يمكنهم من تقليل الضرر المتوقع قدر الإمكان، وتكمن الأهمية الإيجابية للمنفعة العامة في مجال الأخلاق البيولوجية في مطالبتها بوضع واجب كلي Universal Duty لتحقيق منفعة الآخرين، وتجنب إلحاق الأذى بهم، وتحقيق أكبر قدر من الخير العام، وأقل قدر من الضرر المتوقع قدر الإمكان. وهذا المعنى يبدو واضحا في كتابات العديد من الفلاسفة المعاصرين أمثال: «ريشارد هير» R. M. Hare (2002-1919م) في كتابيه «التفكير الأخلاقي»، في العام 1981م، و«مقالات في الأخلاق البيولوجية» في العام 1993م، و«بيتر سنجر» Peter Singer (1946م -) في كتابه «الأخلاق العملية»، في العام 1979م، و«جون هاريس» J. Harris (1945م -) في كتابه «فضيلة الحياة»، في العام 1985م، و«ديريك بارفيت» Derek Parfit (1924-2017م) في كتابه «العقل والشخص»، في العام 1984م [42].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: لماذا ينبغي علينا أن نضع ضوابط وقواعد أخلاقية لعلم البيولوجيا؟ أو لماذا هناك قلق متزايد من استخدام التكنولوجيا البيولوجية؟ تتضح هذه المخاوف من خلال الآتي:

أولا: هذا القلق والاضطراب من استخدام التكنولوجيا الطبية والبيولوجية ناشئ على أساس من الخلفيات الثقافية والدينية، وهذه المخاوف قائمة ومتزايدة بشكلٍ يومي.

ثانيا: إن علوم البيولوجيا بها العديد من القضايا التي تتطلب منا ومن علماء البيولوجيا أن التفكير فيها جيد؛ لأن من شأنها أن تؤثر في قراراتنا الأخرى في حياتنا اليومية[43]. وللتغلب على هذه المشكلة تعقد العديد من الكليات والجامعات دورات في إدارات الأحياء أو الفلسفة، تهدف إلى رفع مستوى الوعي بالقضايا، وإعطاء علماء البيولوجيا والأشخاص الذين يعملون في مجال المهن الصحية فرصة القدرة للتفكير حول الأخلاقيات البيولوجية، وإظهار الاحترام لحياة الإنسان وقيمة الحياة التي تميزنا عن الحيوانات الأخرى[44].

ثالثا: ينشأ هذا القلق من سوء سلوك «Mis Conduct» العلماء، وهو ناتج عن فئتين: الفئة الأولى سندعوها بـ «الإهمال الطبي»، وهي الحالة التي يوفر فيها الطبيب أو العلماء معلومات خاطئة، ولكن لا يكون هناك تعمد أو قصد للاحتيال أو الخداع؛ لأن الطبيب أو الباحث إنسان، ووجود الخطأ وارد عند الإنسان، وقد يكون سوء تصميم التجربة (عدم وجود الضوابط اللازمة)

سببا في المعلومات الخاطئة. أما الفئة الثانية من سوء سلوك العلماء فسندعوها «خيانة الأمانة بتعمدٍ وبقصدٍ»، وتشمل الحالات التي تحقق لهم مصالحهم الذاتية، ويتضمن هذا: تقديم بيانات مزيفة، أو اختراع نتائج مُفبركة، أو الخداع، وكل الأفعال الخبيثة الأخرى[45].

مجالات الأخلاق البيولوجية

تتسع مجالات الأخلاق البيولوجية لتمتد إلى ما وراء أخلاق الرعاية الصحية؛ لتشمل - ليس فقط - أخلاقيات البحوث في علوم الحياة، بل تتضمن أيضا الأخلاق البيئية، وتعالج قضايا مثل: التلوث البيئي والنظر في العلاقات الملائمة بين البشر والحيوانات الأخرى، كما أنها تتضمن العديد من القضايا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، بما في ذلك الآثار السلبية على صحة الإنسان من البطالة والفقر والتمييز العرقي (بما في ذلك التمييز على أساس الجنس واللون والدين) والجريمة والحروب والتعذيب[46].

وفضلا على اتساع نطاق الموضوع؛ فالأخلاق البيولوجية تتميز بتشكيلة واسعة من الشُّعب والتخصصات المعنية والمشتركة بين الأنشطة الإنسانية، وبصرف النظر عن المهنيين والأساتذة المتخصصين ذوي الصلة، مثل الأطباء والممرضات والبيولوجيين ومرضاهم وموضوعات البحوث والتخصصات الأكاديمية المعنية بمجال الأخلاق البيولوجية، تشمل فلسفة الأخلاق واللاهوت الأخلاقي Moral Theology والقانون (وربما تكون هذه هي التخصصات الثلاثة الأكثر اتساعا في مجال الأخلاق البيولوجية)، والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ، وبالطبع الجمهور بشكل عام، سواء كانوا أفرادا أو تجمعات بشرية لمصالح متنوعة[47].

ولكن ما طبيعة المادة التي تقدمها الأخلاق الطبية أو أخلاق البيولوجيا؟

تشير «ناهدة البقصمي»، في كتابها «الهندسة الوراثية والأخلاق»، إلى أن مهمة هذا الضرب من الأخلاق أن يدرس الحالات والمواقف والمشكلات التي تواجه الأطباء خلال عملهم، ثم يحللها من منظور فلسفي، ويحاول أن يصل إلى تحديد المفاهيم والمبادئ التي تكمن خلف هذه الأحكام التي يصدرها الأطباء والعلماء، ثم يحاول من خلال تحليل اللوائح والمواثيق الطبية أن يصل إلى تعميمات نظرية يمكن أن تطابق معظم المواقف[48]. فالأخلاق البيولوجية تسعى نحو تغيير العالم، من خلال تحفيز التطور الأخلاقي داخل أنفسنا والآخرين، وهو تطور يشمل الإدراك الأخلاقي Moral Perception والتأمل Reflection والفعل Action[49].

المحور الثالث: مبادئ الأخلاق البيولوجية أو نهج المبادئ الأربعة

أولا: مبدأ استقلال الذات Principle of Autonomy

استقلال الذات Autonomy يعني حرفيا قانون الذات Self – law، أو قاعدة الذات - Self rule، وترجع أصولها اليونانية إلى كلمة Autos بمعنى الذات، وكلمة Nomos بمعنى قاعدة أو قانون... ويشير الاستقلال الذاتي في الأخلاق إلى الاعتراف بالإدراك الحر للأفراد نحو الفعل، وصياغة المعايير التي ستحكم على المواقف والسلوكيات[50].

ومعنى هذا، أن الفرد الذي يتمتع بالاستقلال الذاتي لا يسير على غير قاعدة، بل يسير على قاعدة يفرضها على نفسه بإرادته، وهو لا ينظم سلوكه وفقا لما يقتضيه عقله وحده، بل ينظمه وفقا لما يقتضيه عقله وقلبه معا[51]. وهو بذلك يكون مقابلا للـ Heteronomy، أي الحالة التي يكون فيها الفعل الأخلاقي تحت سلطة خارجية؛ إنسانية أو إلهية، والحكم الأخلاقي في هذه الحالة يكون وفقا للمعايير المعمول بها والتي تفرضها سلطة خارج الذات[52]. ويشار إلى مبدأ استقلال الذات في كثيرٍ من الأحيان باسم مبدأ تقرير المصير Self – determination، أو مبدأ احترام الأشخاص Respect for Persons، وقد كان لهذا المبدأ دور محوري في مجال الأخلاق البيولوجية، وانبثق هذا المفهوم بشكلٍ كبير في كتاب «مبادئ أخلاقيات مهنة الطب الحيوي» في العام 1979م لـ «توم بوشامب» Tom Beauchamp، و«جيمس تشايلدرس» James Childerss الذي أصبح فيما بعد عملا معياريّا قياسيّا في هذا المجال[53].

وتعني الاستقلالية الذاتية للفرد في مجال الأخلاق البيولوجية احترام مختلف أشكال حق تقرير المصير، وحق سيطرة الفرد على نفسه وجسده، وهذا يفترض مسبقا أن يكون لدى الفرد القدرة على الاختيار من البدائل المتاحة، ويتطلب هذا احترام حريته، وحرية فكره واختياره؛ بما في ذلك حريته في الموافقة على العلاج الطبي أو حجبه، أو المشاركة بجسده في مجال البحوث الطبية(54)؛ يعني باختصار شديد، قدرة الكائن الحي العاقل على صناعة قراره الذاتي أو قانونه بنفسه من دون تدخل من أي طرفٍ آخر.

وينظر إلى احترام الاستقلال الذاتي للمريض بوصفه أساسا لعدة معايير أخرى، منها: احترام خصوصية المريض (مثل: المعلومات، والقرارات، والممتلكات الشخصية)، والحفاظ على سرية المعلومات المتعلقة بالمريض، كما أن الممارسة الحقيقية للاستقلال الذاتي للمريض عبر الموافقة الطوعية، تتطلب الكشف عنها مسبقا عن طريق فهم كامل للمعلومات الدقيقة المتعلقة بحالته المرضية[55].

والموافقة الطوعية التي تدل على الاستقلالية الذاتية للفرد، من أهم مبادئ أو شرائع محاكمة «نورمبرج»؛ حيث جاء نصها: «إن الموافقة الطوعية الإرادية للموضوع البشري ضرورية

للغاية أو بشكل مطلق، وهذا يعني أن الشخص المعنى يجب أن يكون كامل الأهلية العقلية والقانونية لإعطاء الموافقة... من دون تدخل من أي عنصر من عناصر القوة أو الخداع أو الاحتيال أو الإكراه أو التجاوز، أو أي شكلٍ آخر خفي من التقييد أو الإجبار، ويجب أن تكون لديه معرفة كافية وفهم لجميع عناصر الحالة المتضمنة لتمكينه من تقديم قرار مستنير»(56). ويتطلب قبل إجراء أي موضوع تجريبي أن تكون هناك معرفة لطبيعته ومدته، والغرض من هذه التجربة، ومعرفة كل الصعوبات والمخاطر المعقولة التي يمكن توقعها، والآثار المترتبة على صحته من إجراء تلك التجربة(57).

وهذا يعني أن مبدأ الاستقلال الذاتي يتضمن مبدأ آخر؛ هو مبدأ الموافقة المسبقة informed Consent، وهو مثال واقع على استقلالية صناعة القرار لدى المريض؛ فهو يتطلب تفسيرا لحالة المريض، وشرح كل الإجراءات التي يجب اتباعها، مع توضيح المخاطر والفوائد، ووصف جميع البدائل والخيارات المتاحة، إن وجدت، وإعطاء المريض فرصة ووقتا كافيّا ومعقولا لتغيير رأيه، مع إمكان سحب الموافقة أو رفضها، وعند إعطاء الموافقة يجب أن تكون خالية من الإكراه أو الخداع قبل الإجراءات التي تنتهك حرمة الجسد(58). ووفقا لهذا فإن مبدأ الاستقلالية الذاتية للأفراد يعني أنهم قادرون على تقديم بدائل لأنفسهم، بعد معرفة تامة(59)، وأن احترام الاستقلالية الذاتية للأشخاص يتضمن، على الأقل، اثنين من الاقتناعات الأخلاقية الراسخة؛ أولا: تجب معاملة الأفراد على أنهم كيانات مستقلة أو فاعلون مستقلون لديهم الاستقلالية التامة. وثانيا: يحق للأشخاص التقليل من استقلاليتهم التامة، من أجل الحق في الرعاية الصحية الشاملة، وهنا نكون إزاء مبدأين منفصلين: الأول يطالبنا بالاعتراف بالاستقلالية الذاتية للأفراد، والثاني يطالبنا بحماية حقوق الأفراد في الرعاية الصحية الشاملة، مع تقليل استقلاليتهم الذاتية(60).

ولأن هذين المبدأين في صراع، ويجب على الإنسان أن يكون حرّا عندما يقرر؛ فهذه الحرية يمكن تجاوزها إذا تم الحد من قدراته، مع ملاحظة أن هذا لا يحدث عن طريق الإجبار؛ لذلك فإن العمل بتلك المبادئ يتطلب مبادئ فرعية أخرى لتحديد الجهة التي تقلص أو تقلل من الاستقلالية الذاتية للفرد من دون أن يكون هناك أي نوع من الإكراه أو الإجبار؛ فعلى سبيل المثال: الأطفال دون سن معينة، أو كبار السن الذين وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة، أو السجناء الموضوعون قسرا في السجون، ليس لهم حرية الموافقة الطوعية - الإرادية - من عدمها، وحتى لو اختاروا فلا ينبغي أن ينظر إلى اختيارهم على أنه طوعي(61).

ولكن هل مبدأ الاستقلال الذاتي نابع من العقل، أم أن هناك عوامل ومؤثرات أخرى تتدخل في هذا المبدأ؟ كل ما سبق حول مبدأ الاستقلال الذاتي للمريض وحقه في تقرير مصيره ينبغي أن

يكون نابعا من عقله فقط، ولكن هناك مجموعة من المتغيرات قد تكون بمنزلة عقبات تحول دون ممارسة حقيقية لاستقلاليته الذاتية؛ فالظروف والملابسات الفردية والثقافية والعائلية والاختلافات الدينية، قد تصبغ الحكم الأخلاقي للفرد، وتؤثر في قدرته على اتخاد القرار، وكذلك أيضا بسبب قصور فهم المريض للحالات المرضية ومحدوديته، وهذا ما يجعل هناك ترددا في اتخاذ القرار، خصوصا في حال وجود وجهتي نظر متناقضتين[62]. وأيضا، فإن مبدأ الاستقلالية الذاتية للمريض قد يفهم ويُفسَّر بمعنى خطأ؛ مما يسمح للأشخاص ذوي النفوس الضعيفة باستغلاله لتحقيق مصالح ومكاسب مادية معينة؛ لذلك لا بد من أن تتداخل مجموعة من العوامل الأخرى للتقليل أو الحد من مكانة هذا المبدأ، وهذه العوامل قد تكون أسرية أو عائلية أو دينية أو ثقافية، أو كلها مجتمعة في آن واحد.

ثانيا: مبدأ الإحسان Principle of Beneficence

الإحسان: هو فعل ما هو خير للآخرين فضلا ومحبة[63]، وهو فعل ما ينبغي أن يُفعل من الخير[64]. ومبدأ الإحسان: هو الفعل الذي يهدف إلى تحقيق مصلحة أو تعزيز رفاهية الآخرين؛ فالإحسان هو الفضيلة أو السمة الشخصية التي عن طريقها يتعود الفرد التصرف بطريقة محسنة وخيرة[65].

وفي الأخلاق الطبية يفترض أن يكون الأطباء أشخاصا رحماء أو محسنين إلى مرضاهم؛ فالطب هو واحد من عدد قليل من مجالات النشاط الإنساني التي تهدف إلى الإيثار، وهذا أمر لا شك فيه[66]. وهذا يعني أن مبدأ الإحسان يقتضي من مقدمي الرعاية الصحية أن يكونوا محسنين إلى مرضاهم، فضلا على اتخاذ خطوات إيجابية لمنع الضرر وإزالته عنهم، وهذا المبدأ ينظر إليه على أنه مبدأ عقلاني وواضح بذاته، ويكون مقبولا بشكل واسع بوصفه هدفا مناسبا لمهنة الطب[67].

إن معاملة الأشخاص بطريقة أخلاقية لا يكون - فقط - عن طريق احترام قراراتهم وحمايتهم من الأذى، ولكن أيضا عن طريق بذل الجهود لتأمين رفاهيتهم وضمانها، وتندرج هذه المعاملة في إطار مبدأ الإحسان، وكثيرا ما يفهم مصطلح الإحسان على أنه يشتمل على أفعال العطف والشفقة والصدقة. وقد صيغت قاعدتان عامتان بوصفهما تعبيرين تكميليين عن أفعال الإحسان، أولهما منع الأذى أو الضرر، وثانيهما تعظيم أكبر قدر من المنافع الممكنة، وتقليل أكبر قدر من الأضرار المحتملة إلى أدنى حد ممكن[68]. وهذا يعني أن مبدأ الإحسان وفعل الخير يستلزم أن نمنع وقوع الضرر، ونمنع أسبابه، وأن تراعى مصالح الآخرين. والطبيب الذي يقسم على ألا يقترف ضررا، لا يعني هذا أنه لا يتسبب في أي ضرر مطلقا، وإنما المقصود أن يسعى - بكل قوة - إلى الموازنة

الإيجابية بين المصالح والمفاسد، وأن يقدم المصلحة على المفسدة[69]؛ فقواعد الإحسان تحتاج منا إلى أكثر من كفّ الأذى والضرر؛ لأن المفترض بالشخص أن يفعل ما في وسعه للمساعدة، لا أن يقتصر دوره على الامتناع عن إلحاق الأذى والضرر بالآخرين. وإن الدمج بين مبدأي الإحسان وعدم الضرر في مبدأ واحد، كما يفعل بعض الفلاسفة، يغفل بعض الفروق المهمة بينهما؛ لأن عدم الضرر لا يستلزم الفعل، بل هو امتناع عن الفعل بما لا يوقع ضررا، والإحسان يستلزم الفعل، خاصة الفعل الذي يعود بالفائدة على الآخرين[70].

وقد كان مبدأ عدم الضرر أو الأذى مبدأ أساسيا من أخلاق مهنة الطب في قسم «أبقراط»، وقد امتد هذا إلى «كلود برنارد» Claude Bernard (1813-1878م)، وإلى مجال البحوث الطبية قائلا، كما ورد في تقرير بلمونت: «ينبغي على المرء ألا يصيب شخصا واحدا بغض النظر عن المنافع التي قد تأتي للآخرين». ومع ذلك حتى تجنب الضرر يتطلب تعلم ما هو ضار؛ فمثلا في حالة الحصول على هذه المعلومات قد يتعرض الأشخاص لخطر الضرر، وعلاوة على ذلك فإن قسم «أبقراط» يتطلب من الأطباء أن يحسنوا إلى مرضاهم، وفقا لأفضل تقدير، فإن تعلم ما قد يفيد في الواقع يتطلب تعرض الأشخاص للخطر. والمشكلة التي تفرضها هذه الضرورات هي أن تقرر متى يكون هناك ما يبرر التماس فوائد معينة على الرغم من المخاطر التي تنطوي عليها، ومتى ينبغي التغاضي عن الفوائد بسبب المخاطر؟[71].

والإحسان يمكن أن يطبَّق على كل مريض على حدة، وعلى المجتمع ككل، على سبيل المثال: الصحة الجيدة لمريض معين هي الهدف المناسب من الدواء، والوقاية من الأمراض، عن طريق البحث وتوظيف اللقاحات، تهدف إلى خير الجميع[72]. وفي حالة مشاريع بحثية معينة، فإن الباحثين وأعضاء مؤسساتهم ملزمون بإعطاء أقصى قدر من المنافع والحد من المخاطر التي قد تنشأ عن تحقيقات البحث، وفي حالة البحث العلمي - عامة - فإن أعضاء المجتمع الأكبر ملزمون بالاعتراف بالفوائد والمخاطر الأطول أجلا التي قد تنشأ عن تحسين المعرفة وتطوير الإجراءات الطبية والعلاجية النفسية والاجتماعية الجديدة[73].

في بعض الأحيان يرى بعض العلماء أن مبدأ عدم الضرر هو واجب ثابت، أي أنه يجب على المرء ألا يضر أبدا أي شخص آخر، في حين أن مبدأ الإحسان هو واجب محدود، ويتعين على الطبيب أن يسعى إلى الإحسان إلى مرضاه، ومع ذلك يجوز للطبيب أن يختار من يعترف بهم في ممارسته، وليس له واجب صارم من الإحسان تجاه من لم يعترف بهم، وهذا المبدأ - في هذه الحالة - يصبح معقدا جدا، فإذا كان هناك نداء عاجل نحو علاج اثنين من المرضى في حالة خطرة في اللحظة نفسها، فيمكن للطبيب - في هذه الحالة - أن يطبق معايير الضرورة الملحة، أو مبدأ من يأتي أولا

يُخدَم أولا، لتحديد من تنبغي مساعدته في الوقت الراهن أو الحالي[74]. ومن الأمثلة الواضحة - على ذلك - في مجال الرعاية الصحية، حيث يُعطَى مبدأ الإحسان الأولويةَ على مبدأ الاستقلال الذاتي للمريض، هذا المثال يأتي من خلال طب الطوارئ عندما يكون المريض عاجزا بالكلية بسبب الطبيعة الخطرة للحوادث أو نوع المرض؛ ففي هذه الحالة يجب أن يسرع الطبيب في تقديم تدخل مفيد من خلال وقف النزف وإصلاح الكسر أو خياطة الجرح... وفي هذه الحالات يعمل الطبيب بروح خيرة محسنة في توفير العلاج المفيد، أو تقديم مصلحة المريض على أفضل وجه، من دون استشارة المريض[75].

ثالثا: مبدأ عدم الإيذاء Principle of Non - maleficence

مبدأ عدم الإيذاء ينص على أننا ينبغي أن نعمل بطريقة لا تلحق الشر بالآخرين أو تسبب لهم ضررا، وتحديدا ينبغي ألا نسبب ضررا يمكن تجنبه، وهذا يشمل تجنب حتى حظر الضرر[76]. وبصفة عامة، مبدأ عدم الإيذاء يقصد به: عدم إلحاق الضرر بالآخرين[77]، أيا كان هذا الضرر، سواء أكان بالفعل أم بالامتناع.

وهناك صعوبة حول تحديد طبيعة الضرر؛ لأن هناك عدة أنواع من الضرر تتراوح بين الأذى البدني والنفسي والحرمان من الممتلكات أو انتهاكات الحقوق. وفي مجال الرعاية الصحية يرتبط التركيز الأساسي على الضرر بتعريف أضيق يشمل: الألم أو الإعاقة أو الوفاة. ولكن قد يحدث - في حالة ما - مستوى واحد من الألم والمعاناة، على سبيل المثال: فإن الجراح يسبب مستوى من الألم والمعاناة للمريض من أجل تجنب موته، وقد يفرض الجراح ضررا أقل من أجل تجنب ضرر أكبر، ومع ذلك، في جميع الحالات، يُحظر على الأطباء التصرف بطريقة من شأنها أن تسبب مخاطر لا داعي لها، أو ضررا لا داعي له[78].

ويرجع مبدأ عدم الإيذاء، أو الامتناع عن إلحاق الأذى بالآخرين، تاريخيا في مجال الطب إلى قسَم «أبقراط»، وإلى العبارة اللاتينية المأثورة: «أولا وقبل كل شيء، لا تضر أو لا تؤذِ» Primum non nocere، ويعد هذا المبدأ أهم التزام أخلاقي أساسي في مجال الرعاية الصحية، وينطوي المبدأ المتمثل في عدم الإيذاء على التزام إيجابي بعدم إلحاق الضرر، وينظر إلى هذا المبدأ بوصفه نقاشا مكملا للالتزام الذي ينطوي عليه مبدأ الإحسان، من أجل خير ورفاهية الآخرين[79].

ويؤكد «ديفيد روس» W. D. Ross (1877-1971م) حقيقة مفادها أن واجب عدم إيذاء الآخرين أكثر إلحاحا من الالتزام بفعل الخير للآخرين، حيث قال: «مما لا شك فيه أن إلحاق الأذى بالآخرين - على سبيل المصادفة - قد يتعارض مع واجب تقديم الإحسان إليهم. ويبدو لي

واضحا أن واجب عدم إيذاء الآخرين يفهم مباشرة بوصفه واجبا مُتميزا عن واجب الإحسان أو أي واجبات أخرى»[80]، أي أنه لا يوجد هناك مبرر لإلحاق الأذى بالشخص (س) من أجل تقديم الخير للشخص (ص)، حتى إن كان هذا الخير معادلا تماما للأذى الذي سيلحق بالشخص (س)[81].

وهذا ما يؤكده «روس» قائلا: «ينبغي ألا يكون قتلُ شخصٍ ما مبررا من أجل المحافظة على حياة شخص آخر، أو السرقة من شخص ما من أجل الإنفاق أو التصدُّق على شخص آخر؛ لأن من أهم سمات الواجب هو تحقيق الحد الأقصى للخير أو الوصول إليه»[82]. ويشير «روبرت أوْدي» Robert Audi (1941م -) إلى أن منع الأذى يعني: «ينبغي ألا نؤذي الناس أو نضرهم» [83]. ويضيف «أوْدي» مفهوم الضرر Harm إلى المبدأ الذي صاغه «روس» سابقا عن الأذى، ويؤكد أن هناك مجموعة من الأضرار التي تلحق بالإنسان، وهي: الأضرار البدنية والنفسية والاجتماعية. كما يرى مع «روس» أن هناك مجموعة من المبادئ التابعة لمبدأ عدم إلحاق الأذى أو الضرر، ومنها: «لا تقتل»، «لا تهدد حياة الآخرين»، «لا تُؤذِ مشاعر الآخرين»، «لا تحرج الآخرين»[84].

ويشير الطبيب «توماس بيرسيفال» Thomas Percival (1740-1804م) إلى أن مبدأ عدم الأذى يرسخ واجبات الطبيب الأساسية، بل ويُقدم على احترام استقلالية المريض في الحالات التي يحتمل أن يلحق فيها الضرر بالمرضى، مثل المريض الذي يطرح بعض الأسئلة. ولو حصل على الإجابة الحقيقية فقد يكون في هذا خطورة عليه، فعندئذ يكون من الخطأ الجسيم أن يُخبر بالحقيقة، ويُتغاضَى عن حقه في هذه الحالة؛ لأن هذا الحق سيلحق به ضررا جسيما وبأسرته وبالناس[85]، ووفقا لهذا فإن مبدأ عدم الإيذاء أو الضرر يعزز مجموعة متنوعة من القواعد الأخلاقية المحددة ومن بينها: 1 - لا تقتل. 2 - لا تسبب ألما أو معاناة للآخرين. 3 - لا تسبب العجز للآخرين[86].

فهذا المبدأ يتطلب منا ألا نلحق - بشكل عمدي - أي ضرر أو إصابة للمريض، إما عن طريق ارتكاب أفعال معينة، وإما عن طريق الإهمال، وهذا يعني أن هذا المبدأ في حاجة ماسة إلى الكفاءة أو الجدارة الطبية، وعلى الرغم من ذلك فإن الأخطاء الطبية قد تحدث، فهناك حالات يبدو فيها نوع من الضرر الذي لا مفر منه، وفي هذه الحالات يكون الأطباء ملتزمين أخلاقيا لاختيار أقل أو أهون الضررين - الشرين Two Evils، وإن أقل الأضرار قد تحدده الظروف، فعلى سبيل المثال، هناك استعداد لتجربة بعض الألم، إذا كان الإجراء الهدف منه إطالة أمد الحياة، وكذلك أيضا قد يلجأ المريض إلى الوفاة للتخلص من الحياة، ويكون هذا الاختيار قائما على اعتقاد المريض أن العيش لفترة طويلة مع حالة مؤلمة ومهينة هو أسوأ من الموت نفسه، وهو ضرر أكبر. ومن المهم هنا أيضا أن نلاحظ - في هذه الحالة - أن هذا القرار اتخذه المريض الذي هو وحده له السلطة في تفسير الضرر الأكبر أو الأقل للنفس وتحديده[87].

وهناك أيضا العديد من الحالات المربكة في مجال الطب، التي تنطوي على نوعين من التأثير: أحدهما تأثير إيجابي، والآخر سلبي، وهذا ما يطلق عليه «مبدأ التأثير المزدوج» Principle of Double Effect، فكيف يوجهنا مبدأ عدم الإيذاء في هذه الحالة؟ نضرب مثالا لتوضيح هذه الحالة فمثلا: إذا كانت لدينا امرأة حامل حديثا، وبإجراء بعض الفحوص اكتُشِف أن لديها سرطان الرحم، فالعلاج المعتاد لهذه الحالة هو استئصال الرحم من أجل إنقاذ حياة المرأة، ومع ذلك فإن هذا الإجراء سيؤدي إلى وفاة الجنين، فمن حق المرأة في هذه الحالة الدفاع عن نفسها واستئصال الرحم من أجل إنقاذ حياتها، والنتيجة المتوقعة وغير المقصودة هي موت الجنين، حتى إن كانت نتيجة غير مرغوب فيها. وهناك أربعة شروط تنطبق على مبدأ التأثير المزدوج، وهي: 1 - طبيعة الفعل: أي يجب ألا يكون الفعل نفسه خاطئا في جوهره، أو أن يكون فعل خير أو على الأقل محايدا أخلاقيا. 2 - نية الفاعل وقصده: أي يجب أن يعتزم الفاعل التأثير الخير فقط، وليس التأثير السلبي، ولو كان متوقعا. 3 - التمييز بين الوسائل والآثار، التأثير السلبي يجب ألا يكون وسيلة من التأثير الخير. 4 - التناسب بين التأثير الجيد والتأثير السلبي: أي أن التأثير الجيد يجب أن يفوق الشر الذي يسمح به، وبعبارة أخرى التأثير السلبي[88].

رابعا: مبدأ العدالة Principle of Justice

يحدث الظلم عندما تُحجب بعض الفوائد والمنافع التي تحق للشخص، من دون سبب وجيه، أو عندما يُفرَض عبء معين من دون مبرر منطقي، لذلك فإن مبدأ العدالة ينص على أن الأشخاص المتساوين والمتكافئين يجب أن يُعاملوا على قدم المساواة[89]. ويُقصد به - أيضا - الالتزام العادل عند توزيع الجزاءات التي قد تكون بالثواب أو العقاب، وذلك وفق الأهلية والاستحقاق[90]، أي توزيع المنافع والأعباء، وهو ليس استحقاقا يتعلق بأشخاص معينين[91].

فالعدالة في الأخلاق هي مبدأ أخلاقي يتعلق بتحقيق «التوازن» Balance الملائم أو الصحيح، أو التوزيع العادل بين الأفراد والجماعات. ويعود التأصيل الفلسفي لمفهوم العدالة إلى محاولات «أرسطو» Aristotle (384-223 ق. م)، لاسيما في الكتاب الخامس من «الأخلاق النيقوماخيـة»، فـ «أرسطو» يفهم العدالة في المقام الأول على أنها حالة شخصية أو فضيلة (مجموعة متطورة من العادات الجيدة والمواقف والميول). ويذهب إلى التمييز بين العدالة التامة أو العامة من جهة، والعدالة الجزئية أو الخاصة من جهة أخرى، العادلة التامة هي فضيلة أو ميزة تتعلق بزملائنا من الرجال فقط، وهي عموما ترادف الإنصاف أو الصدق والأمانة، ويقسم العدالة الجزئية إلى: العدالة في توزيع الاحترام، والشرف، والثروة، وغيرها من الخيرات والمنافع الاجتماعية، والعدالة

التصحيحية في المعاملات التي تنطوي على انتهاك الحق في المعاملات الطوعية أو العقود، وتصحيح المعاملات غير الطوعية من السرقة أو القتل عن طريق العقوبات، وما إلى ذلك[92].

وقد أدى وصف «أرسطو» العدالة الجزئية إلى أربعة تطبيقات رئيسة للعدالة حديثا، وهي: العدالة التوزيعية، والعدالة العقابية، والعدالة التعويضية، والعدالة التصالحية. وتنطوي العدالة التوزيعية على التوزيع السليم أو العادل للمنافع والأعباء الاجتماعية بين الأشخاص وبين فئات المجتمع، ومبدأه التوجيهي أو الإرشادي، هو: «أن نعطي لكل شخص ما يستحقه»، أمَّا العدالة العقابية فتتعلق بتحقيق التوازن بين الإصابات أو الجرائم والعقوبات، أو الأعمال النبيلة والبطولية مع المكافأة المناسبة، والعدالة التعويضية تتعلق بموازنة الأعباء الخاصة التي يتحملها أشخاص في الماضي مع منافع خاصة في الحاضر والمستقبل، وتتصل العدالة التصحيحية أو التصالحية بإعادة التوازن بين المصالح فيما بين الأطراف عندما تنتهك المعاملات أو العقود أو كسر تنفيذها بطريقة احتيالية[93].

وعادة ما تُعرَّف العدالة في مجال الرعاية الصحية بأنها شكل من أشكال الإنصاف، أو كما قال «أرسطو»: «إعطاء كل ما هو مستحق له»، وهذا يعني أن التوزيع العادل للخيرات في المجتمع يتطلب منا أن ننظر في دور الاستحقاق Entitlement، ويبدو أن مسألة العدالة التوزيعية تتوقف على عدم توفير بعض السلع والخدمات، وليس هناك ما يكفي، لذلك يجب تحديد بعض الوسائل العادلة لتخصيص الموارد الشحيحة، ويفضي هذا بطبيعة الحال إلى أن الأشخاص المتساوين ينبغي أن يكونوا مؤهلين للحصول على معاملة متساوية. ويتجلى ذلك في تطبيق برنامج «ميديكار» Medicar، وهو متاح لجميع الأشخاص الذين تزيد أعمارهم على خمسة وستين عاما، وهذه الفئة من الأشخاص متساوية في السن فقط، ولكن هذا المعيار لا يقول شيئا عن الحاجة أو عوامل أخرى جديرة بالملاحظة حول الأشخاص في هذه الفئة[94].

ولقد وضع أعضاء لجنة «بلمونت» مجموعة من الصيغ المقبولة على نطاق واسع لتوزيع الأعباء والفوائد، وتشير كل صيغة إلى بعض الملكات أو الخصائص ذات الصلة التي على أساسها تُوزَّع الأعباء والمنافع، وهذه الصيغ هي:

1 - لكل شخص حصة متساوية.

2 - لكل شخص وفقا لحاجته الفردية.

3 - لكل شخص وفقا للجهد أو السعي الفردي.

4 - لكل شخص وفقا لمساهمته المجتمعية.

5 - لكل شخص وفقا لجدارته أو ميزته Merit[95]؛ فمبدأ العدالة يسعى نحو تخصيص الموارد

النادرة إلى حد ما، ووضع معايير موحدة لهذا التخصيص؛ وعلى سبيل المثال لذلك: أمر تخصيص أجهزة لزراعة الأعضاء، والقضاء على التمييز في وحدات العناية المركزة، والمشاركة بوصفها مواضيع للأبحاث السريرية، والحصول على الرعاية الصحية لأولئك الذين يفتقرون إلى التأمين الصحي، واحتواء التكاليف الباهظة بسبب تكاليف استخدام التقنيات الحديثة المكلفة في العلاج[96].

فالقضية الأساسية التي يثيرها مبدأ العدالة التوزيعية في مجال الرعاية الصحية، هي: هل يتمتع جميع الأشخاص بحقوق إيجابية في الحصول على الرعاية الصحية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإلى أي مدى؟ لذلك يجب على جميع المجتمعات أن تعالج مسألة العدالة التوزيعية على مستوى: الاكتتاب الكلي Macro allocation، بمعنى التمويل الذي ينبغي تخصيصه لبرامج الرعاية الصحية، والاكتتاب الجزئي Micro allocation، بمعنى من يكون له حق العلاج أولا في الحالات النادرة عندما تصبح الأمور متاحة[97].

ويتضح مفهوم العدالة - أكثر - في الممارسة العملية، عندما يُجرى البحث على الفقراء الذين يتحملون المخاطر، في حين أن الفوائد من الأبحاث العلمية - غالبا - ما تعود على المرضى الأغنياء الذين يستطيعون دفع تكاليف وثمن نتائج التكنولوجيا الحديثة، وهنا يأتي دور مبدأ العدالة الذي يستخدم بوصفه وسيلة للحد من مزيد من الضرر الواقع عليهم[98].

المحور الرابع: صراع المبادئ الأربعة .. واقتراح نهج جديد

يبدو أن هذه المبادئ الأربعة هي نفسها المبادئ التي تحدث عنها فلاسفة الأخلاق من قبل، لكنهم صبغوها بصبغة أخلاقية بيولوجية حتى تتماشى مع قواعد التكنولوجيا الجديدة في هذا المجال، لتقديم نهج موحد أو مستوى معياري للأخلاق البيولوجية. وقد نشأت هذه المبادئ في الفلسفة الأخلاقية على يد فلاسفة الأخلاق، فعلى سبيل المثال: جرى التأكيد في الفلسفة الأخلاقية على فكرة احترام الأشخاص واستقلاليتهم الذاتية من قبل «كانط» I. Kant (1724-1804م)، ومبدأ الإحسان من قبل أنصار مذهب المنفعة، وفكرة العدالة من قبل «أرسطو» و«جون رولز» J. Rawls (1921-2002م)، ومبدأ منع الأذى أو الضرر من قبل «أبقراط» و«ديفيد روس» و«روبرت أوْدي» وآخرين، ولكن جرت العادة على إدراج هذه المبادئ في أخلاق البيولوجية في كثير من الأحيان للاستجابة لانتهاكات محددة أو خاصة.

لذلك فإن هذه المبادئ الأربعة تولد صراعات داخلية خاصة بها، وكذلك تتعارض بعضها مع بعض؛ فالعدالة على سبيل المثال قد تتطلب - في بعض الأحيان - العقاب لتحقيقها؛ بينما الإحسان قد يتطلب الرحمة في الحالة نفسها[99]. وكذلك أيضا مبدأ عدم الإيذاء يتضمن عدم التدخل

الجراحي، أو عدم إعطاء الدواء؛ لأن التدخل الجراحي قد يسبب للمريض تشوهات جسدية، وإعطاء الدواء قد تكون له أضرار جانبية متعددة قد تكون نفسية أو عضوية.

ويبدو مما سبق، أن مبادئ الأخلاق البيولوجية هي مبادئ مشروطة، وأن كل حالة مرضية يمكن أن تخضع لمبدأ أو اثنين من هذه المبادئ، ولا يمكن تطبيقها جميعا في الحالة أو الموقف أنفسهما، وإذا فعلنا ذلك وجدنا صراعا واختلافا بين هذه المبادئ؛ فكيف تحل هذه الإشكالية وهذا الصراع؟ يبدو أن الإجابة تكمن في تعبير السير «وليم ديفيد روس» عن الواجبات ظاهرة الصدق Prima Facie Duties، ويعني بها: «إلزام يُلزم الشخص، ولكنه لا يمنع وجود إمكان تجاوزه أو تخطيه بواسطة إلزام آخر أسمى منه؛ فهو ليس كما قد تُوحي الكلمات، أعني إلزاما أو واجبا ظاهريا، وإنما يشير أيضا إلى إلزام أو واجب حقيقي، على الرغم من أنه ليس مطلقا، ومن ثم يُقال: إن الالتزام الخاص بالوفاء بالعهد «واجب ظاهر الصدق»؛ لأنه إذا كان الالتزام بالعهد مبررا أخلاقيا للوفاء به؛ فإن هذا المبرر يمكن في الحالات الاستثنائية تجاوزه بإلزام أكثر منه ضرورة، كما يحدث عندما يتعلق الأمر بإنقاذ حياة إنسان»[100].

إن المبدأ ظاهر الصدق يختلف بطبيعة الحال عن الأمر المطلق الذي قال به «كانط» من قبل؛ لأن المبدأ ظاهر الصدق هو مبدأ مشروط وتنص صيغته العامة على أنه: «إذا أردت تحقيق هذه الغاية فينبغي عليَّ أن أفعل كذا»، وهذا المبدأ يأمرنا بإتيان أفعال تعتبر خيرا كوسيلة لغاية أردناها بالفعل، أو قد نرغب في تحقيقها، أما الأمر المطلق عند «كانط» فصيغته العامة هي: «أنه ينبغي عليَّ أن أفعل كذا لذاته بغير شرط سابق»، والأفعال التي تقضي بها خير في ذاتها، وليست خيرا من حيث هي وسيلة إلى تحقيق غاية أبعد منها. ووفقا لهذا فإن المبدأ ظاهر الصدق هو واجب غير ملزم على الدوام مادام هناك مبدأ أو واجب آخر أسمى منه يمكن أن يتجاوزه، ولا يحدث هذا إلا في حالة صراع الواجبات، ومثال على ذلك: إذا كان هناك واجب يقتضي مني الامتناع عن الكذب، فإن هناك واجبا آخر أسمى منه يقتضي مني الكذب إنقاذا لحياة إنسان يسأل عنه مجرم يريد قتله[101].

ويشير «ديفيد روس» إلى أنه: «ينبغي على الفرد دراسة حالة القضية بالقدر الذي يستطيع من خلاله أن يكوِّن رأيا صحيحا، وهو الذي يظهر من خلال تلك الظروف أن واحدا من تلك الواجبات أسمى من الواجبات الأخرى في الموقف الحالي»[102]. ووفقا لهذا فالواجب ظاهر الصدق: «هو الواجب الذي ينبغي تأديته، مادام لا يتعارض أو يصطدم مع أي واجبات أخرى ظاهـرة الصدق، أي ينبغي على الفرد أن يفي بوعده برد الأموال التي أخذها من شخص آخر، مادام أن هذا الواجب لا يتعارض مع واجب أخلاقي آخر أقوى منه يخبرني بفعل شيء آخر»[103].

وبالقياس يتضح أن مبادئ الأخلاق البيولوجية والأخلاق الطبية هي واجبات ظاهرة الصدق وليست مبادئ كلية مطلقة، لأنها تتغير بتغير الظروف والحالة المرضية والعلاجية، وكذلك أيضا تختلف من مكان إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى. ولكن، إذا كانت هذه المبادئ تتصارع بعضها مع بعض، وتتغير من حالة إلى أخرى، فكيف يتثنى لنا الحصول على نهج متزن للأخلاق البيولوجية؟

يبدو أن الحل يكمن في أن نتبنى منهج التوازن التأملي Reflective Equilibrium(*)، وهو منهج وصف من قبل العديد من فلاسفة الأخلاق والسياسة المعاصرين، ويقصد به التوسط والاعتدال بين المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي، أي منهج يسعى نحو دمج المبادئ العامة الكلية مع الحالات الخاصة الجزئية؛ لتقديم رؤية أكثر شمولية عن العلم موضع الدراسة، ويعني تحديدا في فلسفة الأخلاق: «عملية البحث التي يحاول الفيلسوف من خلالها الوصول إلى نظرية أخلاقية متماسكة تكون متوافقة مع تشكيلة واسعة من الالتزامات ما قبل النظرية Pre - theoretical[104]».

وقد وُصِف هذا المفهوم في الفلسفة عن طريق «جون رولـز»، خاصّة في كتابه «نظرية العدالة»، وقـد لاحظ أن هناك عـدة تفسيرات متنوعـة للتوازن التأملي، فهناك مـا يسمى عموما التوازن التأملي الضيق، وهنـاك مـا يسمى التوازن التأملي الواسع[105]. ويؤكد «رولز» أنه من أجل قبـول المبادئ والحالات الأخلاقية الخاصّة وتنظيمهما ودمجهما معا؛ لتكوين نسق مترابط بين المبدأ وتفصيلات الحالـة: «ينبغي علينا أن نبحث عـن مجموعة المبادئ التي تُنظم أحكامنا الأخلاقية موضع الاعتبار وتنسيقها، ومجموعة المبادئ التي يجب ألا تُنتج فقط الأحكام الأخلاقية موضع الاعتبار، بـل يجب أن تكـون قادرة أيضا على اشتقاق أحكامٍ جديدة في الحالات التي نشك فيها، أو التي تكون غامضة»[106].

إن قبول المبادئ في الأخلاق يبدأ في الأصل مـن البدء في الأحكام موضع اهتمامنا، ويكون غرض التوازن التأملي حين ذاك - كما يقول «رولز» - هو: «مطابقة المبادئ وتطويرها في محاولة لجعلها مترابطة، فنحن يجب أن نبدأ باستخدام نماذج تضم مـا هو مناسب أخلاقيا، أو مـا هو غير مناسب، وبعد ذلك نبحث عن المبادئ التي تتسق مع هذه النماذج، وتكون متناسقة بعضها مع بعض»[107].

ولكن، ماذا يحدث عندما يتصارع المبدأ مع الحالة؟ يقـول «رولـز»: «في هـذه الحالة نمتلك الاختيار، إمّا أن نعدّل أحكامنا الأخلاقيـة موضع الاعتبار؛ لكي تلائم مبادئنا، وإما أن نعدّل مبادئنا؛

* هناك خطأ شائع من قِبل الباحثين حول ترجمة مصطلح Reflective Equilibrium بالتوازن المنعكس، والترجمة الأدق هي التوازن التأملي؛ ويقصد بها التوسط والاعتدال بين المناهج المتعددة في دراسة فلسفة الأخلاق والسياسة، أو بتعبير أكثر دقة التوسط بين المبادئ والحالات من أجل الوصول إلى رؤية معتدلة، في حين يعني التوازن المنعكس لردود الأفعال - كما ورد في علم النفس - حركة لاإرادية وإعطاء رد فعل سريع تلقائي لبعض المؤثرات الخارجية، ومنها على سبيل المثال: إذا وخزت بدبوس في يدك فسرعان ما ترفع يدك بعيدا عن الدبوس. وإذا اقترب من عينك فجأة جسم غريب يحمله الهواء فسرعان ما تغلق عينيك، إذا وضعت يدك على شيء ساخن فسرعان ما ترفع يدك عن هذا الشيء.

لكي تلائم أحكامنا الأخلاقية موضع الاعتبار، ونحن نفعل ذلك ذهابا وإيابا حتى نصل إلى مجموعة ثابتة من الأحكام أو المبادئ، وعندما نحقق مجموعة ثابتة من الأحكام أو المبادئ فإن اعتقاداتنا الأخلاقية ستكون هنا في التوازن التأملي الضيق»[108]. أمَّا التوازن التأملي الواسع فهو يتضمن أيضا الأحكام الأخلاقية موضع الاعتبار والمبادئ الأخلاقية، وهو يقدم على أي حال مجموعة مسلمات ذات علاقة بالحجج الفلسفية لتحديد مواطن القوة والضعف في المبادئ الأخلاقية المتعددة[109].

فالتوازن التأملي، كما يقول «جون رولز» في «نظرية العدالة»: «هو توازن؛ لأن مبادئنا وأحكامنا في نهاية المطاف تتطابق وتتوافق Our Principles and Judgments Coincide، وهو تأملي؛ لأننا نعرف ما هي المبادئ التي تتطابق وتتوافق عليها أحكامنا ومسلمات Premises اشتقاقها أو استنتاجها»[110].

ويؤكد «نورمان دانيال» (Norman Daniels) (1943م -)[*] أن التوازن التأملي الواسع ما هو إلا محاولة لإنتاج الترابط والتماسك بين ثلاثة أنساق من مجموعة الاعتقادات التي يعتقدها شخص معين، وهي: 1 - مجموعة الأحكام الأخلاقية موضع الاعتبار. 2 - مجموعة المبادئ الأخلاقية. 3 - مجموعة النظريات الخلفية ذات العلاقة بالموضوع[111].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما الصعوبات التي تقف أمام قيام نظرية أخلاقية شاملة للأخلاق البيولوجية؟ ترتبط هذه الصعوبات بالأحكام الأخلاقية، كما ترتبط باللوائح التي وضعت لتحديد سلوك الطبيب أو العالم البيولوجي خلال عمله، وهي:

أولا: تواجه الطبيب والعالم مواقف معينة، قد تكون متشابهة، ولكن الظروف التي تحدث فيها مختلفة، بحيث إن الحكم الذي يصلح لموقف ما، قد لا يصلح للموقف نفسه في ظروف مختلفة.

ثانيا: الطبيب مثل أي فرد من أفراد المجتمع تكمن في داخله مجموعة من القيم والمبادئ التي تؤثر في حكمه على الأمور، وهذا يعني أن الحكم الذي يوافق عليه طبيب ما؛ لاتفاقه مع مبادئه، قد لا يتفق مع مبادئ طبيب آخر.

ثالثا: نوعية المشكلات التي يثيرها التطور الطبي والبيولوجي تختلف عن المشكلات الأخلاقية القديمة؛ ذلك لأن هذه الأخيرة انبثقت من خلفية ثقافية معينة غير الخلفية المعاصرة، هذا بالإضافة إلى أن هذه التكنولوجيا المتطورة طرحت قضايا أخلاقية في إطار جديد؛ مما يجعل تطبيق النظريات السابقة عليها أمرا صعبا.

---

* نورمان دانيال: أستاذ جامعي وفيلسوف أمريكي معاصر، متخصص في مجال الأخلاق البيولوجية، وعمل أستاذا للأخلاق وصحة السكان في قسم السكان والصحة العامة في مدرسة هارفارد للصحة العامة في جامعة «بوسطن» بولاية «ماسوشوستس»، حصل على درجة الماجستير من جامعة «أكسفورد» في العام 1966م، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة «هارفارد» في العام 1970م.

رابعا: إن علمي البيولوجيا والطب في تطور مستمر وهائل بحيث إن كل مرحلة من مراحل التطور تعني مشكلات جديدة تختلف عما سبقتها؛ مما يجعل أمر تطبيق نظرية واحدة ثابتة أمرا غير عملي. ولهذا فإن اللوائح والمواثيق الطبية السابقة لم تعد تتفق مع هذه التطورات؛ مما يعني أن الطبيب وعالم البيولوجيا لن يجدا ما يمكن أن يرجعا إليه للحكم على المواقف التي تواجههما[112].

خامسا: التغيير الذي حدث في مجال البيولوجيا الطبية أدى إلى طرح مفاهيم قديمة في ظاهرها، وحديثة في مضمونها، مثل، مفهوم المسؤولية، والاختيار، وقيمة الحياة البشرية، والهوية، وبداية الحياة، وقدسية الحياة... إلخ. كل هذه المصطلحات تبدو قديمة، لكنها في الواقع أخذت معنى جديدا بسبب التغيرات التي تحدث في المجتمع وفي مجال البيولوجيا الطبية. ولذلك فهي في حاجة إلى إعادة صياغة لتتفق مع التطورات الجديدة.

سادسا: إن التطورات التي تحدث سريعة جدا، بحيث ظهرت هوة واسعة بين فكر الإنسان وتلك التطورات، ولهذا فنحن في حاجة إلى إعادة النظر في قيمنا لمحاولة التوفيق بينها وبين هذه التطورات، لكي نصل إلى حلول يمكن أن تساعدنا على تطوير أنفسنا والعالم المحيط بنا[113].

سابعا: كما أن العلوم الطبية الحيوية تنتج معارف لا حصر لها حول الطبيعة البشرية، ومع ذلك لكي تكون هذه المعرفة مفيدة أو مجدية يجب أن ينظر إليها في ضوء بعض المفاهيم التي تشكل الخير للحياة البشرية، وهو ما يسعى إليه جميع البشر في حياتهم، أو ما يشكل الغايات النهائية للحياة البشرية الخيرة... ولكن علم أخلاقيات البيولوجيا يضع المسائل الإجرائية أو القواعد واللوائح القانونية والتشريعية من دون أن يسأل عن الغاية من الحياة البشرية[114].

ثامنا: إذا كنا نعتقد أن القرار الطبي الجيد هو بمنزلة قرار أخلاقي جيد، ومسألة صناعة القرارات الأخلاقية الجيدة تتضمن ثلاثة عناصر أساسية، وهي: المعرفة الذاتية Self - Knowledge، ومعرفة النظريات أو التقاليد الأخلاقية، والإدراك الثقافي Cultural Perception[115]، لذلك فإن عالم البيولوجيا والطبيب سيكونان متأثرين بهذه العناصر الثلاثة عند إصدارهما قرارا أخلاقيا تجاه مريض من المرضى، وهذا ما يجعل هناك صعوبة في الوصول إلى نظرية أخلاقية شاملة بسبب اختلاف البيئات الثقافية والفكرية والدينية والتربوية.

ووفقا لهذا المعنى، فإن النظرية الأخلاقية - في حد ذاتها - ليست قادرة على إعطائنا جميع العناصر اللازمة للحكم الأخلاقي العميق الرصين، إلا إذا استُكمِل من خلال فهم الذات الإنسانية وانعكاسها على السياق الاجتماعي والثقافي لقراراتنا، والحكم الأخلاقي يتطلب منا أن نتحرك ذهابا وإيابا بين العناصر الضرورية، وهي الذات التأملية، والتفسير الثقافي، وإسهام كل نظرية أخلاقية، ولا يوجد عنصر واحد متميز على الآخرين، فكل لديه جزء لا غنى عنه(116).

المحور الخامس: بعض النظريات التي عارضت نهج المبادئ الأربعة

هناك مجموعة من النظريات عارضت قيام نهج المبادئ الأربعة للأخلاق البيولوجية، ومنها:

أولا: الإفتاء في قضايا الضمير Casuistry: وهو يرى أن مبادئ الأخلاق البيولوجية قد تتضارب بعضها مع بعض، وغالبا ما تخفق في تقديم إجراء صناعة القرار عندما تتعارض هذه المبادئ في سياقات معينة، ويرى أيضا أن المبادئ تنبثق من النظر في الحالات وليس العكس، وبالتالي فهي حالات خاصة، وقرارات حول حالات معينة، بدلا من المبادئ التي هي أساس الأخلاق البيولوجية. ومن مؤيدي هذا الاتجاه في الحقبة المعاصرة «ألبرت جونسون» Albert R. Jonsen (1391م -)، و«ستيفن تولمن» Stephen Toulmin (1922-2009م)، اللذان رأيا أن الإفتاء في قضايا الضمير هو تطبيق المعايير الأخلاقية العامة على حالات محددة في سياقات معينة، في ضوء المقارنات والتناقضات مع الحالات الواضحة التي سبق تحديدها، أو الحالات التي وردت في الصياغات السابقة[117].

ثانيا: أخلاق الفضيلة Virtue Ethics: هي اتجاه فلسفي يرفض أن يكون نهج المبادئ الأخلاقية الأربعة أساسا للأخلاق البيولوجية، على أساس أن الفضائل وليست المبادئ، هي القاعدة الأخلاقية السليمة للأخلاق البيولوجية، وكان هذا هو النهج المتبع في أخلاق «أرسطو»، وفي الأخلاق الأرسطية المعاصرة عند «الأسدير ماكنتير» Alasdair MacIntyre (1929م -)[118]، خاصة في كتابه «بعد الفضيلة .. دراسة في النظرية الأخلاقية» الذي نشر في العام (1981م)، ومقالته عن «طبيعة الفضائل» التي نشرت في العام نفسه، وكذلك أيضا نجد أن أخلاق الفضيلة ظهرت بشكل واضح في كتابات كل من «فيليبا فوت» Philippa Foot (1920-2010م) في كتابها «الفضائل الرذائل ومقالات أخرى في فلسفة الأخلاق» الذي نشر في العام (2002م)، و«اليزابيث أنسكومب» E. Anscombe (1919-2001م) في مقالتها «فلسفة الأخلاق الحديثة» التي نشرت في العام (1958م)، و«روزاليند هورسوس» Rosalind Hursthouse (1943م -) في كتابها «نحو أخلاق الفضيلة» الذي نشر عام (1999م) وآخرين.

وتأتي معظم إسهامات هؤلاء للتساؤل عن كيف يمكن للإنسان أن يزدهر ويحقق السعادة والرفاهية؟ وتكمن إجابتهم عن هذا التساؤل أنه يمكن تحقيق ذلك عن طريق فضائل معينة، ومادامت الفضائل هي سمات شخصية أو طبائع شخصية مثل الشجاعة والاحسان، وأنها تكتسب من خلال التنشئة؛ فيجب على الفرد أن يطورها ويغرسها في الأطفال[119]. وترى «روزان ماكدوجال» «Roseanne McDougall» أن هناك صيحة تهدف إلى تطبيقات أخلاق الفضيلة على قضايا الأخلاق البيولوجية، بوصفها أفضل طريقة للتفكير في الأخلاق التناسلية، وترى أن الفضائل

الأبوية هي سمات شخصية، وحينما ننظر في الحقائق الطبيعية لعملية التكاثر البشري فإننا نجد أنها تكمن في ازدهار الأطفال، والفضائل بطبيعة الحال سوف تنتقل من الوالدين الفاضلين إلى الأطفال[120]. أي أن عملية الإنجاب وتربية الأطفال تتوقف على فضائل الوالدين.

ثالثا: أخلاق السرد Narrative Ethics: يرتبط مع أخلاق الفضيلة مدرسة أخرى من أخلاق البيولوجيا، وهي مدرسة أخلاق السرد التي ترى أن الاعتماد على المبادئ الأخلاقية غير كافٍ أو غير ملائم؛ لأن من الأمور الأساسية للأخلاق البيولوجية، في هذا النهج، هو سرد قصة حالات معينة؛ فهذا النهج يعتمد في المقام الأول على سرد رواية أو إخبار قصة عن حياة مريض، بدلا من التركيز على سرد الحقائق الواضحة، من خلال الإيماء أو الإشارة أو التمثيل أو الحكاية؛ لأن هذه الطريقة لها تأثيرها في الآخرين بشكل كبير؛ فالسرد القصصي يفوق الفكرة التي يتم التفكير فيها من ناحية التأثير والتفاعل[121].

فالسرد بوصفه منهجا في مجال الرعاية الصحية يعتمد على رواية القصص لتعزيز الصحة والرفاهية في مجال الرعاية الصحية، ويرتكز أيضا على تفرد حياة الأفراد ورعايتهم في القصص التي يرويها الناس، ويستلزم هذا النهج أن فهم القصص التي يرويها الناس عن حياتهم، والقصص التي يُخبَروا به عن حياتهم من قبل الآخرين، تشكل في نهاية الأمر الحياة البشرية، أو على الأقل تكون ذات أهمية في حياة الأفراد والجماعات، وتأتي هذه القصص السردية من خلال مقابلات السير الذاتية مع المقيمين في أماكن الرعاية الصحية طويلة الأمد، وذكريات قدامى المحاربين، وعدوى فيروس نقص المناعة في أثناء الحمل، وإعادة التأهيل بعد إصابة الحبل الشوكي، من خلال ممارسة الرياضة... وهكذا[122].

فالمنهج السردي يساعد على زيادة قياس الشفاء العاطفي والروحي لدى المرضى، كما أنه يساعدهم على فهم المرض في سياق حياتهم، ويتميز بعدة سمات، وهي:

1 - إن الروايات السردية فريدة من نوعها فيتم إخبارها من قبل شخص معين إلى جمهور معين في وقت محدد بطريقة خاصة.

2 - إن الروايات السردية في مجال الرعاية الطبية عاطفية بطبيعتها.

3 - إن الروايات السردية غير مستقرة من الأساس، بمعنى أنه يمكن إعادة روايتها وكتابتها مع وجود معان مختلفة منسوبة إلى الأحداث ومع مسارات مستقبلية مختلفة.

4 - ينظر إلى السرد بوصفه وسيلة لتسهيل التغيير داخل الأفراد وإقناعهم، فهو وسيلة أساسية للتواصل[123] بين المريض ومقدم الخدمة العلاجية.

5 - يساعد السرد في توفير بيانات ثرية وكثيفة قد تمكننا من اتخاذ القرارات الأخلاقية الصحيحة[124].

فأخلاق السرد تعطي مكانة فريدة لخصائص الأشخاص والسياقات الاجتماعية، وهي تركز على مسار «قصة المريض»، وليس على المبادئ المجردة أو النظرية[125]. وفي هذا يشير «باروخ برودي» Baruch A. Brody (1943م -): «إن المسار الصحيح للفعل لحل المشكلة ليس بالضرورة هو الإجراء الذي يتوافق مع مبدأ مجرد، بدلا من ذلك قد يكون الفعل الذي - من دون انتهاك أي مبادئ أخلاقية - يتنقل بنجاح بين جميع العوامل السياقية لتحريك الوضع في الاتجاه الذي يخدم المصالح الكبرى لجميع الأطراف المعنية[126].

رابعا: الأخلاق النسوية Feminist Ethics: بعض فروع الأخلاق النسوية المعاصرة تعارض الاعتماد على نهج المبادئ الأخلاقية، والانتقادات النسوية الأكثر شيوعا هي أن التفكير الأخلاقي في مصطلحات المبادئ هو مجرد بشكل مفرط، ولا يتضمن اعترافا بأهمية خاصة، بالذاتية «الشخصية» والعاطفية للنساء، وقبل كل شيء لا يتضمن اعترافا بقمع النساء وعلاجهن، على الأقل في مجال الرعاية الصحية الطبية الخاصة بهن[127]. فمعظم الانتقادات النسوية في الأخلاق البيولوجية ترتكز أساسا على الاختلال في التوازن بين الجنسين في نظام الرعاية الصحية[128].

ظلت الإسهامات النسوية في الأخلاق البيولوجية مركزة - إلى حدٍ كبير - على نوع معين من النقد النسوي، وهو نقد الممارسات المحيطة برعاية أجساد النساء، فقد كان هناك تركيز من قبل النسوية على الممارسات الإنجابية للمرأة، سواء كانت في شكل حجج للدفاع عن الإجهاض، أو مناقشة حجج وأساليب مختلفة للمساعدة على الإنجاب، أو الحجج ضد استمرارية الحمل بعد الوفاة، أو التحليلات الأخلاقية لمختلف أنواع الصراع بين الأم والجنين، والقلق الناتج من اختبار فيروس نقص المناعة من الأطفال حديثي الولادة والنساء الحوامل، ومناقشات حول العلاج بالهرمونات البديلة للنساء بعد سن اليأس[129].

وقد انتقل النقد النسوي بعد ذلك إلى ما هو أبعد من التكاثر، كما تقول «سوزان وولف»، حيث ذهبوا إلى نقد ممارسة الرعاية الصحية للنساء، وبصفة خاصة المناقشات التي دارت حول الإدارة الطبية لسرطان الثدي، معتبرين أن ربط التأمين الصحي بالعمالة يؤثر في النساء المسنات؛ فالنقد النسوي يركز على القضايا الأخلاقية التي تحيط بصحة المرأة والاهتمام بسياسة الرعاية الصحية والمساواة مع الرجال[130].

الخاتمة

تأسيسا على ما سبق، فقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

أولا: تؤكد الدراسة حقيقة مفادها أن هناك مبالغة شديدة في وصف فلسفة الأخلاق في صورتها التقليدية بأنها عديمة النفع أو الفائدة، أو عدم قدرتها على تقديم حلول لمشكلاتنا الأخلاقية الواقعية الآنية، ذلك أن كثيرا من مبادئ فلسفة الأخلاق التطبيقية تستمد مبادئها من فلسفة الأخلاق التقليدية.

ثانيا: لجأ معظم فلاسفة الأخلاق المعاصرين إلى البحث في مجال الأخلاق التطبيقية؛ لأنها تطرح حلولا لمعظم المشكلات الأخلاقية التي تواجهنا في حياتنا الواقعية اليومية، وقد كان انبثاق هذا الاتجاه ضرورة ملحة فرضها تعدد وتنوع المشكلات الواقعية في مختلف جوانب حياتنا اليومية، سواء في العمل أو المنزل أو السوق أو المعاملات أو المهن... إلخ.

ثالثا: تؤكد الدراسة أن الأصول المعرفية للأخلاق البيولوجية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد في القسم الطبي لـ «أبقراط»، ولم تنشأ بوصفها علما دقيقا له منهج محدد إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدا في العام 1970م على يد الطبيب «فان بوتر»، وقد انبثق هذا العلم كرد فعل طبيعي على التغييرات الفجائية والسريعة التي حدثت في مجال البيولوجيا والطب.

رابعا: تؤكد الدراسة وجوب الالتزام بوضع قواعد أخلاقية صارمة تحكم التطور الهائل والسريع في مجال البيولوجيا والطب، حتى لا نترك مصير البشرية متعلقا بأيدي فئة معينة من العلماء، ويجب تطبيق عقوبات رادعة على كل من يخالف تلك القواعد أو المبادئ، خاصة في قضايا مثل: القتل الرحيم، والاستنساخ، ونقل وزراعة الأعضاء البشرية، والتلقيح الاصطناعي، والرعاية الصحية؛ لأن هذه القضايا تحديدا يترتب عليها العديد من المشكلات الأخلاقية التي ينتج عنها أضرار نفسية وجسدية واجتماعية ودينية واقتصادية خطيرة ومدمرة في بعض الأحيان.

خامسا: تؤكد الدراسة وجود أربعة مبادئ للأخلاق البيولوجية، هي: مبدأ استقلال الذات، ومبدأ الإحسان، ومبدأ عدم الإيذاء، ومبدأ العدالة، ولكن على الرغم من كونها مبادئ ذات جدارة عالية فإنها تتصارع فيما بينها عند محاولة

تطبيقها، وموضوع مادة علم البيولوجيا هو دراسة الحالات، وكل حالة تختلف عن الأخرى، لذا فإن الدراسة تؤكد أن هذه المبادئ هي مبادئ ظاهرة الصدق بالمعنى الذي جاء به السير «وليم ديفيد روس»، أي أنها تتغير وفقا لمتطلبات الحالة والضرورة.

سادسا: تؤكد الدراسة أن المبادئ سابقة الذكر، هي مبادئ عامة ويجب أن يلتزم بها جميع العاملين في مجال البيولوجيا والطب والرعاية الصحية بمعناها الأشمل في أي مكان وأي زمان، ومن هنا تأتي كليتها وعموميتها، لكنها في الوقت نفسه نسبية من حيث إمكان تطبيقها على الحالات المرضية والعلاجية، كل وفق حالته، فهي مبادئ قابلة للتطوير والتعديل باستمرار نتيجة ما تفرضه الوقائع من تطورات جديدة لا تستوعبها المبادئ القائمة.

سابعا: تقترح الدراسة تطبيق منهج التوازن التأملي بوصفه منهجا أساسيا للأخلاق البيولوجية، من أجل حل الصراعات الناشئة بين عمومية هذه المبادئ ونسبيتها؛ حتى يتثنى لنا الحصول على نظرية أخلاقية أكثر شمولية، وترابط لهذا العلم؛ تجمع بين المبادئ العامة والحالات الخاصة.

ثامنا: تؤكد الدراسة وجود بعض النظريات التي رفضت رفضا تاما نهج المبادئ الأربعة بوصفه منهجا أساسيا للأخلاق البيولوجية، ولكن كل نظرية من هذه النظريات رفضت تطبيق هذا النهج لسبب مختلف تماما عن النظريات الأخرى: فنظرية الإفتاء في قضاء الضمير ترى أن المبادئ الأخلاقية تنبثق من النظر في الحالات وليس العكس، ونظرية أخلاق الفضيلة تؤكد أن الفضيلة هي القاعدة الأساسية للأخلاق البيولوجية، ونظرية أخلاق السرد التي تؤكد أن المنهج الأساس للأخلاق البيولوجية هو سرد قصة حالات معينة، أمَّا الأخلاق النسوية فهي تؤكد التركيز على خصوصية المرأة.

تاسعا: تؤكد الدراسة أهمية تبني جميع المنظمات الدولية والمراكز الطبية تطبيق نهج ملزم ومحدد ودقيق للأخلاق البيولوجية، بل يجب أن يتضمن قسم الأطباء على هذا المبادئ صراحة، وأن يكون شرطا أساسيا للبدء في الممارسة العملية في هذا المجال الحصول على دورات تخصصية معتمدة دوليا.

الهوامش

1. Downie, S. Robin, and McNaughton, Jane: Bioethics and Humanities; Attitudes and Perception, Taylor & Francis Group, Routledge, Cavendish, New York, 2007, p. 32.
2. .Ibid, p.32
3. البقصمي، ناهدة: الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، العدد 174، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1993م، ص24 و25.
4. المرجع السابق، ص25.
5. Winkler, R. E: Applied Ethics, Overview, University of British Columbia, Vancouver, BC, Canada, 1998, p.174.
6. Oakley, Justin: Applied Ethics, In: Philosophy of Meaning, Knowledge and Value in The Twentieth Century, ed by: John V. Canfield, Routledge History of Philosophy, Volume X, London and New York, 1997, p.24.
7. Ibid, p.24.
8. عطية، عبدالحليم. أحمد: الأخلاق النظرية والتطبيقية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2016م، ص275 و276.
9. Oakley, Justin: Applied Ethics, op.cit, p. 249.
10. TännsJö, Torbjörn: Applied Ethics, A Defence, Ethical Theory and Moral Practical, Vol.14, No.4, (August, 2011), Springer, 2011, p.398.
11. Pierce, E. Michael: Applied Ethics, Values Clarity and Decision Quality, PhD, Gonzaga University, Information and Learning Company, ProQuest, 2002, p. 19.
12. Ibid, p.19.
13. Downie, S. Robin, and McNaughton, Jane: Bioethics and Humanities; Attitudes and Perception, op.cit, p. 32.
14. Ibid, p.32.
15. Ibid, p.33.
16. عطية، عبدالحليم. أحمد: الأخلاق النظرية والتطبيقية، مرجع سابق، ص284.
17. Gillon, Raanan: Bioethics; overview, In: The Concise Encyclopedia of the Ethics of New Technologies, ed by: Ruth Chadwick, A Harcourt Science and Technology Company, San Diego, California, 2001, p.2.
18. Mooney, Carla: Bioethics (Hot Topics), Lucent Books, Gale, Cengage Learning, San Francisco, New York, 2009, p.6.

19 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.2.

20 Ibid, p.2.

21 Jonsen, A. Albert: A History of Bioethics as Discipline and Discourse, In: Bioethics; an Introduction to the History, Methods, and Practice, Second Edition, ed by: Nancy S. Jecker, Albert R. Joneses, Robert A. Pearlman, Jones and Bartlett Publishers, Inc, Sudbury, Canada, 2007, p.3.

22 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.2.

23 Callahan, Daniel: Bioethics, In: Encyclopedia of Bioethics, Editor in Chief by: Stephen G. Post, 3rd edition, Volume (I), (A - C), Macmillan Reference, New York, 2004, p.280.

24 Ibid, pp.279 - 280.

25 Ibid, p.280.

26 Ibid, p.280.

27 Koehler, Lawrence: Bioethics, Bios, Vol. 68, No. 3, (Sep., 1997), Published by, Beta Beta Beta Biological Society, Oklahoma City University, 1997, p.137.

28 Roth, K. John (ed): Ethics, Revised Edition, Volume (I), Salem Press, Inc, Pasadena, California, 2005, p.138.

29 Ibid, p.138.

30 Ibid, p.138.

31 Ibid, p.138.

32 Ibid, p.138.

33 Ibid, p.137.

34 Ibid, pp.137 - 138.

35 علي، حسين: العلم والقيم الأخلاقية «رؤية معاصرة»، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م، ص48.

36 روس، جاكلين: الفكر الأخلاقي الجديد، ترجمة وتقديم: د. عادل العوا، عويدا للنشر والطباعة، بيروت - لبنان، 2001م، ص111.

37 Baron, Jonathan: Against Bioethics, The MIT Press, Cambridge, 2006, p.9.

38 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.2.

39 Baron, Jonathan: Against Bioethics, op.cit, p.9.

40 Ibid, p.10.

41 Ibid, p.10.

42 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.9.

43 Koehler, Lawrence: Bioethics, op.cit, p.141.

44 Ibid, p. 141.

45 Ibid, p. 138.

46 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.2.

47 Ibid, p.2.

48 البقصمي، ناهدة: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص26 و27.

49 Brody, Howard: The Future of Bioethics, Oxford University Press Inc., New York, 2009, p.6.

50 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, Georgetown University Press, Washington, D.C, 2009, p.13.

51 صَليَبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982م، ص74.

52 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.13.

53 Jennings, Bruce: Autonomy, In: The Oxford Handbook of Bioethics, edited by; Bonnie Stein Bock, Oxford University Press, Inc, New York, 2007, p.73.

54 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.13.

55 Ibid, p.14.

56 Baron, Jonathan: Against Bioethics, op.cit, p.11.

57 Ibid, p.11.

58 Roth, K. John (ed): Ethics, op.cit, p.139.

59 Baron, Jonathan: Against Bioethics, op.cit, p.13.

60 Ibid, p.13.

61 Ibid, p.14.

62 Roth, K. John (ed): Ethics, op.cit, p.139.

63 مدكور، إبراهيم «المحرر»: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص4.

64 صَليَبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، ص45.

65 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.17.

66 Downie, S. Robin, and McNaughton, Jane: Bioethics and Humanities; Attitudes and Perception, op.cit, p.36.

67 McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, School of Medicine, University of Washington, 2013, p.5. In: http://depts.washington.edu /bioethx/tools/principl.html. In: 12 - 9 - 2017.

68 Ryan, John Kenneth and Others (Members of the Commission): The Belmont Report; Ethical Principle and Guidelines for The Protection of Human, The National Commission for the Protection of Human Subjects of Biomedical and Behavioral Research, April 18, 1979, p.p.4 - 5.

69 بوشامب، توم: مبادئ أخلاقيات الطب الحيوي باعتبارها مبادئ عامة، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، قطر، ربيع 2014م، ص48.

70 المرجع السابق، ص48 و49.

71 Ryan, John Kenneth and Others (Members of the Commission): The Belmont Report; op.cit, p.5.

72 McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, op.cit, p.5.

73 Ryan, John Kenneth and Others (Members of the Commission): The Belmont Report; op.cit, p.5.

74 McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, op.cit, p.5.

75 Ibid, p.5.

76 http:www.rhchp.regi.edu/HCE/EthicsatAGlance/Nonmaleficence/ Nonmaleficence.pdf. In: 15 - 9 - 2017.

77 Barcalow, Emmett: Moral Philosophy; Theories and Issues, Thomson Wadsworth, New York, 2007, p.18.

78 http:www.rhchp.regi.edu/HCE/EthicsatAGlance/Nonmaleficence/ Nonmaleficence.pdf. In: 15 - 9 - 2017.

79 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.114.

80 Ross, David: The Right and The Good, ed by: Philip Stratton - Lake, Clarendon Press, Oxford, 1930, p.21.

81 إيونج، ألفريد: مقدمة في فلسفة الأخلاق، ترجمة ودراسة: محمد مدين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص134.

82 Ross, David: The Right and The Good, op.cit, p.22.

83 Audi, Robert: The Good in the Right; A Theory of Intuition and Intrinsic Value, Princeton University Press, Princeton & New Jersey, 2004, p.188.

84 Ibid, p.167.

85 بوشامب، توم: مبادئ أخلاقيات الطب الحيوي باعتبارها مبادئ عامة، مرجع سابق، ص47.

86 المرجع السابق، ص47.

87 McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, op.cit, p.4.

88 Ibid, p.4.

89 Baron, Jonathan: Against Bioethics, op.cit, p.15.

90 إيونج، ألفريد: مقدمة في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص133.

91 McNaughton, David: An Unconnected Heap of Duties?, The Philosophical Quarterly, Vol.46, No.185, (Oct., 1996), Oxford University Press, 1996, p.436.

92 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.114. pp.91 - 92.

93 Ibid, p.92.

94 McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, op.cit, pp.5 - 6.

95 Ryan, John Kenneth and Others (Members of the Commission): The Belmont Report; op.cit, p.5.

96 Roth, K. John (ed): Ethics, op.cit, p.139.

97 B. James, Jr. Tubbs: A Handbook of Bioethics Terms, op.cit, p.93.

98 Baron, Jonathan: Against Bioethics, op.cit, p.15.

99 Ibid, p.15.

100 إيونج، ألفريد: مقدمة في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص133.

101 الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق .. نشأتها وتطورها، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1979م، ص425.

102 Ross, David: The Right and The Good, op.cit, p.19.

103 Schaber, Peter: Ethical Pluralism, University of Zurich, p.1. In: www.wthik.uzh.ch, 28 - 10 - 2013, p.2. See also: Atwell, John: Ross and Prima Facie Duties, Ethics, Vol.88, No.3, (Apr., 1978), The University of Chicago Press, 1978, p.240. And see also: Snare, Frank: The Definition of Prima Facie Duties, The Philosophy Quarterly, Vol.24, No.96, (Jul., 1974), Wiley, 1974, p.235.

104 Little, Daniel: Reflective Equilibrium and Justification, Colgate University, Hamilton, New York, 1981, p.2.

105 Fanselow, Ryan: Moral Intuitions and Their Role in Justification, Ph.D, University of Maryland, College Park, 2011, p.75. See Also: Daniels, Norman: On Some Methods of Ethics and Linguistics, Philosophical Studies: An International Journal for Philosophy in The Analytic Tradition, Vol.37, No.1, (Jan., 1980), Springer, 1980, pp.21 - 36.

106 .Ibid, p.76

107 عبدالرحمن، فاطمة: الأسس المنهجية والإبيستمولوجية للأخلاق البيولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، 2011م، ص122.

108 Fanselow, Ryan: Moral Intuitions and Their Role in Justification, op.cit, p.76.

109 Ibid, p.78.

110 Rawls, Johan: A Theory of Justice, Revised Edition, Harvard University Press, Cambridge, 1999, p.18. This book is a revised edition of A Theory of Justice, published in 1971 by Harvard University Press.

111 Daniels, Norman: Wide Reflective Equilibrium and Theory Acceptance in Ethics, The Journal of Philosophy, Vol.76, No.5, (May., 1979), Tufts University, Massachusetts, 1979, p.258. See also: Daniels, Norman: Reflective Equilibrium and Archimedean Points, Canadian Journal of Philosophy, Vol.10, No.1, (Mar., 1980), Taylor & Francis, Ltd, 1980, pp.85 - 86.

112 البقصمي، ناهدة: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص27.

113 المرجع السابق، ص28.

114 Callahan, Daniel: Bioethics, op.cit, p.285.

115 Ibid, p.285.

116 Ibid, p.285.

117 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.10.

118 Ibid, pp.10 - 11.

119 Holland, Stephen: The Virtue Ethics Approach to Bioethics, Bioethics, Vol.25, No.4, 2011, p.192.

120 Ibid, p.195.

121 Newton, Adam: Narrative Ethics, Harvard University Press, London, 1995, p.3.

122 Baldwin, Clive: Narrative Ethics for Narrative Care, Journal of Aging Studies, No. 34, 2015, p.183.

123 Ibid, p.184.

124 Ibid, p.188.

125 Arras, D. John: The Way we Reason now: Reflective Equilibrium in Bioethics, In: The Oxford Handbook of Bioethics, ed by: Bonnie Steinbock, Oxford University Press Inc., New York, 2007, p.46.

126 Gillon, Raanan: Bioethics; overview, op.cit, p.11.

127 Ibid, p.11.

128 Arras, D. John: The Way we Reason now: Reflective Equilibrium in Bioethics, op.cit, p.46.

129 Nelson, Lindemann. Hilde: Feminist Bioethics, where we've been, where we're going, meta - philosophy, Vol.31, No.5, 2000, pp.494 - 495.

130 Ibid, p.495.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: مصادر ومراجع باللغة الإنجليزية

- **Arras, D. John:** The Way we Reason now: Reflective Equilibrium in Bioethics, In: The Oxford Handbook of Bioethics, ed by: Bonnie Steinbock, Oxford University Press Inc., New York, 2007.
- **Atwell, John:** Ross and Prima Facie Duties, Ethics, Vol.88, No.3, (Apr., 1978), The University of Chicago Press, 1978.
- Audi, Robert: The Good in the Right; A Theory of Intuition and Intrinsic Value, Princeton University Press, Princeton & New Jersey, 2004.
- **B. James, Jr. Tubbs:** A Handbook of Bioethics Terms, Georgetown University Press, Washington, D.C, 2009.
- **Baldwin, Clive:** Narrative Ethics for Narrative Care, Journal of Aging Studies, No. 34, 2015,
- **Barcalow, Emmett:** Moral Philosophy; Theories and Issues, Thomson Wadsworth, New York, 2007.
- **Baron, Jonathan:** Against Bioethics, The MIT Press, Cambridge, 2006.
- **Brody, Howard:** The Future of Bioethics, Oxford University Press Inc., New York, 2009.
- **Callahan, Daniel:** Bioethics, In: Encyclopedia of Bioethics, Editor in Chief by: Stephen G. Post, 3rd edition, Volume (I), (A - C), Macmillan Reference, New York, 2004.
- **Daniels, Norman:** On Some Methods of Ethics and Linguistics, Philosophical Studies: An International Journal for Philosophy in The Analytic Tradition, Vol.37, No.1, (Jan., 1980), Springer, 1980.
- **Daniels, Norman:** Reflective Equilibrium and Archimedean

Points, Canadian Journal of Philosophy, Vol.10, No.1, (Mar., 1980), Taylor & Francis, Ltd, 1980.

- **Daniels, Norman:** Wide Reflective Equilibrium and Theory Acceptance in Ethics, The Journal of Philosophy, Vol.76, No.5, (May., 1979), Tufts University, Massachusetts, 1979.
- **Downie, S. Robin, and McNaughton, Jane:** Bioethics and Humanities; Attitudes and Perception, Taylor & Francis Group, Routledge, Cavendish, New York, 2007.
- **Fanselow, Ryan:** Moral Intuitions and Their Role in Justification, Ph.D, University of Maryland, College Park, 2011.
- **Gillon, Raanan:** Bioethics; overview, In: The Concise Encyclopedia of the Ethics of New Technologies, ed by: Ruth Chadwick, A Harcourt Science and Technology Company, San Diego, California, 2001.
- **Holland, Stephen:** The Virtue Ethics Approach to Bioethics, Bioethics, Vol.25, No.4, 2011.
- **Jennings, Bruce:** Autonomy, In: The Oxford Handbook of Bioethics, edited by; Bonnie Stein Bock, Oxford University Press, Inc, New York, 2007.
- **Jonsen, A. Albert:** A History of Bioethics as Discipline and Discourse, In: Bioethics; an Introduction to the History, Methods, and Practice, Second Edition, ed by: Nancy S. Jecker, Albert R. Joneses, Robert A. Pearlman, Jones and Bartlett Publishers, Inc, Sudbury, Canada, 2007.
- **Koehler, Lawrence:** Bioethics, Bios, Vol. 68, No. 3, (Sep., 1997), Published by, Beta Beta Beta Biological Society, Oklahoma City University, 1997.

- **Little, Daniel:** Reflective Equilibrium and Justification, Colgate University, Hamilton, New York, 1981.
- **McNaughton, David:** An Unconnected Heap of Duties?, The Philosophical Quarterly, Vol.46, No.185, (Oct., 1996), Oxford University Press, 1996.
- **Mooney, Carla:** Bioethics (Hot Topics), Lucent Books, Gale, Cengage Learning, San Francisco, New York, 2009.
- **Newton, Adam:** Narrative Ethics, Harvard University Press, London, 1995.
- **Oakley, Justin:** Applied Ethics, In: Philosophy of Meaning, Knowledge and Value in The Twentieth Century, ed by: John V. Canfield, Routledge History of Philosophy, Volume X, London and New York, 1997.
- **Pierce, E. Michael:** Applied Ethics, Values Clarity and Decision Quality, PhD, Gonzaga University, Information and Learning Company, ProQuest, 2002.
- **Rawls, Johan:** A Theory of Justice, Revised Edition, Harvard University Press, Cambridge, 1999.
- **Ross, David:** The Right and The Good, ed by: Philip Stratton - Lake, Clarendon Press, Oxford, 1930.

28 **Roth, K. John (ed):** Ethics, Revised Edition, Volume (I), Salem Press, Inc, Pasadena, California, 2005.

- **Ryan, John Kenneth and Others (Members of the Commission):** The Belmont Report; Ethical Principle and Guidelines for The Protection of Human, The National Commission for the Protection of Human Subjects of Biomedical and Behavioral Research, April 18, 1979.

- **Snare, Frank:** The Definition of Prima Facie Duties, The Philosophy Quarterly, Vol.24, No.96, (Jul., 1974), Wiley, 1974.
- **TännsJö, Torbjörn:** Applied Ethics, A Defence, Ethical Theory and Moral Practical, Vol.14, No.4, (August, 2011), Springer, 2011.
- **Winkler, R. E:** Applied Ethics, Overview, University of British Columbia, Vancouver, BC, Canada, 1998.

ثانيا: مراجع باللغة العربية

- **إيونج، ألفريد:** مقدمة في فلسفة الأخلاق، ترجمة ودراسة: محمد مدين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- **البقصمي، ناهدة:** الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، العدد174، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1993م.
- **الطويل، توفيق:** فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1979م.
- **بوشامب، توم:** مبادئ أخلاقيات الطب الحيوي باعتبارها مبادئ عامة، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، قطر، ربيع 2014م.
- **روس، جاكلين:** الفكر الأخلاقي الجديد، ترجمة وتقديم: د. عادل العوا، عويدا للنشر والطباعة، بيروت - لبنان، 2001م.
- **صَليبا، جميل:** المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982م.
- **عبدالرحمن، فاطمة:** الأسس المنهجية والإبيستمولوجية للأخلاق البيولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، 2011م.
- **عطية، عبدالحليم. أحمد:** الأخلاق النظرية والتطبيقية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2016م.
- **علي، حسين:** العلم والقيم الأخلاقية «رؤية معاصرة»، أم القرى للطباعة

والنشر، القاهرة، 2008م.

- **مدكور، إبراهيم «المحرر»:** المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.

ثالثا: مقالات ومواقع من شبكة الإنترنت باللغة الإنجليزية

- http:www.rhchp.regi.edu/HCE/EthicsatAGlance/ Nonmaleficence / Nonmaleficence.pdf. In: 15 - 9 - 2017.
- McCormick, R. Thomas: Principles of Bioethics, School of Medicine, University of Washington, 2013. In: http://depts.washington.edu /bioethx/tools/principl.html. In: 12 - 9 - 2017.
- Schaber, Peter: Ethical Pluralism, University of Zurich. In: http://www.wthik.uzh.ch. In: 28 - 10 - 2013.
- Trials of War Criminals before The Nuernberg Military Tribunal under Council Law 10, Nurenberg October 1946 April - 1949, Volume III, U.S Government printing office, Washington, 1951. In: https://www.loc.gov/rr/frd/Military_Law/pdf/NT_war - criminals_Vol - III.pdf. In: 23 - 12 - 2017.



العدد: 180 (أكتوبر – ديسمبر 2019)

السَّرُوجِيّ في المقامة العُمَانِيَّة من الرأسمال السردي إلى الاستثمار الثقافي لامتدادات صُحار (دراسة أنثروبولوجية)

د. الزهرة إبراهيم *

تُفْهَمُ الأنثروبولوجيا، بمعناها الواسع، أيُّ معرفة بالإنسان الجامع لمناهج مختلفة وأنظمة متنوعة، ستكشف لنا ذات يوم الحوافز الخفية التي تحرك هذا الضيف الحاضر من دون دعوة في كل مناقشاتنا: الفكر البشري.

كلود ليفي شتروس

يحافظ النص الأدبي على كيانه بوصفه ثابتا إبداعيا مهما تلونت المعالجات النقدية بلون النظريات المتعاقبة والمناهج المستجدة. ويسهم تجدد الأدوات النقدية بما يستعير من مفاهيم تنتمي إلى حقول معرفية من صنف العلوم البحتة، مثل الرياضيات والفيزياء والكمياء... أو من صنف العلوم الإنسانية، مثل اللسانيات والسيميائيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، في تغذية هذا النص باستمرار؛ فماذا سيقول نص المقامة إن نحن تحررنا من النظر إليه، كما فعل النقاد السابقون، كصنعة لغوية محض، أو كاستعراض سردي باذخ لمُقَدَّرات البلاغة العربية معنى وبيانا وبديعا؟ وكيف نُجَمِّعُ أُلْغُوزَةَ Puzzle لغتِه لنفك شفرات ثقافية متراكبة جغرافيا وحضاريا؟ وما دور المقاربة الأنثروبولوجية في رفع صبيب التفسير الثقافي للمقامة، أولا: كمنجَز لساني انطلاقا مما كتبه الحريري. وثانيا: كإبداع تشكيلي، اعتمادا على منمنمة الواسطي؟

* باحثة في المسرح والأنثروبولوجيا - المملكة المغربية.

1 - صُحَار: أي روافد للدراسة الأنثروبولوجية؟

تقتضي المتابعة الأنثروبولوجية استرفاد عدد من العلوم والمعارف التي في غيابها يتعذر التقاط مجموع العناصر والمؤشرات الكفيلة بفك مستغلقات الموروثات المادية والرمزية لجماعة ما، يشكل أسلوبها في العيش نموذجا حضاريا خاصا، لكنه غالبا ما يحتوي نقط تشابه، أو مجموع تقاطعات بينه وبين النماذج الأخرى. ومن شأن هذا المعطى أن ينبِّه الباحث إلى رصد المماثلة والاختلاف في الأنساق التي يدرسها، ذلك أن الثقافات الإنسانية في مجملها ليست إلا وليدة عنصر واحد هو العقل البشري، وهو ما يسمح بوجود متعال ثقافي Transcendant culturel يوحد مجموع الأنساق. وحيث أصبحت الأنثروبولوجيا علما شموليا يسع كل العلوم، في استقلالها كما في تقاطعها، فإن علمي الجغرافيا والتاريخ يبرزان مطلبين جوهريين ووظيفيين لفهم كل ما له علاقة بالظاهرة البشرية التي لا يمكنها أن تتحقق خارج شرطي المكان والزمان.

من هذا المنطلق، نتساءل: كيف يمكن أن نقرأ موقع صحار في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية - في تزامن مع الحقبة التي كتب فيها الحريري المقامة العمانية - على خارطة أرض تحمل اسم عمان منذ عصور غابرة في التاريخ، قراءة ثقافية؟ وكيف يتَّحِد التقصي الجغرافي، كنوع من الكتابة الأركيولوجية، مع الاستقراء التاريخي، كنوع من الكتابة الكرونولوجية لانتقاء البوابات المناسبة المُفْضِيَّة إلى محطات حضارية تلونت بألوان العصور والممالك المتعاقبة عليها، والتبادلات المادية والرمزية المداوِمة فيها، حيث جعلت منها بؤرة لا ينحصر تأثيرها في البر، كونُها قصبة عمان وقلعتها، بل تنفتح به نحو البحر، ومحيط الجزر التي تطبَّع أهلها بالنموذج الثقافي العربي الإسلامي المتأصل في صحار منذ بدايات الدعوة، كما تقودنا إلى ذلك المقاربة الأنثروبولوجية التي سنشتغل بأدواتها على نص «المقامة العمانية» للحريري، ومنمنمة الواسطي الخاصة بها.

يسهم التنوع الجيولوجي للتضاريس، من مناطق جبلية، إلى أخرى سهلية، وثالثة ساحلية، وما يستتبع ذلك من تباين في الظروف الجغرافية، وطبيعة المناخ، والغطاء النباتي، والموارد المائية، في تعدد واختلاف أنشطة الإنسان، وفقا لما توفره كل منطقة من مقدرات اقتصادية. ويسعف المعطى الجغرافي في ملاحظة وفهم وتفسير مزاج الإنسان، وسلوكاته الفردية والجماعية مع البيئة المحيطة، وطبيعة اهتماماته العملية سعيا إلى الرزق وعمارة الأرض.

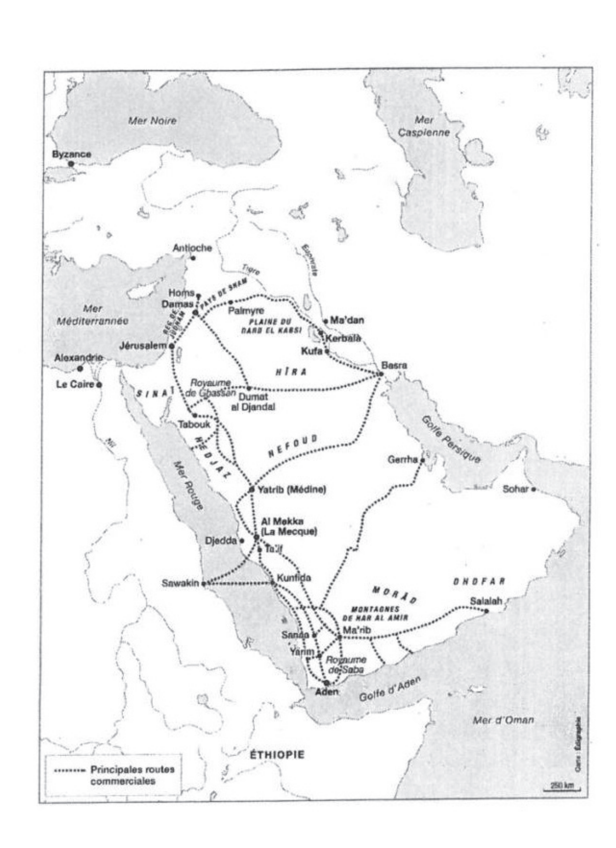
هي صحار، وسوحار، وسهار Sohar، إذ يَجْمَع الحرف اللاتيني S الحرفين العربيين «الصاد» و«السين». ويُرجِع المؤرخ ياقوت الحموي[1] هذا الاسم إلى «صحار بن أرم بن سام بن نوح» عليه السلام. وهي أيضا، عند بعضهم، «مجان» أو «ميجان» نسبة إلى جبل النحاس الذي يسمى «مجان»، ويُطلَق هذا الاسم، في بعض الكتابات، على عمان كافة. كما وردت باسم «مزون» في النصوص الفارسية

والصينية. وقد أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم عليها اسم «الغبيرة»، وسماها بعض عجم العراق - لسبب قد يتصل بتلفظهم الصوتي - اسم «سنجار عُمان» تأثرا في ذلك بمدينتهم «سنجار» الواقعة في الشمال الغربي للعراق. ويمكن ربط هذا التعدد في الأسماء بأهمية حضارية معتبَرة لهذه المرفأ القديم.

تطل صحار، ذات الخلفية الصحراوية، ثم الجبلية، على خليج عمان المتصل بالخليج العربي الفارسي شرقا، وتنفتح على بحر العرب الذي يمتد وراءه المحيط الهندي المُشْرَعِ على أفق آسيوي، وآخر أفريقي. فلا غرابة أن تَسْتَمدَّ من موقعها هذا قوة اقتصادية، وإشعاعا ثقافيا - منذ ما قبل الميلاد حتى الزمن المعاصر - أسهم فيه جميع الأقوام الذين توافدوا عليها من تخوم بعيدة بحثا عن العمل، والكسب، والاستقرار.

ويذهب المؤرخون إلى أن إسلام صحار المبكِّر بوَّأها مركزا اعتباريا بين الحواضر الإسلامية، وقد يدفعنا هذا الحدث التاريخي إلى طرح سؤال حول دوافع الرسول صلى الله عليه وسلم، ليبدأ في نشر رسالته من هذه النقطة القصية، من مكة حيث نزل الوحي، ومن المدينة حيث استقر وانتصر.

تبين الخريطة[2]، أسفله، النفوذ السياسي، والتوزيع السكاني، والنشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية قبيل مجيء الإسلام؛ ففي أقصى شمالها الغربي تبدو مملكة الغسانيين في بلاد الشام، ومملكة المناذرة في الحيرة بين الشام والعراق، بينما ينتشر نفوذ قريش وسط الحجاز، وتقوم مملكة سبأ في بلاد اليمن. على جزء من هذه الخريطة تحرك محمد بن عبدالمطلب مرافقا، ثم قائدا لقافلة خديجة بنت خويلد، حتى قبل نزول الوحي عليه، وبدء الدعوة إلى الدين الجديد.



تبدو صحار فريدة متفردة في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة، ولا أثر لخط سير القوافل منها وإليها، وهو معطى يميل نحو فرضية اعتماد صحار في اقتصادها، منذ ذلك الوقت، على الرواج البحري المنفتح على البحر بدل الصحراء. فما عدا حاضرة صلالة المرتبطة تجاريا، بحرا، بمدارات المحيط الهندي، وبَرّا بمملكة سبأ، وقتها، لا نجد أيا من المدن العمانية سوى منطقة ظفار التي يُشار إليها كأرض خالية لا كحاضرة. ولم تظهر غيرها من المدن العمانية، تباعا، سوى بعد هذه المرحلة التاريخية المفصلية في انتشار الإسلام، وتأسيس الخلافة التي أدى فيها العمانيون دورا تاريخيا بفعل إقرارهم السريع وغير المشروط بالدعوة الإسلامية استجابة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حين أوفد إليهم، وفق ما يذهب إليه المؤرخ ياقوت الحموي[3]، الصحابيين الجليلين عمرو بن العاص السهمي وأبي زيد الأنصاري. وبعد انتقال الدولة السياسية القائمة على توريث الحكم إلى الأمويين والعباسيين، أسهمت صحار، بوصفها الحاضرة العمانية القوية في تشييد الحضارة العربية الإسلامية، من موقعها الجيواستراتيجي بين بلاد الهند والصين وفارس من جهة آسيا، وبين جزر المحيط الهندي الموصلة إلى شرق القارة الأفريقية من مدغشقر وجزر القمر جنوبا حتى مصر شمالا، فضلا على الروابط الإثنية العريقة مع ممالك شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين حتى تخوم بلاد الروم.

ونحصي، قبيل ظهور الإسلام، وفق دوائر النفوذ السياسي من الشمال في اتجاه الجنوب، الحواضر التالية:

1 - في بلاد الشام: توجد حمص، ودمشق.

2 - في مملكة الغساسنة: تبدو القدس، ودومة الجندل.

3 - في مملكة المناذرة بالحيرة: تنتشر مَدَان، وكربلاء، والكوفة، والبصرة.

4 - في بلاد الحجاز، تبرز مكة، ويثرب، وجدة، وتبوك، والطائف، وقنفيذة.

5 - في مملكة سبأ باليمن: تتقارب صنعاء، ويريم، ومأرب، وعدن.

لا ترقى مسألة الحدود الجغرافية، بين هذه الممالك في شبه الجزيرة العربية، إلى أهمية المسالك الاقتصادية التي شكلت فيها تجارة القوافل عصب العلاقات الحيوية، وحين نركز على الجزء الجنوبي للمنطقة، يمتد هذا النشاط بين مدن صنعاء، وعدن، ويريم، ومأرب، ويصل حتى صلالة شرقا. لكن صحار تبدو، وقتها، من خلال الوثيقة المعتمدة، خارج بورصة اقتصاد القوافل، إلا أن ذلك لا يعني ضعفها كحاضرة ذات موقع اعتباري على خارطة شبه الجزيرة، حينذاك، فوجودها في أقصى شرق البلاد العربية، ووجود مسالك جبلية وعرة فاصلة بين منطقتها الصحراوية والشاطئية، وما يتخللها من وديان، أسهم إلى حد كبير في تغييب أو تعطيل اقتصاد القوافل المشروط بالأمن، والاعتماد،

مقابل ذلك، على اقتصاد المراكب صيدا وتجارة بحكم الانفتاح على ما وراء البحر من بلدان، وأمم، ولغات، ومناشط، واقتصادات مغايرة.

ونظرا إلى عراقة صحار، ورسوخ قوتها الاقتصادية المؤسسة على موقعها الحيوي، وعلى تباين معطياتها الجغرافية، وغنى مواردها الطبيعية، وتعدد صناعاتها، استطاعت أقوامها أن تتعايش فيما بينها بحكم المصلحة الاقتصادية، بل إن هذا التعايش وصل إلى نسج علاقات مصاهرة، وزواج، وولاية أمر، واستجلاب الإماء من أفريقيا وآسيا والجزر المتناثرة بينهما.

على مستوى آخر، أفرز هذا التنوع ثراء في مناشط الإنسان المتداولة في أسواقها، وحوانيتها، ومراكزها الصناعية. وقد أسهمت بنيتها الاجتماعية المتجانسة بفعل اعتناق الدين الإسلامي، وتفاني قبائلها الأصلية لحماية موطنهم، وحدودهم، وهويتهم، في نقل نسقها الثقافي إلى الجزر التي تنتشر عبر المحيط المائي الممتد أمامها، حيث تنشط حركة أهل صحار من صيادي اللؤلؤ والمرجان والسمك، ومن تجار الأقمشة، والبخور، واللبان، والتوابل، والحلي، والرياش، والفواكه الجافة، وصناع الخشب، والمعادن النفيسة، وما ينحت منهما من أوانٍ، وتحف ثمينة. كل هذه المعطيات جعلت منها مركزا قويا منحها منذ القديم اسم «قلعة عمان» أو «قصبة عمان»[(4)].

وردت صحار في كتب المؤرخين بأوصاف عديدة[(5)]؛ فالمقدسي يعتبرها «قصبة عمان، ليس على بحر الصين بلد أجل منه، عامر أهل، حسن طيب، نزه، ذو يسار وتجارة، وفواكه وخيرات. أسواق عجيبة، وبلدة طريفة ممتدة على البحر. دورهم من الآجر والساج (واحدته ساجة، شجر يعظم حجمه، له ورق كبير ينتج خشبا صلبا من أجود الأنواع)، شاهقة نفسها، ولهم آبار عذبة، وقناة حلوة. دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن». ويصفها الأصطخري بأنها «على البحر، وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان، وأكثر مالا. ولا تكاد تعرف على بحر فارس، وجميع بلاد الإسلام، مدينة أكثر عمارا ومالا، من صحار». وقال المسعودي في «مروج الذهب»: «سنجار قصبة عمان». ويعلق عبدالله بن حميد السالمي على كلام المسعودي هذا بقوله إن المسعودي «أراد بها صحار، ولعل اسمها كان كذلك في لسان العجم»، حتى يرفع اللبس عن الخلط بينها وبين سنجار الواقعة في بلاد العراق.

2 - العبور المقاماتي إلى صحار - عُمَان .. سفر عبر الجغرافيا أم عبر الخيال؟

لا نختلف إذا قلنا إن الرحلة في المقامة خيالية، فالحَرِثُ بن همام وأبو زيد السروجي يحوزان، حين نقرأ مقامات الحريري، فضول السندباد وقدرته على اختراق الآفاق المجهولة، وركوب مخاطر البر والبحر من أجل تحصيل فرص الرزق والتلذذ بطعم المغامرة. ونلاحظ، في هذا السياق، أن

سفرهما في «المقامة العمانية» حدث على خارطة جغرافية حقيقية تحيل على معرفة الحريري بتفاصيل هذه البلاد التي لا تبعد عن مسقط رأسه «مِشّان»، إحدى بلدات البصرة في العراق. ومهما تدخَّل خياله لتأثيث ردهات السرد، والوصل بينها في معمار الحكاية، فلا يخرج هذا الجهد عن استدعاء معرفة جغرافية، وتاريخية، واجتماعية، واقتصادية حقيقية، تتكامل فيما بينها لتشيد كيان صحار الحضاري، خلال هذه الفترة من تاريخها.

في هذه النقطة يتقاطع «أدب المقامة» بـ «أدب الرحلة»، ويتعاقدان على أن يسعف أحدهما الآخر، ويضيءَ طريقَ الباحث فيهما. ينطلق الحرث بن همام في «المقامة العمانية» من الحديث عن «حكاية السفر والمسافر». سفر في البر، وآخر في البحر، ذهابا وإيابا، من الثغور المعروفة، مثل صحار، في اتجاه الجزر المجهولة كتلك التي يرتفع فيها قصر الشاه، حيث أنتجت المقامة «السارد الجَوَّال le narrateur ambulant، والسرد الحمَّال le récit porteur، لأهداف عديدة وأبعاد مختلفة، والمسرود له الذي لا يَمَلُّ السؤال»[6]. فإذا كان السرد المقاماتي فعلا جادا متنزها عن العبث والاستهلاك المجاني للغة، فكيف نفهم إقرار الباحث عبدالفتاح كيليطو بعدم معرفته الأهداف التي من أجلها كُتِبَ أدب المقامة؟

لقد استنفدت دراسة المقامات كثيرا من اجتهاده لاجتراح مفاهيم جديدة من نصوصها، وصفات شخوصها، وكذا حواريتها مع نصوص الثقافتين: العالمة مثل الشعر الذي دعمته مؤسسة القبيلة، والقرآن الذي دعمته مؤسسة الدعوة، والثقافة غير العالمة التي تشب وتنمو خارج المؤسسة - التي لا تؤطرها، ولا تراقبها إما سهوا وإما عمدا - ككتاب ألف ليلة وليلة وكتب السِّيَر، لِيَخْلُصَ إلى أن «أسباب ظهورها ليست واضحة، فلا يتضح لنا جيدا إلى أي حاجة ثقافية قد استجابت»[7]، مع العلم أن صاحب «المقامة العمانية» في مقدمة كتاب شرح مقاماته، يصرح بالأسباب الكامنة وراء ظهور هذا الفن الأدبي الذي يراه عبدالفتاح كيليطو متفردا في الثقافة العربية، مقارنة بثقافات الشعوب التي تبادلت معها علاقات التأثير والتأثر في مجال الشعر، خاصة - حيث يعزو الحريري نشأتها، بداية، عند مُعَلِّمِه، إلى «أنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلاّمة همذان (...) فأشار مَنْ إشارتُه حُكْمٌ، وطاعتُه غُنْمٌ، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الضالع شأو الضليع، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين، ونظم بيتا أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرُطُ الوهم، ويُسْبَرُ غور العقل، وتتبين قيمة المرء في الفضل»[8]، ويقصد الحريري بـ «صاحب الإشارة» وزير السلطان المسعود واسمه أنوشروان بن خالد، وقيل هو الخليفة، وقال بعضٌ غلامُ الخليفة. وينم هذا الإفصاح عن أسباب

نزول هذه المقامات عن دور المؤسسة السياسية في توجيه مؤسسة الأدب لانتشالها من ضحالة مخِلَّة آلت إليها، وقتذاك، بسبب انحسار أفق الشعر الذي ضاق نتيجة الإغراق في صنعة بلغت حد الابتذال والإسفاف.

إن القصد الأساس من تحول الأدب، خلال القرن الرابع الهجري، من مساحة الشعر إلى مساحة النثر قد حصل نتيجة اجترار مضامين وجماليات، وإمعان القصيدة العربية في تنضيد ألوان الصنعة وزخارف اللغة على صدورها وأعجازها. من ثم، كان على الإبداع أن يبحث له عن أطر جديدة حتى لا يموت، فوجد ضالته، وقتها، في النثر الفني الذي لم يسلم بدوره من التأنق البلاغي المستفيد من جهود التقعيد والتنظير التي بلورتها مشاريع النحويين والبلاغيين أمثال سيبويه، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن جني، وعبدالقاهر الجرجاني، والسكاكي، وأبي هلال العسكري، والجاحظ، وغيرهم كثيرون. بل إن الحريري ينتبه، من جراء الوضع المزري للشعر، إلى مسألة أساس تتعلق بتجديد الإقبال على الأدب، وذلك بواسطة تحويل هذا النوع من الكتابة إلى كون معرفي وثقافي يستجيب لحاجات مثقف القرن الخامس والسادس الهجريين، حيث بلغ الانفتاح الحضاري درجة من الثراء المادي، والهجنة اللغوية والفكرية.

يعترف الحريري بأنه قد سعى في مقاماته الخمسين إلى أن «تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية، والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية، مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحرث بن همام البصري، وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه، وتكثير سواد طالبيه»[9]. ويختتم بذكر قصده من هذه الكتابة التي رمى بها إلى التنبيه لا التمويه، والتهذيب لا الأكاذيب، والتعليم والهداية إلى صراط مستقيم. فهل غاب عن الباحث المغربي في أدب المقامات هذا التعليل الصريح، أم أنه يتقصى شيئا مغايرا ينتظر فرصة لاحقة لاستجلائه وتأويله؟

3 - الرأسمال السردي في «المقامة العمانية» .. السوق البلاغي والتداولات اللغوية

يرتبها الحريري في فهرست شرح مقاماته، كما الآتي: «المقامة التاسعة والثلاثون العمانية والصحارية. تتضمن ركوب أبي زيد البحر، وأنه كتب عزيمة الطلق للحامل فوضعت حملها»[10]، وبهذا الفعل تمنح مؤسسة الأدب هذا النص شهادة ميلاد، وتؤشر بذلك لدخوله فضاء الثقافة الرسمية. وما كان للكاتب أن يَسِمَ مقامة تحمل اسما مزدوجا، لو لم يكن للبلد عمان، وقلعته صحار حضور قوي خلال العصر الذي عاش فيه، وما سبقه من عصور ضاربة في القدم.

1 - نص المقامة(11)

حدّثَ الحَرِثُ بنُ همّامٍ قال لهِجْتُ مُذْ اخْضَرّ إزاري* وبَقَلَ عِذاري* بأنْ أجوبَ البَراري* وعلى ظُهورِ المَهاري* أُنْجِدُ طَوْراً* وأسْلُكُ تارَةً غوْراً* حتى فلَيْتُ المَعالِمَ والمجاهِلَ* وبلَوْتُ المنازِلَ والمَناهِلَ* وأدْمَيْتُ السّنابِكَ والمَناسِمَ* وَأنْضَيْتُ السّوابِقَ والرّواسِمَ* فلمّا ملِلْتُ الإصْحارَ* وقد سنَحَ لي أرَبٌ بصُحارَ* مِلْتُ إلى اجْتِيازِ التّيارِ* واختِيارِ الفُلْكِ السّيّارِ* فنقَلْتُ إليْهِ أساوِدي* واستَصْحَبْتُ زادي ومَزاوِدي* ثمّ ركِبْتُ فيهِ رُكوبَ حاذِرٍ ناذِرٍ* عاذِلٍ لنفْسِهِ عاذِرٍ* فلمّا شرَعْنا في القُلْعَةِ* ورفَعْنا الشُّرُعَ للسّرعَةِ* سمِعْنا منْ شاطئِ المَرْسى* حينَ دَجا الليلُ وأغْسى* هاتِفاً يقول يا أهْلَ ذا الفُلْكِ القَويمِ* المُزجّى في البحرِ العَظيمِ* بتقْديرِ العَزيزِ العليمِ* هل أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنجيكُمْ منْ عذابٍ أليمٍ* فقُلْنا لهُ أقْبِسْنا نارَك أيها الدّليلُ* وأرشِدْنا كما يُرشِدُ الخَليلُ الخَليلَ* فقال أتستَصْحِبونَ ابنَ سبيلٍ* زادُهُ في زَبيلٍ* وظِلّهُ غيرُ ثَقيلٍ* وما يَبغي سوى مَقيلٍ* فأجْمعْنا على الجُنوحِ إليْهِ* وأنْ لا نبْخَلَ بالماعونِ عليْهِ* فلمّا اسْتَوى على الفُلْكِ* قال أعوذُ بمالِكِ المُلْكِ* منْ مسالِكِ الهُلْكِ* ثم قال إنّا رُوِينا في الأخْبارِ* المنقولَةِ عنِ الأحْبارِ* أنّ اللهَ تَعالى ما أخذَ على الجُهّالِ أن يتعلّموا* حتى أخذَ على العُلَماء أنْ يعَلِّموا* وإنّ مَعي لَعوذَةً*عنِ الأنبياء مأخوذَة* وعِنْدي لكُمْ نَصيحةٌ* براهينُها صَحيحةٌ* وما وَسِعَني الكِتْمانُ* ولا مِنْ خيميَ الحِرْمانُ* فتَدَبّروا القوْلَ وتفهّموا* واعْمَلوا بما تُعلّمونَ وعلّموا* ثمّ صاحَ صيْحَةَ المُباهي* وقال أتَدْرونَ ما هيَ* هيَ واللهِ حِرْزُ السّفْرِ* عندَ مسيرِهِمْ في البحْرِ* والجُنّةُ منَ الغَمّ* إذا جاشَ موْجُ اليَمّ* وبها استَعْصَمَ نوحٌ منَ الطّوفانِ* ونَجا ومَنْ معَهُ منَ الحَيوانِ* على ما صدَعَتْ بهِ آيُ القُرآنِ* ثمّ قرأ بعْضَ أساطيرَ تَلاها* وزخارِفَ جَلاها* وقال ارْكَبوا فيها باسْمِ اللهِ مُجْراها ومُرْساها* ثمّ تنفّسَ تنفُّسَ المُغرَمينَ* أو عِبادِ اللهِ المُكرَمينَ* وقال أمّا أنا فقدْ قُمتُ فيكُم مَقامَ المبلِّغينَ* ونَصَحْتُ لكُمْ نُصْحَ المُبالِغينَ* وسلَكْتُ بكُمْ محَجّةَ الرّاشِدينَ* فاشْهَدِ اللهُمّ وأنتَ خيرُ الشاهِدينَ* قال الحَرِثُ بنُ همّامٍ فأعْجَبَنا بيانُهُ البادي الطُّلاوَةِ* وعجّتْ لهُ أصواتُنا بالتّلاوَةِ* وآنَسَ قلبي منْ جرْسِهِ* معرِفَةَ عينِ شمْسِهِ* فقلْتُ لهُ بالذي سخّرَ البحرَ اللُّجّيّ* ألسْتَ السَّروجيّ* فقال لي بَلى* وهلْ يَخْفى ابنُ جَلا* فأحْمَدْتُ حينَئذٍ السّفَرَ* وسفَرْتُ عن نفْسي إذ سفَرَ* ولمْ نزَلْ نسيرُ والبحرُ رهْوٌ* والجوّ صحْوٌ* والعيشُ صَفوٌ* والزّمانُ لهْوٌ* وأنا أجِدُ لِلقِيانِهِ* وجْدَ المُثْري بعِقْيانِهِ* وأفرَحُ بمُناجاتِهِ* فرَحَ الغَريقِ بمَنْجاتِهِ* إلى أن عصَفَتِ الجَنوبُ* وعسَفَتِ الجُنوبُ* ونسَيَ السّفْرُ ما كانَ* وجاءهُمُ الموْجُ منْ كلّ مَكانٍ* فمِلْنا لهذا الحدَثِ الثّائِرِ* إلى إحْدى الجَزائِرِ* لنُريحَ ونستَريحَ* ريثَما تُؤاتي الرّيحُ* فتَمادَى اعْتِياصُ المَسيرِ* حتى نفِدَ الزّادُ غيرَ اليَسيرِ* فقال لي أبو زيدٍ* إنهُ لنْ يُحرَزَ جَنى العودِ بالقُعودِ* فهلْ لكَ في استِثارَةِ السّعودِ بالصّعودِ* فقلْتُ لهُ إني لأتْبَعُ لكَ من ظِلّكَ* وأطْوَعُ منْ نعلِكَ* فنَهَدْنا إلى الجَزيرَةِ* على

ضُعْفِ المَريرَةِ* لنركُضَ في امتِراء المِيرَةِ* وكِلانا لا يملِكُ فَتيلاً* ولا يهتَدي فيها سَبيلاً* فأقْبَلْنا نَجوسُ خِلالَها* وَنَتَفيّأُ ظِلالَها* حتى أفْضَيْنا إلى قصرٍ مَشيدٍ* لهُ بابٌ منْ حَديدٍ* ودونَهُ زُمرةٌ من عَبيدٍ* فناسَمْناهُمْ لنتخِذَهُمْ سُلّماً إلى الارتِقاء* وأرشِيَةً للاستِقاء* فألْفَيْنا كلاً منهُمْ كَئيباً حَسيراً* حتى خِلْناهُ كسيراً أو أسيراً* فقُلْنا أيتُها الغِلْمَةُ* ما هَذي الغُمّةُ* فلمْ يُجيبوا النّداء* ولا فاهوا ببَيْضاء ولا سَوْداء* فلمّا رأيْنا نارَهُمْ نارَ الحُباحِبِ* وخُبرَهُمْ كسَرابِ السّباسِبِ* قُلْنا شاهَتِ الوجوهُ* وقبُحَ اللُّكَعُ ومَنْ يرْجوهُ* فابتَدَرَ خادِمٌ قد علَتْهُ كَبْرَةٌ* وعرَتْهُ عبْرَةٌ* وقال يا قوْمُ لا توسِعونا سَبّاً* ولا توجِعونا عتْباً* فإنّا لَفي حُزنٍ شامِلٍ* وشُغْلٍ عنِ الحديثِ شاغِلٍ* فقالَ لهُ أبو زيدٍ نفِّسْ خِناقَ البَثّ* وانْفِثْ إنْ قدَرْتَ على النّفْثِ* فإنّكَ ستجِدُ مني عَرّافاً كافِياً* ووَصّافاً شافِياً* فقالَ لهُ اعْلَمْ أنّ ربّ هذا القصْرِ هوَ قُطْبُ هذِهِ البُقعَةِ* وشاهُ هذِهِ الرُّقعَةِ* إلا أنّهُ لمْ يخْلُ منْ كمَدٍ* لخُلوّهِ من ولَدٍ* ولمْ يزَلْ يستَكْرِمُ المَغارِسَ* ويتخيّرُ منَ المَفارِشِ النّفائسِ* إلى أن بُشّرَ بحمْلِ عَقيلَةٍ* وآذَنَتْ رقْلَتُهُ بفَسيلَةٍ* فنُذِرَتْ له النّذورُ* وأُحصِيَتِ الأيامُ والشّهورُ* ولمّا حانَ النِّتاجُ* وصيغَ الطّوقُ والتّاجُ* عَسُرَ مخاضُ الوضْعِ* حتى خِيفَ على الأصْلِ والفَرْعِ* فما فِينا مَنْ يعرِفُ قَراراً* ولا يطْعَمُ النّومَ إلا غِراراً* ثمّ أجْهَشَ بالبُكاء وأعْوَلَ* وردّدَ الاسترْجاعَ وطوّلَ* فقال لهُ أبو زيدٍ اسْكُنْ يا هَذا واستَبْشِرْ* وابْشِرْ بالفَرَجِ وبشّرْ* فعندي عَزيمةُ الطّلْقِ* التي انتشَرَ سَمْعُها في الخَلْقِ* فتبادَرَتِ الغِلمَةُ إلى موْلاهُمْ* مُتباشِرينَ بانكِشافِ بلْواهُمْ* فلمْ يكُنْ إلا كَلا ولا حتى برزَ مَنْ هلْمَمَ بنا إليْهِ* فلما دخلْنا عليْهِ* ومثَلْنا بينَ يدَيْهِ* قال لأبي زيدٍ ليَهْنِكَ مَنالُكَ* إنْ صدَقَ مقالُكَ* ولم يفِلْ فالُكَ* فاستَحضَرَ قلَماً مبْرِيّاً* وزبَداً بحريّاً* وزَعفَراناً قد دِيفَ* في ماء ورْدٍ نظيفٍ* فما إنْ رجَعَ النفَسُ* حتى أُحضِرَ ما التَمَسَ* فسجَدَ أبو زيدٍ وعفّرَ* وسبّحَ واستَغْفرَ* وأبْعَدَ الحاضِرينَ ونفّرَ* ثمّ أخذَ القلمَ واسْحَنْفَرَ* وكتبَ على الزّبَدِ بالمُزَعْفَرِ*

أيّهَذا الجَنينُ إني نصيحٌ *** لكَ والنّصحُ منْ شُروطِ الدّينِ
أنتَ مُستَعْصِمٌ بكِنٍّ *** وقَرارٍ منَ السّكونِ مَكينِ
ما تَرى فيهِ ما يَروعُكَ منْ إلـ *** فِ مُداجٍ ولا عدوٍّ مُبينِ
فمتى ما برَزْتَ منهُ تحوّلْـ *** تَ إلى منزِلِ الأذى والهونِ
وتَراءى لكَ الشّقاءُ الذي تلْـ *** قَى فتَبْكي لهُ بدَمْعٍ هَتونِ
فاستَدِمْ عيشَكَ الرّغيدَ وحاذِرْ *** أن تَبيعَ المَحقوقَ بالمظْنونِ
واحتَرِسْ من مُخادِعٍ لك يرْقيـ *** كَ ليُلقيكَ في العذابِ المُهينِ
ولَعَمْري لقدْ نصَحْتُ ولكِنْ *** كمْ نَصيحٍ مُشبَّهٍ بظَنينِ

ثمّ إنهُ طمَسَ المكتوبَ على غَفلَةٍ* ...* فلمْ يكُنْ إلا كذُواقِ شارِبٍ* أو فُواقِ حالِبٍ* حتى اندَلَقَ شخْصُ الولَدِ*لخصّيصَى الزَّبَدِ* بقُدرَةِ الواحِدِ الصّمَدِ* فامتلأ القصْرُ حُبوراً* واستُطيرَ عَميدُهُ وعَبيدُهُ سُروراً* وأحاطَتِ الجماعَةُ بأبي زيدٍ تُثْني عليْهِ* حتى خُيّلَ إليّ أنّهُ القَرَنيُّ أُوَيْسٌ* أوِ الأسَديُّ دُبَيسٌ* ثمّ انْثالَ عليْهِ منْ جَوائِزِ المُجازاةِ* ووصائِلِ الصّلاتِ* ما قيّضَ لهُ الغِنى* وبيّضَ وجْهَ المُنى* ولمْ يزَلْ ينْتابُهُ الدّخْلُ* مُذْ نُتِجَ السّخْلُ* إلى أن أُعطِيَ البحْرُ الأمانَ* وتسنّى الإتْمامُ إلى عُمانَ* فاكْتَفى أبو زيدٍ بالنِّحْلَةِ* وتأهّبَ للرّحلَةِ* فلمْ يسمَحِ الوالي بحرَكَتِهِ* بعْدَ تجرِبَةِ برَكَتِهِ* بلْ أوعَزَ بضَمّهِ إلى حُزانَتِهِ* وأنْ تُطلَقَ يدُهُ في خِزانَتِهِ* قالَ الحَرِثُ بنُ همّامٍ فلمّا رأيتُهُ قدْ مالَ* إلى حيثُ يكتَسِبُ المالَ* أنْحَيْتُ علَيْهِ بالتّعْنيفِ* وهجّنْتُ لهُ مُفارَقَةَ المألَفِ والأليفِ* فقالَ إليْكَ عني* واسْمَعْ منّي*

وارْحَلْ عـنِ الـدّارِ التـي	***	تُعْلي الوِهـادَ على القُنَـنْ
واهْـرُبْ إلى كِـنٍّ يَقـي	***	ولـوَ انّـهُ حِضْنا حضَـنْ
وارْبـأ بنَفسِـكَ أنْ تُـقـي	***	م بَحيـثُ يغْشـاكَ الـدَّرَنْ
وجُـبِ البِـلادَ فـأيُّهـا	***	أرْضـاكَ فاخْـتَرْهُ وطَـنْ
ودَعِ التّذكُّـرَ لـلـمَعـا	***	هِـدِ والحَنـينَ إلى السّكَـنْ
واعْلَـمْ بـأنّ الحُـرّ فـي	***	أوطانِـهِ يَلْقَـى الغـبَـنْ
كالـدُرّ في الأصْدافِ يُستزْ	***	رى ويُبْخَـسُ في الثّمَـنْ

قال حسبُكَ ما استَمَعْتَ* وحبّذا أنتَ لوِ اتّبَعْتَ* فأوْضَحْتُ لهُ مَعاذيري* وقلتُ لهُ كُنْ عَذيري* فعذَرَ واعتَذَرَ* وزوّدَ حتى لم يذَرْ* ثمّ شيّعَني تشْييعَ الأقارِبِ* إلى أنْ ركِبْتُ في القارِبِ* فودّعْتُهُ وأنا أشْكو الفِراقَ وأذُمّهُ* وأوَدُّ لوْ كانَ هلَكَ الجَنينُ وأمُّهُ*

2 - بورصة الحكاية وعُمْلة الرأسمال السردي

نَلتقِطُ ما اعتبره الحريري مطلبا لهذا النوع الأدبي، وهو: «تنشيط قراء المقامة، وتكثير سواد طالبيها»، اعتمادا على ما يوفره لهذه الممارسة الإبداعية من أدوات لغوية، ونصوص ثقافية تنبعث من الموروث الفكري والجمالي العربي، وذلك لاستجلاء التدابير التي ينبغي احترازها كلما ربَط فِعْلَ راوي مقاماته الحَرِثِ بن همام، وبطلِها أبي زيد السروجي بفضاء جغرافي ذي خصوصيات تحتِّم عليهما أخذ شروطه البشرية والزمنية بكثير من الاعتبار والاحتراس؛ فأسواق بغداد، مثلا، ليست هي مآدب سنجار، ولا كتيبة ساسان، ولا محكمة تبريز... إلخ. ويؤسِّس الرأسمال السردي لحكاية المقامة على ما يمكن تسميته: سَنَدَاتٍ، إن شئنا، بلغة التعاملات المالية:

2 - 1 - المكان وجدلية العلاقات

يدخل الراوي - منذ البداية - في حركة تجاذب مع مكان القصة الذي لقُوَّته، تَسَمَّى باسمه. فأحيانا يبدو معروفا ومألوفا، وأخرى يتراءى مجهولا غامضا. فإلى أي حد يستوعب أحدهما الآخر ويلتقط إشارته لتغدو خَزَّانا ثقافيا يُمَوِّن السرد، ويمنحه إمكانات الزحف في أي اتجاه يشاء؟

يوفر المكان للراوي مقوِّما أساسا للحكي. خارج المكان لا وجود للحكاية لا سردا، ولا وصفا، ولا حوارا. والراوي، لسانُ الكاتب وقِناعُه، لا يستطيع أن يهب المكان الواقعي حضورا بالفعل داخل العالم المتخيل للحكاية إذا لم يكن عارفا بخصوصياته وتفاصيله؛ فالحكي، من جهته، يسمح لبغداد، وسنجار، وعمان، والبصرة، وشيراز، وحلوان، والأهواز... بالوصول إلى المتلقي الواقعي عبر وسيط اللغة وعالم المتخيل، مما يثير أسئلة لديه، من قبيل: هل بغداد الواقع هي بغداد المقامة؟ هنا يحق لنا أن نتساءل: كيف يتنازع الراوي والمكان سلطة التأثير والتأثر: الأول، بحواسه ولغته ومنظوره، والثاني، بمعالمه وناسه وذاكرته؟ كيف يحذق الراوي في اكتشاف مُقَدَّرَات المكان لإثراء ما يقول سردا ووصفا وحوارا؟ وكيف يتمدد المكان كونا مطلقا تذوب في معالمه كل وقائع الحكاية؟ وكيف تتحول علاقتهما، من استشعار الوحشة والارتياب والحذر، في البداية، نحو الإحساس بالأنس والارتياح الذي يمنح السرد نَفَسا منتظِما حتى تبلغ القصة نهايتها؟

نستعرض مقامات الشيخ[12] فتتأكد لنا سلطة المكان: المقامة البلخية، والقزوينية، والساسانية، والموصلية، والسجستانية، والكوفية، والأذربيجانية، والجرجانية، والأصفهانية، والأهوازية، والبغدادية، والبصرية، والفزارية، والبخارية، والعراقية، والرصافية، والشيرازية، والحلوانية، والأرمنية، والنيسابورية... إلخ، ثم مقامات المُرِيد[13]: المقامة الصنعانية، والحلوانية، والدمياطية، والكوفية، والمعرية، والإسكندرانية، والدمشقية، والبغدادية، والمكية أو الحجازية، والمغربية، والسنجارية، والفراتية، والكرجية، والسمرقندية، والشيرازية، والملطية، والصعدية، والعمانية أو الصحارية، والتبريزية، والحلبية، والساسانية، والبصرية... إلخ، لنخلص إلى ما يلي:

● **أولا:** لا تتأكد قوة حضور المكان من خلال العناوين فقط، بل كذلك من خلال الدوائر الثقافية التي يُقَعِّرُها mettre en abyme داخل متن الحكاية، بكل ما ينعكس من هذا التقعير من خطوط، وظلال، وسراب أيضا (الصحراء! عمان! صحار! البحر! البر! الجزيرة! قصر الشاه)، ذلك أن «للمكان في المقامة إيقاعا خاصا حتى أن عددا من المقامين، سواء منهم المشارقة أو المغاربة يسمون مقاماتهم باسم المكان الذي تدور فيه أحداثها»[14]. وقد أورد عبدالله كنون نماذج لها، ليست بالوفرة الموجودة لدى المشارقة، لكن المكان يبقى مؤشرا دالا في جميع الأحوال[15].

● **ثانيا:** تكرار أمكنة بعينها، لدى كل من الشيخ والمريد في مقاماتهما، له تأويلاته الثقافية وأبعاده الحضارية.

ومادام السفر هو قبل كل شيء حركة في المكان، على حد تعبير عبدالفتاح كليطو[16]، فإن رصيدا من رأسمال السرد يخص المكان لذاته، حتى أن المقامة تتحول إلى وثيقة جغرافية أو تاريخية أو إثنوغرافية أو إثنولوجية، أو كلها مجتمعة، مطلبها في ذلك أن تجيب عن مجموع أسئلة وتأويلات لا تُفْهَمُ إلا من خلال عنصر المكان، ومؤشراته، وتفاصيله، وذاكرته، وعلاقاته، وامتداداته.

2 - 2 - صحار وجزائر البحر .. التجاذبات المجالية والثقافية

يستوقفنا، لغاية توثيقية طوبوغرافية، سؤال حول الجزيرة التي لاذ بها سارد المقامة وبطلها، يتعلق، أولا، بطبيعة علاقتها بصحار كنقطة انطلاق الرحلة، وبعمان كنقطة عودة. لقد شكل قصر حاكم بقعة الجزيرة أهم فضاء في الحكاية. وتمنحنا المشيرات الاجتماعية، والدينية، والثقافية التي حفل به كلام السارد مسافة مريحة لالتقاط القواسم المشتركة بين فضاءين يفصل بينهما البحر جغرافيا، لتجمعهما الثقافة رمزيا على مستوى المعتقد، والسلوك، والتواصل، وأسلوب العيش، والتمثلات الخاصة بنسق اجتماعي تتحكم فيه ثوابت حضارية كالدين، واللغة، والاقتصاد، والتقاليد، والأعراف، والأساطير، والخرافات... إلخ. ولتقصي هذه الغاية، نستعرض الاحتمالات التالية لتحديد هوية الجزيرة المذكورة في المقامة، وموقعها بالنسبة إلى مرفأ صحار.

● **الاحتمال الأول:** أن تكون الجزيرة واحدة من جزر «الديمانيات» التسع، كما تسمى حاليا، وهي تمتد ما بين شواطئ ولايتي «السيب» بمحافظة «مسقط»، وولاية «بركاء» بمحافظة جنوب «الباطنة»، مُسَوِّغُنَا في هذا أن مسافة العبور، وقتها على متن سفن شراعية، لم تكن بعيدة عن مرفأ صحار، كما ينم عن ذلك قول السارد: (وجاءهم الموج من كل مكان* فملنا لهذا الحدث الثائر* إلى إحدى الجزائر* لنريح ونستريح... فملنا إلى الجزيرة على ضعف من المريرة*).

● **الاحتمال الثاني:** أن تنتمي هذه الجزيرة إلى مجموع الجزر المنتشرة في الخليج العربي الفارسي دليلنا على ذلك قول السارد (اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة* وشاه هذه الرقعة*) بناء على كون كلمة «شاه» فارسية. وقد شرح الحريري «شاه»: بأنه بلغة العجم الملك، والمراد أنه رئيس هذه الجزيرة وكبيرها.

● **الاحتمال الثالث:** أن تكون الجزيرة ضمن سلسلة الجزر الممتدة بين بحر العرب وشواطئ أفريقيا التي امتدت إليها حضارة صحار مثل سوقطرى، وزنجبار، وشكلت مراكز تبادل حيوية لتجارة البضائع والعبيد والرقيق.

ومهما رجَّحنا كفة الاحتمال الأول، فإن المؤثرات الحضارية المتدفقة من قلعة عمان لا تحتبس عند حدود خط هذه الجزائر، بل تعدته، بفعل ريادتها في نشر الإسلام، إلى تخوم بعيدة في بلاد الهند والصين وأقصى القرن الأفريقي، حيث انتشر أسلوب العيش العماني بدءا من تفاصيل الحياة اليومية، وانتهاء إلى نمط التفكير، والعبادة، والعلاقات العائلية، وتشييد المعمار، والترتيبات الطبقية، وإدارة المعاملات الاقتصادية، وتسيير أمور الحكم، وصيانة حدود الدولة.

3 - 2 - فصاحة العملاء

اللغةُ، أيًّا كانت تَحَقُّقاتُها، لسانيةً أم إِشاريَّة، عملةٌ حاسمة داخل سوق التواصلات، هنا، تتحول إلى غاية داخل بورصة الحكاية؛ فالراوي القادم إلى صحار، يسبقه إليها أرب لم يفصح عنه (فلما مللت الإصحار* وقد سنح لي أرب بصحار* ملت إلى اجتياز التيار*)، يعي جيدا أن مِثْل هكذا فضاء، منفتح، ومتجدد، ومتجاذِب بكثرة أقوامه، واحتدام نشاطه من تصدير واستيراد، وعرض وطلب، وبيع وشراء، لا مكان فيه للمتهاون المتراخي، ولا للبليد الساذج، ولا لمن يعاني ضيق ذات اللسان وعجز البيان. اللغة تفتح المنافذ وتجلب الثروات، إنه منطق سوق تنفتح على أكثر من قارة، وعلى أكثر من بحر، وتمتد قوة نسقها الثقافي إلى الجزر المتناثرة على مقربة أو مبعدة منها في محيط لجي تقرِّب أشرعة مراكبه، وسواعد بحارته، وأغانيهم، ودعواتهم... البعيد وتُبْعِد القريب. تصير اللغة صناعة وظرفا وحذقا، والبطر بالفرص نباهة وسبقا (فناسَمْناهُمْ لنتخِذَهُمْ سُلّماً إلى الارتِقاء* وأرشِيَةً للاستِقاء*)، واقتناص الشركاء فنا ومنطقا، والمبادرة إلى النُّهْزَة ذكاء، وسرعة البديهة دهاء حتى لا يقتنصه سماسرة البضاعات ومريدي الحكايات. إنها صحار المرفأ التي سيحط الحرث بن همام[17] رحاله فيه قبل أن يركب البحر، ويصادف أبا زيد السروجي، على ظهر فلك سيار، يحترف الحكي والاكتداء بـ «سَنَدَاتِه» أو «أسهمه» اللغوية والبلاغية، كما سبق أن قلنا، من وجهة النظر المالية.

4 - 2 - السوق وجودة البضاعة

تحتدم المنافسة بين عارضي السلع من جهة، والسماسرة والوسطاء، من جهة ثانية؛ فصحار سوق تجاري كبير متنوع ومتجدد تتفاوت جودة بضاعته لتستجيب إلى طاقات شرائية متفاوتة بالدرجة الأولى، مادامت التراتبية الاجتماعية تصنف الناس إلى زبناء ميسورين وآخرين أقل يسرا. ومهما اختلف هؤلاء الزبناء في قدراتهم المالية، أو في أذواقهم الشخصية، فإن البضاعة الجيدة تبقى، بالنسبة إلى الجميع، ما يمكننا تسميتُه: «أَعَزَّ ما يُطلَبُ»، سواء للذي يستطيع اقتناءها، أو للذي يعجز عن ذلك. وبالتالي، تعيش «البضاعة الجيدة» في رغبات العاجزين حلما مؤجلا، أو إحساسا بالقهر والغبن الذي يخلق نوعا من العقد الاجتماعية، والأحقاد الدفينة بين الطبقات. وفي أحسن

الأحوال، يجتهد الوعي ليقبل التمايز المادي، ويرضى بالمُقَدَّر من الرزق، فيحوِّل هذه الرغبة إلى حُكْمٍ: «كم حاجة قضيناها بتركها». هذه هي سمة المناخ الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي الذي تراجع خلال تفكك الدولة العباسية عن مبادئ العدالة الاجتماعية، فانعكست آثار نفسية وسلوكية سلبا على مناخ المعاملات بين الناس.

فإذا كانت البنية التحتية لحاضرة صحار تنهض على آلة اقتصادية لا تتوقف رحاها: الملاحة التجارية المفتوحة على العالم، والغوص لاستخراج ثروات البحر، والعِدانة الرائجة لاسيما النحاس، فإن البنية الفوقية لن تكون، في هذه الحالة، سوى انعكاس لمعايير القوة الاقتصادية. فالسروجي[18]، القادم إلى صحار من البر - كما هي حال الحرث - من حواضر تشبهها، أو تفوقها أو تقل عنها رواجا وانفتاحا، مثل صنعاء اليمن، وبصرة العراق، وإسكندرية النيل، وأهواز الفرس... لا يُعْذَرُ، قطعا، عن جهله أدبياتِ التواصل، ومطالبَ خطابٍ يُرسله على ظهر مركب لا يمتطيه البدو، أو المزارعون، أو باعة الأسواق وأصحاب الحرف التي ينبض بها مركز صحار، من يقنعون بالعيش البسيط، وإنما سيجد نفسه وجها لوجه مع من يركبون المغامرة؛ لأن في جسد كل واحد منهم نَفَسٌ من روح السندباد الذي تعتبر عمان وطنه وموئله حين يحن إلى البر، ومخرجا له حين يعاوده عشق الرحيل، وتلوِّح له المرافئ البعيدة والتخوم المجهولة حيث الجزائر البكر، وأناشيد الحوريات، وأسرار الصدف والمرجان المسترخية في ثنايا الخلجان.

السروجي كائن نفعي ويقظ بالقوة وبالفعل، هكذا تمنحه مقامات الحريري بطاقة هوية يتحرز، دوما، في الإدلاء بها لأي كان، بل إنه يمعن في محو كل الآثار الموصلة إلى التعرف عليه، لكن الحرث الذي يعيش معه كظله يستطيع كشف هوية بطله عبر بصمات لغته؛ فبقدر ما يوغل السروجي في استعمال لغة مُمَوِّهَة، بقدر ما تتحول إلى مقلب فاضح يسرِّع لحظة تعريته أمام الراوي وجماعة المقامة، فهل نطمئن إلى لعبة الأقنعة التي يستعرضها، ابن همام، ليوهمنا بأنه لم يكن يعرف شخص السروجي قبل أن يتكلم؟ وهل صعد بطله متخفيا بلباسه وهيئته، لغرض يضمره، ولم يتعرف عليه إلا حين أطلق للسانه العنان مستجديا رحلة مجانية من أصحاب المركب؟ (فلمّا شرَعْنا في القُلْعَةِ* ورفَعْنا الشُّرُعَ للسّرعَةِ* سمِعْنا منْ شاطئ المَرْسى* حينَ دَجا الليلُ وأغْسى* هاتِفاً يقول يا أهْلَ ذا الفُلْكِ القَويمِ* المُزجّى في البحرِ العَظيمِ* بتقْديرِ العَزيزِ العليمِ* هل أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنجيكُمْ منْ عذابٍ أليمٍ* فقُلْنا لهُ أقْبِسْنا نارَك أيها الدّليلُ* وأرشِدْنا كما يُرشِدُ الخَليلُ الخَليلَ* فقال أتستَصْحِبونَ ابنَ سبيلٍ* زادُهُ في زَبيلٍ*وظِلّهُ غيرُ ثَقيلٍ* وما يَبغي سوى مَقيلٍ*).

يتراكب المُظْهَرُ l'explicite والمُضْمَرُ l'implicite في خطاب المكدي لغاية في نفسه، فاللغة مُشْتَغَلٌ عليها منذ أول جملة: معجما، وإيقاعا، ومسافة، ودلالة، ومقصديات. يفترض السروجي

مخاطَبَه عارفا بصنوف البضاعات، متداولا أنواع الخطابات، لأن المرفأ، في اتجاه البر، منتهاه السوق والجامع المتمركزين بقلب المدينة - القلعة، حيث تتأكد اللغة في كليهما، عملةً رائجة للاستقطاب من أجل تحقيق التوازنات الاجتماعية، وفي اتجاه البحر، يبدو لا حد له، فهو مفتوح على الأقوام واللغات والعادات والمفاجآت... لهذا فالذين يمتطون المراكب ناس يقظون مَنْذُورُون للتجربة والمغامرة، ويستدعي الدخول إلى دائرتهم الانتباه إلى كل شاذة وفادة حتى يحصل القبول والتجاوب والتواؤم. لهذه الغاية، يستنفر السروجي يقظته كي يستعمل اللغة المناسبة في الوضعية التواصلية المناسبة، لذلك يشحذ لسانه لينتقي أقرب السبل إلى قلوب هؤلاء المُقْدِمين على رحلة بحرية محفوفة بالمخاطر، ويتسرب بكلامه إلى أغوار نفوسهم المتوجسة مما يعتمل في عمق اللُّجِّيِّ، فالقلق، والخوف، يرافقهم دوما، من حركتيْ مَدٍّ وجَزْرٍ يمكن أن يخبئا لهم مفاجآت غير سارة. في مثل هذا الموقف يستعين بمدخراته الدينية، ويفك عقال سجلاته اللغوية ذات العلاقة ليشيع الأمن في نفوسهم، ويقوي إيمانهم بالله القادر وحده أن يَمُنَّ بالسلامة على رحلتهم؛ ففي كلامه ظلال من قصة نوح عليه السلام (يا أهْلَ ذا الفُلْكِ القَويمِ* المُزجّى في البحرِ العَظيمِ* بتقْديرِ العَزيزِ العليمِ* هل أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنجيكُمْ منْ عذابٍ أليمٍ*... وبها استَعْصَمَ نوحٌ منَ الطّوفانِ* ونَجا ومَنْ معَهُ منَ الحَيوانِ*على ما صدَعَتْ بِهِ آيُ القُرآنِ*)؛ لينتقل من هذا الخطاب الذي استهدف عواطف السامعين ومعتقدهم الإسلامي الفطري، إلى خطاب أقوى يرتقي إلى مستوى المعرفة العالمة بالدين، وذلك حين اطمئن إلى فعالية خطابه الأول (فأجْمعْنا على الجُنوحِ إليْهِ* وأنْ لا نبْخَلَ بالماعونِ عليْهِ* فلمّا اسْتَوى على الفُلْكِ* قال أعوذُ بمالِكِ المُلْكِ* منْ مسالِكِ الهُلْكِ* ثم قال إنّا رُوينا في الأخْبارِ* المنقولَةِ عنِ الأحْبارِ* أنّ اللهَ تَعالى ما أخذَ على الجُهّالِ أن يتعلّموا* حتى أخذَ على العُلَماء أنْ يعَلِّموا*). يواصل السروجي كلامه حتى يبلغ من شأوه ما يتوخاه ليبهر سامعيه ويفتنهم. إن اللغة، بين شدقيه، مراوغة وفاتنة، وفتنتُها تأخذ، عبر حركتها، تلوينات ثلاثة:

أ - **اللغة الزئبقية** التي لا يمكن القبض عليها في نقطة محددة؛ لأن شخصية السروجي متحولة في المكان وفي الزمان بحثا عن النهزة، فلغته بداية صعوده المركب عرفت تحولات عدة، وحين ضربت العاصفة الفُلْك السيَّار وطوحت بأصحابه إلى جزيرة غفل anonyme (لا اسم لها في نص المقامة لغاية أرادها الحريري) صار لمَنْطوقِه وضعا آخر سيتغير، حتما، حين يدخل قصر الوالي في صورة عرَّاف ناصح، لكنه يضمر في داخله كل صنوف الاحتيال والمكر وسوء النوايا، وبالرغم من كل ذلك، سينجح في شعوذته لينعم فيه بعلو شأن وجلال قدر.

ب - **اللغة الحربائية**، يبقى جسد اللغة هو ذاته لكن لون بشرتها لا يفتأ يتغير عبر تحوُّل سجلاتها، ويتلون بيانها في استجابة مَرِنَة ومِطْواعَة لما يعِنُّ له من مكاسب قريبة أو بعيدة تمليها

عليه يقظته كمحترِف لغوي، وكسمسار بلاغي. فلا غرابة، إذا، أن تتلاحق في خطابه لغة البسطاء، والأتقياء، والعلماء، والأنبياء، والشعراء، والحكماء، والعرافين، والديبلوماسيين، والمنبوذين، واللاجئين.

جـ - اللغة السُّلافَة، هي اللغة العُصَارَة. لغة منتقاة ومفكَّر فيها بحذق وعناية. إنها نوع من التسامي الرمزي لتعويض الانحدار الواقعي في ترتيب الطبقات، والضيق المالي وسط بذخ النخب. من هذا المنطلق تتحول اللغة إلى رهان حتمي لا يفتأ السروجي يركبه ليرتقي به طبقيا إلى مصاف السراة، ويبرز به أمام والي الجزيرة واحدا من علية القوم، وفاعلا ديناميا في تحريك البنية الفوقية بلغته التي يريدها أن تكون، في نهاية الأمر، وعاء نفيسا ومرنا يطاوع فكره المتحول باستمرار؛ فالسروجي ينتج خطابا قويا يتداخل فيه المقدس بالمدنس مادام الواقع الإنساني ليس مثالا. إنه في حاجة إلى هذا وذاك، إلى الشيء ونقيضه. فهو عارف كلام الله، عالم بالأخبار وكلام الأحبار، جامع قصص الأنبياء، وأساطير القدماء، مالك أسباب العرافة والرُّقْية، كيميائي يحيط بتفاعلات مواد تبدو غريبة في تركيبتها: حبر من مسحوق الزعفران الذي تطلبت وصفة الشعوذة أن يُضَمِّخَهُ بعبير، ومائة جرعة من تِفاله ذي البَرَكَة كما يدعي كثير من المشعوذين. والسروجي رجُلُ مناظرة أيضا، فهو يُحَاجِجُ بالمنطق والبراهين، وصاحب قريض متمكن من الأعاريض، ورَبُّ بيان ضليع في المعجم والأساليب... بهذه الملكة اللغوية لا يكتفي السروجي بمنح «نفسه هذه الكبرياء التي يرتفع بها الإنسان فوق السوائم»[19]، كما يقول نيتشه Nietzsche، بل يرتفع بها عن غيره من البشر الذي يفتقرون إلى ما لديه من مقدرات لغوية تخلِّصه من دائرة الرّعاع وأراذل القوم. فكيف تصير اللغة ثروة لدى من لا رأسمال له؟ وكيف تفتح في وجهه فرص للاستثمار وتغيير خط سير حياة بكاملها؟ ألا يكفي أبا زيد السروجي أن يختار اللغة المناسبة للموقف المناسب حتى تفتح له أبواب الرزق، ومراقي الإجلال؟ كيف لا وقد بلغ بها منتهى مناه (ولمْ يزَلْ ينْتابُهُ الدّخْلُ* مُذْ نُتِجَ السّخْلُ* إلى أن أُعطِيَ البحْرُ الأمانَ* وتسنّى الإتْمامُ إلى عُمانَ* فاكْتَفى أبو زيدٍ بالنِّحْلَةِ* وتأهّبَ للرّحلَةِ* فلمْ يسمَحِ الوالي بحرَكَتِهِ* بعْدَ تجربَةِ برَكَتِهِ* بلْ أوعَزَ بضَمّهِ إلى حُزانَتِهِ* وأنْ تُطلَقَ يدُهُ في خِزانَتِهِ).

تسري اللغة على اللسان لتبلغ الآذان، وهي في ذلك نقّالة فكر، وحَمَّالة أوجه، وخديمة غايات، مبلِّغةٌ ومؤثرةٌ. فوظائف اللغة منذ أن تناولها أرسطو - من خلال جمعه بينها وبين الفكر، حتى لَيَمْنَحَها ميزة تتمثل في أن «كل تأثير عن استعمال اللغة يندرج تحت «الفكر». ويَدخل في ذلك: البرهنة، والتفنيد، وإثارة الانفعالات (كالشفقة، والخوف، والغضب، وما شابه ذلك)، وكذلك جعل الأمور تبدو مضخَّمَة مهمة، أو تافهة منتقصة»[20]، إلى حدود ما صاغته ألسنية فرديناند دو سوسير F. De Saussure ورومان جاكبسون R. Jackobson للشعرية من مفاهيم تتصل بمختلف العوامل الثابتة في التواصل الكلامي (السياق، والمرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والنظام،

والاتصال)؛ إذ يسهم «كل عامل من هذه العوامل الست يولد وظيفة لغوية مختلفة: المرجعية، والاتصالية، والميتالغوية، والتعبيرية، والانفعالية، والشعرية»[21]، تتجه كلها نحو تثبيت سلطة اللغة صياغةً وإلقاءً.

يدخل احتراف السروجي «ضروب النُّطْق»؛ إذن، فيما يسميه أرسطو Aristote «فن الإلقاء»، وما يوظفه «مُحْتَرِفُوه» من ابتهال، وخبر، وتحذير، واستفهام وجواب[22]. ويصل بنا هذا التتبع المختزل لوظائف اللغة إلى كونها، من وجهة نظر أنثروبولوجية مغايرة، هي الصانعة الحقيقية للحضارة، والعامل الجوهري في التحول من حال الطبيعة إلى حال الثقافة، وهذا ما حذا بكلود ليفي شتروس Claude - Levis Strauss أن يضع «الخط الفاصل بين الثقافة والطبيعة لا في صناعة الأدوات، بل في اللغة المنطوقة. وكيان الثقافة يقوم في هذا»[23]. إن تأكيده على «اللغة المنطوقة» أي المنجَزة، تلك المتحولة من دائرة «الوجود بالقوة» إلى دائرة «الوجود بالفعل»، كتلك التي تجري على لسان كل من الحرث بن همام بوصفه الأنا المساعدة le moi - auxiliaire لأبي زيد السروجي، هو ما يؤهل الرأسمال السردي المرتكز على اللغة، إلى الاستثمار الثقافي لامتدادات مجتمع صحار، وذلك عبر ما يسميه روبول O. Reboul «التكييف الأيديولوجي للغة» الذي يقتضي من المتعامل بها الاجتهاد من أجل ألا يفلس في مشروعه، ويتبدد رأسماله اللغوي لأنه لم يقم بدراسة قَبْلِيَّة لمشروع الاستثمار هذا، حتى يتلافى احتمالات الفشل، ويعزز إمكانات النجاح، كل هذا لأننا «لا نتكلم كما نريد، إذ إن بعض الإكراهات تثقل كاهل لغتنا، ومع ذلك فهي ليست إكراهات لسانية... ولكن هناك إكراهات تنتمي إلى المستوى الاجتماعي»[24]، وبالتالي، فإن اللغة ليست محض واقعة لسانية منفصلة عن الواقع، ولكنها بنياتٌ لسانيةٌ مشروطٌ تَحَقُّقُها، وحدوث أثرِها بولوجِها مجالَ الاتصال الاجتماعي، ومجال الثقافة عموما، الأمر الذي يخوِّل انتقال تناولها من علم اللسانيات إلى فلسفة اللغة[25]، من منظور بول ريكور P. Rico eur.

4 - الولوجيات الاجتماعية والثقافية عبر الرأسمال السردي للمقامة العمانية

الجسارة باللغة داخل رقعة الحكي لرسم خطة الاكتداء يخفي نوعا من العنف المضمَر حيث تحوله وظائفها إلى ضرب من الحرب الناعمة Soft power ضد الفقر، والتهميش، والمهانة، وغياب الاستقرار، والقهر الاجتماعي. الجسارة باللغة تُطوِّعُ العقبات، وتُولِجُ الغريب العتبات لتُفْتَحَ في وجهه الأبواب الموصدة. يكفي السروجي أن تكون هذه اللغة رفيقا له ليوغل في المجاهل. معها وبها، لا شيء يرهبه أو يُثْنيه عن عزمه. إنها مُنَشِّطٌ يتعاطاه في سباق رزق لا يفتر، ولا يلين، ولا ينتهي. الجسارة باللغة استراتيجية لمغامرةٍ تجعله لا يخسر شيئا، لأنه لا يملك شيئا يمكن أن يخسره

يوما. الفاقة تتحول إلى شجاعة رمزية لا تقل عن شجاعة السندباد الجسدية والذهنية. لغة السارد ولغة البطل في المقامة إجراء ثوري، وخارطة طريق نحو قلب المواقع والأدوار كما تؤكد نهاية الحكاية.

1 - الرأسمال السردي .. أبو زيد السروجي ملِكا

ينعم بطل المقامة بسلطة تخطيط الأفعال، وتدبير الوقائع، وترتيب التوقعات، وجعل الانتظارات أكثر تفاؤلا. إنه كائن براجماتي يتغذى احتياله من وعي ذكي بالذات وبالعالم، لذا يختار أن يبني سلطته على مباشرة الإنجاز الفعلي للأفكار، والمواقف، والفرص - التي قد لا تواتيه أبدا إن فرَّط فيها - بواسطة لغته ولا شيء غير اللغة، فهو يشتغل بالفعل الكلامي الذي يخدم استراتيجية الاستثمار الثقافي، فتارة ينادي ويسأل، وأخرى يسرد ويصف، وثالثة يصيح ويغري، ورابعة يتنفس ويقرأ، وخامسة يُنْذِرُ ويأمر... هكذا يبدو السروجي متمكنا من الوضع التواصلي الذي يكتفي فيه السامعون باستحسان ملفوظِهِ، والاستجابة لمطالبه، وتحقيق نواياه من غير استفسار ولا اعتراض «وعجّتْ لهُ أصواتُنا بالتّلاوَةِ* وآنَسَ قلبي منْ جرْسِهِ* معرِفَةَ عينِ شمْسِهِ* فقلْتُ لهُ بالذي سخّرَ البحرَ اللُّجّيّ* ألسْتَ السَّروجيّ* فقال لي بَلى* وهلْ يَخْفى ابنُ جَلا* فأحْمَدْتُ حينَئذٍ السّفَرَ* وسفَرْتُ عن نفْسي إذ سفَرَ*»، محيلا بذلك إلى قول سحيم بن وثيل:

أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنايا * مَتَى أَضَعُ الْعِمامَةَ تَعْرِفُونِي**

حتى يُمعن في إبهارهم بشخصه، مستفيدا من الذاكرة الشعرية القَبَلِيَّة التي خلقت صورا مُفَخَّمة، إن لم نقل أسطورية لمعاني الشجاعة والبطولة، حيث يحرص الخيال العربي على استعادتها واستثمار إحالاتها كلما استدعت الحاجة ذلك. وسحيم هذا «كان صاحب غارات يطلعَ فيها من ثنية الجبل على قومْه. قال ثعلب: العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. وقال ابن الأعرابي: يقال للسيد ابن جلا»[26].

ينتقي السروجي مُدخلاته المريحة عبر بوابة الدين ليسهل عليه العبور إلى قلوب سامعيه. فما يروم هذا المحتال هو الظفر منهم بكل ما يخدم مصلحته بدءا من سفر شبه مجاني - لأنه سيفيدهم، مقابل ذلك، بالترفيه عنهم بظرفه ودلهم على الطريق - إلى الفوز بخزائن صاحب القصر؛ فالمَعِينُ القرآني خير مُعِين له في رحلته الشاقة حين تقوده مطامع الاكتداء إلى مآزق السفر. من ثم، لم يكتف بالتعلق بأهداب لغة القرآن حتى لَيَبْلُغَ بها قلوب سامعيه مبلغا قويا لرسوخ المعتقد الإسلامي فيه، ويصرفهم بالتالي، عن أي تفكير متجرد ينقض مخططاته، بل يقفز على حبل آخر أكثر دقة، وغموضا، وإثارة: الأسطورة، حبل آخر يمارس عليه السروجي بهلوانيات الفتنة، والأخذ بألباب سامعيه حتى تتقطع أنفاسهم. إن فعل السلب لديه، بصفته كَدَّاءً محتالا، يبدأ من خلب العقول

وينتهي إلى نهب الجيوب بأسلوب لبق لا تُضبَطُ فيه بصماته كسارق متلبس، فهو يستجمع، لهذا الغرض، كل عناصر الفتنة والإذهال التي تبهر هذا الصنف من المخاطبين؛ فكلما ذُكِرت الأسطورة في النسق العربي تسارعت إلى الفهوم عناصر غامضة، وفاتنة، وعصية على الإدراك. ونتناول الأسطورة هنا بمفهوم ميرسيا إلياد Mircea Eliade الذي يعرفها بأنها قصة حدثت في الزمن الأول، زمن البدايات، لا بالفهم الخاطئ الذي يعتبرها كذبا وأباطيل. ولا يُفرِّط السروجي في حبل ثالث، يحدس قوته ومتانته الموصلة، تواًّ، إلى نفوس أصحاب القصر ممن اعتراهم الهلع واليأس من هلاك الحامل والجنين. هذا الحبل تنسجه أكاذيب العِرافة وأخلاط الشعوذة. لذا يستهدف - بناءً على ما يملك مخاطبوه من تمثلات حول هذه المعتقدات المتنازَعة بين عالمين فيزيقي وميتافيزيقي - التغلغل في بواطنهم، وفي لاوعيهم، وفي أحلامهم، أي في المناطق القصية والمظلمة في ذواتهم.

يبدو السروجي محلِّلا نفسانيا لحالة الاكتئاب والحَصَر النفسي للشاه وحُزَانته، واعيا بأن تمثلاتهم حول الإيمان بالله، وبالقدر خيره وشره، وبالسحر، والخرافات، والشعوذة، والكرامات... تتمازج وتتعايش فيما يشبه الهيولى داخل كيانهم الفردي والجمعي. وتبلغ هذه العناصر المتنافرة - من حيث كثافتها، وانفلاتها، وتداخلها - درجة التباس حتمي وأزلي تؤدي، تحت غواية اللغة المُطَرَّزَة، إلى «تغييب العقل وتغليب الوجدان، وهذه أخطر الحيل البلاغية والشعرية، وجرى عبرها تمرير أشياء كثيرة لمصلحة التفكير اللاعقلاني في ثقافتنا، وفي تغليب الجانب الانفعالي»[27].

2 - الرأسمال السردي .. الحَرث بن همام بَيْدَقا

هكذا يختار موقعه في هذه الرحلة (فقلْتُ لهُ إني لأتْبَعُ لكَ من ظِلّكَ* وأطْوَعُ منْ نعلِكَ*)، يكتفي الراوي بأن يشتغل في الظل، ويهيأ لبطله حيازة مفاتيح مقاولة اللغة، وأرقامها السرية، ورموزها. ينساب سرده رصينا مهادنا، يجنح إلى الوصف، ويغالي في التفصيل تحضيرا للفعل الآتي عبر تنامي الحكاية. يتراجع السروجي إلى الخلف لينبري الحرث إلى وصف أقواله وأفعاله بدلا منه، ذلك أن مهمته تقتضي منه التركيز على ما هو أهم، فلْيَتَكَلَّفِ الراوي بتهييء أجواء الفعل، لأنه بحكم المرافقة والعشرة الطويلة يعلم جيدا أن بطله مشغول بمخططات الاحتيال والنصب، وابتداع الغريب من وسائل الكسب. من مهام الراوي أيضا أن يقوم بتغطية إعلامية لما يجري على المركب، وفي البحر خلال العاصفة، وأخيرا في الجزيرة التي ستشهد طالع سعود السروجي حين نجح، مصادفة، في تيسير وضع زوجة الحاكم بعد عقم طويل ومخاض عسير (فامتلأ القصْرُ حُبوراً*واستُطيرَ عَميدُهُ وعَبيدُهُ سُروراً* وأحاطَتِ الجماعَةُ بأبي زيدٍ تُثْني عليْهِ* وتُقبّلُ يدَيْهِ* حتى خُيّلَ إليّ أنّهُ القَرَنيُّ أُوَيْسٌ* أوِ الأسَديُّ دُبَيسٌ* ثمّ انْثالَ عليْهِ منْ جَوائِزِ المُجازاةِ* ووصائِلِ الصّلاتِ* ما قيّضَ لهُ الغِنى*وبيّضَ وجْهَ المُنى* ولمْ يزَلْ ينْتابُهُ الدّخْلُ* مُذْ نُتِجَ السّخْلُ*). يقبل الراوي بهذه

الخدمة لأن السروجي عِلَّةُ وجوده الأولى والأخيرة: هو الرفيق في الحِلِّ والسفر، ومانح السرد الروح والجسد. توقف السروجي عن مشاريع الاكتداء يُدْخِلُ الحَرِثَ في بطالة غير مؤداة الأجر، لا محالة.

فعلى مستوى الصناعة اللغوية والأفنان البلاغية، حسبنا ما أقر به الحريري نفسه في مقدمة كتابه، ووقفنا عنده في سياق مناقشة سؤال عبدالفتاح كيليطو المتعلق بغموض القصد من إبداع هذا النوع المائز والفريد من النثر الفني في الثقافة العربية.

يؤكد الاشتغال البلاغي، في النص، ما يذهب إليه كثيرون من اعتبار النثر أصلا والشعر فرعا، مُعْتَدِّينَ في رأيهم هذا بحجج آتية من دائرة المقدس، فجميع الكتب السماوية نزلت نثرا: الكلام الرباني منثور، وهو الأصل والمثال، والكلام الإنساني مهما كان منثورا أو منظوما فإنه يبقى محض محاكاة للغة المثال. لكن، في ظل هذا الترتيب، يحق للنثر أن يترفع عن الشعر لأن الآصرة بينه وبين اللغة الربانية أقرب وأوثق.

تنكشف تجليات هذه الآصرة في «المقامة العمانية - الصحارية» فيما تسترفد لغتها من مَعين النص القرآني: قصصا، ومعجما، وأساليب، ونبرات دَعَوِيَّة تنبض بها أفعال الكلام الجارية على لسان السروجي (وبها استَعْصَمَ نوحٌ منَ الطّوفانِ* ونَجا ومَنْ معَهُ منَ الحَيوانِ* على ما صدَعَتْ بِهِ آيُ القُرآنِ* ثمّ قرأ بعْضَ أساطيرَ تَلاها* وزخارِفَ جَلاها* وقال ارْكَبوا فيها باسْمِ اللهِ مُجْراها ومُرْساها* ثمّ تنفّسَ تنفُّسَ المُغرَمينَ* أو عِبادِ اللهِ المُكرَمينَ* وقال أمّا أنا فقدْ قُمتُ فيكُم مَقامَ المبلِّغينَ* ونصَحْتُ لكُمْ نُصْحَ المُبالِغينَ* وسلَكْتُ بكُمْ محَجّةَ الرّاشِدينَ* فاشْهَدِ اللهُمّ وأنتَ خيرُ الشاهِدينَ*). داخل هذا النسيج المطرَّزِ بأحجار البديع من جناس، وطباق، ومقابلة، وسجع، وتورية، وإيجاز، وإطناب، تستعرض اللغة الْمُوَسَّعَةُ - التي أطلقها سيبويه على اللغة المجازية ذات النزوع الاستعاري، والتمويه الكنائي - مقدراتها الجمالية بكيفية تبين إلى أي حد يَسَعُ النثرُ الشعرَ، ويتزين بحليته، على خلاف هذا الأخير الذي يفقد قيمته إن هو تخلى عن الاختزال والتكثيف، وزَلَّت قدماه نحو البسط والتوسيع. من خلال هذا، تتبدى مقصدية خطاب السروجي التي تتمثل في العلاقة بين الذات والموضوع «بمعنى أن هناك توقا ونزوعا نحو الحصول على موضوع ذي قيمة، فهي - بهذا المفهوم - أساس كل عمل وفعل وتفاعل»[28].

5 - من ثقافة الحوار إلى حوار الثقافة

يخلق عنصر الحوار المسرود، والحوار المباشر داخل نص المقامة تجاذبا تتحول معه اللغة إلى بنيات فكرية تستعرض تمثلاتِ الشخوصِ لوجودَها، أولا، ثم للعالم المحيط بها بموجوداته التي تشكل لديها مركز اهتمام، ثانيا. والحاصل أنها تشيد منظورات تراوح وضعها بين الثبات

والتغير، وذلك وفق ما تمليه الظروف والمصالح كما يتجلى في منظور السروجي للوطن، وللانتماء، وللهوية، وللاغتراب... ردّا على طلب الحَرِث في العودة معا من حيث أتيا قبل ركوب البحر عبر مرفأ صحار. نتتبع سلوك البطل منذ أن وطئت قدماه مركبا لا يعرف أصحابه، ولا حتى وجهته، إلى أن تيسر له المُقَامُ المُشَرِّفُ في قصر الوالي، فنكتشف كفاءته العالية في الحوار، سواء مع أصحاب المركب، أو مع صاحبه الحرث، خصوصا مع عبيد القصر وعميده، وقدرته على امتصاص حواس مخاطَبيه حتى لا يمنحهم فرصة للاعتراض أو الحياد أو اللامبالاة، وسرعان ما يصير صاحبَ المبادرة والقرار، لأنه بكل بساطة يملك أسرار البلاغة، ويَنْظُمُ بحذق حبات عِقْدِ الحوار ويُحْكِمُ عَقْدَه. لا غرابة في ذلك إذن حين نسترجع تاريخ حياة هذا البطل فنكتشف أنه «كائن لغوي» يحيا بفنون القول، نثره وشعره، ويترافع باللغة الفصيحة في مستوييها الحقيقي والمجازي بتملك مكين لقواعد كل منهما.

تتبلور مهارة السروجي في الحوار باحتياطات لغوية وفيرة تحيل إلى حقول معرفية تتوالد بلا عناء، وتختلف إلى درجة التناقض كما هي الحال بين القرآن والعِرافَة. وتقتضي الوضعيات التواصلية التي تعاقبت - منذ صعد المركب إلى أن حَسَمَ، في حواره الشعري مع رفيقه، خيار بقائه في الجزيرة التي صارت له وطنا وموئلا لا يمكنه التفريط فيه - أَسْنَادا ثقافية متنوعة: القرآن، والسنة، والاجتهاد، والمنطق البرهاني، والأسطورة، والرُّقْيَةِ، والعِرَافَة، والكرامات، والشعر، والصيدلة، والكتابة (الخط) والكتابة (التَّميمَة).

يحشر السروجي هذه الأعضاء الثقافية داخل جسد المقامة، لا من أجل أن يحافظ كل منها على ماديته المستقلة، بل لتحوِّلَها مَشَارِطُ البطل، بفعل فَصْدِهَا لتسري دماء بعضها في بعض، إلى جسد جديد لا يمكن أن تدب فيه روح، ولا أن تنطلق فيه وظائف إلى بعد أن يصير وحدة متجانسة، يقبل فيها كل عنصر بوجود غيره من العناصر ويتفاعل معها، على الرغم من كون كل نص يملك مرجعيته الواضحة، ونسقه اللغوي الذي يتحدد عبر وظيفته، وانسجامه الخاص، ومطالبه الفكرية أو الاجتماعية، أو النفسية، أو الفلسفية الذي يسعى إلى تحقيقها.

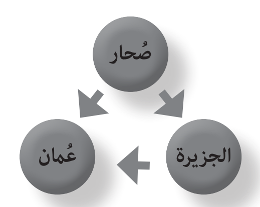
بهذه الموارد والعمليات، تتحاور هذه النصوص ثقافيا، لتُهَيْكِلَ المقامةَ تناصِّيا، فلا تنصهر هذه النصوص داخل جسد المقامة إلا بمحلول لغة السارد وبطل المقامة لِتُنَشِّطَ وظائفها الثقافية المنتظرة، على الرغم من التناقض الصارخ بين المقدس والمدنس اللذين يشكلان نسق النص الغائب في طياتها.



6 - منمنمة «المقامة العمانية» .. الواسطي والثقافة البصرية

نستعرض نص المقامة، كما ألَّفه الحريري، ونستطيع، بموازاة مع ما نقرأ، أن تخيل أحداث الحكاية، وشخوصها، بأجسادهم، وملابسهم، وصفاتهم، وسحناتهم، وهيئاتهم، وأمزجتهم، ومشاعرهم، ونواياهم... وفضائها الزماني والمكاني بتلاميحه المبثوثة عبر السرد، متسلحين في ذلك، أولا، بما تسمح به طاقتنا على التخيل الذي يفعل نشاطه على ترميم، وتحسين المعطيات الكائنة، والإبداع ضمنها، هذا الإبداع الآتي من المناطق الخفية فينا، كما يرى كارل جوستاف يونج Carl Gustave Jung، وذلك حين يحصل تنشيط المكبوتات اللاواعية بواسطة الخيال النشيط، ليس فقط عبر التمثيل المسرحي، بل بالرسم، والتشكيل، والنحت والموسيقى والرقص كذلك[29]؛ فخيال الواسطي الرسام المبدع، لا ينطلق من فراغ؛ لأن مكتوب المقامة يضع بين يديه ما يشبه الكانڤاه canevas، ويبقى له مُخَايَلَة ذلك المكتوب باللون، مستنفرا لذلك ما يختزنه الموروث الثقافي لصحار، خصوصا، وعمان، عموما، من معطيات مادية ولا مادية، منذ عصور ما قبل الميلاد حتى الفترة التي عاش فيها كل من الحريري والواسطي.

وهكذا يوجهنا التعامل مع مَصْدَرَيْ الدراسة: النص المكتوب (المقامة)، والنص المرسوم (المُنَمْنَمَة) Miniature نحو مسألة منطقية ترتبط بتوثيق ما ينبغي توثيقه حتى تقارب قراءتنا حقيقة الأشياء، ليس في متخيل الكاتب والرسام، فقط، ولكن في الواقع الجغرافي والحضاري الذي اختاره الأول، والتحق به الثاني ليقدما لنا حكاية فضاؤها واقعي يمكن تشكيله مِبْيَانِيّا، كما الآتي:



1 - الواسطي .. من جرأة التصوير إلى تعطيل الجدل المذهبي وكشف التابو الاجتماعي

بين القول بتحريم أو بجواز تصوير الجسد البشري، على وجه الخصوص، يتجه خطاب المالكية والحنفية والحنبلية والشافعية إلى صيانة صفة «المُصَوِّر» لله وحده. وإذا كان الجواز عند المالكية قد ارتكز على شرط ألا يكون الشيء المصوَّر من إنسان أو حيوان مما له ظلال، وألا يكون من صنف التجسيد، كما هي حال المنحوتات، أما إذا كانت الصورة مسطحة، أي غير ثلاثية الأبعاد 3D، بالمفهوم الهندسي فلا مانع منها. فإن الواسطي، في هذه المنمنمة، يبدو ممتثلا للشرط الديني من حيث اجتناب الأبعاد الهندسية الثلاثة (س، ي، ز x, y, z)، أي الطول، والعرض، والسمك، لكن الذي تتجاوزه المنمنمة - تبعا لمنطق التحريم والجواز عند أصحاب هذه المذاهب - يبدو أشد جسارة من مسألة البعد الثلاثي، وهو عنصر شديد الحساسية في الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن الدين قد ترسخ في النفوس وفي المعاملات، بل إنها تستجيب لمطالب فنية يقتضيها هذا النوع من الرسم على الورق الذي يمكننا اعتباره سابقة عربية في فن «الحكاية المُصَوَّرَة» bandes dessinées، أو الشريط المرسوم الذي يعني «كل عمل إبداعي عدسي مرئي يعتمد السرد البصري على تناسق الصور والنصوص في ارتباط بمجموعة من العناصر التعبيرية الخاصة، أبرزها الفقاعات (أو الفقاقيع bulles)، في تحولاتها المرتبطة بنوعية الحوار والموضوع والتعليق المصاحب»[30]. لكن المنمنمة التي يُعرِّفها القاموس التشكيلي بأنها «التبسيط والاختزال الهندسي والرسم الإقْلالي والإيجازي الذي تقل فيه التفاصيل والجزئيات»[31]. لم تلتقط من المقامة العمانية سوى ذروة الحدث في الحكاية حين استعصى مخاض زوجة صاحب القصر، وانتهز السروجي هذه الفرصة ليستعرض كفاءته في العرافة، ويتظاهر بفك أسر هذا الجنين. وباستثناء الجمل المقتطَفة من نص المقامة (وتسنّى الإتْمامُ إلى عُمانَ*فاكْتَفى أبو زيدٍ بالنِّحْلَةِ*وتأهّبَ للرّحلَةِ*فلمْ يسمَحِ الوالي) التي تعلو الصورة، فلا وجود للفقاعات الخاصة بالحوار لسبب منطقي يقوم على مفهوم الانعكاس Réflexion، وجمالي يرتبط بعمليات التأويل التي تفترض وتعوض ما سكت عنه نص الحريري، لكن بكثير من الالتزام واجتناب العبث بمعطيات النص الأصل كي يحق للمنمنمة أن ترث اسمه الشرعي، فتحتمي تحت ولايته.

تمنح الصورة - اللوحة، بوصفها نصا بصريا، مقامةَ الحريري خلقا ماديا مغايرا، بل لنَقُلْ خلقا فاتنا. يجتهد خيال الواسطي ليكون أمينا في استقاء عناصره التشكيلية من مضمون الحكاية ومنجَز الأسلوب على مستوى الوصف، غير أن خاصيتي النشاط والإبداع الملازمتين للخيال البشري تتدخلان بذائقة راقية، وكفاءة عالية لتأثيث اللوحة بما غاب في نص الحريري من أشكال، وأحجام، وظلال، وأضواء، وألوان... لكن بحذر شديد من أن تُضَيِّعا آثار الكتابة انسجاما مع المعنى الأصلي للمنمنمة[32]. وبحكم ارتباط القيافة بالنمنمة عند العرب، يمارس الواسطي قيافة نمنمات حكي الحرث بن همام حتى يلتقط مجموع التفاصيل التي تتناغم فيما بينها ليكتمل المظهر النهائي لِمُنْجَزِه التشكيلي.

2 - 2 - حول المشيرات البصرية الدالة على النسق الثقافي لجزيرة الوالي

أ - الهندسة المعمارية: نلتقط مؤشراتها من لغة نص المقامة على لسان الراوي: (أفْضَيْنا إلى قصرٍ مَشيدٍ* لهُ بابٌ منْ حَديدٍ* ودونَهُ زُمرةٌ من عَبيدٍ*). يعلن الشكل المركَّب للبيت: علوي/ سفلي منذ البداية على انتماء أصحابه إلى علية القوم بشكل مفارق لبيوت البسطاء من الصيادين الذين لا يختلفون من حيث نمط معمارهم، وأسلوب سكنهم عما ساد استعماله في حاضرة صحار، فمن الناس من استعان بعظام الحيتان الكبيرة وجلودها لبناء مأواه، ومن المزارعين من صنع بيته بأغصان الشجر، أما الميسورون فقد جلبوا خشب السَّنْط أو جذوع النخيل وسعفه، والطوب الأحمر أو الحجارة لتشييد مساكن أكثر راحة ورفاهية[33].

يمتد الطابع المعماري الخاص بعلية القوم في صحار إلى شكل قصر والي الجزيرة، كما تصوره منمنمة الواسطي. شأنها في ذلك، آنذاك، شأن غيرها من الحواضر النشيطة التي جمعتها وإياها علاقات مختلفة، مثل مسقط، وصلالة، وصنعاء، وبغداد، والبصرة، وغيرها من مرافئ الشاطئ الأفريقي. فالمادة الأساس هي الطوب الأحمر وما يستدعيه من مواد فخمة، مثل المعادن المصنَّعة، والخشب المَنْجُور الذي يحوله الصناع والحرفيون إلى قطع فنية تستجيب لخصوصية المعمار وظيفيا، وثقافيا، وجماليا كما تقتضي ذلك عمارة المساجد، والأبراج، والأسوار، والقصور، والمجالس، والحدائق، والبيوت العريقة. وتثبت هذه التبادلات المادية والرمزية «مدى أثر التواصل الحضاري والثقافي بين عمان وبعض المناطق الأخرى، خاصة في آسيا وشرق أفريقيا، في انتقال بعض العناصر المعمارية إلى العمائر التقليدية وأسلوب تصميمها في هذه المباني»[34]، كما تشكل القباب التي تعلو قاعات القصر، بشكلها نصف الدائري، تقليدا معماريا معروفا في الحواضر العمانية وفي محيطها البري والبحري على حد سواء.

يصرح شكل المعمار عن تراتبية واضحة على مستوى النوع، من خلال ثنائية أعلى/ أسفل، وذهنية الفصل. فضاء القصر فضاءان: العلوي للحاكم وعبيده، والسفلي للحريم.

ب - الإثاث: تَبْرُزُ الأعمدة والأقواس الخشبية المنقوشة في واجهة المعمار، وقد عُرفت هذه المنطقة باستعمال خشب الساج والسنط، المعروفين بصلابتهما ونفاستهما في البناء، وتلبيس الجدران، وصنع الأسِرَّة، وصناديق الألبسة والزينة والحلي. وينم مجلس الشاه في الطابق العلوي الذي يبدو على شكل شرفة، عن ترف واضح من خلال مجلسه الوثير، ونوع القماش الذي تتأكد جودته بألوانه ورسومه، وهو القماش نفسه الذي تتدلى منه ستائر الغرفة السفلى.

يتضح من هيئة قعود السارد، عن يمين الحاكم، أنه يريح جسده على كرسي أو ما شابه للجلوس، بينما يقعد السروجي على مساحة من البُسُط التي تغطي أرضية الغرف، ويحمل بين يديه مبخرة ترمز إلى طقس العرافة الذي كان منغمسا فيه.

جـ - اللباس: في تصميمه منسجم مع مرتبة أهل القصر. اللباس الذكوري داخل القصر متحرر من رسميات اللباس الخارجي. يحيط الشاه جسده بقطعة قماش خفيف فاتح اللون، لأنه في فضائه الخاص، يغطي جزءا من ساعديه. نراه جالسا الأُربُعاء، كما هي عادة جلوس السادة في حضرة العبيد الذين بدوا خلف مجلسه منتبهين لأوامره، ومشرئبين لطلباته، لا يظهر سوى رأسيهما.

في الطابق السفلي، يتميز لباس الزوجة عن أَمَتَيْها اللتين ترتديان عباءتين من اللون والتصميم أنفسهما، بينما تختلف المولدة ومساعدتها عنهما بلباس بسيط وعملي لا يعرقل الحركة من أجل تيسير عملية الوضع.

د - الحلي: يثيرنا الشعر الأسود القاتم، باعتباره زينة طبيعية، ومقياس جمال يكسو رؤوس الوجوه السمراء المرسومة في المنمنمة، ذكورا وإناثا، سادة وعبيدا، باستثناء السروجي والحرث اللذين يظهران ببشرة بيضاء. ويتميز الشعر بطوله، وشكل تصفيفه، وانسيابه على الأكتاف. كما تسترسل لحية الشاه إلى حدود صدره كعلامة شرف وهيبة ونخوة، بينما تنساب ضفائر النساء على أكتافهن وقد سترنها بوشاح أبيض غالبا ما يكون من حرير.

ومن الحلي المصنوعة، تتدلى سبحة بين أصابع الحاكم، ليس للزينة فقط، ولكنها في هذا الموقف دعوة الله حتى يحفظ الجنين وأمه من عسر الوضع ومضاعفاته.

يعلن جسد الزوجة بقلائده، وأساوره، وخلاخله، وخضاب حنائه، انتماءه إلى الطبقة وإلى النوع الذي يستجيب لمعايير وضعه الاعتباري، بصفته الجسد الذي اختاره حاكم الجزيرة ليخلف به اسمه وذِكْرَه.

تكشف المظاهر المادية للثقافة السائدة في قصر الوالي برسوخ الذائقة الحضارية في أسلوب العيش، وتتجلى في «أنواع نتبين فيها الغنى الظاهر في المواد، مثل جيد ضروب الكتان، أو الجواهر الثمينة، كما نتبين سلوكات معينة في التوليف بين الثياب، أو في اختيارها تبعا لساعات النهار

أو للانهماكات فيه»[35]، كما يذكر ذلك أبو الطيب محمد بن إسحق بن يحيى الوشَّاء في كتابه «المُوَشَّى، أو الظرف والظرفاء». فهذه الثقافة التي شاعت في بغداد، سرعان ما وجدت طريقها إلى مجموع حواضر العالم الإسلامي المحتفية بمظاهر الرخاء والبذخ.

إنه الجبروت الرمزي، كما يسميه عبدالله الغذامي، الذي يتقاسمه مجموع الفاعلين في الثقافة العربية: الشاعر والكاتب، والرسام، والخليفة، والحاجب، والجلاد، والفقيه، والنخاس، والقهرمانة... ليضمن للفحولة مكانا متقدما، ويدفع الأنوثة إلى زاوية النزوات الحِسَّوِيَّة، وإلا كيف نفسر تربع الحاكم في مجلسه بالطابق العلوي، مكتفيا بالدعاء والتسبيح، ولم تسمح له تمثلاته الثقافية بأن ينزل إلى جوار زوجته التي تقاسي أوجاع الطلق؟ ألا نعثر هنا عن خيط رابط يمكن أن يجيب، ولو جزئيا عن السؤال الذي نفترض أن عبدالفتاح كيليطو لم يجد له، بعد، جوابا؟ ألم يتورط أدب المقامة الذي نال إعجاب الناس وتداولوه في مجالسهم، وكذا فن المنمنمات الذي أشبع رغبات الفتنة البصرية بدورهما، كما هي حال الشعر العربي، في توطيد هذا الجبروت الرمزي الذي «يقوم بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، وهو المكون الخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة»[36].

خاتمة

ينتهي بنا تفكيكنا عناصر منمنمة الواسطي، في ضوء معطيات «المقامة العمانية» للحريري، إلى أن المد الثقافي لصحار على جزيرة الوالي قوي إلى درجة تبدو معها هذه البقعة امتدادا ثقافيا شرعيا للحاضرة العمانية. فاللغة المتداولة عربية، ونمط البناء عماني، ومظاهر العيش وأسلوبه عربيان إسلاميان وَسِعَا مظاهر حضارية مشتركة إقليميا، لكن الميسم العام البارز فيها يبدو صُحاريًّا، بكل تأكيد.

ومع الأخذ بعين الاعتبار موقع صحار الجغرافي بالنسبة إلى جزيرة الحاكم، وبالنظر إلى أسبقيتها التاريخية لاعتناق الإسلام منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، واحتضان تعاليمه الدينية والدنيوية، والمساهمة في توسيع رقعته، نخلص إلى الآتي:

1 - اعتمد نسق صحار الثقافي، خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، في امتداداته الجغرافية على أهليته لاستيعاب مختلف التفاعلات المرتبطة بالموقع الاستراتيجي الذي تدور حوله حضارات عريقة.

2 - يعتبر البحر وما يسنح به من فرص الملاحة التجارية مجالا حيويا امتد عبره النموذج الثقافي العماني عبر صحار.

3 - ينهض الانتشار الحضاري لهذا النسق على ديبلوماسية منفتحة تقبل الأخذ وتجزل العطاء، وتثبت الذات مقابل الاعتراف بالآخر.

4 - يُنْسَجُ، من نص المقامة وصورة المنمنمة، نص ثالث كَشَّاف يسعف الباحث بخيوط جديدة تُوصِله إلى مداخل مغايرة لقراءة الأنساق الثقافية العربية من خلال هذا الإبداع الذي حفظ، عن غير قصد، ذاكرة عمان الثقافية خلال مرحلة من التاريخ العربي الإسلامي.

5 - ترتقي هذه الوثيقة العفوية إلى درجة أصَحَّ من الوثيقة التاريخية العربية التي غالبا ما تغشاها شكوك كثيرة، كما هي حال قضايا التأريخ التي لم تسلم من التزييف. إن بناء متخيل السرد بافتراض أحداث أو مظاهر حضارية لصيقة بواقع صحار، لم تكن، في حقيقة الأمر، مقصودة من لدن الحريري بقدر ما شكل الارتقاء باللغة، وتأمين الإقبال على فعل القراءة مطلبه الأساس.

6 - تبدو المرأة في النصين معا، مجرد جسد أنثوي، ويمنح النموذج الثقافي القائم شروط الاستمرار والانتصار.

7 - تظل مقامات الحريري ومنمنماتها نصا مفتوحا لمختلف القراءات. وقد يفيد النقد الثقافي في كشف وجوه مخفية للثقافة العربية مازالت، حتى الآن، أسيرة أقنعة هذه الثقافة نفسها.

الهوامش

1 (تاريخ الزيارة 22 مارس 2015) shamela.ws/browse.php/book - 23735/page - 1467

2 MAREK HALTER - LES FEMMES DE L'ISLAM - KHADIJA, L'ÉPOUSE DE MOHAMET - ÉDITIONS CPI - Barcelone - Espagne - juin 2015 - P, 11.

3 (تاريخ الزيارة 22 مارس 2015) shamela.ws/browse.php/book - 23735/page - 1467

4 يطلق اسم قصبة على «الحي القديم بالمدينة»، كما في المغرب والجزائر وتونس. والقلعة جمع قِلاع وقُلُوع، هي: حصن ممتنع على الجبل، وتعني لفظة Forteresse التي هي مرادف «قلعة». في اللغة الفرنسية: المكان المهيأ بالعتاد للدفاع عن منطقة ترابية. وهي كذلك قصر المدينة، وهي كل ما يمتنع على الغزو الخارجي، وتعني أيضا: الحصن والمَعْقِل: Citadelle، والسور: Rempart، ومركز حراسة: Corps de garde.

5 (تاريخ الزيارة: 14 أبريل 2015) www.diwanalarab.comwww.booksstream.com

6 عبدالرحيم مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1996، ص21.

7 عبدالفتاح كيليطو، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1993، ص6.

8 الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، شرح مقامات الحريري، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، د. ت، ص4 و5.

9 نفسه، ص6 و7.

10 نفسه، الفهرست.

11 نفسه، ص169.

12 محمد عبده، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار المشرق، بيروت، لبنان، دون طبعة، د. ت، انظر فهرس الكتاب، ص259 و260.

13 الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، شرح مقامات الحريري، مرجع مذكور، انظر فهرست الكتاب. وقد عمدت إلى تسمية الهمذاني شيخا والحريري مريدا بناء على ما اعترف به هذا الأخير، عرفانا وتواضعا لمبدع هذا الفن. يقول في كتابه «شرح مقامات الحريري» ص7 و8: «هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبَّاقُ غاياتٍ، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فُضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدِلالته، ولله دَرُّ القائل:

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبابَةً * بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ النَّدَمِ**

ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ الْبُكَا * بُكَاهـا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَــدِّمِ»**

14 محمد السولامي، فن المقامة بالمغرب في العصر العلوي، دراسة ونصوص، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1992، ص207. في هذا الكتاب يعرض الباحث نماذج مقامات مغربية تحمل اسم المكان الذي وقعت فيه أحداثها، من قبيل: «المقامة المالطية» لمحمد بن عثمان، و«المقامة الشاوية» و«المغربية» و«الحجازية» لإدريس بن علي السناني، و«المقامة الطنجية» لضريع الزمان، و«المقامة البيضاوية» لمواطن.

15 عبدالله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1975، الجزء الثاني، انظر «المقامة التطوانية»، ص237 - 241.

16 عبدالفتاح كيليطو، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، مرجع مذكور، ص11.

17 في كتاب «شرح مقامات الحريري» لصاحبه، ورد اسم الراوي كالآتي: الحَرِثِ بنِ همّام. وفي كتاب «شرح مقامات الحريري البصري» لأبي العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي الشريشي ورد اسمه: الحارث بن همام، فالاختلاف بين صيغة «فَعِلٌ» الخاصة بالصفة المشبهة باسم الفاعل، صيغة «فَاعِلٌ» الخاصة باسم الفاعل ذات خصوصية من حيث الدلالة على معنى الحَرْثِ في كليهما. وفي هذه الدراسة استعملت اسم «الحَرِث»، كما ورد في النص الأصلي للحريري.

18 السروجي شخص واقعي قدم إلى البصرة من بلاد «سروج» الموجودة جنوب تركيا، مقابل «عين العرب» السورية. وكان يحترف الفصاحة والبلاغة ليستدر كرم المحسنين، ولما صادفه الحريري أعجب بلغته فحوَّله إلى عالم مقاماته بطلا مكديا.

19 محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبد العالي، 5، اللغة، إعداد وترجمة: سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية، 1998، ص15.

20 د. إبراهيم حمادة، كتاب أرسطو، فن الشعر، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، طبعة 1989، ص176.

21 رومان جاكبسون، الألسنية والشعرية، تعريب وتقديم: فاطمة الطبال بركة، مجلة الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، السنة الرابعة والعشرون، العدد 72، أبريل - يونيو 1993، ص47 - 57.

22 د. إبراهيم حمادة، كتاب أرسطو، فن الشعر، مرجع مذكور، ص177.

23 محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبد العالي، 2، الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة: سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية، 1996، ص25 و26.

24 محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبد العالي، 5 اللغة، مرجع مذكور، ص91.

25 نفسه، ص75.

26 الشريشي. أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي، شرح مقامات الحريري، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، د. ت، ص22.

27 عبدالله الغذامي، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 2008، ص82 و83.

28 د. محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: يونيو 1990، ص8 و9.

29 Dictionnaire Jung - Sous la direction de Aimé Angel - Ellipses - Éditions Marketing S.A. Paris, 2008, p. 79.

30 إبراهيم الحسين، التربية على الفن، حفر في آليات التلقي والتشكيلي والجمالي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2009، ص79.

31 نفسه، ص77.

32 تعني لفظة «نَمْنَمَةٌ»، وفق ابن منظور، ما يلي: من الفعل نَمْنَمَ. نَمْنَمَتِ الريح التراب: خَطَّتْهُ وتركتْ عليه أثرا شبه الكتابة، وهو النِّمْنِمُ والنِّمْنِيمُ... والنَّمْنَمَةُ: خطوط متقاربة قصارٌ شِبْهُ ما تُنمنِم الريح دُقَاقَ التراب، ولكل وشي نمنمة. وكتاب مُنَمْنَمٌ: مُنَقَّشٌ، ونمنم الشيء نمنمه أي رَقَّشَهُ وزخرفه. وثوبٌ مُنَمْنَمٌ: مَرْقُومٌ مُوَشّى (انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 1992، الجزء 12، ص592 و593. والقيافة هي قدرة البدوي على التأمل الشديد المرتكِز على التقاط التفاصيل في ملاحظة الآثار الدقيقة لآثار المشي ومدتها وحالة الماشي البصرية والجسدية من أثره على الرمل.

33 د. يحيى حسن وزيري، جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية، سلطنة عمان نموذجا، عالم الفكر، العمارة، المجلد 34، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 4، أبريل – يونيو 2006، ص87 - 115.

34 نفسه، ص114.

35 شربل داغر، الفن الإسلامي في المصادر العربية، صناعة الزينة والجمال، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ودار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى 1999، ص64.

36 عبدالله الغذامي، النقد الثقافي.. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مرجع مذكور، ص 75.

المصادر والمراجع

1 - المصادر

- **الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان،** شرح مقامات الحريري، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، د. ت، ص4 و5.
- **منمنات الواسطي:** http://ar.wikipedia.orgwiki. (تاريخ الزيارة: 20 مايو 2016).

2 - المراجع

- **د. إبراهيم حمادة،** كتاب أرسطو، فن الشعر، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، طبعة 1989.
- **إبراهيم الحسين،** التربية على الفن، حفر في آليات التلقي والتشكيلي والجمالي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2009.
- **ابن منظور، لسان العرب،** دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة 1992، الجزء 12.
- **الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان،** شرح مقامات الحريري، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، د. ت.
- **الشريشي. أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي،** شرح مقامات الحريري، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، د. ت.
- **رومان جاكبسون،** الألسنية والشعرية، تعريب وتقديم: فاطمة الطبال بركة، مجلة الفكر العربي، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، السنة الرابعة والعشرون، العدد 72، أبريل - يونيو 1993.
- **شربل داغر،** الفن الإسلامي في المصادر العربية، صناعة الزينة والجمال، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ودار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1999.
- **عبدالرحيم مودن،** أدبية الرحلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1996.
- **عبدالفتاح كيليطو،** المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1993.
- **عبدالله الغذامي،** النقد الثقافي .. قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز

الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 2008.

- **عبدالله كنون**، النبوغ المغربي في الأدب العربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1975، الجزء الثاني.
- **محمد السولامي**، فن المقامة بالمغرب في العصر العلوي، دراسة ونصوص، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1992.
- **محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبد العالي**، 2، الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة: سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية، 1996.
- **محمد سبيلا وعبدالسلام بنعبد العالي**، 5، اللغة، إعداد وترجمة: سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية، 1998.
- **محمد عبده**، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار المشرق، بيروت، لبنان، دون طبعة، د. ت، انظر فهرس الكتاب.
- **د. محمد مفتاح**، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، يونيو 1990.
- **د. يحيى حسن وزيري**، جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية، سلطنة عمان نموذجا، عالم الفكر، العمارة، المجلد 34، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 4، أبريل - يونيو 2006.

مراجع باللغة الفرنسية

- **Dictionnaire Jung** - Sous la direction de Aimé Angel - Ellipses - Éditions Marketing S.A. Paris, 2008.
- **MAREK HALTER** - LES FEMMES DE L'ISLAM - KHADIJA, L'ÉPOUSE DE MOHAMET - ÉDITIONS CPI - Barcelone - Espagne - juin 2015.

الويبوغرافيا

- **www.diwanalarab**.comwww.booksstream.com
- **shamela.ws/browse**.php/book - 23735/page – 1467

عالم الفكر

الكشاف السنوي لمجلة عالم الفكر

2019 - 1970

عصر الأزمات

المجلد الأول

1- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1970

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أمراض الفكر في القرن العشرين	د.محمد زكي العشماوي
2	التنظيم السياسي في المجتمع التكنولوجي الحديث	د.حازم الببلاوي
3	مشكلات التعصب والتحامل	د.سعد عبدالرحمن
4	الإيمان بالله في عصر العلم	د.محمد عبدالهادي أبو ريدة
5	أزمة العلوم الإنسانية	د.أحمد أبو زيد
	آفاق المعرفة	
1	العلاقات بين العلماء في العصر العباسي	وديعة طه النجم
2	برتراند راسل	ترجمة: صدقي حطاب
	خبرات وتجارب	
1	الطبيب الأزلي: تجاربي مع الطب القديم	د.بول غليونجي
	عرض الكتب	
1	سياسة العنف - أو الثورة في عالمنا المعاصر تأليف: كارل ليدن + كارل م.شميت	د. إسماعيل صبري مقلد
2	أثر الإسلام على أفريقيا تأليف: ج.سبنسر ترمنجهام	د. أبو الوفا التفتازاني

عالمنا المتغير

المجلد الأول

2- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر – 1970

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الثورة الفكرية المعاصرة في الغرب	د. عبدالرحمن بدوي
2	خصائص حضارة العصر	د. نور الدين حاطوم
3	الإلكترونيات وتقارب الثقافات	د. محمود رياض
4	العقول الإلكترونية	د. صلاح الدين طلبة
5	مستقبل التغذية في العالم	د. حسن طه النجم
6	التربية في عالمنا المتغير	د. محمد ناصر
	آفاق المعرفة	
1	العقل الإغريقي	د. علي حافظ
2	الأدب المهجري الآخر	شاكر مصطفى
3	الفوضوية	علي أدهم
	خبرات وتجارب	
1	تجاربي مع الحشرات	د. سميرة الزيادي
	عرض الكتب	
1	نظرة إلى قلبي - تأليف: فيليب بلا يبرج	د. حسان حتحوت
2	لا ڤيدا أو الحياة - تأليف: أوسكار لويس	د. محمد محجوب
3	أزمة جنك - تأليف: ديڤيد وولدر	د. مكي شبيكة

الإنسان والكون

المجلد الأول

3- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر - 1970

ت	عنوان البحث	الباحث
1	غزو الفضاء	د. فؤاد صروف
2	نظرة البدائيين إلى الكون	د. أحمد أبو زيد
3	الإنسان وموقفه من الكون في العصر اليوناني الأول	د. جعفر آل ياسين
4	الإنسان والكون في الإسلام	د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني
5	من يملك الفضاء؟	د. علي صادق أبو هيف
6	الفيزياء الكونية - تأليف: و. هـ ماكريا	ترجمة: زهير محمود الكرمي
	آفاق المعرفة	
1	مشكلات القياس في اللغة العربية	د. عبدالصبور شاهين
2	نشأة الفكر الهندي وتطوره في العصور القديمة	عبدالعزيز الزكي
	خبرات وتجارب	
1	مآزق الطبيب الحديثة - تأليف: هنري ميلر	د. عبدالرزاق العدواني
	عرض الكتب	
1	شعراء المقاومة الفلسطينيون تأليف: بدرو مارتينث مونتابث ومحمود صبح	د. حسين مؤنس
2	عالم الجيولوجيا - تأليف: بيتر كاترمول	د. محمد عز الدين حلمي
3	الرأسمالية الحديثة - تأليف:آندو شونفيلد	د. برهان الدين الشطي

حقوق الإنسان

المجلد الأول

4- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس - 1971

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تطور مفهوم حقوق الإنسان	د. عثمان خليل عثمان
2	العلم والحرية الشخصية	د. فؤاد زكريا
3	حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق	د. محمد عوض محمد
4	الإسلام وحقوق الإنسان	الشيخ زكريا البري
5	الحرية في المذاهب السياسية المختلفة	د. يحيى الجمل
	آفاق المعرفة	
1	إليوت والشاعر العربي المعاصر	د. عبدالواحد لؤلؤة
2	دور العرب في كشف إفريقيا	د. جمال زكريا قاسم
3	العوامل المؤثرة في الأدب	أ.محمود محمود
	خبرات وتجارب	
1	الزراعة بدون تربة - تأليف: د. كوليتي	ترجمة: عبدالرحمن سلمان
	عرض الكتب	
1	الطب الروماني - تأليف: جون سكار بورو وتوماس هادسون	د. بول غليونجي
2	الزمن في التراجيديا الإغريقية تأليف: ج.دي روميللي	د. محمد عواد حسين
3	مجتمعنا المجرم - تأليف: ادوين م. شور	د. عدنان الدوري

الفكر واللغة

المجلد الثاني

5- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو - 1971

ت	عنوان البحث	الباحث
1	حضارة اللغة	د. أحمد أبو زيد
2	اللغة الفنية	د. عبدالحميد يونس
3	اللغة والمنطق في الدراسات الحالية	د. عبدالرحمن بدوي
4	اللغة والفكر عند الطفل	د. سيد محمد غنيم
5	رياضيات العصر	د. محمد واصل الظاهر
	آفاق المعرفة	
1	علم الحساب عند العرب	د. أحمد سليم سعيدان
2	صور السجن ومظاهره في روايات «تشارلز ديكنز»	د. نور شريف
3	من أساطير الخلق	أ. صفوت كمال
	أعلام الفكر	
1	الطبيعة البشرية في فلسفة كارل ماركس	د. زكريا إبراهيم
	عرض الكتب	
1	الصحه النفسية العقلية والسياسية والاجتماعية تأليف: دافيد ميكانيك	د. عطية محمود هنا
2	الحيوانات الأولية المتطفلة وطفيليات الملاريا وبوغات الدم الأخرى، تأليف: ب.جارنام	د. عبدالحافظ حلمي محمد
3	رياضيات العقل الحديث - تأليف: د.والتر خس	د. سعد كامل مسعود

الفلسفة والعلم

المجلد الثاني

6- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر – 1971

ت	عنوان البحث	الباحث
1	معالم التقدم العلمي الحديث	د. فؤاد صروف
2	فلسفة التاريخ	د. عبدالعزيز الدوري
3	الفلسفة وعلم الاجتماع	د. مصطفى الخشاب
4	دراسة في الفكر الجغرافي	د. حسن طه النجم
5	العلوم الإنسانية والصراع الأيديولوجي	د. أحمد أبو زيد
	آفاق المعرفة	
1	ماخ وآينشتاين والبحث عن الحقيقة تأليف: جيرالد هولتون	ترجمة: أ. زهير الكرمي
2	دراسة في التمثيل والمسرح العربي	أ. رشدي صالح
3	نظرية الخيال عند كولردج	د. محمد زكي العشماوي
	أعلام الفكر	
1	ألفرد نورث هوايتهد	د. عزمي إسلام
	عرض الكتب	
1	في مواجهة الحافة - تأليف: إدوارد وينتال + تشالس بارتليت	د. إسماعيل صبري مقلد
2	على تخوم دار الإسلام - تأليف: ريتشارد هل	د. مكي شبيكة
3	الكيمياء عند الصينيين القدماء - تأليف: ناثان سيفن	د. محمود أبو العمايم
4	بواكير العلم الإغريقي - تأليف: ج.إي.ر.لويد	د. حسام محيي الدين الآلوسي

مشكلات الحضارة

المجلد الثاني

7- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1971

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الأعباء النفسية للحضارة الحديثة	د. أحمد عزت راجح
2	الحضارة والمرض	د. محمد عصام فكري
3	التحضر السريع ومشكلات تأليف: فيليب م.هاوسر	ترجمة: ميرفت مصطفى سيف الدين
4	المدينة الحديثة ومشكلات التلوث	د. عبدالمحسن صالح
5	البيروقراطية بين مظاهر الحضارة	د. ليلى تكلا
	آفاق المعرفة	
1	نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم	د. عبدالحميد زايد
2	الهيومانزم	أ. علي أدهم
	أعلام الفكر	
1	جورج لوكاتش «المرحلة المبكرة» تأليف: جورج ليشتهايم	ترجمة: د. سيد أحمد حامد
	عرض الكتب	
1	الفن الإفريقي (النحت) تأليف: پيير موزيه	أ. صفوت كمال
2	أزمة المجتمع الصناعي - تأليف: نورمان بيرنبوم	د. عزت حجازي
3	جوع أو وفرة - تأليف: كولن كلارك	د. فؤاد محمد الصقار

الإنسان والآلة

المجلد الثاني

8- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس – 1972

م	عنوان البحث	الباحث
1	السيبرنطيقا أحدث علوم القرن العشرين	د. صلاح الدين طلبه
2	الأوتوميشن والاقتصاد	د. حازم الببلاوي
3	الإنسان هو الرأسمال	د. حسن صعب
4	النويات الذرية... شكلها وحجمها تأليف:ميشيل بارنجر+ريموند سورنس	ترجمة: أسامة أحمد مصطفى
	آفاق المعرفة	
1	الثقافتان	د. عادل سلامة
2	نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم	د. عبدالحميد زايد
	أعلام الفكر	
1	ماركيوز	د. فؤاد زكريا
	عرض الكتب	
1	الفكر العربي في العصر الليبرالي تأليف:إلبرت حوراني	د. جمال زكريا قاسم
2	التنظيم الصناعي بين النظرية والواقع تأليف: جوان ودورد	د. قيس النوري
3	تطور المعرفة العلمية وتنظيمها تأليف: هارولد هيمزورث	د. عبدالعزيز أمين

المأثورات الشعبية

المجلد الثالث

9- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو - 1972

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الفولكلور والميثولوجيا	د. عبدالحميد يونس
2	المأثورات الشعبية والعالم المعاصر	احمد رشدي صالح
3	التراث الشعبي بين الفلكلور وعلم الاجتماع	د. محمد الجوهري
4	القصص الشعبي	د. سهير القلماوي
5	أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية	محمود فهمي حجازي
	آفاق المعرفة	
1	تحليل عناصر الرواية تأليف: ستيث تومسون	ترجمة وتعليق: أ.صفوت كمال
2	الفلكلور والحضارة	د. احمد مرسي
	أدباء وفنانون	
1	الأصمعي من وجهة نظر المأثورات الشعبية	د. احمد كمال زكي
	عرض الكتاب	
1	وجوه مختلفة للفتاة المراهقة تأليف: ليليان كوهين كوڤار	د. محمد عبده محجوب
2	شبح المجاعة يبتعد أو الحرب ضد الجوع تأليف: جوردن بردجر	د. محفوظ غانم
3	الفكرة الماركسية الثورية تأليف: روبرت تكر	السيد يس

التقديم في العلوم

المجلد الثالث

10- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر - 1972

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الآراء الأولى في القوى بين الذرات	د. فتح الله خليف
2	الذرة بين البحث والتطبيق	د. فوزي مليجي عبدالكريم
3	مصادر جديدة للطاقة	د. محمد النادي
4	الأجهزة الحاسبة في خدمة الطب	د.م. حسام الببلاوي
5	الظاهرة التكنولوجية	د. أحمد أبو زيد
	آفاق المعرفة	
1	الثنوية في التفكير	أ. حسن الكرمي
	أدباء وفنانون	
1	حوار مع الكاتب الانجليزي المعاصر انجس ويلسون	د. عادل سلامة
	عرض الكتب	
1	رسائل أولدس هكسلي	أ. محمود محمود
2	الأتوميشن ومستقبل الإنسان تأليف: س. دمشينسكي	د. عبدالمحسن صالح

الاتجاهات الحديثة في الرواية المعاصرة

المجلد الثالث

11- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر - 1972

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الرواية العربية المعاصرة وأزمة الضمير العربي	د. شكري محمد عياد
2	الفن القصصي المعاصر في إسبانيا	د. محمود علي مكي
3	الرواية الفرنسية المعاصرة	د. سامية أحمد أسعد
4	الرواية الألمانية في القرن العشرين	د. مصطفى ماهر
	آفاق المعرفة	
1	العالم العربي ومشاكل الفن الحديث	د. حسن ظاظا
	أدباء وفنانون	
1	ريتشارد فاجنر بين العاطفة والعبقرية	د. ثروت عكاشة
	عرض الكتب	
1	الأيديولوجيا تأليف: جون بلامنتر	د. قباري محمد إسماعيل

النشوء والارتقاء

المجلد الثالث

12- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس - 1973

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تطور الكائنات الحية	د. علم الدين كمال
2	فكرة الخلق	د. فتح الله خليف
3	التطور العضوي للكائنات الحية	د. يوسف عزالدين عيسى
4	التطورية الاجتماعية	د. أحمد أبو زيد
5	الأصول البشرية تأليف: د.ر.بيلبيم	ترجمة: فاروق مصطفى إسماعيل
	آفاق المعرفة	
1	خصائص التفكير العلمي	د. توفيق الطويل
2	الصحة والطب في أمريكا قبل كولومبس أو طب أمرنديا	د. بول غليونجي
	أدباء وفنانون	
1	فتجنشتين وفلسفة التحليل	د. عزمي إسلام
	عرض الكتب	
1	نحو علم اجتماع للسينما تأليف: د.جارڤي	هاشم النحاس
2	الأيثولوجيا والمجتمع تأليف: هيلاري كالان	د. أحمد مرسي

عالم الغد

المجلد الرابع

13- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1973

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحاضر ضمير المستقبل	د. محمد زكي العشماوي
2	المجتمع بعد التصنيع	د. قيس النوري
3	مستقبل المخ ومصير الإنسان	د. عبدالمحسن صالح
4	مصادر جديدة للغذاء	د. محفوظ غانم
	آفاق المعرفة	
1	السلوكية في علم النفس	د. فؤاد عبداللطيف أبو حطب
	أدباء وفنانون	
1	رفاعة الطهطاوي	د. محمود فهمي حجازي
	عرض الكتب	
1	الكمبيوتر والعلم والمجتمع تأليف: فرانك جورج	د. علي حلمي موسى
2	المفهوم الفكري للمدينة في العالم الروماني - تأليف: ليديه ستوروني ماتسولاني	د. لطفي عبدالوهاب يحيى
3	حبوب منع الحمل في الميزان - تأليف:بول ڤون	د. حسان حتحوت

الشعر العالمي المعاصر

المجلد الرابع

14- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1973

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الشعر العربي المعاصر... تطوره ومستقبله	د. سلمى الخضراء الجيوسي
2	اتجاهات الشعر الإنجليزي والأمريكي المعاصر	د. عادل سلامة
3	الشعر الألماني في القرن العشرين...لحن الحرية والصمت	د. عبدالغفار مكاوي
4	الشعر الإسباني المعاصر في إسبانيا وأمريكا اللاتينية	د. محمود علي مكي
	آفاق المعرفة	
1	الشعر الياباني الحديث تأليف: دونالدكين	د.صفاء الشاطر
	أدباء وفنانون	
1	وليم بطلرييتس	سهيل بديع بشروني
	عرض الكتب	
1	البيروقراطية - تأليف:مارتن البرو	د. محمد علي محمد
2	أنماط السيطرة - تأليف: فيليب ماسون	د. عبدالباسط محمد حسن

القانون والمجتمع

المجلد الرابع

15- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1973

ت	عنوان البحث	الباحث
1	القتل بدافع الشفقة	د. عبدالوهاب حومد
2	الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة	د. حسن صادق المرصفاوي
3	القانون وأمن المجتمع الدولي	د. إسماعيل صبري مقلد
4	الحقائق الاقتصادية والفن القانوني	د. حازم الببلاوي
5	القانون والإرادة	د. سمير عبدالسيد تناغو
	آفاق العرفة	
1	الشك المنهجي عند الغزالي وديكارت	د. محمود حمدي زقزوق
	أدباء وفنانون	
1	أوجست رودان حياته وفنه	أ. بدر الدين أبو غازي
	عرض الكتب	
1	الحرية والعدالة خلف الأسوار تأليف: ف.ي.إمري	د. عدنان الدوري
2	السلالة والذكاء والتربية - تأليف: هـ.ج.إيسينك	د. عاطف وصفي

الرياضيات لغة العلم

المجلد الرابع

16- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1974

م	عنوان البحث	الباحث
1	استخدام الأساليب الرياضية والإحصائية في العلوم الإنسانية	د. نادر فرجاني
2	التركيب الرياسي التصاعدي في الأجهزة الحاسبة	د. حسام الببلاوي
3	الرياضيات النظرية والاجتماعية	د. ناهد صالح
4	استعمال وسوء استعمال نظرية المباريات - تأليف: أناتول رابوبورت	ترجمة: أ. أسامة أحمد مصطفى
	آفاق المعرفة	
1	حرية الفنان	د. ثروت عكاشة
2	الشعر الجاهلي	د. يوسف خليف
3	القدرة العقلية للمرأة ومتطلبات العلم تأليف: إليانور. أ. ماكوني	ترجمة: د. ملاك جرجس
	أدباء وفنانون	
1	فردريش شيلر .. عالم الجمال وفيلسوف الحضارة	د. زكريا إبراهيم
	عرض الكتب	
1	معجم أكسفورد	عرض وتحليل: د. داود حلمي أحمد السيد

فلسفة التاريخ
المجلد الخامس
17- العدد الأول - ابريل - مايو - يونيو 1974

ت	عنوان البحث	الباحث
	تمهيد	
2	التاريخ ومشاكل اليوم والغد	د. محمد الطالبي
3	التاريخ والمؤرخون	د. حسين مؤنس
4	صناعة التاريخ	د. محمد عواد حسين
5	التاريخ هل هو علم؟	د. شاكر مصطفى
6	أحدث النظريات في فلسفة التاريخ	د. عبدالرحمن بدوي
	آفاق المعرفة	
1	لقطات علمية من تاريخ الطب العربي	د. توفيق الطويل
	أدباء وفنانون	
1	أرنولد توينبي	أ. صدقي حطاب
	عرض الكتب	
1	الفولكلوريون البريطانيون تأليف: ريتشارد م.دورسون	عرض وتحليل: أ.صفوت كمال
2	السياسة الحضرية تأليف: مري ستيدمان	عرض وتحليل: د. عبدالباسط محمد حسن

الطاقة والحياة
المجلد الخامس
18- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1974

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الطاقة .. طبيعتها وصورها ومنابعها	د. عبدالمحسن صالح
2	البترول والطاقة	د. محمود أمين
3	الطاقة في الحاضر والمستقبل	د. عبدالسميع مصطفى
4	الطاقة والحضارة	د. أحمد أبو زيد
	آفاق المعرفة	
1	التفكير الإبداعي والمجتمع الحديث	أ.عبدالحليم محمود السيد
	أدباء وفنانون	
1	بيكاسو	أ. أحمد مرسي
	عرض الكتب	
1	سفر التكوين كأسطورة تأليف: إدموند ليتش	عرض وتحليل: د. محمد الجوهري

الإنسان والجريمة
المجلد الخامس
19- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1974

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الجريمة والمجرم	د. عدنان الدوري
2	المجرم والقانون	د. عبدالوهاب حومد
3	اتجاهات معاصرة في الفكر الاجتماعي عن الجريمة	د. أحمد محمد خليفة
4	المجرم والمنظمات الدولية	د. مصطفى العوجي
5	ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة	د. محمد جواد رضا
	آفاق المعرفة	
1	حقوق الإنسان بين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصول هذه الحقوق في الإسلام	أ. عادل شعبان
2	الإبصار .. بعض آلياته العضوية والنفسية	د. عمر محمد جبرين
	أدباء وفنانون	
1	أشجان عضو منتسب (سيرة ذاتية)	أ. يحيى حقي
	عرض الكتب	
1	بناء النماذج في علم الاجتماع تأليف: د. بيتر أبيل	عرض وتحليل: د. إسحق يعقوب القطب
2	الصناعات المؤممة تأليف: و.ثورنهل	عرض وتحليل: د. قيس النوري

المشكلة السكانية
المجلد الخامس
20- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1975

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الهجرات وتحركات السكان	د. عبدالكريم اليافي
2	مشكلة التزايد السكاني وأثرها في تطور التربية في البلاد النامية	د. عبدالكريم أحمد
3	المدخل الإداري لعلاج المشكلة السكانية بالدول النامية	د. علي السلمي
4	الموارد العالمية وعلاقتها بالسكان بقلم: و. س. ويتنسكاي	ترجمة: فاروق مصطفى إسماعيل
	آفاق المعرفة	
1	طبيعة الإنسان	أ. زكريا فهمي
	أدباء وفنانون	
1	رينيه ويج فيلسوف الجمال	د. ثروت عكاشة
	عرض الكتب	
1	سيرة فرجينيا وولف تأليف: كوينتين بل	عرض وتحليل: د. طه محمود طه

الموسيقى

المجلد السادس

21- العدد الأول - إبريل - مايو - يونيو 1975

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الارتجال وتقاليده في الموسيقى العربية	د. سمحة أمين الخولي
2	المقامات العراقية	أ. عبدالوهاب بلال
3	الموسيقى العربية وموقعها من الموسيقى العالمية	أ. عبدالغني شعبان
4	الموسيقى والموسيقيون والتوصيل مقابلات أجراها: جاك بورنوف	ترجمة: أ. صدقي عبدالله حطاب
	آفاق المعرفة	
1	الإعداد السينمائي بين البناء الروائي والبناء الفيلمي	أ. هاشم النحاس
	أدباء وفنانون	
1	صفي الدين الأرموي البغدادي	د. محمود أحمد الحفني
	عرض الكتب	
1	الأيديولوجية والتطبيق تأليف: Jawes Chieh Hsiurg	د. حورية مجاهد

في الفكر الإسلامي

المجلد السادس

22- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1975

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التصوف .. إيجابياته وسلبياته	د. أحمد محمود صبحي
2	الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام	د. عبدالعزيز محمد الزكي
3	نشأة الفكر الإسلامي في بواكيره الكلامية	د. حسام محيي الدين الألوسي
4	التصوير الإسلامي بين الحظر والإباحة	د. ثروت عكاشة
	آفاق المعرفة	
1	السرطان مشكلة القرن العشرين	د. محمد نبيل رياض
	أدباء وفنانون	
1	تشارلز رايت ميلز وفلسفة البحث في علم الاجتماع	د. عبدالباسط محمد حسن
	عرض الكتب	
1	مجتمع الكمبيوترات تأليف: جيمس مارتن + أدريان ر.ر.نورمان	محمود حسام الدين رشوان

الشيخوخة

المجلد السادس

23- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1975

ت	عنوان البحث	الباحث
1	عالم الشيخوخة	د. محمد عصام فكري
2	شيخوخة الكون	د. عبدالمحسن صالح
3	الشيخوخة .. هل هي مرض؟	د. فاطمة الغرباوي
4	الشيخوخة في نطاق القانون الجنائي	د. حسن صادق المرصفاوي
	آفاق المعرفة	
1	من أساطير الشرق الأدنى القديم	د. عبدالحميد أحمد زايد
	أدباء وفنانون	
1	مدخل لدراسة طه حسين	أ. فؤاد دوارة
	عرض الكتب	
1	الفلسفة والطب - المؤلف: لليدرمان	د. عزمي إسلام

الفنون الشعبية

المجلد السادس

24- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1976

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الفولكلور والتنمية	أ. رشدي صالح
2	فن النسجيات الشعبية الإسلامية	أ. سعد محمد كامل
3	الوشم في الفن الشعبي	أ. سوسن عامر
4	الفخار الشعبي في مصر	أ. عبدالغني الشال
5	مناهج بحث الفولكلور العربي بين الأصالة والمعاصرة	أ. صفوت كمال
	آفاق المعرفة	
1	القيم العليا في فلسفة الأخلاق	د. توفيق الطويل
	أدباء وفنانون	
1	تنسيون وسيدة جزيرة شالوت	د. عبدالوهاب محمد المسيري
	عرض الكتب	
1	التقويم النفسي للأطفال - تأليف:جيمس +أو.بالمر	د. محمد أحمد غالي
2	تكوين قومي عربي - تأليف: وليم .ال. كليڤلند	د. فيصل الوائلي

المرأة

المجلد السابع

25- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1976

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المرأة والحضارة	د. أحمد أبو زيد
2	مكانة المرأة في التشريع الإسلامي	د. عبدالباسط محمد حسن
3	المرأة في الملاحم الشعبية العربية	أ. محمد رجب النجار
4	المرأة في ثلاثية نجيب محفوظ	د. نور شريف
5	حياء المرأة في القرى العربية الإسلامية تأليف: ريتشارد أنطون	د. فاروق إسماعيل
	آفاق المعرفة	
1	الشعر الروسي الحديث ملامحه واتجاهاته	أ. صبري حافظ
	أدباء وفنانون	
1	ناتالي ساروت	د. سامية أحمد أسعد
	عرض الكتب	
1	أبناء يوم الاثنين الأسود تأليف: غلوريا جونسون بويل	د. عطية محمود هنا

لغة العلم والحياة

المجلد السابع

26- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1976

ت	عنوان البحث	الباحث
1	لغة الأمواج	د. محمود أحمد الشربيني
2	شفرة الوراثة لغة الحياة	د. حسن كامل عوّاض
3	الهرمونات .. أوامر ولغات	د. عبدالمحسن صالح
4	لغة الحيوان	د. يوسف عز الدين عيسى
	آفاق المعرفة	
1	كتاب القانون لابن سينا	د. سلمان قطاية
2	السينما والأدب	أ. فؤاد دوارة
	أدباء وفنانون	
1	الأنوري شاعر السلاجقة	د. أحمد كمال الدين حلمي
	عرض الكتب	
1	لوث ولتكن ملعونا تأليف: أرثر بودن	د. عبدالعزيز أمين

الطفولة والمراهقة

المجلد السابع

27- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1976

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النمو الجسمي في مرحلتي الطفولة	د. سيد خيري
2	النمو النفسي من الطفل إلى الراشد	د. سيد محمد غنيم
3	الانفصال عن العالم والرحيل إلى الأعماق	د. محمد جواد رضا
4	النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة	د. عبدالرحمن عيسوي
	آفاق المعرفة	
1	الشيخوخة في المجتمع الإنساني المتغير	د. أحمد أبو زيد
	أدباء وفنانون	
1	ميكلانجلو	د. ثروت عكاشة
	عرض الكتب	
1	المخدرات وطلبة المدارس تأليف: ر.س.ب.واينر	د. عدنان الدوري
2	ستانلي المستكشف المغامر تأليف: ريتشارد هول	د. محمد عبدالرحمن الشرنوبي

الإنسان والبيئة

المجلد السابع

28- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1977

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أزمة البيئة	د. أحمد أبو زيد
2	الإنسان بين العلم والبيئة	د. محمود أحمد الشربيني
3	البيئة والجريمة	د. حسن صادق المرصفاوي
4	بيئة العصر بين البقاء والفناء	د. محمد عبدالرحمن الشرنوبي
	آفاق المعرفة	
1	الدوافع والحوافز بين النظرية والتطبيق	د. منصور أحمد منصور
2	عقوبة الإعدام بين الإبقاء والإلغاء	د. عبدالوهاب حومد
	أدباء وفنانون	
1	ميخائيل نعيمة ناقدا أدبيا	د. مناف منصور
	عرض الكتب	
1	قوة الفدائيين العرب 1967 - 1972 تأليف: إدجار أوبلانس	د. أسعد عبدالرحمن
2	النمو الإنساني في عصر التحضر د. ثيرون ألكساندر	- مراجعة د. إسحق يعقوب القطب

دراسات في التراث

المجلد الثامن

29- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1977

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تحقيق التراث: تاريخا ومنهجا	د. محمد طه الحاجري
2	من التراث العربي الإسباني	د. أحمد مختار العبادي
3	العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها	د. السيد عبدالعزيز سالم
4	علوم العرب القديمة .. دراسة منهجية لبعض النماذج	د. سعد زغلول عبدالحميد
	آفاق المعرفة	
1	ماذا يحدث في علوم الإنسان والمجتمع؟	د. أحمد أبو زيد
	أدباء وفنانون	
1	طاغور .. الفنان	أ. عبدالعزيز محمد الزكي
	عرض الكتب	
1	الشيطان في الفلسفة الحديثة تأليف: أرنست جلنر	د. عبدالرحمن بدوي
2	الطب النفسي والطب النفسي المضاد تأليف: دافيد كوبر	أ. ياسر الفهد

الزمن

المجلد الثامن

30- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1977

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الزمن البيولوجي	د. عبدالمحسن صالح
2	مفهوم الزمن عند الطفل	د. سيد محمد غنيم
3	الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم	د. حسام الدين الألوسي
4	الزمن عند مارتن هيدجر	د. عبدالرحمن بدوي
	آفاق المعرفة	
1	مفهوم الزمن بين الأساطير والمأثورات الشعبية	أ. صفوت كمال
	أدباء وفنانون	
1	جراهام ولاس	د. محمود أبو زيد
	عرض الكتب	
1	مقدمة نقدية للشعر العربي الحديث تأليف: د. محمد مصطفى بدوي	د. نور شريف

أندريه مالرو

المجلد الثامن

31- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1977

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التحول السياسي من الشيوعية إلى الديجولية	د. ضحى شيخة
2	مالرو - سنجور وحضارة الإنسان	د. جوزين جودت عثمان
3	العقل الثوري في رواية الأمل	سلوى مطر
4	أندريه مالرو قدر الإنسان	د. عزة هيكل
	آفاق المعرفة	
1	من وحي العلوم	د. عبدالعزيز أمين
	أدباء وفنانون	
1	جوانب غير مطروقة من شعر شوقي	د. حلمي مرزوق
	عرض الكتب	
1	ربة البيت - تأليف: آن أوكلي	د. علية حسن حسين
2	سوسيولوجيا العمل المنزلي تأليف: آن أوكلي	د. سامية حسن الساعاتي

آفاق المعرفة

المجلد الثامن

32- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1978

ت	عنوان البحث	الباحث
1	خصائص الفن المصري القديم	د. عبدالحميد زايد
2	اتجاهات جديدة في الفكر التنظيمي	د. علي السلمي
3	منع الحمل	د. سامي عمران
4	صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي	محمد العصفوري
5	3500 عام من عمر إيران	د. أحمد كمال الدين حلمي
6	الإنسان والزمن في التراث الشعبي	د. نبيلة إبراهيم
7	المشكلة السكانية	د. أحمد أبو زيد
8	ماذا يحدث في العلوم البيولوجية؟	د. عبدالمحسن صالح
	عرض الكتب	
1	طبيعة الفقر	د. يحيى فايز الحداد
2	الصحافة في أمريكا تأليف: د.توماس إليوت بيري	د. ياسر الفهد

العلوم عند العرب

المجلد التاسع

33- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1978

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب	د. عبدالرحمن بدوي
2	الطب والأطباء	د. جلال محمد موسى
3	تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون	د. محمد علي أبو ريان
4	جغرافية المدن عند العرب	د. عبدالعال عبدالمنعم الشامي
	آفاق المعرفة	
1	ماذا يحدث الآن في علوم الفضاء؟	سعد أحمد شعبان
	أدباء وفنانون	
1	الأدب والسياسة - مناقشة جديدة لقضية عزرا باوند - تأليف: روبرت أ. كوريجان	صدقي حطاب
	عرض الكتب	
1	إخفاق الثورة الجنسية تأليف: جورج فرانكل	د. جلال الدين الغزاوي
2	جان رينوار - تأليف: جان رينوار	أ. هاشم النحاس

الاتجاهات الحديثة في النقد الأدبي

المجلد التاسع

34- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1978

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الشكل والمضمون في النقد الأدبي الحديث	د. محمد زكي العشماوي
2	نحو علم جمال عربي «تصور تطبيق»	د. عبدالعزيز الدسوقي
3	يحيى حقي بين المصرية والتركية	أ. عبدالعزيز محمد الزكي
4	النقد الروائي الإنجليزي في دور التكوين	د. نور شريف
	آفاق المعرفة	
1	تكنولوجيا العصر والمجال الطبي للعالم العربي سنة 2000	د. مصطفى كمال محمد
2	الدافعية بين التنظير والنمذجة .. دراسة تحليلية مقارنة	د. طلعت منصور
	أدباء وفنانون	
1	ابن شرف القيراوني وآراؤه النقدية في رسالته «أعلام الكلام»	د. محمد سلامة موسى
	عرض الكتب	
1	مقدمة للسكان - تأليف: جودا ماتراس	د. مصطفى ناجي
2	مهاجرون سود ومواطنون بيض تأليف: دانيال لورانس	أ. عبدالله عبدالغني غانم

العلم والتكنولوجيا

المجلد التاسع

35- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1978

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تكنولوجيا بيولوجية في الكائنات الحية	د. عبدالمحسن صالح
2	التكنولوجيا بين الخبرة والعلم	د. محمود أحمد الشربيني
3	البتروكيماويات ومستقبل الصناعات الكيميائية البترولية	د. محمد يوسف محمد بكر
4	التكنولوجيا والطب	د. محمد عصام فكري
	آفاق المعرفة	
1	الواقعة الرومانسية في الرواية الإنجليزية	د. أمين العيوطي
2	الشعر والنقد الأخلاقي	د. محمد مصطفى هدارة
	أدباء وفنانون	
1	كريكور زهراب	أ. فاضل السباعي
	عرض الكتب	
1	تشوسر والأهاجي العصر وسطية في الطبقات - تأليف: مان	د. محمد إسماعيل الموافي
2	لورانس العرب وعالمه تأليف: ريتشارد بيرسيفال غريفز	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

مع الكتب

المجلد التاسع

36- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1979

ت	عنوان البحث	الباحث
1	صانعو الحياة	د. عبدالمحسن صالح
2	شكسبير الحاضر أبداً	د. عبدالواحد لؤلؤة
3	لغة الدراما الحديثة	أ. فؤاد دوارة
4	المغنون العظماء	د. سمحة الخولي
5	الموسيقى بين علم النفس وعلم اللغة	د. آمال مختار
6	دراسات حديثة عن الأوبرا	د. نارية عبدالعزيز عوض
7	الرمز والأسطورة في المجتمعات البدائية	أ. صفوت كمال
8	فرجينيا ولينارد وولف	د. طه محمود
9	دراسات نسائية	السيدة فتحية محمد إبراهيم

الاغتراب

المجلد العاشر

37- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1979

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الاغتراب .. اصطلاحا ومفهوما وواقعا	د. قيس النوري
2	الاغتراب الديني عند فيورباخ	د. حسن حنفي
3	الاغتراب في الذات	د. حبيب الشاروني
4	الاغتراب في الإسلام	د. فتح الله خليف
5	الاغتراب والوعي الكوني	د. مراد مراد وهبة
6	ندوة حول مشكلة الاغتراب	
	شخصيات وآراء	
1	الاغتراب في المسرح المعاصر من خلال مسرح برتولد برشت	د. منى سعد أبوستة
	مطالعات	
1	أصوات من الماضي	د. أحمد أبو زيد
2	جول فيرن والأدب العلمي	د. يوسف عز الدين
	من الشرق والغرب	
1	نقاط التلاقي والصراع بين أوروبا العصور الوسطى والشرق - تأليف: ياروسلاف سيزار + جوزيف فوذار	ترجمة: د.جوزيف نسيم
	صدر حديثا	
1	الفن الإسلامي لغته ومعناه - تأليف: تيتش بودكات	د. سعد زغلول
2	علم الاجتماع - الطلاب والمجتمع تأليف: جيروم رابو	د. الفاروق زكي يونس
3	مستقبل الكتابة - تأليف: روبرت ديسك	د. محمد جواد رضا

التجربة الإسلامية

المجلد العاشر

38- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1979

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المسجد في الإسلام	د. محمد توفيق بلبع
2	الإسلام في أرض الأندلس	د. أحمد مختار العبادي
3	الإسلام والترك	د. سعد زغلول
4	الإسلام والتعريب	د. سعيد عاشور
5	الإسلام في أندونيسيا	د. فيصل السامر
6	الإسلام في الكتابات الغربية	د. محمد توفيق حسين
	مطالعات	
1	الاستشراق والمستشرقون	د. أحمد أبو زيد
	من الشرق والغرب	
1	الطب العربي	د. سليمان قطاية
2	الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي	د. سامي حمارنة
	صدر حديثا	
1	عصر ازدهار بلاد الفرس - تأليف: ريتشارد فراي	عرض وتحليل: د. طه ندا

الطفولة

المجلد العاشر

39- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1979

ت	عنوان البحث	الباحث
1	إعلان حقوق الطفل	
2	الطفل في التراث الشعبي	د. محمد الجوهري
3	ثقافة الطفل	د. ألفت حقي
4	غذاء الحامل وصحة الجنين والوليد	د. محمد أحمد غالي
5	الأطفال واللعب	د. فيولا الببلاوي
6	تنشيط نمو الأطفال	د. طلعت منصور
	شخصيات وآراء	
1	جان جاك روسو والعقد الاجتماعي	د. محمود أبو زيد
2	في ذكرى روسو - تأليف: موريس كراستون	ترجمة: بدرية محمد أحمد
	مطالعات	
1	أدب الرحلات والمغامرات	د. عبدالواحد لؤلؤة
	من الشرق والغرب	
1	الكتابة العربية عنصر زخرفي	د. محمد مصطفى
	صدر حديثا	
1	ديناميات التغير السياسي والاجتماعي في العالم الثالث	عرض وتحليل: د. محمد غانم الرميحي

آفاق المعرفة

المجلد العاشر

40- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1980

م	عنوان البحث	الباحث
1	الشخصية الإسرائيلية	د. حسن ظاظا
2	الدلالة المسرحية	د. سامية أحمد أسعد
3	تكنولوجيا العصر والعالم العربي	د. مصطفى كمال محمد
4	المآثر الرياضية في مصر القديمة	د. عبدالحميد أحمد زايد
5	مع مسيرة العلوم نحو المستقبل	د. عبدالعزيز أمين
6	التغريب في اللغة العربية	د. إبراهيم السامرائي
	عرض الكتب	
1	كتشنر مصمم النصر تأليف: د. كاسار	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
2	الأزمة الحضرية العالمية تأليف: توماس ل. بلير	د. فاروق أحمد مصطفى
3	الأغلبية المغلوبة على أمرها تأليف: كيريستين أموندسن	د. فتحية محمد إبراهيم
4	الخطابات المتبادلة بين فرويد ويونج تأليف: و.ماكغوير	د. مصطفى أحمد تركي

المدينة الإسلامية

المجلد الحادي عشر

41- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1980

ت	عنوان البحث	الباحث
1	قبة الصخرة	د. أحمد فكري
2	الحياة الدينية في المدينة الإسلامية	د. سعد زغلول عبدالحميد
3	الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية	د. سعيد عبدالفتاح عاشور
4	من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية	د. أحمد مختار العبادي
5	المسجد والحياة في المدينة الإسلامية	د. محمد توفيق بلبع
	شخصيات وآراء	
1	الإمام أبو منصور الماتريدي	د. فتح الله خليف
	مطالعات	
1	الإسلام المناضل	أحمد أبو زيد
	من الشرق والغرب	
1	إسهام علماء الإسلام في الرياضيات	أ. عبدالله طحطاح
	صدر حديثا	
1	أفريقيا في التاريخ المعاصر تأليف: بازل ديفدسن	أ. لبيبة محمد موسى

الاتصال

المجلد الحادي عشر

42- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1980

ت	عنوان البحث	الباحث
1	بيولوجيا الاتصال	د. يوسف عز الدين عيسى
2	وسائل الاتصال الحديثة	د. طه محمود طه
3	سيكولوجية الاتصال	د. طلعت منصور
4	ماهية التحرير الإعلامي	د. عبدالعزيز شرف
	شخصيات وآراء	
1	نظرية الخيال عند جاستون باشلار	د. محمد علي الكردي
	مطالعات	
1	النصوص والإشارات	د. أحمد أبو زيد
	من الشرق والغرب	
1	أضواء جديدة على ملاح فاسكو دي جاما	د. محمد عبدالعال أحمد
	صدر حديثا	
1	سياسة الاتصال - تأليف: جون وال	د. محمود أبو زيد
2	ميكانيكا العقل - تأليف: كولين بليكمور	د. عبدالمحسن صالح
3	أينشتين - تأليف: أ. پ. فرينش	د. محمود أحمد الشربيني

الأدب المقارن

المجلد الحادي عشر

43- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1980

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مناهج البحث في الأدب المقارن	د. شوقي السكري
2	الرواية الإنجليزية المترجمة إلى العربية	د. أنجيل بطرس سمعان
3	التصورات الأوروبية للإسلام في العصور الوسطى	د. رشا حمود الصباح
4	الطروبادور والحب الرفيع	د. محمد إسماعيل الموافي
5	جورج اليوت	د. نور شريف
	شخصيات وآراء	
1	جيراردي نوفال	د. نفيسة عبدالفتاح شاش
	مطالعات	
1	دور الكاتب في المجتمع الحديث- تأليف: طه حسين	ترجمة: أ. فؤاد دوارة
2	روبرت براونينج والمونولوج الدرامي	د. عبدالوهاب المسيري
	من الشرق والغرب	
1	الخيال العلمي في الأدب العربي	د. يوسف الشاروني
	صدر حديثا	
1	علم الاجتماع والاشتراكية في الصين المعاصرة تأليف: سيولون ونج	د. السيد الحسيني
2	بريشت: سيرة حياة - مؤلف الكتاب: كلاوس ڤولكر مؤلف المقال عن الكتاب: ريتشارد جيلمان	ترجمة: أ. أحمد محمود صبري

مع الكتب

المجلد الحادي عشر

44- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1981

ت	عنوان البحث	الباحث
1	نظرية المهملات والنفايات	د. أحمد أبو زيد
2	الداروينية في الميزان	د. يوسف عز الدين عيسى
3	الموسيقى والباليه	د. نادية عبدالعزيز
	ترجمات	
1	العلاقة بين الموسيقى والشعر - تأليف:دريه فهمي	ترجمة سونيا نجا
	عرض الكتب - سياسة واجتماع	
1	الأصول الاجتماعية للنظم التعليمية	د. إبراهيم وجيه
2	التفرقة العنصرية	د. فاروق العادلي
3	النظرية الماركسية السياسية	د. عبدالرحمن خليفة
	أدب	
1	الحركة: الشعر الإنجليزي والرواية في الخمسينيات	د. أمين العيوطي
2	حياة غريبة	أحمد محمود صبري
	الإنسان والمجتمع	
1	سيريل بيرت خلف القناع	د. ألفت حقي
	عرض الكتب	
1	منع التلوث - تأليف:دي.ام.ايه. ديامنت	د. عبدالعزيز أمين
2	من أجل تقدم كوكبنا الصغير تأليف:بربارا وورد	ياسر الفهد
3	متوحشون وملوك - تأليف:مارفن هاريس	حافظ الأسود
4	مالتوس والسكان - تأليف: باتريشيا جيمس	د. امل العذبي الصباح
5	سكان أمريكا والاتجاه نحو الثبات - تأليف: تشارلز وستوف	د. محمد الشرنوبي

حضارة الأندلس

المجلد الثاني عشر

45- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1981

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع	د. عباس الجراري
2	المعجم العربي في الأندلس	د. عبدالعلي الودغيري
3	الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي	د. الطرايسي أحمد أعراب
4	مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي	د. محمد مفتاح
	شخصيات وآراء	
1	الرسائل هي الرسائل	د. أحمد أبو زيد
	مطالعات	
1	ف. ر. ليفيز - تأليف: جون هارفي	السيد حسين اللبودي
	من الشرق والغرب	
1	أبو اسحاق الحصري وكتابه زهر الآداب	د. محمد سلامة يوسف
	صدر حديثا	
1	شيخوف: دراسة بنائية - تأليف: جون تالوك	د. فوزي عطية
2	سان سيمون في فرساي(مذكرات) نشر وترجمة: لوسي نورتون	د. محمد طلعت عيسى

جان بول سارتر

المجلد الثاني عشر

46- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1981

ت	عنوان البحث	الباحث
1	جان بول سارتر دراسة تمهيدية بقلم مستشار التحرير	
2	سارتر وجينيه أو الشر والحرية	د. محمد علي الكردي
3	الحرية والالتزام في أعمال سارتر	د. ضحى عبدالعزيز شيحة
4	وظيفة الخيال بين اللغة والفلسفة	د. دولت صالح العرب
5	فلسفة جان بول سارتر	د. حبيب الشاروني
6	مفهوم التحليل النفسي عند سارتر	د. نفيسة عبدالفتاح شاش
7	سارتر والأسطورة اليونانية	د. حفيظة محمد عبدالمنعم
	شخصيات وآراء	
1	رولان بارت: رائد النقد الجديد في فرنسا	د. سامية أحمد أسعد
	مطالعات	
1	العلم في مواجهة المادية قراءة في كتاب «حدود العلم» لسوليفان	د. عماد الدين خليل
	من الشرق والغرب	
1	ثماني وثائق في مهنة الطب	د. محمد عبدالوهاب خلاف
	صدر حديثا	
1	أوليات: الهدف والطريقة - تأليف:إدوارد وليم سعيد	د. عبدالوهاب علي الحكمي
2	عاشقان على النيل-تأليف: ريتشارد هول	د. محمد عبدالغني سعودي

العصور الكلاسيكية

المجلد الثاني عشر

47- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1981

ت	عنوان البحث	الباحث
1	عالم هوميروس	د. لطفي عبدالوهاب
2	تطور الفن الإغريقي	د. أحمد حسن غزال
3	ميديا أو هزيمة الحضارة	د. يحيى عبدالله
4	الثورة الرومانية	د. محمد عواد حسين
5	المصادر الكلاسيكية لمسرح شكسبير	د. احمد عتمان
	شخصيات وآراء	
1	فرديناند تونيز	د. أحمد أبوزيد
	مطالعات	
1	دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري	د. عمر عبدالسلام تدمري
	صدر حديثا	
1	حرب البوير - تأليف:توماس باكنهام	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

القرآن والسيرة النبوية

المجلد الثاني عشر

48- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1982

ت	عنوان البحث	الباحث
1	القرآن والتاريخ	د. عبدالعزيز كامل
2	العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم	د. عبدالحافظ حلمي محمد
3	استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم	د. علي حلمي موسى
4	الأنبياء والمتنبئون قبل ظهور الإسلام	د. سعد زغلول عبدالحميد
5	المعراج وصداه في التراث الإنساني	د. أحمد مختار العبادي
6	أضواء على حركة الردة في صدر الإسلام	سعيد عبدالفتاح عاشور
7	السيرة النبوية بين التاريخ والخيال الشعبي	نبيلة إبراهيم سالم
	من الشرق والغرب	
1	المسجد والقصص والمذكرون	د. محمد توفيق بلبع
	مطالعات	
1	مبادئ التعلم في القرآن الكريم	د. محمد عثمان نجاتي

آفاق معرفية (3)

المجلد الثالث عشر

49- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1982

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المشية في الشعر العربي	د. فاطمة محجوب
2	الأدب التركي المعاصر	د. إبراهيم الداقوقي
3	دراما يوربيدس	د. حسين الشيخ
	فلسفة واجتماع	
1	حرية الإنسان في الميزان	د. محمود زيدان
2	الإبيستمولوجيا الوضعية عند أوجست كونت	د. محمد وقيدي
	علوم	
1	الكيمياء مشكلة الطاقة المكملة	د. محمد نبهان سويلم
	صدر حديثا	
1	الحياة الممتدة - تأليف:ماجنوس بايك	عرض وتحليل: د. محمد عصام فكري
2	الفلاحون الفلسطينيون تأليف: روزماري الصايغ	عرض وتحليل: د. أحمد جمال ظاهر

دراسات الشخصية

المجلد الثالث عشر

50- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1982

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التعلم والشخصية	د. أنور محمد الشرقاوي
2	الشخصية السوية	د. طلعت منصور
3	الأساليب المعرفية الإدراكية	د. نادية محمود شريف
4	الشخصية وتعديل السلوك	د. فيولا الببلاوي
	شخصيات وآراء	
1	عالم وليم فوكنر	د. يوسف عز الدين عيسى
	مطالعات	
1	المجامع اللغوية	د. زكريا أبو حمدية
	من الشرق والغرب	
1	تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي	د. سوادي عبد محمد
	صدر حديثا	
1	ديكنز والعالم الخفي تأليف: هاري ستون	د. سمير البربري
2	القرد الذي فينا	أ. مصطفى عوض إبراهيم

الفكاهة والضحك

المجلد الثالث عشر

51- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1982

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الفكاهة في الأدب العباسي	د. وديعة طه النجم
2	الشعر الشعبي الساخر	د. محمد رجب النجار
3	مفاهيم الفكاهة الفرنسية	د. محمد علي الكردي
4	دون كيشوت	د. أميرة حسن نويرة
	مطالعات	
1	قياس الشخصية	د. نزار مهدي الطائي
	شخصيات وآراء	
1	ماكس فيبر والظاهرة الدينية	د. أحمد أبو زيد
	صدر حديثا	
1	التاريخ الطبيعي للعقل تأليف: جوردون راتري تايلور	عرض وتعليق د. عبدالمحسن صالح
2	سياسة منع الحمل - تأليف: كارل جيراس	عرض وتحليل د. سامي عمران

أدب الرحلات

المجلد الثالث عشر

52- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1983

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الرحلة العربية في المحيط الهندي	د. صلاح الدين الشامي
2	رحلات جليفر	د. نور شريف
3	الرحلة بين الواقع والخيال في أدب أندريه جيد	د. نادية محمود عبدالله
4	الرحلة في القصة الفلسفية خلال القرن الثامن عشر	د. جنات خالد غازي
	من الشرق والغرب	
1	الخط العربي بين الفن والتاريخ	د. محمود حلمي
2	الشخصية من المنظور الفينومينولوجي	د. حليم السعيد بشاي
	شخصيات وآراء	
1	عبدالحميد بن هدوقة والرواية الجزائرية	د. السيد عطية أبوالنجا
	صدر حديثا	
1	السلوك والتطور تأليف جان بياجيه،	عرض وتحليل: د. سليمان الخضري

الصهيونية

المجلد الرابع عشر

53- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1983

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحركة الصهيونية	د. عبدالوهاب المسيري
2	النظرية والممارسة الصهيونية، تأليف: آن م. لش	ترجمة: يسر عبدالموجود ومحمد جمال إمام
3	العرب والصهيونية	جودة عبدالخالق
4	قضية حدود إسرائيل الآمنة، تأليف: نيلز جونسون	ترجمة: يسر عبدالموجود
5	هتلر والصهيونية	سعد الله حلابا
	شخصيات وآراء	
1	إيجور سترافنسكي	د.سمحة الخولي
	مطالعات	
1	بعض كلاسيكيات الرفض اليهودي للصهيونية	د. هدى عبدالسميع حجازي
2	توظيف الشخصية الدينية في الأدب لخدمة الفكرة الصهيونية	د. أحمد حماد
	من الشرق والغرب	
1	الإسلام والتنمية الاقتصادية	د. محمد شوقي الفنجري
2	الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك	د. محمد رجب النجار
	صدر حديثا	
1	تغطية الإسلام، تأليف: إدوارد سعيد	د. محمود الذوادي

قراءات جديدة في كتابات قديمة

المجلد الرابع عشر

54- العدد الثاني - يوليو - أغسطس – سبتمبر 1983

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ابن خلدون مؤرخا	د. سعد زغلول عبدالحميد
2	كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي	د. محمد حسن عبدالله
3	كتاب الإلمام للنويري الإسكندراني	د. عزيز سوريال عطية
4	أضواء جديدة على المؤرخ أحمد بن علي المقريزي وكتاباته	د. سعيد عاشور
	شخصيات وآراء	
1	أبو بكر الرازي	د. جلال شوقي
	مطالعات	
1	الفيزياء والحيل عند العرب	د. محمد عيسى صالحية
	من الشرق والغرب	
1	قراءة ثانية من معجم البلدان لياقوت الحموي	د. إحسان صدقي العمد
	صدر حديثا	
1	الصراع من أجل أن تكون إنسانا .. الجريمة وعلم الإجرام والفوضوية - تأليف: ل.تيفت ود.سوليفان	عرض وتحليل د. عدنان الدوري

أدب المراسلات

المجلد الرابع عشر

55- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أدب المراسلات في العصر الأموي	د. حسين نصار
2	أدب المراسلات في فرنسا	د. ضحى شيحة
3	مصر والشرق في مراسلات جوستاف فلوبير	د. دولت صالح العرب
4	رسائل مردث (التعبير عن الصمت)	د. محمد شاهين
	شخصيات وآراء	
1	شخصية البطل العربي في النثر اليوغسلافي	د. جمال الدين سيد
	مطالعات	
1	الأحوال الداخلية في سلطنة الأشرف شعبان بن قلاوون	د. حياة الحجي
	من الشرق والغرب	
1	إعادة بناء الفكر الديني عند ابن المقفع	د. سعيد منصور
2	الموهبة والمستقبل	د. عبدالله سليمان
	صدر حديثا	
1	المعنى والنظام في المجتمع المغربي	د. عادل مصطفى
2	من هندسة الحديد إلى هندسة المجتمع تأليف: Placido Bacdo	د. لبيبة موسى

الإعلام والرأي العام

المجلد الرابع عشر

56- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1984

م	عنوان البحث	الباحث
1	الثورة الحالية في أساليب الاتصال	د. صلاح الدين طلبة
2	النظام الجديد للإعلام الدولي	د. خليل صابات
3	الرأي العام في الدول النامية	د. كمال المنوفي
4	المسرح السياسي	د. أمين العيوطي
5	وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الفرد	د. مصطفى أحمد تركي
6	الصحافة الأفريقية بين التبعية والاستقلال	د. عواطف عبدالرحمن
	مطالعات	
1	الإسلام والإبداع الشعري	د. سليمان الشطي
	من الشرق والغرب	
1	المجتمع العربي الإسلامي في بلرمو	د. عمر كمال توفيق
2	المنهج في البحوث المستقبلية	د. ناهد صالح
	صدر حديثا	
1	المسرح السياسي-تأليف: إرفين بيكاتور	عرض وتحليل: د. أمل فضل حركه
2	الحرية واللغة-تأليف: جيڤري ساميون	عرض وتحليل: د. محمود حمدي عبدالغني
3	أنبياء بلا كرامة-تأليف:فريدريك جرونفلد	عرض وتحليل: د. كمال رضوان
4	كيف تكتب الأخبار للإذاعة والتلفاز والصحافة؟ - تأليف: دافيد دراي	عرض وتحليل: أ. ياسر الفهد

الشعر والدراما

المجلد الخامس عشر

57- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1984

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الغربة المكانية في الشعر العربي	د.عبده بدوي
2	تفسير الفكرة في «كويلاخان»	د.جبارة عبدالله محمد الحسن
3	بداية المسرح الشعري بالمغرب	د.عبدالرحمن بن زيدان
4	الدراما الملحمية في مصر	د.حياة جاسم محمد
5	عن المسرح الشعري	د.لطفي عبدالوهاب
6	مسرحية أنطوني وكليوباترا لشكسبير	د.أحمد عتمان
	شخصيات وآراء	
1	الموسيقار ألبنيز	د.درية فهمي
2	تنسيون وسيدة جزيرة شالوت	د.عبدالوهاب المسيري
	مطالعات	
1	عاشق الشرق.. بيير لوتي	د.أحمد عبدالرحيم مصطفى
	من الشرق والغرب	
1	أبو الفرج الأصفهاني	د.محمد خير الشيخ موسى
	حضارات	
1	شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية	د.عبدالعزيز صالح

فكر وفن

المجلد الخامس عشر

58- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1984

ت	عنوان البحث	الباحث
	أولا في الفلسفة	
1	التيارات الفكرية في فرنسا اليوم	د.عبدالرحمن بدوي
	ثانيا في الأدب	
1	إشكالية الخطاب الروائي العربي	د.صدوق نور الدين
2	عن الخيال الشعري	د.جابر عصفور
3	الاغتراب الكافكاوي	د.إبراهيم محمود
4	جوناثان سويفت	د.أميرة حسن نويره
5	ثلاث مدن إسبانية في شعر عبدالوهاب البياتي	د. محمد عبدالله الجعيدي
	ثالثا في الفن	
1	القيم الجمالية في العمارة الإسلامية	د.ثروت عكاشة
2	الحركة الفنية في أمريكا	د.أحمد محمود مرسي
3	سيف وانلي	د.محمود عوض عبدالعال
	من الشرق والغرب	
1	الثقافة والدين	د.عبدالعزيز كامل
	مطالعات	
2	الصهيونية الجديدة	ترجمة وتعليق: د. شوقي السكري

كتابات في الحضارة

المجلد الخامس عشر

59- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1984

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحضارة: بين علماء الأنثروبولوجيا والأركيولوجيا	د. أحمد أبو زيد
2	متى وأين بدأت الحضارة؟	د. عبدالحميد زايد
3	التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السريانية العراقية	د. جاسم صكبان علي
4	الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى	د. رشا حمود الصباح
5	نصتان في ضوء الوثائق البردية	د. مصطفى العبادي
6	قصور أشبيلية في العصر الإسلامي	د. السيد عبدالعزيز سالم
	مطالعات	
1	كتاب المكافأة لابن الداية	د. سليمان عبدالعظيم العطار
2	متى تموت الفلسفة ومتى تحيا؟	د. حسن حنفي
	من الشرق والغرب	
1	في فلسفة العلوم الإنسانية	د. عزمي إسلام
2	قراءة جديدة في أسباب سقوط الدولة الأموية	د. عبدالجبار منسي العبيدي

الظاهرة الإبداعية

المجلد الخامس عشر

60- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1985

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تمهيد .. الظاهرة الإبداعية	د. أحمد أبو زيد
2	ثلاثة جوانب في دراسة الإبداع	د. عبدالستار إبراهيم
3	ديناميات العبقرية	د. محمد أحمد سلامة
4	مفهوم المكان في المسرح المعاصر	د. سامية أحمد أسعد
5	الرؤية الاجتماعية في النقد الفرنسي المعاصر	د. محمد علي الكردي
6	التفاعل الرمزي	د. قيس النوري
	مطالعات	
1	دراسة في المسرح الأفريقي	د. أنارذر فورد
	من الشرق والغرب	
1	الإبداع الفني بين الحرية والالتزام	د. يوسف السيسي
	حضارات	
1	الأسس النظرية للطب الإسلامي	د. بول غليونجي
2	الكتابات القديمة	د. سيد فرج راشد
	صدر حديثا	
1	تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه تأليف: د.الحسن بن عمر بن حبيب	عرض وتحليل: د.سعيد عاشور

الملاحم

المجلد السادس عشر

61- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1985

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ملحمة جلجامش	د. فاضل عبدالواحد علي
2	خصائص التشكيل الفني في إلياذة هوميروس	د. حلمي عبدالواحد خضرة
3	شاهنامة الفردوسي	د. أحمد كمال الدين حلمي
4	أنشودة رولان	د. جوزيف نسيم
5	سيرة فيروز شاه	د. محمد رجب النجار
6	ملحمة بيولف	د. مجدي وهبة
	مطالعات	
1	الملاحم بين اللغة والأدب	محمد شوقي أمين
	من الشرق والغرب	
1	الأمير عبدالقادر الجزائري	د. تركي رابح عمامرة
2	قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا	د. أبو القاسم سعدالله
3	التراث الشفاهي ودراسة الشخصية القومية	السيد حافظ الأسود
	صدر حديثا	
1	نصيحة لعالم شاب - تأليف: سير بيتر	عرض وتعليق: د. عبدالمحسن صالح

شخصيات وآراء

المجلد السادس عشر

62- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1985

ت	عنوان البحث	الباحث
1	لسان الدين بن الخطيب	د. أحمد مختار العبادي
2	بين مسرح كالديرون وفكر ابن عربي	د. سليمان عبدالعظيم العطار
3	ثلاثية صموئيل بيكيت	د. صبار سعدون سلطان
4	فتاة من حائل تأليف: محمد عبده يماني	عرض وتحليل: فاضل السباعي
5	يوليوس قيصر	د. أحمد عتمان
6	مذكرات نوبار باشا	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
7	ليوناردو دافنشي	د. ثروت عكاشة
8	ثرثرة فوق النيل	د. محمد سويرتي
9	البحث عن عنوان	د. يوسف الطراونة
10	ممر الملوك	د. ندية إبراهيم عارف
11	في تاريخ السينما العالمية	د. محمد صوف

الرمز والأسطورة

المجلد السادس عشر

63- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1985

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الرمز والأسطورة الفرعونية	د. عبدالحميد زايد
2	الزمان والمكان في قصة العهد القديم	د. أحمد عبداللطيف حماد
3	الأسطورة في مأساة «أوديب ملكا»	د. لطفي عبدالوهاب يحيى
4	الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر	د. سامية أسعد
5	الرمزية في الفن الحديث	د. صبري منصور
	شخصيات وآراء	
1	عبداللطيف البغدادي	د. محمد توفيق بلبع
	مطالعات	
1	مشكلات المنهج في التحليل الاجتماعي للأساطير	د. محمود أبو زيد
2	الأسس الفلسفية للتحليل النفسي	د. محمد سبيلا
	من الشرق والغرب	
1	التصور الإسلامي التركي	د. نعيمة الشيسيتي
2	الإسلام والعلوم الدقيقة تأليف. د.رشدي راشد	ترجمة: السيد نبيل السخاوي
	صدر حديثا	
1	الاتصال والمجتمع	عرض وتحليل: أ. ياسر الفهد

في اللغة والأدب

المجلد السادس عشر

64- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1986

ت	عنوان البحث	الباحث
1	دراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى	د. أحمد محمد قدور
2	دور الشعر وخدمته لعملية التنمية الثقافية	د. عبده بدوي
3	اللغة في شعر أبي تمام	د. فهد عكام
4	تطور الفكر الترجمي في أوروبا	د. فوزي عطية
	شخصيات وآراء	
1	وليام بليك بين البراءة والخبرة	د. عبدالوهاب المسيري
2	ألفرد إير وسيرته الذاتية	د. محمود زيدان
	مطالعات	
1	القضاء في قرطبة	د. محمد عبد الوهاب خلاف
2	كن نفسك .. قراءة في نصوص نيتشه النفسية	د. عبدالغفار مكاوي
	من الشرق والغرب	
1	أضواء على الرواية التونسية المعاصرة	د. فوزي الميلادي
2	التاريخ والتأليف المسرحي في سورية ومصر	د. أحمد زياد محبك
	صدر حديثا	
1	دفاعا عن الخيال - تأليف: هيلين جاردنر	عرض وتحليل د. نور شريف

الملاحم والسير الشعبية

المجلد السابع عشر

65- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1986

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الآداب الشعبية والتحولات التاريخية الاجتماعية .. مثال سيرة بني هلال	د. عبدالرحمن أيوب
2	السيرة الهلالية	د. عبدالحميد يونس
3	مفهوم الشر في الأدب الشعبي	د. أحمد مرسي
4	ملحمة في قالب حكاية	د. هيام أبو الحسين
5	الفولكلور والتراث	د. عبداللطيف البرغوثي
6	العدو المسلم في ملاحم النهضة الأوروبية	د. رشا حمود الصباح
	شخصيات وآراء	
1	الجبرتي والغرب	السيد مصطفى عبدالغني
	مطالعات	
1	الأدب المغربي الحديث في اللغة الإسبانية	د. حسن الوراكلي
	من الشرق والغرب	
1	الفن والحداثة بين الأمس واليوم	السيد مختار العطار
2	التيار البرجماتي	د. لطيفة حليم
	صدر حديثا	
1	كنوز الفن الإسلامي	أ. محمد المهدي

الهجرة والهجرة المعاكسة

المجلد السابع عشر

66- العدد الثاني - يوليو –غسطس - سبتمبر 1986

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الهجرة وانتقال الأيدي العاملة	د. باقر سلمان النجار
2	الهجرة والهجرة المعاكسة	د. عبدالرسول الموسى
3	الهجرة والهجرة المعاكسة في الكويت	د. محمد صادق
4	البيانات الإحصائية لظاهرة الهجرة الدولية	د. أمل يوسف الصباح
	شخصيات وآراء	
1	اللغة المحكية في أدب الجاحظ	د. عمر الدقاق
	مطالعات	
1	حضرة المحترم	د. محمد أسويرتي
	من الشرق والغرب	
1	بداية الكتابة العربية	د. محمود حلمي
2	مصر والولادة الثانية	د. مصباح أحمد الصمد
	صدر حديثا	
1	تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم تأليف: أ. عبدالمنعم السيد عشري	عرض وتحليل د. كارم السيد عشري
2	نظام الخطاب وإرادة المعرفة تأليف: ميشيل فوكو	السيد علوط محمد ترجمة: أحمد السطاتي وعبدالسلام بنعبد العالي

علوم الصحاري

المجلد السابع عشر

67- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1986

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تنمية الموارد البيولوجية في صحاري الوطن العربي	د. محمد عياد
2	التصحر وتأثيره على الأمن الغذائي	د. محمد الخش
3	حياة البدو والرعاة في شمالي أفريقيا والسودان	د. مصطفى خوجلي
	شخصيات وآراء	
1	بوتتشللي	د. ثروت عكاشة
	مطالعات	
1	التفسير الإبيستمولوجي لنشأة العلم	د. حسن عبدالحميد
2	الإعلام والتنمية	د. علية حسين
	من الشرق والغرب	
1	فوتيوس والقطيعة بين كنيستي روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي	د. عبدالرحمن عبدالغني
2	جمال عبدالرحيم واتجاه جديد في التأليف الموسيقي	أ محمد عبدالوهاب عبدالفتاح
	صدر حديثا	
1	دراسة الرواية تاليف: جيريمي هوثورن	عرض وتحليل: أ.ياسر الفهد

المسرح

المجلد السابع عشر

68- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1987

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمهيد .. ما قبل المسرح	د. أحمد أبو زيد
2	البدايات الأولى للمسرح في اليمن	د. عبدالعزيز المقالح
3	المسرح ومشكلة التبعية	د. مفيد الحوامدة
4	توظيف التراث وإشكالية التأصيل	د. مصطفى رمضاني
	شخصيات وآراء	
1	دلالة التجديد في الشعر	د. محمد إقبال عروي
2	ابن حيان	د. بركات محمد مراد
3	عباس بن فرناس	د. سوادي عبد محمد
	مطالعات	
1	الحقيقة التاريخية	د. لطفي عبدالوهاب
2	مسرح الطليعة الفرنسي تأليف: رولان بارت	ترجمة: أ. رشيد بناني
	من الشرق والغرب	
1	الريحاني وكارلايل	د. ليلى المالح
2	البنية .. وهم البحث عن هوية	محمد صوف
	صدر حديثا	
1	انجريد جالستر مسرح ج. ب. سارتر: إمام أول نقاده	عرض وتحليل: د. سامية أسعد

الجنون في الأدب

المجلد الثامن عشر

69- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1987

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الجنون في الأدب	د. رشا حمود الصباح
2	الجنون في الأدب الفرنسي	د. محمد علي الكردي
3	المرض العقلي والإبداع الأدبي	د. شاكر عبدالحميد
4	مساهمة في بويطيقا البنية الروائية الجنونية	د. محمد اسويرتي
	شخصيات وآراء	
1	المسرح التحريضي	د. أحمد العشري
	مطالعات	
1	الأسواق التقليدية كوسيلة للاتصال	د. السيد أحمد حامد
2	قراءة في مقدمة طبقات فحول الشعراء	د. سليمان الشطي
3	حول القيمة المهيمنة	د. أنور المرتجي
	من الشرق والغرب	
1	الإيقاع في موسيقى عصر الباروك	د. جيلان عبدالقادر
2	أضواء على منزلة المرأة في العصر العباسي	د. وديعة طه النجم
	صدر حديثا	
1	كافور	عرض وتحليل: د. منصور أبو خمسين

الأمن الغذائي

المجلد الثامن عشر

70- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1987

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ما بين التخمة والمجاعة وإشكالية الغذاء في المجتمع المعاصر	د. أسامة الخولي
2	واقع الأمن الغذائي العربي	د. محمد علي الفرا
3	اقتصاديات الزراعة في الأقطار العربية	د. صديق عبدالمجيد صالح
4	الأمن الغذائي في الوطن العربي	د. صبحي القاسم
5	الأمن الغذائي والصناعات الغذائية في الوطن العربي	د. فلاح سعيد جبر
	شخصيات وآراء	
1	ديمتري كابالفسكي	د. سمحة أمين الخولي
2	من الدرس الدلالي للعربية الفصحى	السيد أحمد محمد قدور
	مطالعات	
1	قضية التعبير عن الحب عند الشاعرات	د. عبده بدوي
2	الأغاني الشعبية المناضلة	د. عبداللطيف البرغوثي
	من الشرق والغرب	
1	ثنائية البناء في مسرحية أنتيجوني	د. محمد حمدي إبراهيم
	صدر حديثا	
1	المواءمة - الاتصال والمعرفة	عرض وتحليل: د. عبده الراجحي

الحاسوب

المجلد الثامن عشر

71- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1987

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحاسوب هذا الطفل الذي ولد كبيراً	د. أسامة الخولي
2	مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات	د. عبدالإله الديوه جي
3	اللغة العربية والحاسوب	د. نبيل علي
4	الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية	د. علي فرغلي
	شخصيات وآراء	
1	تحولات الأزمنة وتعارضات الحداثة في شعر الخليج المعاصر	د. طه وادي
2	تأثير «الف ليلة وليلة » على الأدباء الروس في القرن الـ 19	د. نادية سلطان
	مطالعات	
1	موقف النقاد العرب القدماء من الغموض	د. إبراهيم سنجلاوي
2	السريالية والجنون	أ. سمير غريب
	من الشرق والغرب	
1	رواية تكوين الشخصية	د. نضال موسى
2	الملحمة في التراث الأدبي العربي	د. ناصر يوسف العثامنة
	صدر حديثا	
1	الجيل الخامس .. الذكاء الاصطناعي والتحدي الياباني للعالم تأليف: إدوارد فايجنبوم وباميلا ماك كوردك	عرض وتحليل: د. ميرفت غيث
2	علم الأصوات في القرن العشرين تأليف: ستيفن ر. أندرسون	د. محمد سامي أنور

الدراسات المستقبلية

المجلد الثامن عشر

72- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1988

ت	عنوان البحث	الباحث
1	من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية	د. المهدي المنجرة
2	الدراسات المستقبلية (الإشكاليات والآفاق)	د. عواطف عبدالرحمن
3	مستقبل البشرية بين رؤى العالم الثالث وفظاظة العالم	د. نادر فرجاني
4	الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل	د. محمود عبدالفضيل
5	النماذج الرياضية والمحاكاة في اتخاذ القرارات والدراسات المستقبلية	د. معتز خورشيد
	شخصيات وآراء	
1	الشخصية المسرحية	د. سامية أسعد
2	لسان الدين بن الخطيب	د. حسن الوراكلي
	مطالعات	
1	ملحوظات حول المسرح التربوي (التجربة البريطانية)	د. محمود الشتيوي
	من الشرق والغرب	
1	أفريقيا ومشكلة البحث عن هوية	د. أحمد أبو زيد
2	السخرية في أدب المعري	د. عدنان عبيد العلي
	صدر حديثا	
1	الرواية السوفييتية تأليف: كاترينا كلارك	عرض وتحليل: د. مكارم الغمري
2	تأملات في الجريمة تأليف: جايمس ولسن	عرض وتحليل: د. محمود الذاودي

الثقافات في العالم الثالث

المجلد التاسع عشر

73- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيـو 1988

ت	عنوان البحث	الباحث
1	عالم الثقافة المتخلفة	د. شاكر مصطفى
1	مفاهيم فلسفية في الثقافات الإفريقية	د. أحمد أبو زيد
2	ثقافة أمريكا اللاتينية	د. محمود صبح
3	الثورة الثقافية في تاريخ الصين	د. عبدالرحيم أحمد حسين
	شخصيات وآراء	
1	توفيق الحكيم والمسرح العربي	د. محمد مصطفى بدوي
	مطالعات	
1	الحكاية الشعبية في مسرح نجيب سرور	د. أحمد محمد صقر
2	أربعة نماذج مبكرة من الخط الإسلامي الأثري	السيد محمود حلمي
	من الشرق والغرب	
1	الأدب المغربي الناطق بالفرنسية	د. ضحى محمد شيحة
2	قيم إنسانية في مسرحية إلكيستيس	د. حلمي عبدالواحد خضرة
	صدر حديثا	
1	أساتذة الجامعات الأمريكية تأليف: هاوود بودين وجاك شوشتر	عرض وتحليل: د. جورج جعنيني
2	عقائد نووية تأليف: جوزيف ناي	عرض وتحليل: د. عدنان مصطفى

الاتجاهات الحديثة في التربية

المجلد التاسع عشر

74- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1988

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التربية ومستقبل الأمة العربية	د. محمد الأحمد الرشيد
2	نحو اتجاهات حديثة في سياسة التعليم العام	د. أحمد المهدي عبدالحليم
3	التعليم الفني بين الأسر والانطلاق	د. يوسف عبدالمعطي
4	الجامعات وتحديات المستقبل	د. عبدالله بوبطانة
5	أنماط التعليم غير النظامي	د. سعاد خليل إسماعيل
	شخصيات وآراء	
1	الإمام عبدالحميد بن باديس ومنهجه في الإصلاح	د. محمود قاسم
	مطالعات	
1	صورة باريس في الأدب العربي الحديث حتى الحرب العالمية الأولى	د. خليل الشيخ
	دائرة الحوار	
1	اللغة العربية والحاسوب	
	من الشرق والغرب	
1	السير الشعبية العربية	د. فاروق خورشيد
	صدر حديثا	
1	الإسكندرية .. دليل تاريخي وأثري تأليف: ا.م: فورستر	عرض وتحليل: د. نور شريف

الحداثة والتحديث في الشعر

المجلد التاسع عشر

75- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1988

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة	د.عبدالله المهنا
2	انكسار النموذجين الرومانسي والواقعي في الشعر	د. شكري محمد عياد
3	الشعر العربي الحديث بين التقاليد والثورة	د. محمد مصطفى بدوي
4	الحداثة .. فكرة في شعر أدونيس	د. محمد الخزعلي
5	الشاعر والمدينة	د. محمود الربيعي
6	الشاعر والمدينة في العصر الحديث	د. محمد عبده بدوي
	شخصيات وآراء	
1	الصهيونية الأممية	د. مهنا يوسف حداد
	مطالعات	
1	كتابة المحو	أ. محمد بنيس
2	تجربتي الشعرية ومفاهيم الحداثة	أ. سامي مهدي
	من الشرق والغرب	
1	البرهان الرياضي على المعرفة بوجود الله عند جان موران	د. عزمي إسلام
	صدر حديثا	
1	كيف اغتنى الغرب؟ تأليف: ناثان روزنبرغ	عرض وتحليل: د. الفونس عزيز

الترجمة والتعريب

المجلد التاسع عشر

76- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1989

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمهيد .. آفاق الترجمة والتعريب	د. نجاة عبدالعزيز المطوع
2	ترجمة .. النص الأدبي	د. سامية أسعد
3	اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة	د. كارم السيد غنيم
4	تعريب المصطلح العلمي	د. قاسم السارة
5	الرواية الألمانية الحديثة	د. عبده عبود
	شخصيات وآراء	
1	الغزالي ونظرية المعرفة	د. مصطفى النشار
	مطالعات	
1	مسيرة الحضارة من شك التجريد إلى يقين التجريب	د. جلال شوقي
2	أسئلة الشعر في زمن اللاشعر	د. رشيد بنحدو
	من الشرق والغرب	
1	الأمة والوطن والمواطن عند رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي	د. عزت قرني
	صدر حديثا	
1	تاريخ مختصر لمصر الحديثة تأليف: عفاف لطيف السيد مارسون	عرض وتحليل: د. عبدالمالك التميمي
2	خيول الصحراء الكبرى تأليف: أوجين دوما	عرض وتحليل: د. سليمان قطاية

مناهج البحث العلمي

المجلد العشرون

77- العدد الأول - أبريل - مايو - يونيو 1989

ت	عنوان البحث	الباحث
1	في مناهج البحث العلمي: وحدة أم تنوع	د. أسامة الخولي
2	تطور مناهج البحث في العلوم الاجتماعية	د. عبدالوهاب بوحديبة
3	مسيرة الفيزياء على الحبل المشدود	د. محمد علي العمر
4	بحوث العمليات .. علم حديث أم منهج جديد؟	د. عبدالغني الإمام
5	تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية	د. قاسم عبده قاسم
	شخصيات وآراء	
1	بيوت البرمجيات وأهميتها الإستراتيجية	د. عبدالإله الديوه جي
	مطالعات	
1	معركة حطين .. خلفياتها ودلالاتها	د. جوزيف نسيم
	صدر حديثا	
1	تأملات حول التاريخ والمؤرخين تأليف: تيودورس . هيمرو	عرض وتحليل: د. مصطفى العبادي
2	الفوضى .. صناعة علم جديد تأليف: جامز چليسك	عرض وتحليل: د. محمد عامر

التنمية الإدارية

المجلد العشرون

78- العدد الثاني - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1989

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التلازم بين التنمية الإدارية وإدارة التنمية	د. موضي عبدالعزيز الحمود
2	مهنية الإدارة	د. علي السلمي
3	إداريو التنمية	د. أسامة عبدالرحمن
4	مستقبل التنمية الإدارية في الوطن العربي	د. إبراهيم سعد الدين
5	مؤسسات التنمية الإدارية في الوطن العربي	د. محمد الطويل
	شخصيات وآراء	
1	بول تيليش	د. يمنى طريف الخولي
	مطالعات	
1	طه حسين وقضية الترجمة	د. يوسف بكار
	من الشرق والغرب	
1	عوامل نهضة الشعر الديني في العصر الحديث	د. حلمي محمد القاعود
	صدر حديثا	
1	دانتي: محبًّا للأساطير والحكمة تأليف: باتريك بويد	عرض وتحليل: د. رشا الصباح
2	دور الإسلام في السياسة الخارجية تأليف: عضيد داويشا	عرض وتحليل: د. إسماعيل صبري مقلد

الألسنية

المجلد العشرون

79- العدد الثالث - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1989

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمهيد .. المصطلح الألسني العربي	د. أحمد مختار عمر
2	تحليل عملية التكلم	د. عبدالرحمن أيوب
3	الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة	د. يحيى أحمد
4	الدراسة الإحصائية للأسلوب	د. سعد مصلوح
5	الاقتضاء في التداول اللساني	د. عادل فاخوري
6	محاولة ألسنة في الإعلال	د. أحمد الحمو
	مطالعات	
1	صور من تطور لغة الشعر العربي الحديث عن طريق المجاز	د. أحمد محمد قدور
	من الشرق والغرب	
1	السياق التاريخي والثقافي للشعر الزنوجي الأفريقي - الأمريكي	د. بنعيسى بوحمالة
	صدر حديثا	
1	اللغة العربية والحاسوب تأليف د. نبيل علي	عرض وتحليل: د. علي صبري فرغلي
2	بيروقراطية الخدمات الجماهيرية تأليف: Micheal lipaky	عرض وتحليل: د. فهد الناصر

العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية

المجلد العشرون

80- العدد الرابع - يناير - فبراير - مارس 1990

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمهيد .. العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية	د. عبدالمالك التميمي
2	العلوم الطبيعية والإنسانية ودور المؤسسات العلمية	د. أحمد سعيدان
3	العلم والقيم الأخلاقية	د. عبدالله العمر
4	انهيار اليقين	د. محمد عامر
5	لمحات تاريخية من الفكر التربوي في مقدمة ابن خلدون	د. سوادي عبد محمد
	شخصيات وآراء	
1	الفلسفة الثنائية عند زكي نجيب محمود	د. إمام عبدالفتاح إمام
	مطالعات	
1	فنية القصة في كتاب «البخلاء» للجاحظ	د. ضياء الصديقي
	من الشرق والغرب	
1	الرواية الفرنسية الجديدة	د. مصباح أحمد الصمد
	صدر حديثا	
1	أوضاع العالم عام 1987	عرض وتحليل: د. أبو المجد حرك
2	بنية العقل العربي تأليف د. محمد عابد الجابري	عرض وتحليل: د. محمود الذوادي

احتجبت المجلة عاماً كاملاً
بسبب الاحتلال العراقي لدولة الكويت

الطاقة النووية

المجلد الحادي والعشرون

81- العدد الأول - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1991

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمهيد	د. عدنان شهاب الدين
2	تطور الطاقة النووية	د. عبدالرزاق قدورة
3	منظور السلام والأمان في صناعة الطاقة الكهرونووية	د. عدنان مصطفى
4	أبعاد التلوث الإشعاعي للبيئة	د. محمد ناصف قمصان
	مطالعات	
1	إستراتيجية الكتابة النسائية	د. رشيدة بنمسعود
2	محارق إيلي ويزل الروائية	د. شاكر محمود مصطفى
	من الشرق والغرب	
1	أسطورتان دالتان في الحضارة الأوروبية فاوست ودون جوان	د. مجدي وهبة
2	إعادة اكتشاف الثقافة اليونانية في الوعي المصري الحديث	د. عزت قرني
	صدر حديثا	
1	السلامة في المفاعلات النووية تأليف: د. جمال الدين	عرض وتحليل: د. محمود عياش
2	الحرب النووية القادمة تأليف: جمال الدين محمد موسى	عرض وتحليل: د. كارم السيد غنيم

آداب وفنون

المجلد الحادي والعشرون

82- العدد الثاني - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1991

ت	عنوان البحث	الباحث
1	العالم الشعري لأحمد العدواني .. دراسة نصية	د. نورية الرومي
2	الحداثة والمسرح العربي	د. عبدالعزيز حمودة
3	الموقف النقدي من الشعر الإسلامي في عصر المخضرمين	طيبة البودي
4	الوعي الوحدوي في قصيدة الجهاد المغاربية	د. حسن الوراكلي
5	حول دور الترجمة الأدبية في تشكيل صورة العرب في الأقطار الأوروبية والغربية	د. عبده عبود
	من الشرق والغرب	
1	فضيحة ليسنكو	د. سمير رضوان
	شخصيات وآراء	
1	نجيب محفوظ ورواية الاستدعاء التاريخي	د. حلمي محمد القاعود
	مطالعات	
1	مصادر دراسة المأثورات الشعبية في التراث العربي	د. محمد رجب النجار

آفاق نقدية

المجلد الحادي والعشرون

83- العدد الثالث - يناير - فبراير - مارس 1993

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مسرح برتولد بريخت بين النظرية الغربية والتطبيق العربي	د. أحمد العشري
2	عبدالقادر ربيعة والتشويه من الداخل في ضوء العلاماتية البنيوية	د. عبدالكريم حسن
3	مستويات شعر الغزل عند العقاد	د. أحمد درويش
4	تجليات الأصالة في الشعر الحديث	د. عبده بدوي
5	فعل الإبداع الفني عند نجيب محفوظ	د. عزت قرني
	مناقشات	
1	إعادة تمحيص المؤثرات الأجنبية في القصة العربية الحديثة	د. عبدالله أبو هيف
	شخصيات وآراء	
1	التوثيق الميداني عند ابن حزم	د. محمد محمد بنعيش
	مطالعات	
1	عصر المعلومات ومناهج البحث في العلوم	د. علي فرغلي
	صدر حديثا	
1	أثينا السوداء تأليف مارتن برنال	عرض وتحليل: د. مصطفى العبادي

تيارات روائية

المجلد الحادي والعشرون

84- العدد الرابع - أبريل - مايو - يونيو 1993

ت	عنوان البحث	الباحث
1	لماذا الرواية؟	د. هاني الراهب
2	رحلة إلى الأبدية	د. هاني الراهب
3	مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي	د. بوطيب عبدالعالي
4	تيار الواقعية في الرواية	عبدالله بن عتو
5	الرواية الإسبانية بعد الحرب الأهلية	د. علي عبدالرؤوف
	شخصيات وآراء	
1	ظاهرة التنقل في حياة الشيخ عبدالعزيز الرشيد	د. فتوح الخترش
	مناقشات	
1	الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن	أ. ماهر المنجد
	من الشرق والغرب	
1	التراث الحضاري لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر	د. عبدالله عبدالرازق
	صدر حديثا	
1	الإبداع/ الابتكار في العلوم الاجتماعية	د. محمود الذوادي

الآثار النفسية والسلبية للعدوان العراقي على الكويت

المجلد الثاني والعشرون

85- العدد الأول - يوليو - أغسطس - سبتمبر 1993

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التأثيرات السلبية المعرفية والانفعالية والسلوكية التي يعاني منها الكويتيون نتيجة للاحتلال العراقي	د. حامد الفقي
2	الضغوط التي تعرض لها الأطفال الكويتيون خلال العدوان العراقي	د. عبدالفتاح القرشي
3	الشخصية وبعض اضطراباتها لدى طلاب جامعة الكويت	د. عويد سلطان المشعان
4	اضطرابات الضغوط التالية للصدمة	د. أحمد عبدالخالق
5	الاضرابات النفسية الجسمية الناجمة عن العدوان العراقي عند المراهقين الكويتيين	أ. خضر عباس بارون
آفاق المعرفة		
1	القصة في الكويت (صور وانعكاسات من لهيب الاحتلال حتى التحرير)	د. سليمان الشطي
مطالعات		
1	العربية الفصحى ومشكلة التطور	د. أحمد محمد قدور
مناقشات		
1	التحليل النفسي في ضوء فلسفة العلوم	د. محمد رشاد سيد كفافي
شخصيات وآراء		
1	جولة في أدب رحلات د. هـ لورانس	د. أمين العيوطي
2	دعوة يوسف إدريس إلى مسرح مصري	د. إبراهيم حمادة
صدر حديثا		
1	الشعر العربي الحديث تأليف د. محمد بنيس	عرض وتحليل: د. عبدالسلام المساوي

الديموقراطية

المجلد الثاني والعشرون

86- العدد الثاني - أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1993

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مسيرة الديموقراطية .. رؤية فلسفية	د. إمام عبدالفتاح إمام
2	ديموقراطية الأثينيين	د. مصطفى العبادي
3	السلوك الديموقراطي	د. مصطفى تركي
4	النظريات السياسية لدى الفرق الإسلامية	د. أحمد محمود صبحي
5	الديموقراطية/ إشكالية الحرية	د. عزت قرني
6	الديموقراطية والدستور	د. ميشيل متياس
7	إرهاصات الديموقراطية	د. عبدالله العمر

ت	عنوان البحث	الباحث
شخصيات وآراء		
1	موقف الشريف المرتضى من قضية السرقات	د. أحمد محمد المعتوق
مناقشات		
1	القيمة التشكيلية في مناظر السينما والتلفزيون	د. عبدالمنعم عثمان
آفاق المعرفة		
1	بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام	د. قاسم عبده قاسم
صدر حديثا		
1	الإسلام في غرب أفريقيا تأليف عدد من الباحثين بإشراف: أ.م. فاسيلييف	عرض وتحليل: د. خلف محمد الجراد
2	العالم الداخلي علم جديد يستكشف العقل الإنساني	عرض وتحليل: د. محمود الذوادي

آفاق الأسلوبية المعاصرة

المجلد الثاني والعشرون

87- العددين الثالث والرابع - يناير - مارس - أبريل - يونيو 1994

ت	عنوان البحث	الباحث
1	من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية	د. سعد مصلوح
2	جدليات النص	د. محمد فتوح أحمد
3	نحو تصور كلي لأساليب الشعر العربي المعاصر	د. صلاح فضل
4	الهندسة الصوتية في القصيدة المعاصرة	د. جوزيف شريم
5	الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية	د. مازن الوعر
شخصيات وآراء		
1	هيباشيا فيلسوفة الأسكندرية	د. إمام عبدالفتاح إمام
مناقشات		
1	الوحدة الأوروبية بين الواقع والطموح	د. محمد إبراهيم رابوي
من الشرق والغرب		
1	جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجري بين الطبع والصنعة	د. محمد الحافظ الروسي
صدر حديثا		
1	المعتقدات الدينية لدى الشعوب	عرض وتحليل: د. عزت قرني
2	هل يجب حرق ديكارت؟	عرض وتحليل: د. محمود الذوادي
تقارير		
1	تقويم أعمال: المؤتمر الدولي للبحث العلمي ودوره في حماية البيئة من التلوث	د. عدنان مصطفى

النظرية النقدية الحديثة

المجلد الثالث والعشرون

88- العددين الأول والثاني - يوليو - سبتمبر / أكتوبر - ديسمبر 1994

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الإعلام وتحديات العصر	أ. د. عواطف عبدالرحمن
2	الحق في الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال	أ. د. عواطف عبدالرحمن
3	السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرها في الثقافة والتربية	د. ليلى عبدالمجيد
4	تكنولوجيا الاتصال في الوطن العربي	د. محمود علم الدين
5	التدفق الإعلامي من الشمال إلى الجنوب	د. راسم محمد الجمال
6	العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين في الوطن العربي	د. بسيوني إبراهيم حمادة
7	القائم بالاتصال في الإعلام السكاني	د. نجوى أمين الفوال
8	الإعلانات وصنع القرار في المؤسسات الإعلامية	د. أميرة محمد العباسي
	النظرية النقدية الحديثة	
1	مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبي	د. محمود الربيعي
2	في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي	د. فؤاد المرعي
3	من النقد المعياري إلى التحليل اللساني	د. خالد سليكي
4	بنية النص الكبرى	د. صبحي الطعان
5	إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث	د. عبدالعالي بوطيب
6	العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر	د. رشيد بنحدو

النظام الدولي الجديد

المجلد الثالث والعشرون

89- العددين الثالث والرابع - يناير - مارس - أبريل - يونيو 1995

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النظام الدولي الجديد .. الواقع الراهن واحتمالات المستقبل	د. علي الدين هلال
2	مفهوم النظام العالمي الجديد في الأدبيات الأمريكية (دراسة مسحية)	د. ودودة بدران
3	النظام الدولي الجديد في الفكر العربي	د. حسنين توفيق إبراهيم
4	أي هيكل للنظام الدولي الجديد؟	د. ناصيف يوسف حتي
	الأدب والعلوم الإنسانية	
1	الرواية الأنثروبولوجية بين الواقع الإثنوجرافي والخيال الإبداعي	د. أحمد ابوزيد
2	التفسير الاجتماعي للظاهرة الأدبية/ التراث وإشكاليات المنهج	د. فتحي أبو العينين
3	الدراسات النفسية والأدب	د. شاكر عبدالحميد
4	القارئ والنص..من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا	سيزا قاسم
5	السقوط والخلاص .. قراءة في رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ	د. حسن حنفي

التعليم العالي في الوطن العربي

المجلد الرابع والعشرون

90- العددين الأول والثاني - يوليو - سبتمبر - أكتوبر - ديسمبر 1995

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مسألة الجامعات العربية: منظور القبور الحية	د. عدنان مصطفى
2	المهددات الداخلية والخارجية لجامعة القرن الحادي والعشرين - تأليف: د. مايكل شاتوك	تعريب: هند مصطفى
3	التعليم العالي العربي بين حق المواطن في العلم وحق المواطن في النخبة	د. حافظ قبيسي
4	التعليم والإعلام	د. سعيد إسماعيل علي
5	التكنولوجيا داخل الفصل	د. حسين حمدي الطوبجي
	الفولكلور والفنون المعاصرة	
1	الفولكلور في الوسائط الجماهيرية: مظاهرالتأثير والتأثر بين فن الإعلام والثقافة الشعبية	د. حصة الرفاعي
2	حكايات الحيوان في التراث العربي آفاق جديدة	د. محمد رجب النجار
3	نظريات الأسطورة	د. نزار عيون السود
4	المأثورات الشعبية (الفولكلور) والإبداع الفني الجمالي	صفوت كمال
	آفاق العلوم	
1	الذكاء الصناعي (دراسة حول المفاهيم)	د. محمد نبهان سويلم
2	مكونات الإعلام وآثاره من منظور علم النفس	د. عبدالمنعم شحاتة

الأدب العبري المعاصر.. قضايا وإشكاليات

المجلد الرابع والعشرون

91- العدد الثالث - يناير - مارس 1996

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الاتجاهات الرئيسية للأدب العبري المعاصر في إسرائيل	د. رشاد عبدالله الشامي
2	الاغتراب في الأدب العبري المعاصر	د. أحمد حماد
3	صورة اليهودي الشرقي في الأدب العبري المعاصر	د. جلاء إدريس
4	الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة	د. محمود صميدة
5	إشكالية الاندماج الطائفي في شعر يهود الشرق في إسرائيل	د. جمال أحمد الرفاعي
6	كتب ورسائل علمية عن الأدب العبري المعاصر	د. جمال الرفاعي
	السيميولوجيا والنصوص اللغوية	
1	حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء)	د. عادل فاخوري
2	السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير	محمد إقبال عروي
3	السيميولوجيا والأدب .. مقاربة سيميولوجية تطبيقية للقصة الحديثة والمعاصرة	د. أنطوان طعمة
4	السيمياء والتجريب المسرحي	د. رئيف كرم
5	السيميولوجيا وأدب الرحلات	د. لطيف زيتوني
	آفاق نقدية	
1	روايات هرمان هيسّه وقصصه في ترجماتها العربية	د. عبده عبود
2	أزمة الفن التشكيلي	د. كمال عيد

الثقافة في الكويت

المجلد الرابع والعشرون

92- العدد الرابع - أبريل - يونيو 1996

ت	عنوان البحث	الباحث
1	في مفهوم الثقافة والثقافة الكويتية	د. أحمد بغدادي
2	الحركة الثقافية الكويتية .. خلفية تاريخية	أحمد خضر
3	النادي الثقافي القومي وتنمية الثقافة السياسية في المجتمع الكويتي	د. فلاح المديرس
4	البنية الثقافية والاجتماعية للمدينة الخليجية في الحقبة النفطية	د. باقر النجار
5	الكويت والثقافة .. إضاءات نقدية	د. أحمد البغدادي د. عبدالمالك التميمي د. محمد رجب النجار د. نورية الرومي وليد الرجيب
6	عبدالعزيز حسين وحلم التنوير العربي	د. نعيم اليافي
	آفاق نقدية	
1	عبثية الحياة في شعر أحمد العدواني	د. محمد مصطفى هدارة
2	سندباد صلاح عبدالصبور	د. مختار أبو غالي
3	أزمة الذات في الرواية العربية	د. عبدالله أبو هيف
4	الأدب والفكر وما بينهما	د. حسام الخطيب



الفنون في العالم العربي.. قضايا وإشكاليات

المجلد الخامس والعشرون

93- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 1996

ت	عنوان البحث	الباحث
1	أزمة الكتابة المسرحية العربية	د. نديم معلا
2	ازدواجية الأنا - الآخر والبحث في تقنية الممثل العربي	د. صالح سعد
3	المسرح العربي والبحث عن صورة الذات في صورة الآخر	د. مشهور مصطفى
4	دينامية التلقي لدى المخرج والممثل	د. نوال بنبراهيم
5	الاغتراب التكنولوجيا في مدينة بلا عقول .. دراسة تحليلية مضمونية مقارنة	د. أحمد العشري
	آفاق نقدية	
1	التراث الموسيقي العربي وإشكاليات الأصالة والمعاصرة	د. سمحة الخولي
2	أوجة قصور وأغلاط في تأريخ الفكر الحديث	د. عزت قرني
3	الاتجاه الاستشراقي في الشعر الحديث	د. عبده بدوي
4	المستشرقون ودراسة العروض العربي	أ. مسلك ميمون
5	شعر السميسر (أبو القاسم خلف الإلبيري)	بنيونس الزاكي
	في الذكرى السادسة للثاني من أغسطس	
1	الحركة الإستراتيجية العسكرية للعراق في العصر الحديث .. إيران أم الكويت؟	أ. أحمد عبدالحليم
2	عاصفة الصحراء والنظام العالمي الجديد	د. وسام عبدالعزيز فرج

تيارات فكرية جديدة

المجلد الخامس والعشرون

94- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 1996

ت	عنوان البحث	الباحث
1	هل من جديد في الفكر السياسي؟	د. تركي الحمد
2	الليبرالية الجديدة تقول: وداعا للطبقة الوسطى	د. رمزي زكي
3	الاتجاهات الفينومينولوجية الحديثة في علم الاجتماع	د. السيد الحسيني
4	اتجاهات جديدة في فلسفة العلم	د. السيد نفاذي
	آفاق نقدية	
1	الفكر الأنثروبولوجي لكلود ليفي ستروس	د. عبدالله عبدالرحمن يتيم
2	قراءة أولية لنقد القصة في دول مجلس التعاون	د. مرسل فالح العجمي
3	الكلام الجميل بين المتعة والفائدة	د. أحمد درويش
4	التطور التكنولوجي وأثره في الارتقاء بالفنون الجرافيكية في الصحافة الحديثة	د. شريف درويش اللبان
5	مشكل المنهج في قراءة بعض الكتابات المنقبية بالمغرب	د. عبدالله أحمد بن عتو
	مداخلات في الثقافة الإسلامية	
1	نظرية العدد في الفكر الإسلامي من النشأة والتطور	د. أحمد علي محمد الجندي
2	نظرية العقل في الإسلام وأثرها في قضايا الفن الشعري	د. أحمد علي محمد
3	أثر الثقافة الإسلامية في كتاب «الكوندي لوكانور»	د. علي عبدالرؤوف علي اليمبي
4	التوظيف السياسي للإسلام ومظاهر الوحدة والتنوع في مجتمع دمشق خلال الحكم العثماني	د. أحمد الأصفر

في الأدب والنقد

المجلد الخامس والعشرون

95- العدد الثالث - يناير - مارس 1997

ت	عنوان البحث	الباحث
1	في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية	د. محمود الذوادي
2	الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية	د. بنكيران أحمد الطيب
3	الانزياح وتعدد المصطلح	أحمد محمد ويس
4	السيميوطيقا والعنونة	د. جميل حمداوي
5	علاقة النص بصاحبه	د. قاسم المومني
6	بواكير النقد الأدبي في الخليج العربي	د. إبراهيم عبدالله غلوم
7	التحليل النفسي للشعر بين الوسيلة والغاية	د. فتحية محمود فرج العقدة
8	نظرية الشعر في اليونان القديمة	د. فؤاد المرعي
9	القومية في شعر الأخطل الصغير	د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن
10	البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي	د. حسين جمعة
11	المقاومة في شعر ثيساربابيخو	د. محمد عبدالله الجعيدي

العرب والسلام

المجلد الخامس والعشرون

96-العدد الرابع - أبريل - يونيو 1997

ت	عنوان البحث	الباحث
1	هل ماتت عملية السلام؟	د. تركي الحمد
2	الجامعة العربية والسلام العربي الإسرائيلي	د. علي الدين هلال
3	الجامعة العربية في ظل التسوية - سيناريوهات المستقبل	د. حسن نافعة
4	تأملات حول أسلوب التفاوض الإسرائيلي	د. محمد السيد سعيد
5	الفكر العربي والشرق أوسطية	د. حسن أبو طالب
6	المياه في المشرق العربي (قضية حدود)	د. عبدالمالك خلف التميمي
	آفاق نقدية	
1	في الإبداع والتلقي - الشعر بخاصة	د. عبدالرحمن بن محمد القعود
2	آفاق التجريب المسرحي عند جروتوفسكي	د. هناء عبدالفتاح
3	النفي إلى الهامش .. نحو استشراف المنظومة الأدبية لصقر الشبيب	د. زهرة أحمد حسين علي
4	المكان في قصص وليد إخلاصي	أ. لؤي علي خليل
5	بنيوية كمال أبو ديب	د. يوسف حامد جابر
6	سياسة حكومة قرطبة تجاه ممالك الشمال وسقوط الأندلس	د. محمد رضا عبدالعال

السينما في العالم العربي.. قضايا وإشكاليات

المجلد السادس والعشرون

97- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 1997

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الهوية القومية للسينما العربية (السينما المصرية نموذجا)	د. محمد كامل القليوبي
2	عن السينما العربية .. تاريخها ونقدها (المغرب نموذجا)	أ. مصطفى المسناوي
3	السينما والسياسة .. الحالة المصرية	أ. سيد سعيد
4	تطور صورة النجم على شاشة السينما العربية	أ. كمال رمزي
5	محمد ملص وأفلامه: ذاكرة البدء وصورة الآتي فيما مضى	أ. محمد سويد
	شهادات ورؤى	
1	الخليج	بسام الذاودي خالد الصديق محمد السنعوسي هاشم محمد
2	سوريا	محمد ملص - نبيل المالح - أسامة محمد
	آفاق نقدية	
1	تأملات جديدة في أوراق قديمة للمسرح العربي	د. عطية العقاد
2	أوراق التعبير الإبداعي عن انشغالات العروي الفكرية (1926-1948)	د. عبدالعالي بوطيب
3	مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس	د. هشام فوزي
4	المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة	د. حسين عيد
5	المسكوت عنه في خطاب شهرزاد ليالي «ألف ليلة وليلة»	د. سوسن ناجي رضوان

الفن التشكيلي في العالم العربي

المجلد السادس والعشرون

98- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 1997

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النقد والتذوق العام في الفنون التشكيلية الغربية	د. زينات البيطار
2	الفن الحديث والحداثة في الفن .. مصطلحان في أزمة	أ. سمير غريب
3	الحداثة أو الوجة الآخر من الارتباك التشكيلي العربي	د. أسعد عرابي
4	لغة الفن التشكيلي في القرن العشرين	د. صالح رضا
5	ملامح من الحركة التشكيلية الحديثة في تونس	أ. علي اللواتي
6	الرومانسية والاستشراق الفني والتمصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر	أ. د. محمد المهدي
7	تأملات في (مائيات) عمر أنسي	أ. فاطمة الحاج
8	يحيى التركي .. رائد الرسم التونسي	أ. علي اللواتي
9	جواد سليم .. الحاضر الغائب	أ. مي مظفر
	آفاق نقدية	
1	مداخل تنمية التجديد والإبداع في الثقافة المصرية	د. ثروت فتحي كامل
2	البنيوية في اللسانيات	د. وفاء محمد كامل
3	مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم	د. عبدالستار بن محمد العوني

الفكر العربي المعاصر.. تقييم واستشراف (ندوة بحثية)

المجلد السادس والعشرون

99- العددين الثالث والرابع - يناير - مارس/ أبريل - يونيو 1998

ت	عنوان البحث	الباحث
	المحور الأول: اتجاهات الخطاب العربي المعاصر.. تقييم نقدي	
1	الاتجاة السلفي	د. حيدر إبراهيم
2	السلفية .. حدودها وتحولاتها	د. فهمي جدعان
3	أزمة الفكر الليبرالي في الوطن العربي	د. علي الدين هلال
4	العربي بين اسمه وحقيقته أو نقد العقد الوحدوي	أ. علي حرب
5	اليسار العربي وسوسيولوجيا الفشل	أ. شوقي جلال
	المحور الثاني: إشكاليات الفكر العربي المعاصر.. رؤية تقييمية	
1	النهج التوفيقي .. إشكالية اللاحسم في الفكر والواقع	د. محمد جابر الأنصاري
2	المواقف الفكرية نحو التحولات الاقتصادية الاجتماعية في العالم العربي	د. محمد السيد سعيد
3	فكر الوصاية ووصاية الفكر.. إشكالية النخبة والجماهير في الفكر العربي المعاصر	د. تركي الحمد
4	الفكر العربي بين النظرية والتطبيق	أ. محمود أمين العالم
	المحور الثالث.. استشراق المستقبل	
1	الفكر العربي والزمن .. أين نحن الآن من نهضة مطلع القرن؟	أ. السيد يسين
2	أبرز معالم الجدة في نهاية القرن العشرين	د. إسماعيل صبري عبدالله

في الأدب والفن

المجلد السابع والعشرون

100-العدد الأول - يوليو - سبتمبر 1998

ت	عنوان البحث	الباحث
1	إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي	د. عبدالعالي بوطيب
2	تلقي «رولان بارت» في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي	د. محمد خير البقاعي
3	ثنائية النص .. قراءة في رثائية مالك بن الريب	د. عبدالعزيز السبيل
4	العلاقة بين الجمال والأخلاق في مجال الفن	د. رمضان الصباغ
5	برنشتاين ولغة الموسيقى بين نظرية الأصل المشترك وعلم النحو التحويلي	د. محمد هليل
6	الجدل النقدي والإبداعي في ملفات السينما المصرية	د. وفاء كمالو
	آفاق نقدية	
1	تنمية الثقافة العلمية	د. عبدالحكيم محمد بدران
2	أهمية التنشيط الثقافي والاجتماعي في تأطير الأطفال والشباب	د. محمد عباس نور الدين
3	مكانة الإنسان في الكون	د. نضال قسوم
4	الرازي «عبقرية الإسلام» و«جالينوس العرب»	د. مؤنس يونس غانم

العمارة والموسيقى في العالم العربي.. قضايا وإشكاليات

المجلد السابع والعشرون

101- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 1998

ت	عنوان البحث	الباحث
1	إشكالية العمارة والتنظير البنيوي	د. رفعة الجادرجي
2	حسن فتحي وفن العمارة من اجل الإنسانية	أ. عبدالغني داود
3	عمارة الواجهة المائية في الخليج تأليف: نادر أردلان	ترجمة: أ. إبراهيم كامل أحمد
4	ما بعد الحداثة والتراث في العمارة العربية الإسلامية	د. عفيف البهنسي
5	زهاء حديد .. ظاهرة عربية في العمارة العالمية	أ. محمد عارف
6	عبدالوهاب وقصائد العشرينات	د. محمد هليل
7	سقوط المفردات الموسيقية العربية (المقامات)	د. فتحي الخميسي
8	الموسيقى العربية ومتطلبات العصر	د. يوسف عبدالقادر الرشيد
	آفاق نقدية	
1	المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية	د. علي وطفة
2	عصاب النص .. مبحث بسيكولوجي لعوالم رواية «حين تركنا الجسر»	أسعد فخري

المجتمع المدني

العدد السابع والعشرون

102- العدد الثالث - يناير - مارس 1999

ت	عنوان البحث	الباحث
1	إعادة الاعتبار لمفهوم المجتمع المدني	د. كريم أبو حلاوة
2	المجتمع المدني بين النظرية والممارسة	د. الحبيب الجنحاني
3	المثقفون العرب .. من سلطة الدولة إلى المجتمع المدني	أ. بوعلي ياسين
4	الثقافة في مجتمعات الخليج العربية	د. إبراهيم عبدالله غلوم
5	تطور المجتمع المدني في مصر	د. أماني قنديل
6	موقع الحركات النسوية في مؤسسات المجتمع المدني في البحرين والكويت والإمارات	د. منيرة أحمد فخرو
	آفاق نقدية	
1	زكي نجيب محمود في جامعة الكويت	د. إمام عبدالفتاح إمام
2	السينما السورية	أ. بشار إبراهيم
3	الأنا والآخر وهدم النمطية	د. محمد فايز الطراونة

ابن رشد رائد التنوير

المجلد السابع والعشرون

103- العدد الرابع - أبريل - يونيو 1999

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ابن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير	د. محمد أركون
2	ابن رشد بين العقلانية والأيديولوجيا	د. نايف بلوز
3	الحس النقدي عند الفيلسوف ابن رشد	د. محمد عاطف العراقي
4	وحدة العقل بين ابن رشد والرشدية اللاتينية	د. غانم هنا
5	الاشتباه في فكر ابن رشد	د. حسن حنفي
6	الزمان واللامتناهي في القراءة الرشدية	د. عبدالرحمن التليلي
7	ابن رشد في مرآة الفكر الفرنسي المعاصر	أ. هاشم صالح
8	ابن رشد وعصره من زوايا متعددة	أ. ناصر ونوس
	آفاق نقدية	
1	العدوان والعنف في الأسرة	د. مطاع محمد بركات
2	بنيوية د.عبدالله محمد الغذامي قراءة في دراستين بنيويتين	د. يوسف حامد جابر

آفاق معرفية

المجلد الثامن والعشرون

104- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 1999

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المنهج الوقائي في الإسلام	د. أحمد محمد كنعان
2	البعد الصوفي عند شعراء المهجر الشمالي	د. إبراهيم محمد منصور
3	العرب والصهيونية والقرن 21	د. هيثم الكيلاني
4	المجتمع العماني .. عاداته وتقاليده من خلال رحلة ابن بطوطة	د. إبراهيم القادري بوتشيش
5	البصير والتنوير .. رجل موقف	أ. طالب الرفاعي
6	القصة القصيرة في قطر	أ. نضال الصالح
7	أسباب ونتائج الهجرة السكانية من الريف إلى الحضر في الوطن العربي	د. زكي حنوش
8	الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة	د. عبده عبود
9	أثر الإرهاب في الكتابة الروائية	أ. مخلوف عامر
10	دور التدخل المبكر في إدماج الأشخاص المعاقين	د. علاء بن العزمية
11	العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص	د. فالح شبيب العجمي
12	اليانصيب بين أنطون تشيكوف ومحمود سيف الدين الإيراني	د. إبراهيم خليل
13	آل قرة ومكانتهم في تاريخ الطب العربي الإسلامي	د. عادل زيتون
14	أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي شاعر منورقة	د. أحمد المصباحي
15	شعرية عنوان كتاب «الساق على الساق» في ما هو الفارياق	د. محمد الهادي المطوي
16	الدراسة الرمزية لأسلوب النص الشعري	د. فتحية محمود فرج العقدة
17	الإيصال الثقافي في رواية «جنوب الرياح»	د. محمد اسليم

العولمة ظاهرة العصر

المجلد الثامن والعشرون

105- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 1999

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ظاهرة العولمة .. الواقع والآفاق	د. الحبيب الجنحاني
2	العولمة .. جذورها وفروعها	د. عبدالخالق عبدالله
3	العولمة وجدل الهوية الثقافية	د. حيدر إبراهيم
4	العولمة وتهميش الثقافة الوطنية	د. أحمد مجدي حجازي
5	عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي	د. محمد شومان
6	العولمة .. الأبعاد والانعكاسات السياسية	د. حسنين توفيق إبراهيم
7	أي أفق للثقافة العربية وأدبها في عصر الاتصال والعولمة؟	د. حسام الخطيب
8	سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون	د. أديب خضور

إشكاليات اللغة العربية

المجلد الثامن والعشرون

106- العدد الثالث - يناير - مارس 2000

ت	عنوان البحث	الباحث
1	فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية	د. عبدالله حامد حمد
2	اللغة ودلالاتها .. تقريب تداولي للمصطلح البلاغي	أ. محمد سويرتي
3	مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة	د. محمد سالم ولد محمد الأمين
4	المصطلح الأدبي: بين غناه بالمعرفة وغناه بالتاريخ	د. صالح غرم الله زياد
5	توظيف المأثور القولي في تنمية لغة الطفل	د. وسمية عبدالمحسن المنصور
6	تعريب التعليم الجامعي .. أضواء على تجربة	د. تغريد نصر أصفر
7	في طور التنفيذ .. معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية	أ. محمد محمد حلمي هليل
	آفاق نقدية	
1	العولمة: الآثار البشرية تأليف: زايجمونت باومن	عرض وتقديم: د. شفيقة بستكي
2	بين التذوق والنقد المسرحي .. دراسة تحليلية لجماليات التلقي المسرحي	د. أحمد صقر
3	علم النفس والتحكم .. نظرة للحرب الباردة	د. عمر خليفة

دراسات في الآداب

المجلد الثامن والعشرون

107- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2000

ت	عنوان البحث	الباحث
1	حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث	د. محمد عبدالله الجعيدي
2	الرواية المغربية ورهاناتها	د. عبدالعالي بوطيب
3	إشكالية العلاقة بين الدين والعلم عند طه حسين	د. عصمت نصار
4	مستقبل النقد ..غربة السياق: من إشكاليات المثاقفة في النقد الأدبي العربي الحديث	د. سعد البازعي
5	قراءة سوسيولوجية لفيلم وجيل .. تبادلية التجريب في البنية الدرامية بين القصة القصيرة والفيلم السينمائي	د. حسن عطية
6	الرواية والتاريخ .. مسيرة روائية للنهضة والسقوط	أ. نبيل بدر سليمان
7	الرؤية السياسية والتشكيل الفني في أدب (رشاد أبو شاور) القصصي والروائي	د. إبراهيم خليل
8	التجربة الروائية في أدب عبدالسلام العجيلي	أ. نضال الصالح
9	الهزل في أدب نيقولاي فاسيليفيتش غوغول	د. محمد مرشحة
10	الفاجعة الشخصية والإبداع في أعمال ثلاثة كتاب من العالم	أ. حسين عيد

آفاق معرفية

المجلد التاسع والعشرون

108- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2000

ت	عنوان البحث	الباحث
1	علاقة التربية بالمجتمع وتحديد ملامحها النوعية	أ. أحمد إبراهيم اليوسف
2	تعقيب على بحث علاقة التربية بالمجتمع	د. حامد عمار
3	المثقف السلفي وإشكالية الإصلاح الاجتماعي	أ. محمد شكري سلام
4	الاعتقاد الديني عند هيوم	د. محمود سيد أحمد
5	المنطق وتصور فتجنشتين للفلسفة	د. عبدالله الجسمي
6	مسيرة العلوم النفسية في الوطن العربي	د. نزار عيون السود
7	يوتوبيا الخيال العلمي في الرواية العربية المعاصرة	أ. يوسف الشاروني
8	نظرية الحب عند شعراء التروبادور وأثرها في دراسة شعر العرب الأموي	د. إبراهيم أحمد ملحم
9	النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والإفرنج	د. جميل علوش
10	التأويلية بين المقدس والمدنس	د. عبدالملك مرتاض
11	جحا وفن الحيلة والسخرية في المسرح المغربي المعاصر	د. عبدالرحمن بن زيدان

التقدم العلمي المعاصر

المجلد التاسع والعشرون

109- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2000

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التقدم العلمي ومشكلاته	د. السيد نفادي
2	منظور والخيار الكهرونووي العربي	د. عدنان مصطفى
3	الدنا (DNA) والتطور الموجه في القرن العشرين	د. هاني رزق
4	نظرية الصفائح التكتونية	د. عادل رمضان مصطفى
5	عرض كتاب «الحدود الثقافية للعلم» تأليف:توماس ف. جيرين	د. زياد قطب
	آفاق نقدية	
1	الطموحات السياسية وأبعادها القومية والاجتماعية	د. علي أسعد وطفة
2	عن تجنيس الشعر الشفوي	د. محمد السرغيني
3	النقد التشكيلي العربي	أ. فاتح بن عامر
4	الآثار البيئية للسياسات التنموية	د. عادل عوض

التنوير

العدد التاسع والعشرون

110- العدد الثالث – يناير - مارس 2001

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النزعة العقلية وأثرها في حركة التنوير	د. غانم هنا
2	التنوير في العالم العربي	د. أحمد ابو زيد
3	بيان في النهضة والتنوير العربي	د. طيب تيزيني
4	نحو تنوير عربي جديد	د. حسن حنفي
5	إعادة بناء المجال السياسي في الفكر العربي	د. كمال عبداللطيف
6	فكر النهضة بين الإحياء والتنوير	أ. علي حرب
7	تجارب التنوير وإخفاقاتها في العالم العربي	د. أحمد الموصللي
8	نحن والديموقراطية منظور تنويري	د. فهمي جدعان
9	الآثار الثقافية للعولمة	د. كريم أبو حلاوة
	آفاق نقدية	
1	قراءة الخطاب الشعري المعاصر	د. خليل الموسى
2	إشكالية المرجعية الفكرية في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر	د. الزواوي بغورة
3	شروط ومبادئ الكون والفساد عند ابن رشد	عزيز بوستا
4	دعوة إلى إعادة هيكلة العلوم الاجتماعية	د. خلدون النقيب

الفكر التاريخي

المجلد التاسع والعشرون

111- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2001

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة	د. أحمد محمود بدر
2	إشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل	د. محمد إسماعيل
3	الاتجاهات السائدة في كتابة التاريخ	د. عبدالكريم رافق
4	الموضوعية والذاتية في الكتابة التاريخية المعاصرة	د. عبدالمالك التميمي
5	الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل	د. عطيات أبو السعود
6	أضواء على الكتابات التاريخية اليابانية عن العرب	د. مسعود ضاهر
7	آل بختيشوع النساطرة في البلاط العباسي	د. عادل زيتون
8	عرض لكتاب الهويات المتعددة للشرق الأوسط تأليف: برنارد لويس	د. منصور أحمد بوخمسن
	آفاق نقدية	
1	ليونارد بي. مير .. مقاربة جديدة لمفهوم النقد الموسيقي	د. محمد هليل
2	التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتجنشتين	أ. رشيد الحاج صالح
3	الأسطورة الإغريقية والمسرح	د. يونس لوليدي

آفاق معرفية

المجلد الثلاثون

112- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2001

ت	عنوان البحث	الباحث
1	جدل المثالية والواقعية في التصور الأنطولوجي للعالم عند برتراند رسل	د. يمنى طريف الخولي
2	البلاغة ومقولة الجنس الأدبي	د. محمد مشبال
3	الحجاج والاستدلال الحجاجي .. عناصر استقصاء نظري	أ. حبيب أعراب
4	مسرحيتا أوديب ملكا وأوديب في كولون بين الأسطورة اليونانية والقصة التوراتية دراسة مقارنة	أ. محمد عبدالكريم الجراح أ. فتحي طالب الجراح
5	سينما المعتقل	أ. سمير صالح
6	(الشرق أوسطية) ومستقبل المنطقة العربية	أ. سمير الزبن
7	عرض كتاب: السياسة العالمية للبيئة تأليف: لورين اليوث	د. جاسم الحسن

في الشعر والنقد

المجلد الثلاثون

113- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2001

ت	عنوان البحث	الباحث
1	رموز الحركة الشعرية بالمغرب	أ. الفاتح الجيلالي بوهلال
2	«الرونق» في النقد العربي القديم	د. جمال محمد مقابلة
3	إشكالية الحداثة، محاولة لوعي المصطلح والمرجعية القنية	د. عبدالرحمن عبدالسلام محمود
4	مفهوم النقد الأدبي في نظر النقاد الجزائريين	د. عمار زعموش
5	التأصيل الإجرائي لمفهوم الشعر عند ابن سلام الجمحي	أ. مسلك ميمون
6	مملكة الأصوات ومرآة الفتوحات	د. محمود جابر عباس
7	نازك الملائكة وقصيدة النثر	د. وليد سعيد الشيمي
8	الحداثة في الشعر السعودي المعاصر	أ. عبدالله أبو هيف
9	شعرية السرد الروائي عند إدوار الخراط	د. يوسف شكير

في الفكر الاجتماعي

المجلد الثلاثون

114- العدد الثالث - يناير - مارس 2002

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الآفاق المستقبلية للفكر الاجتماعي العربي	د. خلدون حسن النقيب
2	مقدمات لسوسيولوجيا الشباب	د. المنجي الزيدي
3	سوسيولوجيا التحديث والتغير في المجتمع القروي	د. محمد شكري سلام
4	التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي	أ. علي أسعد وطفة أ. عبدالرحمن الأحمد
5	أضواء على ظاهرة عمالة الأطفال	أ. خالد سليمان أ. سوسن مرقة
	آفاق نقدية	
1	المشاركة السياسية في الفقه السياسي المعاصر	د. سيد أبو ضيف أحمد
2	الأبعاد السوسيوثقافية لنظرية القراءة	د. أحمد يوسف
3	نقد أسطورة الديموقراطية	د. عماد فوزي شعيبي
4	الإبداع الإداري في ظل البيروقراطية	د. رندة اليافي الزهري
5	قوة العلم العربي .. بعد الوجود العربي الضائع	د. عدنان مصطفى
6	الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية	أ. عبدالرحمن السليمان

التحولات في الفكر الفلسفي المعاصر

المجلد الثلاثون

115- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2002

ت	عنوان البحث	الباحث
1	نيشته: فاصل بين حديث ومعاصر .. تجاوز هيجل	د. غانم هنا
2	فوكو .. الحفريات منهج أم فتح في الفلسفة؟	د. عبدالرحمن التليلي
3	البنيوية: منهج أم محتوى؟	د. الزواوي بغورة
4	تحولات التجربة الشيوعية .. من البولشفية إلى الأوروشيوعية	د. حميد بن عزيزة
5	تصور اليقين عند فتجنشتين	د. ميشيل متياس
6	مقدمات لاستئناف القول الفلسفي في الفكر العربي المعاصر	د. محمد وقيدي
7	عرض كتاب (العقل في القرن العشرين) تأليف: برتران سان سرنان	د. أماني البداح
	آفاق نقدية	
1	تاريخ وفلسفة العلوم عند ميشيل سير	د. يوسف تيبس
2	الترجمة الأدبية بين قيود النص وحرية الإبداع	د. أحمد حماد

آفاق معرفية

المجلد الحادي والثلاثون

116- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2002

ت	عنوان البحث	الباحث
1	نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان	د. مصطفى العبادي
2	السيميوطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب	د. السيد نفادي
3	دراسة في مسرح الشباب	د. محمد مبارك الصوري
4	المثال أو النموذج بين الإنساني والإلهي	د. محمود كحيل
5	الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة	د. رشيد برهون
6	نفي الكون والوجود عند سيف الرحبي	د. حسام الخطيب
7	قراءة في السيميولوجيا البصرية	د. محمد غرافي
8	أبو العتاهية بين الرغبة والتزهد	د. أحلام الزعيم
9	الحماية القانونية للإنسان من التلوث الإشعاعي في المواد الغذائية	أ. خيري أحمد الكباش

دراسات إسلامية

المجلد الحادي والثلاثون

117- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2002

ت	عنوان البحث	الباحث
1	قضية إعجاز القرآن عند مالك بن نبي	د. بن عيسى باطاهر
2	المحتكمات التي صدر عنها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن	د. مهدي أسعد عرار
3	الدراسات القرآنية في ألمانيا .. دوافعها وآثارها	د. أحمد محمود هويدي
4	الإقطاع في المجتمع العربي الإسلامي	د. الحبيب الجنحاني
5	المدلولات الروحية في عمارة المساجد	د. عفيف البهنسي
	آفاق نقدية	
1	التأويل .. دراسة في آفاق المصطلح	د. عبدالقادر الرباعي
2	الدراسات الأدبية العربية المقارنة	د. الرشيد بشير بوشعير
3	خليل حاوي شاعر الموت والحرية	د. يوسف حامد جابر
4	مرايا العدالة .. بحث في رواية الحرب في لبنان	د. لطيف زيتوني
5	النقد العربي والحداثة بنية التجريب في الخطاب النقدي العربي	أ. خالد سليكي
6	الكتاب الفلسفي في المغرب سنة 1999	د. كمال عبداللطيف

دراسات في السياسة والاقتصاد

المجلد الحادي والثلاثون

118- العدد الثالث - يناير - مارس 2003

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الهيمنة الأمريكية .. نموذج القطب الواحد	د. سيد أبو ضيف أحمد
2	الأطماع الصهيونية في المياه العربية	د. محمد أحمد صالح حسين
3	التحديات السياسية والاجتماعية في الكويت والوطن العربي	د. علي أسعد وطفة
4	الصناديق العربية ودورها الإنمائي	أ. عبداللطيف يوسف الحمد
5	آثار اتفاقيات منظمة التجارة العالمية	د. أحمد منير نجار
6	عرض كتاب «الاقتصاد السياسي للبطالة» تأليف: رمزي زكي	د. عباس المجرن
	آفاق نقدية	
1	تقويم أخطار الملوثات البيئية الخطرة	د. عادل عوض
2	بيير بورديو بين المادية والماركسية والروحانية الفيبرية	أ. عبدالكريم درويش
3	حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث	أ. عبدالله آيت الأعشير
4	أسفار الترحل والهجرة ومرجعياتها	د. نجمة إدريس
5	تحليل مضامين البناء وبناء المضامين	د. سمير شريف إستيتية

حقوق الإنسان

المجلد الحادي والثلاثون

119- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2003

ت	عنوان البحث	الباحث
1	حقوق الإنسان بين النظرية والواقع	د. علي بن حسين المحجوبي
2	حقوق الإنسان في العالم العربي	د. كمال عبداللطيف
3	الحق كإقصاء للعنف	د. عبدالرحمن التليلي
4	كانط والسلام العالمي	د. عطيات أبو السعود
5	الثورة في علم الهندسة الوراثية وحقوق الإنسان	د. عبدالرازق الدواي
6	تكامل حقوق الإنسان في القانون الدولي والإقليمي المعاصر	د. محمد خليل الموسى
7	القانون الدولي لحقوق الإنسان	د. محمد يوسف علوان
8	عرض كتاب «الحماية الجنائية لحقوق الإنسان» تأليف: د. خيري الباكاش	د. محمد الفيلي
	آفاق نقدية	
1	الثابت والمتحرك في البنية النحوية للجملة العربية	د. حسين الملخ
2	الحضيض وأبطال جوركي الجدد	د. عطية العقاد

آفاق معرفية

المجلد الثاني والثلاثون

120- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2003

ت	عنوان البحث	الباحث
1	عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية	د. أحمد زايد
2	إمكان الميتافيزيقا	د. موسى وهبة
3	منهج الاستشراق الفلسفي	أ. زهير بن كتفي
4	ثورة الاتصال والإعلام	أ. محمد شكري سلام
5	أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة	د. محمد محمد يونس علي
6	الرؤيا الشعرية والتأويل الموضوعاتي	د. يوسف وغليسي
7	قوة الوصف	د. أحمد بن راشد بن سعيد
8	الترجمة .. تطويع أم تغريب للنص؟	د. عفاف البطاينة
9	الفكر النقدي وضرورة تصويب الأسئلة	د. كريم أبو حلاوة
10	عرض كتاب: (عالم جديد يتخلق) تأليف: مانول كاستي	د. محمد محيي الدين

في الأدب والنقد واللغة

المجلد الثاني والثلاثون

121- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2003

ت	عنوان البحث	الباحث
1	كيف تلقى العرب القدامى الشعر؟	د. إدريس بووانو
2	قراءة في تجربة الشاعر عبدالعزيز المقالح	د. محمود جابر عباس
3	من النص إلى النص المترابط	د. سعيد يقطين
4	خصوصية الإيقاع الشعري في النقد الغربي	د. أحمد محمد ويس
5	محددات اللغة والفكر في الثقافة العربية	أ. محمد همام
6	علم النص .. أسسه المعرفية وتجلياته النقدية	د. جميل عبدالمجيد حسين
7	التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي	د. توفيق قريرة
8	حازم القرطاجني ومسألة التأثير الأرسطي في النقد العربي القديم	د. عباس أرحيلة
9	تطابق الصور في متوازي الأعمال الروائية للمرأة والرجل	أ. طيبة أحمد إبراهيم
10	اتسعت الرؤية فضاقت العبارة .. عرض وتحليل كتاب «الإبهام في الشعر الحديث» تأليف: د.عبدالرحمن القعود	د. عباس عبدالحليم عباس

الإنسان والبيئة

المجلد الثاني والثلاثون

122- العدد الثالث - يناير - مارس 2004

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تمهيد .. الإنسان والبيئة	د. مصطفى معرفي
2	التربية البيئية ومأزق الجنس البشري	د. يعقوب أحمد الشراح
3	مفاهيم أساسية في القانون العام لحماية البيئة	د. داود عبدالرازق الباز
4	العمران والبيئة	د. هاشم عبدالله صالح
5	تطبيقات النمذجة والمحاكاة الحاسوبية في الأنظمة البيئية - المائية	د. عادل عوض
6	مقالة تثقيفية حول «الدفء العالمي وارتفاع حرارة مناخ الأرض»	د. وهيب عيسى الناصر
7	التلوث البيئي بالرصاص .. مصادره وأخطاره وطرق الحد منه	م. محمد عبدالقادر الفقي
8	عرض وتحليل كتاب «السياسة العالمية للبيئة» تأليف: لورين اليوت	د. فاطمة العبدالرزاق
	آفاق معرفية	
1	مقارنة نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء	د. أحمد كروم
2	تجليات الهوية والإبداع للتركيب الإضافي في شعر محمود درويش	أ. خالد زغريت

نزاعات الحدود والحروب الأهلية

المجلد الثاني والثلاثون

123- العدد الرابع - أبريل - يوليو 2004

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحدود بين العرب.. لتجاوزها لا بد من تحديدها!	د. محمد جابر الأنصاري
2	حدود فلسطين مدخل إلى الاستعمار	د. سلمان أبو ستة
3	العولمة والحدود	د. محمد علي الفرا
4	الجوانب النفسية للحدود	د. مصطفى أحمد تركي
5	الحرب الأهلية وإشكالية الداخل والخارج	د. وجيه كوثراني
6	المسألة البربرية في الجزائر.. دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية	د. ناصر الدين سعيدوني
	آفاق نقدية	
1	تيار الوعي السياسي في المسرح الألماني	د. عطية العقاد
2	طبيعة مفهوم الكلام ووظيفته	أ. محمد الداهي
3	حضور المتلقي في تأليف ابن قتيبة .. مقدمة عيون الأخبار نموذجا	د. جمال مقابلة

آفاق معرفية

المجلد الثالث والثلاثون

124- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2004

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المشترك الفكري والسياسي بين الموحدين والمريدين	د. محمود اسماعيل
2	الاتجاهات الحديثة في دراسات الصورة الذهنية في الدراما المرئية	د. جيهان يسري
3	نظرية التلقي والأسلوبية .. منهاج التقابل الدلالي والصوتي	د. محمد رضا مبارك
4	العقل العربي وفرضية اللامفكر فيه	أ. إدريس كثير
5	توزيعية هاريس والتحليل النسقي للخطاب	د. أحمد يوسف
6	أجهزة إصلاح الشفرة الوراثية (DNA) ومرض السرطان	د. فؤاد أحمد دبوسي
7	إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي	د. فتحية عبدالله
8	بنية الازدواج والتوازن في شعر أبي تمام	أ. رشيد شعلال
9	البعد التداولي عند سيبوية	أ. مقبول إدريس

قضايا أدبية

المجلد الثالث والثلاثون

125- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2004

ت	عنوان البحث	الباحث
1	في مفهومي القراءة والتاويل	د. محمد المتقن
2	قراءة النص الأدبي في ضوء فلسفة التفكك	د. عزيز عدمان
3	خطاب المقدمات في الرواية العربية	د. عبدالمالك أشهبون
4	توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر	د. إبراهيم نمر موسى
5	عالمية الأدب من منظور معاصر	د. منى محمد طلبة
	آفاق نقدية	
1	قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية	أ. حافظ إسماعيلي علوي
2	الكوجيتو الديكارتي	أ. محمد قنديل
3	سيميائيات المسرح: نشأتها وموضوعها ووضعها الإبيستمولوجي	د. محمد التهامي العماري
4	مراجعة كتاب: هذا هو الفن الحديث تأليف: ماثيو كولينجز	د. خالد الحمزة

الحرية والتحرر

المجلد الثالث والثلاثون

126- العدد الثالث - يناير - مارس 2005

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مسألة الحرية	أ. علي حرب
2	الشمولية والحرية في الفلسفة السياسية المعاصرة	د. الزواوي بغورة
3	الحرية عند ابن رشد بين العقل النظري والعقل العملي	د. محمد المصباحي
4	من الحريات إلى باب الحرية	د. كمال عبداللطيف
5	الحرية والتحرر .. قراءة في «طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد»	د. حسن حنفي
6	دور الفكر المستنير في معركة الحرية	د. عاطف العراقي
7	الثورة الجزائرية في ذكراها الخمسين (1954 - 2004)	د. ناصر الدين سعيدوني
	آفاق نقدية	
1	ثقافة النقد ونقد الثقافة	د. عبدالقادر الرباعي
2	هتك الحجب أو القراءة القداسية	أ. بنيونس عميروش

دراسات فكرية وثقافية

المجلد الثالث والثلاثون

127 العدد الرابع - أبريل - يونيو 2005

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الأيديولوجيا المستعادة «النهضة» في الخطاب العربي المعاصر	د. رضوان جودت زيادة
2	من الخارج أم من الداخل؟ المفكر وقراءة التاريخ	أ. نجيب عوض
3	نحو سياسة جديدة للكتابة في الفلسفة	د. محمد أندلسي
4	الظهور والتلاشي .. الكشف عن منزلة الإنسان في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل	د. عبدالرحمن التليلي
5	السوفسطائية وسلطان القول نحو أصول لسانيات سوء النية	د. محمد أسيداه
6	أثر تطبيق النظريات المنطقية والرياضية قي الفلسفة المعاصرة	د. رشيد محمد الحاج صالح
	آفاق نقدية	
1	الحرب الأهلية في إسرئيل بين المتدينين والعلمانيين: متى وإلى أين؟	د. محمد أحمد صالح حسين
2	العالم المصنوع .. دراسة في البناء الاجتماعي لسياسة العالمية	د. حسين الحاج علي أحمد
3	التفكيك.. إستراتيجية السؤال وحدود الإجابة	د. فتحي بوخالفة
4	تحولات دور المشاهد للفنون التشكيلية	د. محمود محمود عبدالعاطي

آفاق معرفية

المجلد الرابع والثلاثون

128- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2005

ت	عنوان البحث	الباحث
1	العالمية والعولمة من منظور مقارني	د. حسام الخطيب
2	نداء حول ضرورة تأصيل علم الاجتماع العربي في صلب فكر مرجعيته الثقافية	د. محمود الذوادي
3	مجاز العائق الاجتماعي في القصة السعودية القصيرة	د. صالح غرم الله زياد
4	وعي الشعر .. قراءة تأصلية في اللغة والمصطلح النقدي	د. عبدالرحمن عبدالسلام محمود
5	السيميائيات الأدبية لآلجرداس ج. جريماس	د. نزار التجديتي
6	التلقي والتواصل الأدبي .. قراءة في نموذج تراثي	د. أحمد المنادي
7	الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو	د. الراضي رشيد
8	الفيزياء والحياة	د. جهاد ملحم

المرأة

المجلد الرابع والثلاثون

129- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2005

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النسوية وفلسفة العلم	د. يمنى طريف الخولي
2	المرأة المحاورة - قراءة في التراث	د. وسمية عبدالمحسن المنصور
3	المرأة في تاريخ المغرب الأقصى	د. مسلك ميمون
4	خطاب المرأة في النص الدرامي	د. وطفاء حمادي هاشم
5	مأزق المرأة الشاعرة .. قراءة في الواقع الثقافي	د. نجمة عبدالله إدريس
6	مراجعة كتاب «المرأة في الخليج العربي وتحولات الحداثة العسيرة» تأليف: د. باقر النجار	د. محمد حسين اليوسفي
	آفاق نقدية	
1	الوحدة النفسية في القصيدة العربية القديمة	د. علي عبدالله إبراهيم
2	النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية	د. أحمد يوسف

دراسات لغوية

المجلد الرابع والثلاثون

130- العدد الثالث - يناير - مارس 2006

ت	عنوان البحث	الباحث
1	ثلاثية اللسانيات التواصلية	د. سمير أستيتية
2	ظاهرة الحذف في النحو العربي	د. بوشعيب برامو
3	اللغة والكلام في التراث النحوي	د. محمد سعيد الغامدي
4	بنية اللغة في المشهد المغربي	د. محمد عدناني
5	منهج المعرفة عند علماء العربية	د. عبدالرحمان بودرع
6	القلب والدورة الدموية عند ابن رشد	د. سامي عشيبة
7	ثقافة الطفل العربي في زمن التحديات	د. علي أسعد وطفة
8	جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد	د. محمد الشيخ

العمارة

المجلد الرابع والثلاثون

131- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2006

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية في القرون الوسطى	د. ناصر الرباط
2	الجمالية الفنية في مفردات العمارة الإسلامية	د. عفيف البهنسي
3	قراءة نقدية للعمارة الإسلامية في سياقات جغرافية واجتماعية جديدة	د. هاني محمد علي الجواهرة
4	جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية .. سلطنة عمان أنموذجا	د. يحيى حسن وزيري
5	التناظر الجمالي والوظيفي في البيئة العمرانية	د. خالد عصفور
6	العمارة البيئية الخضراء والتنمية العمرانية	د. علي رأفت
7	العمارة الخضراء والتنمية العمرانية المستدامة	د. علي مهران هشام
8	العمارة والشمس	د. عدنان عبدالله حريش العنزي
9	تشكيل المدينة الحديثة وبناء الهوية الوطنية	د. مشاري النعيم ود. محمد المنصوري
	آفاق معرفية	
1	إستراتيجيات التجنيس في الرواية العربية الحديثة .. تجربة إدوار الخراط نموذجا	د. يوسف شكير
2	مبدأ الكلية بين كانط وهابرماس	د. محمود سيد أحمد

آفاق معرفية

المجلد الخامس والثلاثون

132- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2006

ت	عنوان البحث	الباحث
1	اللحظة الجمالية .. محاولة فهم نقدية	د. جمال مقابلة
2	الفن والقبض على الزمن الحاضر ثم إطلاقه	د. خالد الحمزة
3	جماليات التحليل الثقافي .. اعتذاريات النابغة الذبياني نموذجا	د. يوسف محمود عليمات
4	تيار العبثية ما بين التمرد والالتزام	د. فاطمة السويدي
5	حوار الثقافات واشتغال المتخيل	د. عبدالرحمن بن زيدان
6	علم المعرفة .. آفاق جديدة في دراسة العقل	د. محمد طه
7	ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام	د. المنجي الزيدي
8	ذكاء الآلة	أ. صلاح الفضلي
9	تاريخية العلم .. النفي محرك للعلم (نموذج كارل بوبر)	د. يوسف تيبس

الجينوم

المجلد الخامس والثلاثون

133- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2006

ت	عنوان البحث	الباحث
1	البحث عن الكمال البشري	د. مصطفى معرفي
2	الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية .. رؤية عربية	د. وجدي عبدالفتاح سواحل
3	العلاج بالجينات .. آفاق مستقبلية في عالم الطب	د. موسى الخلف
4	المعالجة الجينية (طب الجينات وجراحتها)	د. هاني رزق
5	التدخل في الجينوم البشري في الشريعة والقانون	د. تمام اللودعمي
6	اقتصاديات المجتمع الجينومي	د. مي صادق
7	الإطار الأخلاقي لأبحاث الجينوم والهندسة الوراثية البشرية	د. إيهاب عبدالرحيم محمد
8	الاستنساخ نهاية عصر الرومانسية	د. محمد عبدالحميد شاهين
9	قيمية العلم: المسوح الوراثية نموذجاً	د. نجيب الحصادي
10	كيف يساهم الموت في الحياة؟	أ. محمد الفتى

السيميائيات

المجلد الخامس والثلاثون

134- العدد الثالث - يناير - مارس 2007

ت	عنوان البحث	الباحث
1	السيميائيات .. النشأة والموضوع	د. سعيد بنكراد
2	السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب	د. أحمد يوسف
3	العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)	د. الزواوي بغورة
4	أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية	د. محمد مفتاح
5	يوري لوتمان .. مدرسة تارتو (موسكو وسيميائية الثقافة والنظم الدالة)	د. عبدالقادر بوزيدة
6	في سيميائيات التلقي	د. المصطفى شادلي
7	سيميائية الأهواء	د. محمد الداهي
8	سيميائيات التواصل الفني	د. الطاهر رواينية
9	سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع (مقاربة إبيستمولوجية)	د. محمد بادي

دراسات في الأدب

المجلد الخامس والثلاثون

135- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2007

ت	عنوان البحث	الباحث
1	آفاق الأدب المقارن العالمية في تصور الناقد إدوارد سعيد	د. حفناوي بعلي
2	مؤثرات أيديولوجية في أدب الطفل العبري (مقاربة تأويلية)	د. أحمد زلط
3	ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر	د. إبراهيم نمر موسى
4	الموت من منظور الذات .. قراءة في جدارية محمود درويش	د. عبدالسلام المساوي
5	خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والإنجاز)	د. محمد مريني
6	المقال السردي .. إبراهيم عبدالقادر المازني أنموذجا	د. أحمد السماوي
7	التهم الموجهة إلى الجاحظ .. نظر نقدي	د. محمد محمود الدروبي
8	شروح البيت والقصيدة في الأدب العربي .. محاولة في التصنيف	د. أحمد رزيق
	آفاق معرفية	
1	مفهوم التلقي من خلال الأنموذج التواصلي لنظرية زيجفريد شميث	د. نزار التجديتي
2	صيغ التماس في القص القرآني	د. عبدالمطلب زيد

آفاق معرفية

المجلد السادس والثلاثون

136- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2007

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مجتمع المعلومات .. في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم	د. الصادق رابح
2	المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية والبنية المنطقية	د. رشيد الحاج صالح
3	في العلة وأصول اللغة والنحو	د. السعيد شنوقة
4	تمثلات اللغة في الخطاب السياسي	د. عيسى عودة برهومة
5	إستراتيجيات القراءة في النقد الثقافي نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص	د. عبدالفتاح أحمد يوسف
6	معالم في خطاب النقد الثقافي العربي المعاصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين	د. سهيل الحبيب
7	من الصفر إلى الشيفرة المثاقفة وتحولات المصطلح النقدي	د. زياد الزعبي
8	شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل .. الأنا بوصفها أنا أخرى (دراسة ثقافية)	د. علاء عبدالهادي

الحرب

المجلد السادس والثلاثون

137- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2007

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحرب ظاهرة تاريخية	د. سيار الجميل
2	مفهوم الحرب بين نيتشه وهيدجر	د. غانم هنا
3	مسألة الحرب في الفلسفة المعاصرة .. الحرب العادلة مثالا	د. الزواوي بغورة
4	الحرب معضلة	د. عبدالرحمن التليلي
5	الفن والحرب في العصور القديمة .. رؤية أنثروبولوجية ونقدية	د. حسن حماد
6	الخطاب عن «حرب الثقافات» في الفكر الغربي	د. عبدالرزاق الدواي
7	مفهوم الحرب في عصر النهضة الأوروبية	د. ناصر الدين سعيدوني
8	هزيمة يونيو 1967 المشهد الأيدولوجي في الفكر العربي المعاصر	د. سهيل الحبيب
9	الحروب الإسلامية	د. محمود إسماعيل عبدالرزاق
10	العلم والحرب	د. جهاد ملحم
11	الحروب وآثارها النفسية على الأطفال	د. يحيى فايز الحداد
12	العالم والمنطقة من تحرير الكويت 1991 وحتى اليوم	أ. إلياس حنا
	آفاق معرفية	
1	التربية العربية والعولمة .. بنية التحديات وتقاطع الإشكاليات	د. علي أسعد وطفة

الوثيقة

المجلد السادس والثلاثون

138- العدد الثالث - يناير - مارس 2008

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تزوير التاريخ	د. قاسم عبده قاسم
2	الشك في الوثائق الرسمية	د. عبدالمالك خلف التميمي
3	منهجية التاريخ الشفوي والاستفادة منها عربيا	د. مسعود ضاهر
4	إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تحقيق المخطوطات التاريخية	د. عادل سالم العبدالجادر
5	نظرة في إشكالية التعامل مع وثائق الوقف .. الحالة الجزائرية	د. ناصر الدين سعيدوني
6	وثائق فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى حتى النكبة (1914-1948)	د. عيسى صالحية
	آفاق معرفية	
1	الأيديولوجيا بين الحقيقة والزيف	أ. إدريس هاني
2	أثر الصراع العربي - الإسرائيلي في حركة الترجمة.. من العربية إلى العبرية	د. محمد أحمد صالح حسين
3	الأسرة في الوطن العربي.. آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة	د. العياشي عنصر

قطوف فكرية

المجلد السادس والثلاثون

139- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2008

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مفهوم التراث العالمي مدخل باتجاه التأسيس	د. طيب تيزيني
2	المجتمع المدني بين الواقع والأيديولوجيا (الكائن والممكن في المجال العربي)	د. محمد سلام شكري
3	تحليل إدارة الصراع الدولي «دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة»	د. أحمد محمد وهبان
4	دراسات الأجيال السياسية في العلوم الاجتماعية	أ. أحمد تهامي عبدالحي
5	العولمة والبنى الطبقية متعدية الجنسية	د. محمد عبدالمنعم شلبي
6	السفسطات في المنطقيات المعاصرة .. التوجه التداولي الجدلي نموذجا	د. الراضي رشيد
7	التهميش والمهمشون في المدينة العربية .. رؤية تحليلية من منظور بنيوي	د. عمر الزعفوري
8	مدارات المنفتح والمنغلق في التشكلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية	أ. اراق سعيد

آفاق معرفية

المجلد السابع والثلاثون

140- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2008

ت	عنوان البحث	الباحث
1	اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم	د. فيكتور الكك
2	في نقد العلاقة بين مجتمع المعرفة وخطاب الإصلاح	د. جمال الزرن
3	المعقولية التاريخية ونقد الحكاية عند ابن خلدون	د. عبدالحق منصف
4	التحاور الكفء.. محدداته وتنميته	د. عبدالمنعم شحاتة
5	معضلة التفاعلية في وسائل الاتصال الجديدة (دورات مسحية)	د. عبدالرحمن محمد سعيد الشامي
6	من قضايا اللغة العربية.. في اللسانيات التوليدية	د. حافيظ إسماعيلي علوي
7	النحو عند ضياء الدين بن الأثير	د. عبدالرحمن الخالدي
8	الإبداع وبنية القصيدة في شعر عبدالله البردوني	د. علي قاسم الخرابشة
9	ذكاء البكتيريا.. حقيقة أم خيال؟	د. فؤاد دبوسي
10	الديكور والأزياء بين عناصر السينوغرافيا المسرحية	د. جمال أحمد عبدالرحمن عجوز

الاحترار العالمي

المجلد السابع والثلاثون

141- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2008

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التغيير المناخي	د. مصطفى عباس معرفي
2	الأسس العلمية للاحتباس الحراري	د. ياسين بن عبدالرحمن الشرعبي
3	الاحتباس الحراري	د. م. سفيان التل
4	كيوتو وخلفيات المواقف الدولية	د. بالقاسم المختار
5	التغيرات المناخية وقطاع الأعمال .. الفرص والتحديات	د. إبراهيم عبدالجليل
6	التغيرات المناخية وأثرها في البيئة	د. ضاري ناصر العجمي
7	تقرير حول آلية التنمية النظيفة ودورها في تحقيق بيئة نظيفة	د. وهيب عيسى الناصر
	آفاق معرفية	
1	معيار العلم أو القابلية للأبطال	د. يوسف تيبس
2	استخدام نظرية المجموعات الضبابية في إيجاد الحل الأمثل لمسائل اتخاذ القرار المتعدد المعايير في الحقل الهندسي البيئي	د. عادل عوض ود.جمال عمران وأ.أحلام محمد

مقاربات نقدية

المجلد السابع والثلاثون

142- العدد الثالث - يناير - مارس 2009

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تحولات (الشعرية) في الثقافة النقدية العربية الجديدة	د. يوسف وغليسي
2	مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي	د. محمد إقبال عروي
3	حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي	د. عزيز محمد عدمان
4	نقد النقد ام الميتانقد؟ (محاولة في تأصيل المفهوم)	د. باقر جاسم محمد
5	في نقد الصور البلاغية .. مقاربة تشييدية	د. إسماعيل شكري
6	البلاغة والاستعارة من خلال كتاب «فلسفة البلاغة»	د. سعاد أنقار
	آفاق معرفية	
1	الهوية والشكل المعماري.. الثابت والمتحول في العمارة العربية	د. مشاري بن عبدالله لنعيم
2	التقاليد المبتدعة وإعادة التشكيل	أ. سماح أحمد فريد
3	هيرمنيوطيقا المسرح.. لعبة السلطان نموذجا	د. أسامة أبو طالب

الجسد

المجلد السابع والثلاثون

143- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2009

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الروح والجسد في القرآن الكريم	د. حسن حنفي
2	مستويات حضور الجسد في الخطاب القرآني	د. محمد إقبال عروي
3	تطور مفهوم الجسد	د. يوسف تيبس
4	الجسم والجسد والهوية الذاتية	د. عز العرب لحكيم بناني
5	فلسفة الجسد والتفكير الإنساني	د. سيار الجميل
6	عنف على الجسد	د. عبدالرحمان التليلي
7	ضريبة «السعادة» .. الإشهار وتوثين الجسد	د. الصادق رابح
8	الجسد والمسرح	د. نديم معلا
	آفاق معرفية	
1	أبو حنيفة الدينوري في «أخباره الطوال» المقتضبة	د. إبراهيم بيضون
2	هيرمونطيقيا جادامر والتواصل مع الآخر	د. محمود سيد أحمد

آفاق معرفية

المجلد الثامن والثلاثون

144- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2009

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تهافت المعنى وهباء الحقيقة	د. أحمد يوسف
2	في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره	د. نجوى الرياحي القسنطيني
3	مدخل إلى البنيوية التكوينية في القراءات النقدية العربية المعاصرة	د. نور الدين صدار
4	القصيدة وتأنيث الخطاب (قراءة في شعر أبي تمام)	د. عبدالرحمن عبدالسلام محمود
5	مفهوم البناء وأثره النظري في اكتساب المهارات المعرفية	د. أحمد كروم
6	هل يمكن الكلام عن «الحق» في الكذب في المجال السياسي؟	د. محمد المصباحي
7	الحركات الاجتماعية الحضرية في المجتمعات التابعة	د. عمر الزعفوري
8	أثر النمو السكاني في البيئة	د. فياض سكيكر
9	دينامية الاستثمار الاجتماعي	د. ناصر يوسف

أثينا

المجلد الثامن والثلاثون

145- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2009

ت	عنوان البحث	الباحث
1	المدينة .. تفاعل اجتماعي وإسهام حضاري	د. ناصر الدين سعيدوني
2	مقالة أثينا والفلسفة	د. عزت قرني
3	الحياة الفكرية والثقافية في أثينا	د. محمد حمدي إبراهيم
4	الحياة الاجتماعية في أثينا القديمة	د. لطفي عبدالوهاب يحيى
5	السياسة الأثينية في القرن الخامس ق. م.	د. محمد السيد محمد عبدالغني
6	اقتصاديات أثينا	د. مصطفى العبادي
7	دراسات نقدية في التراجيديا الأثينية	د. فؤاد شرقاوي
8	أثينا .. المدينة والأسطورة	د. عبدالمعطي شعراوي
9	مقالة: الفن الأثيني	د. منى حجاج
	آفاق معرفية	
1	الفساد .. دراسة في الأسباب والآثار الاقتصادية	د. كمال أمين الوصال
2	الهوية الوطنية والتلفزيون .. عشر أطروحات لتطليق المسلمات	د. نصر الدين لعياضي

باريس

المجلد الثامن والثلاثون

146- العدد الثالث - يناير - مارس 2010

ت	عنوان البحث	الباحث
1	باريس بين عبقرية المكان وفاعلية الإنسان	د. ناصر الدين سعيدوني
2	باريس عاصمة التنوير والثورة	د. الزواوي بغورة
3	باريس عاصمة العلم بين النور والعتمة	د. حمادي بن جاء بالله
4	باريس من النهضة إلى ما بعد الحداثة	د. موليم العروسي
5	باريس قاعدة تجدد العمارة والعمران	د. معاوية سعيدوني
6	تأثير الجلوسيماتيا في النظرية السيميائية .. مدرسة باريس أنموذجا	د. أحمد يوسف
	آفاق معرفية	
1	المعنى الشعري بصفته مشيرا إلى النوع	د. علاء عبدالهادي
2	السرديات البنيوية في النقد المغربي الحديث	د. محمد مريني

القدس

المجلد الثامن والثلاثون

147- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2010

ت	عنوان البحث	الباحث
1	علماء القدس وترقية الفكر الإنساني	د. جاسر خليل سالم أبو صفية
2	القدس بين كتابات الرحالة والأساطير العربية	د. عمرو عبدالعزيز منير
3	سياسات وإجراءات علي أكرم بك متصرف القدس حيال الهجرة والاستيطان في مدينة القدس 1906-1908	د. محمد عيسى صالحية
4	القدس تحت الاحتلال الصهيوني .. تهويد المعالم والسكان	د. محسن محمد صالح
5	الدور الوطني للمرأة المقدسية 1920 - 1967	د. محمد ماجد الحزماوي
6	القدس في قرارات الشرعية الدولية	د. فاروق صيتان الشناق
7	تناقضات وصف الهيكل المزعوم في النصوص التوراتية .. رؤية هندسية معمارية	د. م. يحيى وزيري
8	عمارة المسجد الأقصى بين مراحل التطور المعماري ومخاطر التهويد	م. م. محمود زين العابدين

آفاق معرفية

المجلد التاسع والثلاثون

148- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2010

ت	عنوان البحث	الباحث
1	جمالية التلقي وتجديد تاريخ الأدب	د. سعيد الفراع
2	المتكلم في الحاجز لعزمي بشارة	د. أحمد السماوي
3	الوعي الشعري والنقدي عند أبي زيد القرشي	د. الخليل الزياني
4	إشكالية التجنيس في مقامات الزمخشري	د. أحمد زهير رحاحلة أ. خالد محمد العجمي
5	نعمة الأنس في ضوء القرآن الكريم	د. عبدالفتاح بن محمد خضر
6	المقاربة العمرانية الخلدونية للتغير الاجتماعي	د. محمود الذوادي
7	العرب في بلاد المغرب .. بين التاريخ الاستعماري والبحث الأكاديمي	د. محمد محمد الشريف
8	أعرف هذا الوجه ولكني لا أستطيع تذكر اسمه	د. أحمد محمد مجرية

توقفت مجلة عالم الفكر
عن الصدور لمدة عام كامل لأسباب إدارية

آفاق معرفية

المجلد الأربعون

149- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2011

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الاتجاهات في دراسة الثقافة السياسية	د. عبدالسلام علي نوير
2	التناص .. مقاربة نظرية شارحة	د. مصطفى بيومي عبدالسلام
3	سيميائية التطويع	د. محمد الداهي
4	تمكين المرأة .. حضور السياق المغيب وإشكالية المعنى المفقود	أ. روان يوسف نتشه
5	الحوار طريق إلى التواصل .. سورة طه أنموذجا	أ. نورة بن حمزة
6	التقانة .. مقاربة ثقافية اجتماعية	د. نور الدين شيخ عبيد
7	الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال «منهاج البلغاء وسراج الأدباء	د. مصطفى الغرافي
8	إستراتيجيات الانفلات من جهاز المناعة لدى بعض المسببات المرضية	د. محمد الفتي

الحجاج

المجلد الأربعون

150- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2011

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الحِجَاج .. مفهومه ومجالاته	د. عبدالنبي ذاكر
2	مدخل إلى الحجاج .. أفلاطون وأرسطو وشيم بيرلمان	د. محمد الولي
3	آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج	د. الحسين بنو هاشم
4	الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله في البلاغة الجديدة	د. رضوان الرقبي
5	الحِجاجُ في الدَّرْسِ النَّحْويِّ	د. حسن الملخ
6	التصوير والحجاج .. نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ	د. محمد مشبال
7	مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو	أ. رشيد الراضي
8	منزلة العواطف في نظريّات الحجاج	د. حاتم عبيد
9	التأصيل الشعبي .. جنس حجاجي أهمله المنظرون	د. عبدالرزاق بنور

رؤى العالم

المجلد الأربعون

151- العدد الثالث - يناير - مارس 2012

ت	عنوان البحث	الباحث
1	رؤى العالم .. المقدس كمحدد لتابعية الرؤية الدينية للعالم (سلطان المقدس)	د. حسن حنفي
2	حاجة الإنسان إلى تمثل للعالم	د. عبدالرحمن التليلي
3	الفن كرؤية للعالم رؤية هيدجرية	د. سعيد توفيق
4	الدين والحاجة إلى التماسك الاجتماعي .. دور الرمز في الأديان عموما	د. علي ليلة
5	مجتمع المعرفة .. معالم رؤية تكنولوجية جديدة للعالم	د. عبدالرازق الدواي
6	الرؤية الفنية في الإسلام .. جمالية الفن الإسلامي والعالم	د. عفيف البهنسي
	آفاق معرفية	
1	الفن بين المتعة والرسالة	د. عبدالجبار البودالي
2	سؤال النص وإشكالية تقاطع النزوع الإنساني مع المرجعيات الجمعية	د. عبدالفتاح أحمد يوسف
3	نظرية الأجناس الأدبية	د. أحمد المسناوي

الأسطورة

المجلد الأربعون

152- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2012

ت	عنوان البحث	الباحث
1	نظرة الأثينيين إلى الأسطورة	د. محمد عبدالغني
2	الأسطورة والتوظيف الحضاري	د. محمد عبدالفتاح سليمان
3	الأسطورة في بلاد الرافدين	د. خالد عبدالملك النوري
4	الأسطورة في الفن الحديث	د. مصطفى الرزاز
5	أسطورة آينياس في ملحمة الإنيادة	د. ماجد النويعمي
6	الأسطورة بين الحقيقة والخيال	د. عبدالمعطي شعراوي
7	فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ	د. ناصر الدين سعيدوني
	آفاق معرفية	
1	البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج	د. محمد العمري
	ندوة عالم الفكر	
	الندوة السنوية لمجلة «عالم الفكر» ندوة ثورات «الربيع العربي 2011»	

آفاق معرفية

المجلد الحادي والأربعون

153- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2012

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الاشتقاق الأكبر بين لطف التفسير وتعسف التأويل	د. عزيز عدمان
2	دينامية التجنيس في بديع القرآن	د. إبراهيم ناجي
3	قراءة السرد العربي القديم	د. عبدالواحد التهامي
4	مصطلح الثنائيات الضدية	د. سمر الديوب
5	التكاملية التعددية في المقاربات السوسيولوجية	د. نعمان عباسي
6	الرواية والعمارة العربية	د. هاني محمد القحطاني
7	التحديث العمراني نهاية الفترة الاستعمارية	د. معاوية سعيدوني
8	نظرية التحول الديموغرافي	د. هاشم نعمة فياض

الفلسفة اليوم

المجلد الحادي والأربعون

154- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2012

ت	عنوان البحث	الباحث
1	بناء المفاهيم وإعادة بنائها .. مفهوم «الميتافيزيقا» نموذجا	د. محمد الشيخ
2	المعرفة نحو عقلانيات إجرائية	د. عز العرب لحكيم بناني
3	الفكر الأخلاقي لما بعد الحداثة .. الفلسفة الفرنسية نموذجا	د. الزواوي بغورة
4	موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة	د. مجدي عبدالحافظ
5	الفلسفة في عصر العولمة	د. عبدالرزاق الدواي
	آفاق معرفية	
1	مفهوم النص	د. محمد وهابي
2	انفتاح التأويل النص الروائي	أ. عبدالرحمن التمارة
3	الخطاب المقدمتي .. الدلالات والوظائف	د. محمد زهير
4	دراسة نقدية .. جمالية «القصة - القصيدة»	د. عبداللطيف الزكي
5	حقيقة البلاغة	د. عبدالفضيل أراوي

الطاقة

المجلد الحادي والأربعون

155- العدد الثالث - يناير - مارس 2013

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الطاقة عصب الحياة	د. مصطفى عباس معرفي
2	الطاقة النووية في السلم والحرب	د. محمد قيصرون ميرزا
3	مبادئ الطاقة الشمسية الكهروضوئية	د. عصام بن عبدالعزيز العمار
4	تشرنوبل والجيل الجديد من المفاعلات النووية	د. إبراهيم خميس
5	الطاقة النووية والقانون	د. محمد محمد عبداللطيف
	آفاق معرفية	
1	العولمة .. الخلفيات الفلسفية والمواجهات الفكرية	د. سيار الجميل
2	نسق اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب	د. علاء عبدالمنعم إبراهيم
3	قضايا الأسلوب وخصائصه	د. مصطفى عطية جمعة
4	سلطة المكان المغلق	د. حسن محمد النعمي
5	الحقيقة الوضعية والمحتمل السردي	د. سعيد بنكراد
6	سوسيولوجيا الفعل إلى براديجم الفاعل الاجتماعي	د. زهير بن جنات

دراسات في النقد

المجلد الحادي والأربعون

156- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2013

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الخطاب النقدي الحديث وقانون البيئة	د. أحمد سمير العاقور
2	في النقد الفلسفي	د. الزواوي بغورة
3	قراءة نقدية في محاولات تأصيل المشروع العقلاني العربي	د. رضا حمدي
4	المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر	د. علي صديقي
5	بلاغة الجدل في مصنفات النقد الأدبي	د. عبدالله البهلول
6	الترجمة والتأويل التداولي	د. أحمد كروم
7	الاستعارة .. إستراتيجية حرب	د. محمود العشيري
8	صورة البنيات الاجتماعية للمجتمع المغربي	د. مبارك الطايعي
	ندوة «الدولة المدنية والدولة الدينية»	

آفاق معرفية

المجلد الثاني والأربعون

157- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2013

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التمثل المعجمي وأوليات النفاذ إلى الكلمات	د. حميد لفريخ
2	التشبيه عند عبدالقاهر الجرجاني	د. عطية أحمد أبو الهيجاء
3	المقام في البلاغة العربية .. دراسة تداولية	د. شكري الطوانسي
4	في مسألة النوع الأدبي	د. مصطفى الغرافي
5	اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة	د. نعمان عبدالحميد بوقرة
6	مرجعية المصطلح النقدي	د. فريد أمعضشو
7	المدينة والفضيلة	د. علي ثويني
8	قلب الوجوه رأسا على عقب	د. أحمد محمد مجرية
9	التأليف الموسيقي العربي البوليفوني	د. محمد الماجري
10	حواجز بنيوية في مسيرة التنمية الأندونيسية	د. ناصر يوسف

آفاق ثقافية

المجلد الثاني والأربعون

158- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2013

ت	عنوان البحث	الباحث
1	جيولوجيا السرد الروائي .. دراسة في رواية «اللص والكلاب» لـ نجيب محفوظ	د. أحمد يحيى علي محمد
2	البنيوية اللغوية عند دي سوسير	د. أحمد عقلة العنزي
3	الإشكالية الميتافيزيقية لمفهوم الامتداد في الفلسفة الحديثة .. الديكارتية مثالا	أ. عبدالمجيد السخيري
4	الثقافة الشعبية وآدابها .. قراءة في فنون الحلقة بالمغرب	أ. عزيز العرباوي
5	عن البلاغة .. دراسة في تحولات المفهوم	د. مصطفى الغرافي
6	ظاهرة التعجب في كتاب الأيام لطه حسين .. مقاربة أسلوبية	د. بن عيسى بطاهر
7	تجسيدات أنماط السلوك الإنساني المعاصر في الملامح التشكيلية للفن التجريدي	د. عبدالله الغيث

في الأدب واللغة

المجلد الثاني والأربعون

159- العدد الثالث - يناير - مارس 2014

ت	عنوان البحث	الباحث
1	جمالية التجاوب في الأدب .. الأسس والمفاهيم والإشكالات	أ. عادل بوحوت
2	علم المناسبة .. مدخل إلى بلاغة الخطاب	د. محمد عبدالباسط
3	صناعة القصة وصياغة الهوية	د. أحمد يحيى علي محمد
4	مقاربات القصيدة الجاهلية	د. أحمد سمير العاقور
5	التشكيل والتأويل في الحمولات الصوتية	د. عايدي علي جمعة
6	سرد النفس في السيرة الذاتية: الجوهر والدافع والتأويل	د. إيهاب النجدي
7	تداخل الأنساق اللغوية الطبية في الخطاب القرآني	د. علاء الدين الغرايبة
8	مجامع اللغة العربية وصناعة التعليم والتعريب والترجمة	د. هدى سالم آل طه

قضايا اقتصادية

المجلد الثاني والأربعون

160- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2014

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الأزمة في الاقتصاد الحقيقي	أ. مرزوق النصف
2	العولمة بوصفها مدخلاً إلى الأزمة المالية .. الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية	د. حسن خليل
3	دور الاستثمار الأجنبي المباشر في تنمية الدول العربية .. الواقع والتحديات (نظرة تحليلية اقتصادية)	د. أحمد منير النجار
4	مشكلات الجوع في العقود الأخيرة .. تحليل أزمة الغذاء 2008 .. ماذا بعد 2008؟	د. جليانا تراك المقدسي
5	مراجعة كتاب «لماذا تفشل الأمم؟» تأليف: دارون أسيموجلو	مراجعة: د. عباس المجرن
	ندوة إشكالية الديموقراطية في الوطن العربي	

آفاق معرفية

المجلد الثالث والأربعون

161- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2014

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الوجود الإنساني متجسدا	د. مجدي عبدالحافظ
2	النص والخطاب .. المفهوم والإجراء	د. محمد عبدالباسط عيد
3	التناص في شعر جمال الصليعي ومحمود درويش من خلال بعض النماذج	د. أحمد الجوه
4	نظرية التأدب في اللسانيات التداولية	د. حاتم عبيد
5	الترجمة العربية .. جذور الممارسة وبذور النظر	د. أحمد جوهري
6	تراثنا الأندلسي ومساهمة المستعربين الإسبان في دراسته ونشره .. مدرسة الدراسات العربية بمدريد وغرناطة نموذجا	د. محمد العمارتي
7	الإدارة المتكاملة لأخطار تكنولوجيا المعلومات	د. عادل عوض
8	مناقشة نقدية لكتاب عزمي بشارة .. في المسالة العربية (مقدمة لبيان ديموقراطي عربي)	د. حسام الدين درويش
9	قراءة في أدب الرحلة البريطانية لمغرب القرن الـ 19 من خلال كتابات آرثر ليرد	د. خالد الشاوش

قضايا فكرية

المجلد الثالث والأربعون

162- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2014

ت	عنوان البحث	الباحث
1	فن السيرة في الفكر اليوناني	د. مصطفى النشار
2	فكر المعتزلة في الأندلس.. الاتجاه الكلامي في الأندلس حتى نهاية عصر الخلافة الأموية	د. خالد بن عبدالكريم البكر
3	ابن خلدون وفيكو.. مقارنة منهجية ومقاربة فكرية	د. ناصر الدين سعيدوني
4	فلسفة الرازي الأخلاقية	د. إحسان عبدالجليل شاهر
5	نحو توطين المنهجية العلمية في العالم الإسلامي.. رؤية فلسفية	د. يمنى الخولي
6	سؤال الثقافة من وجهة نظر فلسفية	د. محمد شوقي الزين
7	التفكير في المجتمع الجزائري المعاصر	د. سعيد لوصيف
8	التاريخ الشفاهي.. الأصول النظرية الغربية والتجليات العربية	د. خالد أبو الليل

في رحاب الأدب

المجلد الثالث والأربعون

163- العدد الثالث - يناير - مارس 2015

ت	عنوان البحث	الباحث
1	محمد الفايز «أولية المشهد ودراما النص»	د. محمد عبدالفتاح عليم
2	السمات المركبة في «مديح الظل العالي» لمحمود درويش	د. مصطفى الغرافي
3	الغرافيتي من أدب للغرباء إلى فن للاغتراب	د. طيبي غماري
4	قصيدة النثر في الشعر الكويتي المعاصر .. تأصيل رؤيوي وجمالي	د. مصطفى عطية جمعة جودة
5	حول علم الإيقاع الشعري .. دراسة في مناهج البحث	د. الخليل الزياني
6	عندما يجري الشعر برياح التشكيلي .. قراءة تناصية في نماذج من الشعر التونسي المعاصر	د. نور الدين الحاج
7	رواية «العلامة» لبنسالم حميش من الإيهام بالحوارية إلى إستراتيجية التناص	د. عادل القريب

المجلد الثالث والعشرون

164- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2015

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التاريخ الجديد عند فرناند بروديل والآفاق المعرفية	د. ماهر اختيار
2	العودة من المجتمع إلى الفرد .. المقولات الثقافية لفهم عالم ما بعد الحداثة عند ألان تورين	د. رشيد صالح
3	الحداثة والمجاز .. مقاربات	د. حجاج أبو جبر
4	الثورة بوصفها سردية كبرى «قراءة في سياق تاريخي مضطرب»	د. نادر كاظم
5	بنحبيب والاستعادة النقدية لإشكالية السيادة والكونية...	د. عزيز الهلالي
6	مفهوم اللغة ومفهوم الهوية ومظاهر التفاعل	أ. محمد نافع العشيري
7	الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة	د. حسن بحراوي
	ندوة أزمة التعليم .. أين الخلل؟ دول مجلس التعاون الخليجي نموذجاً	

المجلد الرابع والأربعون

165- العدد الأول - يوليو - سبتمبر 2015

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مناهج البحث اللغوي	د. محمد بلاسي
2	المذكر والمؤنث عند السيوطي .. من خلال كتابه «الأشباه والنظائر»	د. نورة المليفي
3	التوقيعات من المنظور البلاغي	د. حسن بنيخلف
4	التناص التاريخي في شعر أبي همام	د. علاء عبدالمنعم
5	تجليات تاييس في الأدب العربي	د. فوزي إبراهيم الحاج
6	السيرة والسيرة الذاتية كمنهج .. من الأدب إلى علم الاجتماع	د. محمد فاوبار
7	التصور الاستعاري وترجمة المصطلحات البيئية	د. أحمد كروم
8	أزمة المياه في دولة الكويت	د. عايد عتيق جريد

المجلد الرابع والأربعون

166- العدد الثاني - أكتوبر - ديسمبر 2015

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التعدد الثقافي .. مفهومه ونظريته	د. الزواوي بغورة
2	واقع التعددية الثقافية في الجزائر بعد الاستقلال (1962 - 2014)	د. ناصر الدين سعيدوني
3	مقاربة أنتوبولوجية لظاهرة التثاقف التشريعي	د. رضا حمدي
4	النظريات الموجهة للقارئ في الخطاب النقدي الحديث	د. معتز سلامة أحمد عبدالله
5	السياقات الشبكية والاندماج الإعلامي وأثرهما	د. الصادق رابح
6	عبدالقاهر الجرجاني وإشكالية التأثير الأرسطي	د. رامي جميل سالم
7	منهج اللغة العربية للناطقين بغيرها	د. محمد حقي صوتشين
8	الكوديكولوجيا في العالم العربي الإسلامي	د. مصطفى الطوبي
9	دراما السقوط في رواية المدينة بيروت 75	د. أحمد يحيى علي

المجلد الرابع والأربعون

167- العدد الثالث - يناير - مارس 2016

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التعددية الثقافة وحوار الحضارات	أ. صلاح سالم
2	التعددية الثقافية الكندية	د. معاوية سعيدوني
3	العلاقة بين الدين والدولة الثقافية العربية	د. إدريس جنداري
4	خطاب العقل في أدب الجاحظ	د. مختار الفجاري
5	نظرية الخلق عند ابن عربي	د. مجدي محمد إبراهيم
6	الحقيقة والموضوعية في الخطاب الإعلامي	أ. عبدالقادر ملوك
7	دور البابوية في الصراع بين مملكة كيليكيا الأرمنية والمماليك	د. أندريه نصار

المجلد الرابع والأربعون

168- العدد الرابع - أبريل - يونيو 2015

ت	عنوان البحث	الباحث
1	«قصيدة النثر» وإشكالية المصطلح	د. سعيد أصيل
2	بلاغة الايقاع وشعرية قصيدة الطفل	د. بهيجة مصري إدلبي
3	منزلة الكلمة الشعرية في مجموعة «أقول لكم» لصلاح عبدالصبور	د. سيف الدين بنزيد
4	قيمة «الحب» في الشعر الفارسي القديم	د. رشيد بلوح
5	ملحمة سونجاتا كيتا والسيرة الهلالية .. دراسة مقارنة	د. خالد أبول الليل
	ندوة «ثقافة الحوار»	

169 - يوليو - سبتمبر 2016

تنبيه

اعتباراً من عدد يوليو - سبتمبر 2016، تم تغيير طريقة ترقيم المجلة من مجلدات سنوية إلى أعداد متصلة.

ت	عنوان البحث	الباحث
1	النقد التاريخي خطواته المنهجية والقضايا التاريخية المهيكلة له	د. أبجي محمد
2	التداول والتحول .. محاولة في نقد الترجمة التداولية	د. عبدالكريم عنيات
3	سوسيولوجيا الشك: المعري الشاعر ناقداً	د. عبدالكريم يحيى الزيباري
4	نقد النقد جدلية النظرية والممارسة	د. محمد بوعزه
5	في خطاب الهوية واشكالية المصطلحية	د. عياد بومزراق
6	السرقة الشعرية المفهوم وآليات الاشتغال من ابن سلام الجمحي إلى حازم القرطاجني	د. المختار حسني
7	اشكالية التدخل الإنساني لحماية حقوق الإنسان	د. جبران صالح حرمل

170 - أكتوبر - ديسمبر 2016

ت	عنوان البحث	الباحث
1	فواتح الأدب في التراث النّقدي .. قضايا الاصطلاح وضوابط الافتتاح	د.عبدالله محمد البهلول
2	المُصْطلَح في النَّقْدِ الشِّعرِي العَرَبِي القَدِيم: حَفْرِيَّاتٌ في الجُذُور والفُرُع	د. الحسين اخليفة
3	فاعلية الولاية الصوفية في رؤية زكي نجيب محمود النقدية للتصوف	د. محمَّد حلمي عبدالوهَّاب
4	صورة الغجر في آداب قومية	د. أحمد سيف الدين
5	الفن والطفل	د. مصطفى الرزاز
6	الحركات الاجتماعية وممارسات التأطير .. مقاربة أنثروبولوجية	د. سيد فارس
7	المواطنة عند جان جاك روسو...	أ. محمد تحزيمة
8	جدل القانون والأخلاق في النظرية القانونية الأنجلو أمريكية .. «هارت» و«دوركين» نموذجًا	د. محمد عبده أبو العلا
9	النياندرتال وأنماط سلوكهم	د. عبدالله السليمان

171 - يناير - مارس 2017

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تسريد الذات بين الرواية والسيرة الروائية .. المرجع والمتخيل	أ. عبدالله شطاح
2	التجريب في المتخيل السردي	د. مصطفى بيومي عبدالسلام
3	الرواية العربية .. من تأسيس الهوية إلى رهانات الحداثة	أ. خليفة غيلوفي
4	سيميائية الشخصيات في رواية «سيرك عمار» لـ سعيد علوش	أ. الحسين أوعسري
5	الجمالي والتربوي في رواية «عيوشة» لـ محمد عز الدين التازي	د. المعتمد الخراز
6	تداوليةالمسرح .. بين النظرية والتطبيق	د. عمر الرويـضي
7	ابن الهيثم الرّائد البعيد للفكر المركّب	د. جلال الدريدي
8	الأخطاء العلمية .. ثنائية الإعاقة والتقدم العلمي (آينشتاين نموذجًا)	د. سائر بصمة جي
9	الحرية الأكاديمية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية وعلاقتها بالقيمة العلمية المضافة واستشراف المستقبل التكنولوجي	د. أحمد صادق عبدالمجيد

172 - أبريل - يونيو 2017

ت	عنوان البحث	الباحث
1	مُوَجِّهاتُ التلقي في شروح ديوان أبي الطيب المتنبي	د. أحمد رزيق
2	رفض التجنيد والتمرد على الأوامر العسكرية في إسرائيل بين التهوين والتهويل	د. محمد أحمد صالح حسين
3	الخصائص التركيبيّة والدلاليّة لاستعمالات الفعل «وَضَعَ»	د. راضية عبيد
	ندوة «ثقافة الحوار»	

نلفت عناية القراء إلى أن عددي (يوليو - سبتمبر وأكتوبر - ديسمبر 2017) لم يصدر لأسباب إدارية

173 - يناير - مارس 2018

ت	عنوان البحث	الباحث
1	كيف نقرأ مشروع بن نبي الحضاري برؤية إمائية مركبة؟ المعادلة الحضارية والفكرة الدينية نموذجًا	د. ناصر يوسف
2	سؤال الفعل عند محمد إقبال نحو السير لإبداع إمكانات جديدة في الحياة	د. عبدالرزاق بلعقروز
3	المقاربة الحجاجية لكتابات الجاحظ في: «خطاب الأخلاق والهوية» و«كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج"	د. محمد البقالي
4	نشأة الفكر المقصدي وتطوره من القرن الثالث إلى القرن العشرين: نماذج أعلام وأعمال	د. العربي إدناصر
5	علم المخطوطات الجمالي	د. إدهام محمد حنش
6	الصوت والإيقاع في شعر ليلى الأخيلية	د. عبد المقصود محمد الخولي
7	تأثير المتغيرات الإقليمية والدولية في سياسة روسيا تجاه منطقة الخليج العربي	د. فيصل مخيط عبد الله أبو صليب

القانون

174 - إبريل - يونيو 2018

ت	عنوان البحث	الباحث
1	القانون والسلوك الإنساني.. محاولة لفهم صناعة التشريعات	د. محمد الفيلي
2	الاشكالات المترتبة عن تطور مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على ضوء مستجدات القانون الدولي العام	د. حكيم التوزاني
3	القانون الناعم قانون جديد للسلوك الاجتماعي	د. محمد محمد عبداللطيف
4	المحيط الوزاري بين الاداري والسياسي	د. محمد الرضواني
5	القانون المالي وتأثيره على سلوك الافراد	د. فاطمه دشتي
6	دساتير الربيع العربي.. معادلة الثورة والدولة	د. جاسم محمد زكريا
7	ندوة التجديد والتقليد في الفكر العربي المعاصر	

175 - يوليو - سبتمبر 2018

ت	عنوان البحث	الباحث
1	الثقافة والزمن مدخل الى اشكال انجلاء العنصر الثقافي	د. محمد شوقي الزين
2	مبادئ العدل ومجالاته عند ابن رشد	د. عبد الله سيف الدين
3	النقد المقارن بين التنظير والممارسة	أ. العربي قنديل
4	نقد الأسس المعرفية والمنطقية للنظرية الاجتماعية	د. عبدالحليم مهورباشة
5	من الأنواع الأدبية الى الأنواع الخطابية.. الخروج من ضيق الشكل الى رحابة السياق	د. بهاء الدين محمد مزيد
6	اللسانيات وعلم المعرفة: اللغة وبنية المعرفة البشرية	د. محمد الوحيدي
7	الظرف والظرفاء في الاندلس.. قراءة الشخصية بمنظور غير رسمي	أ. د. خالد بن عبدالكريم بن حمود البكر
8	جغرافيا مابعد الحداثة: تغيرات في المنظومة الفكرية للجغرافيا المعاصرة	د. علي بولربح

176 - أكتوبر - ديسمبر 2018

ت	عنوان البحث	الباحث
1	تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل	د. عماد عبداللطيف
2	الأبنية العروضية لمطالع القصيدة العربية	د. عبدالله غليس
3	شعرية القصيدة العربية في خطاب الاستشراق	أ.د. عبدالفتاح يوسف
4	شعرية الفقد قراءة في ديوان رثاء القمر	د. إيهاب النجدي
5	علاقة التاريخ بالسيميولوجيا.. التاريخ العربي-الإسلامي نموذجا	د. إبراهيم القادري بوتشيش
6	الكتابات التاريخية الأوروبية الحديثة في القرن التاسع عشر	أ.د. ناصر الدين سعيدوني

177 - يناير - مارس 2019

ت	عنوان البحث	الباحث
1	من فلسفة التاريخ الى علم التاريخ بحث في أسس المعرفة التاريخية عند ارنست كاسيرر	أ.د. الزواوي بغورة
2	المشروع الحداثي- التحديثي في الثقافة العربية الإسلامية.. من تعريب الإشكالية الى تأصيلها	د. إدريس جنداري
3	هل تتطور الكتابة الدرامية في المغرب؟ "أحمد السبياع" نموذجا	د. تلكماس المنصوري
4	تحليل الخطاب في التراث العربي الإسلامي: مبادئ أولية لتأصيل النماذج	أ.د. محمد بازي
5	العوالم الممكنة في رسالة الغفران لابي العلاء المعري	د. زهير القاسمي
6	الصورة الشعرية في قصائد تأبط شرا	أ. سيف الدين بنزيد
7	النخبة التونسية ومعركة الخلافة في النصف الأول من القرن العشرين	د. حسن بزاينية
8	أساليب القياس الحراري عند العلماء العرب والمسلمين بين القرنين (9-17م)	د. سائر بصمه جي

178 ابريل - يونيو 2019

ت	عنوان البحث	الباحث
1	التماسك النصي في لامية العرب	د. مطلق محمد مبارك المرشاد
2	تأويل الضحك السياسي في الرواية	د. عبد الرحمن تمارة
3	أدبية المناظرة وكسر النموذج الكلامي	د. محمود فرغلي
4	الحديث الخامس والثلاثون من الأربعين النووية، مقاربة تداولية	د. راضية خفيف بوبكري
5	المرايا المنعكسة.. دراسة في نقد نقد الشعر الثوري الفرنكوفوني	د. تامر فايز
6	الإنسان الرقمي وشراك الإنترنت؟!	د. إسماعيل نوري الربيعي
7	التحولات وتحقيب الازمنة	د. سيار الجميل
8	بيت الحكمة العباسي في الدراسات الاستشراقية	د. حيدر قاسم مطر التميمي

179 يوليو - سبتمبر 2019

ت	عنوان البحث	الباحث
1	من سمات الخطاب اللساني العربي الراهن	د. يوسف مقران
2	مفهوم التخاطب : الأساس التداولي و الأفق الاختلافي	د. العياشي ادراوي
3	عقدة جلجامش : رُهاب الموت و رُغاب الحياة في (جدارية) محمود درويش – تحليل موضوعاتي	أ.د. يوسف وغليسي
4	الدلالة المعرفية: آليات إدراك الزمن	د. عبدالكبير الحسني
5	أفانين البيان في اعتذارية النابغة الذبياني للملك النعمان: من قيود التاريخ إلى مطلق التخييل	د. الناصر ظاهري
6	العقل الاخلاقي العربي والنزعة الانسية خلال العصر الوسيط...	أ. ياسين اليحياوي
7	رؤى جغرافية معاصرة حول الحداثة وما بعد الحداثة	د. حسن إلياس محمد

180 اكتوبر - ديسمبر 2019

ت	عنوان البحث	الباحث
1	العنوان في التراث العربي.. من منظور تأسيسي في تأصيل ظاهرة العنونة بالأسماء في التراث العربي ودلالتها الحضارية والنفسية	أ.د. محمد حسن عبدالله
2	دراسات الترجمة .. النشأة والتطور	أ.د. هبة الله محمود عارف
3	التربية البيئية على ضوء العدالة الإيكولوجية .. مقاربة سوسيولوجية	د. محمد فاوبار
4	الحداثة في العلاقة بين أنطولوجيا الأنا أفكر وواقعية الآخر في فلسفة ديكارت	د. سفيان سعد الله
5	الأسس المعرفية للأخلاق البيولوجية ومبادئها المنفعة العامة أساس الاخلاق البيولوجية	د. مصطفى عبدالرؤوف راشد أحمد
6	السروجي في المقامة العمانية .. من الرأسمال السردي الى الاستثمار الثقافي لامتدادات صحار .. دراسة أنثروبولوجية	د. الزهرة إبراهيم

يمكنكم الاشتراك والحصول على نسختكم الورقية من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من خلال الدخول إلى موقعنا الإلكتروني:

https://www.nccal.gov.kw/#CouncilPublications

البيان	عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون		المسرح العالمي	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسة داخل الكويت	25		12		12		20		12		20	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8		10	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36	24	
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24	12	
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48		100
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36		50
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36		50
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24		25

قسيمة اشتراك في إصدارات
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الإسم:

العنوان:

المدينة: الرمز البريدي:

البلد:

رقم الهاتف:

البريد الإلكتروني:

اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:

المبلغ المرسل: نقدا / شيك رقم:

التوقيع: التاريخ: / / 20م

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع

ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100

دولة الكويت



م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
أسماء وأرقام وكلاء التوزيع أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت					
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820 /1/2	00965 /24826823	im_grp50@yahoo.com
ثانياً: التوزيع الخارجي					
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /114871414	00966 /12121766 – 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 – 36616168	00973 /17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501 /2/3	00971 /43918354 – 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 /24492936 – 24496748 – 24491399	00968 /24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 /44621942 – 44622182	00974 /44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400 00202	00202 /25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314 /15	00961 /1653259 00961 /1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 /71322499	00216 /71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 /522249200	00212 /522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 /6535885 – 797204095	00962 /65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 /22980800	00970 /22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 /1240883	00967 /1240883	alkaidpd@yahoo.com
14	السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	002491 /83242702	002491 /83242703	daralryan_cup22@hotmail.com daralryan_12@hotmail.com

العدد: 180 (أكتوبر - ديسمبر 2019)



kw_nccal | @kw_nccal | nccalsnap | nccalkw

www.nccal.gov.kw | press_nccal@nccal.gov.kw | 22929444

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب